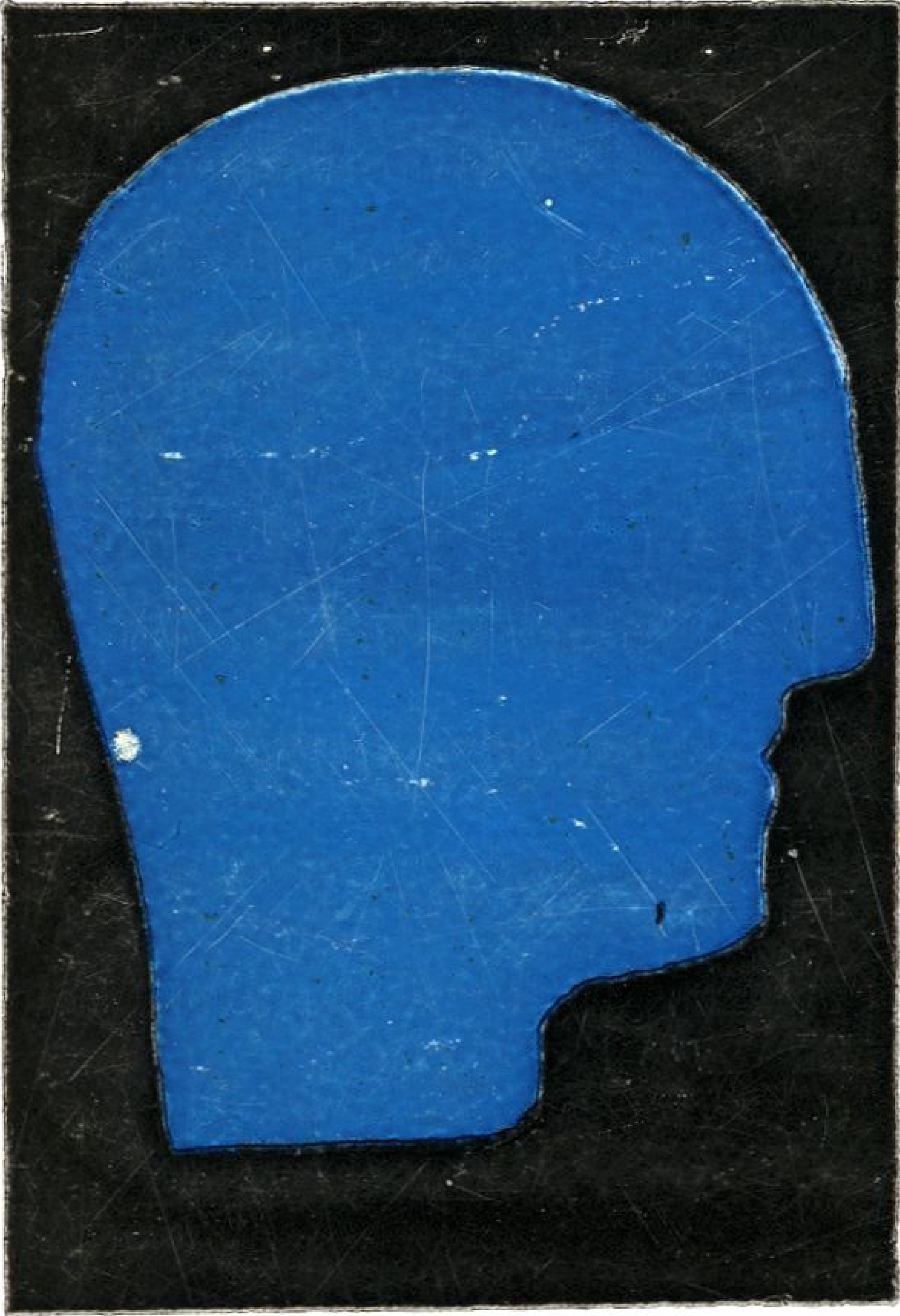
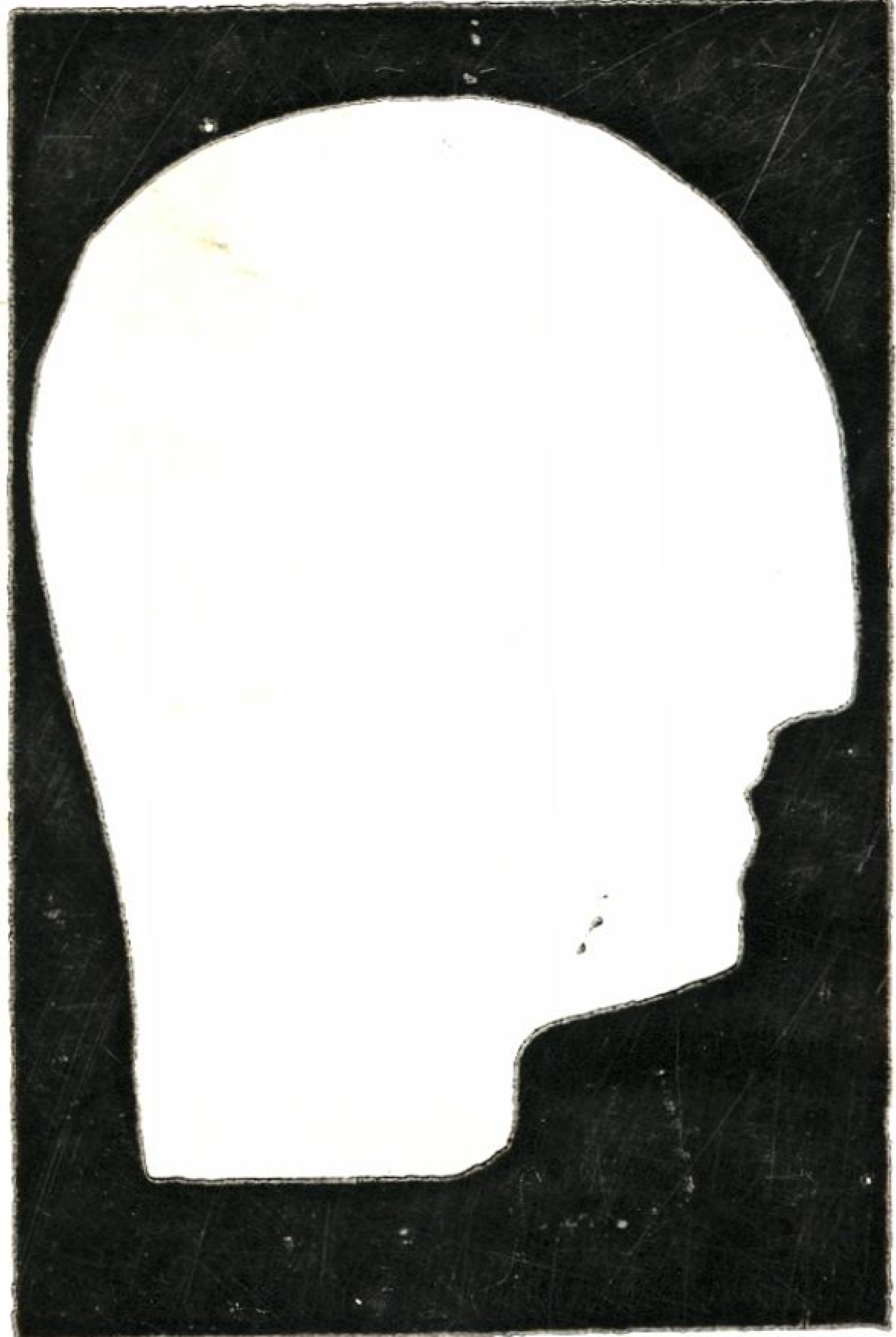
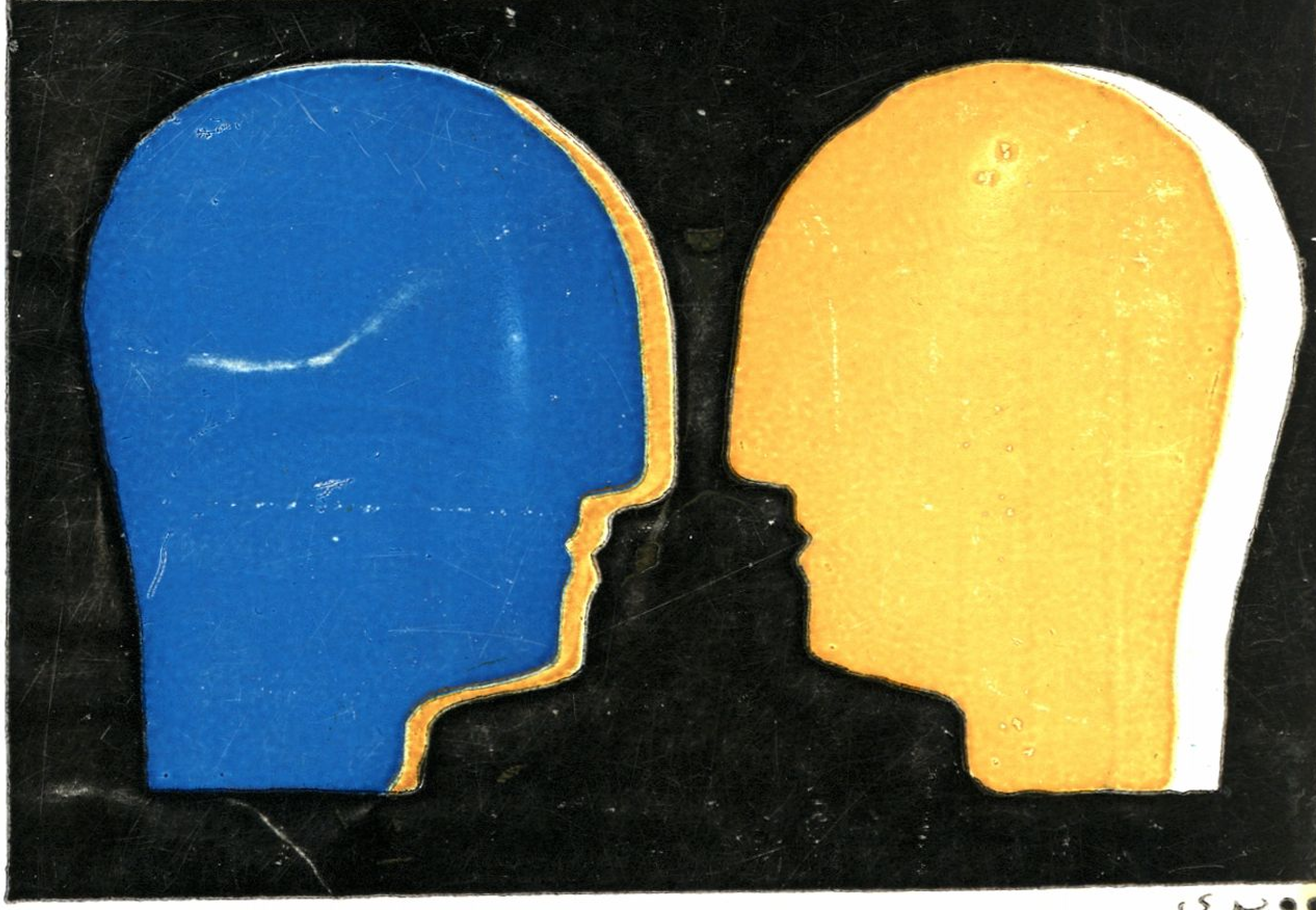
# علم النفس الاجتماعي

## مع الإشارة إلى مساهمات علماء الإسلام



دكتور عادل عز الدين الأشول

إهداء ٢٠١٦
هيئه الرقابه الاداريه
جمهورية مصر العربية

# علم النفس الاجتماعي

## مع الإشارة إلى مساهمات علماء الإسلام

تأليف

دكتور عادل عز الدين الأشول

١٩٨٥

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

شارع محمد فريد بالقاهرة

دار تكنوبرنت للطباعة
٣ ش السلطان شعبان
الفجالة - القاهرة

# الفصـــل الأول

## مقدمة فى علم النفس الاجتماعى

# بدايات علم النفس الاجتماعى

يستشهد بورنج Boring بما جاء فى كتابات ابنجهاوس Ebbinghaus بأن علم النفس الاجتماعى له ماض طويل ·· ولكن له تاريخ قصير ، وهذه حقيقة فاذا ما توخينا تاريخ العلوم بأمانة ، ونظرنا الى تاريخ هذا العلم ، لوجدنا انه يرجع الى تاريخ فلاسفة اليونان القدامى ، أما اذا تأملنا الاسس العلمية لهذا العلم نجدها تعود الى الوراء فقط حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر · فكما نشأ علم النفس فى احضـــان الفلسفة ، فان عددا كبيرا من موضوعات علم النفس الاجتماعى قد لوحظ أيضا من قبل الفلاسفة ، كما أن التأملات المتعلقة بالطبيعة الانسانية أو بالطبيعة الاصيلة للانسان بصورة خاصة قديمة قدم الفلسفة نفسها ·

فأفلاطون Plato ( ٤٢٧ : ٣٤٧ ق·م ) كان ينظر الى الانسان كما لو انه ناتج نموذج اجتماعى ما ، وكان يعتقد فى جمهوريته أن بالامكان تكييف الطبيعة الانسانية فى اى اتجاه من الاتجاهات عن طريق الاستخدام المناسب للمؤسسات التربوية والاجتماعية ·· والغريب أن نجـــد هذه القضية نفسها ــ وبعد هذه القرون الطويلة ــ ما تزال قلب الدراسات النفسية والاجتماعية فى العصر الحديث ·

وارسطو Aristotale ( ٣٨٤ : ٣٢٢ ) كان يرى الانســـان كحيوان بيولوجى ، كما فسر السلوك الانســـانى على اساس من الوراثة الحيوية ، وأشار الى اننا يجب أن نتأمل الكائن الآدمى بالاعتماد خاصـــة على استعداداته العضوية الوراثية ·

غير أن الانتبـــاه فى عهد أكثر حداثة تركـــز على الطبيعة الاصيلة للانسان،وكان ذلك نتيجةلآراء الفيلسوف الانجليزى توماس هوبز T. Hoppes ( ١٥٨٨ : ١٦٧٩ ) ، والذى نشر كتاب Leviathan ١٦٥١ حيث كان يصف الانسان فى حالة «الطبيعة» بأنه انسان خارج كل جماعة منظمة ؛ كما لو كان وحيدا ، خبيثا قاسى القلب ··· وعلى الرغم من ان هوبز كـــان مهتما بالقضايا السياسية الا انه حاول أن يتفهم الطبيعة الانسانية ، ولقد وصف أحيانا بأنه اول عـــالم نفسى اجتمـــاعى ؛ حيث يشير الى ذلك مورفى Murphy ( ١٩٣٢ ) بقوله :

لقد انشأ توماس هوبز ــ على مثال علماء النفس المحدثين من اتباع الغريزة ــ قائمة بالحوافز أو البواعث الغالبة عند الانسان ، وتتمثل فى

الجوع والظمأ والجنس والخوف رحب الشهرة ، كما أن البحث عن اللذة والرغبة فى تجنب الألم فانها ضمنية وتتسرب الى كل هذه البواعث .. كما أن هوبز نظر الى الطبيعة الانسانية بانها انانية نفعية ، ويجب ان تنمو وتراقب عن طريق الجماعة، حتى يستطيع الناس أن تعيش فى سلام ..(1).

ويقابل فى العادة هوبز بجان جاك روسو (١٧١٢ : ١٧٧٨) ، حيث اهتم الأخير بقضية الطبيعة الانسانية الأصلية واهميتها من وجه نظر التربية وكذا من وجهة النظر انسياسية ، وما كتبه فى تصوير « الرجل المتوحش النبيل » معروف لدرجة لا يحتاج معها الى تعليق عليه ، وربما كان كافيا أن نشير الى أن نظرية روسو كانت من نواحى عديدة مناقضة لنظرية هوبز ، حيث يرى أن الانسان فى حالة الطبيعة طيب القلب بريء النفس ولم تظهر فيه الشرور الا عندما أحدثت فيه المدنية آثارها .. وقد يكون من المفيد أن نزيد فنقول أن هذا التناقض فى الآراء حول الطبيعة الانسانية الطيبة او الشريرة ، نجده كذلك فى فلسفات قديمة أخرى فالفيلسوف الصينى مينكوس Mencius يشير بآراء مشابهة بما عند جان جاك روسو ، كما أن الفيلسوف هسون تسون Hsun Tsun كان يبشر بآراء متفقة مع آراء هوبز سابقة الذكر .

ولقد كان لنشر مؤلف « أصل الانواع The origin of species لدارون (١٨٥٩) ، شيئا هاما فى نمو علم النفس الاجتماعى ، فلقد دفع بجالتون F. Galton ( ١٨٩٦ ) الى دراسة العوامل الوراثية فى الفروق العقلية بين الافراد ، وكان جالتون يهتم بصورة خاصة بالانتقال الوراثى للعبقرية وكان يعتقد أيضا أن بعض الافراد يولدون بلهاء أو معوقون او ذوى عاهات أخرى .. ومما هو جدير بالذكر فان طريقته اخذت شوطا واسعا فى دراسة المواهب العقلية على ايدى علماء النفس . والأثر الهام الآخر لنظرية دارون أنها ادخلت وجهة النظر التطورية فى العلوم الاجتماعية .. وجدير بالذكر انه بذلت بعض المحاولات قبل داروين من اجل تطوير وجه النظر هذه ، مثال ذلك قانون الاحوال الثلاثة لأوجيست كونت، او نظرية التطور الاقتصادى عند كارل ماركس الا أنها لم تكن ذات اثر كبير فى تطور علم النفس الاجتماعى . اما نظرية داروين وخاصة صياغة هربرت سبنسر فانها لعبت خلال مدة طويلة دورا حاسما فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية ومن بينها علم النفس الاجتماعى ، اذ اوحت باتجاهات هذه العلوم النظرية على الاقل .

---

(1) Murphy, G. : A historical introduction to modern psycholcgy New-York, 3ed 1932, pp. 12 : 13.

والسلوك الاجتماعي من وجهة هربرت سبنسر يمكن ان يعلل بسلسلة من الأدوار التي يخضع تتابعها لبعض قوانين النمو الاساسية . وكما ان الصور كبيرة النمو أو التطور في علم الحياة لا يمكن ان تفهم الا على ضوء ما قد سبقها ، فكذلك الأمر في العلوم الاجتماعية . فالمؤسسات المعقدة والمركبة القائمة في الجماعات الحديثة تقتضي تعليلا تطوريا .. وهكذا انتشرت بتأثير هربرت سبنسر الى حد كبير طريقة انشاء مراحل تطور بمختلف وجوه الثقافة . فنرى مثلا مورجان Morgan يحاول ان يبرهن على ان الحياة الاقتصادية قد مرت بمراحل الصيد والرعي والزراعة، وكذا وجدنا هيدون Heddon من جانب آخر . يشير الى ان الفن الهندسي وليد الفن الواقعي ، وأيضا نرى تيلور Tylor يشرح تطور الديانة بدءا من الديانة الروحية تتلوها الديانات متعددة الآلهة . لكي يصل اخيرا الى الاعتقاد النهائي بآله واحد .

ولقد انشأ كل من لازاروس Lazarous وشتانتيال steinthal ( ١٨٦٠ ) مجلة لدراسة على نفس الشعوب او علم النفس القومي Folk, National psych. ، وركزت هذه المجلة على مدى تأثر علم النفس الشعوب ، باللغة والعادات والهيئات الشعبية ، وادى ذلك الى البحث عن قوانين عامة وشاملة للعقل الانساني ، على عكس العمليات النفسية للعقل انفردي واشار الى أن القوانين العامة للعقل يمكن ان تكتشف فقط في الانشطة الاجتماعية للكائن البشري في لغته وعاداته وقوانينه وما شابه ذلك ، كما أن الاهتمام بالنتاج الاجتماعي للفرد يؤدي بطبيعة الحال الى الاهتمام المتزايد في الفلسفة بصفة عامة وعلم الاجناس البشرية بصفة خاصة . وجدير بالذكر ففي غضون عام (١٨٦٠) حررت العلوم الطبيعية والانسانية في المانيا نفسها من غموض الفلسفة الميتافيزيقية الهيجلية ، لتستطيع أن تضع دراسات أكثر موضوعية وايجابية عن ذي قبل . ففلسفة التاريخ قد تحولت الى علم الاعراق أو الاجناس البشرية وبدا الاهتمام في استخراج قوانين لهذه لعلوم .

وبينما كان لازاروس وستنتال يحرران مجلتهم Zeitschrift في علم نفس الشعوب ، وكتابة المقالات عن المشكلات الخاصة في علم النفس هذا ، كان الانثروبولوجيون يوسعون افق علمهم الخاص ، نظرا لارتباطه بعلم النفس ذلك وجدير بالذكر في هذا المقام أن أفكار باستان Adolf Bastain على الاخص تستحق الذكر ، حيث اضاف البعد السيكولوجي لفهم الطبيعة الانسانية ، فاشار الى ان جميع الأفراد غالبا ما يكون لديهم القدرة لايجاد العناصر الاساسية للحضارة .. ويشير بذلك الى انـه لا توجد اختلافات وراثية بين العقلية البدائية والشعوب المتحضرة كما كان يعتقد من قبل .

وهناك مساهمة هامة فى تطور علم النفس الاجتماعى قدمها عدد من الكتاب الفرنسيين فى آواخر القرن التاسع عشر ... وتركزت كتاباتهم فى توضيح ضبط الجماعة على سلوك الافراد الذين يؤلفونها ، وكيفية تأثير الأفراد بعضهم على بعض .. ويمكن فى هذا المجال ان نسوق قوانين التقليد والمحاكاه عند تارد Tarade ( ١٨٤٣ : ١٩٠٤ ) ، واشار كذلك الى ان المجرم ليس مجرما بطبعه كما كان يظن فيما مضى ، ولكن الظروف الاجتماعية التى ينشأ فيها الفرد هى التى قد تدفعه الى ذلك . كما نجد ايضا لوبون Lebon ( ١٨٤١ : ١٩٣١ ) فى تحليله لنفسية الحشود ، وفى كيفية تأثير الفرد على الجماعة وتأثير الجماعة على الفرد ، وأوضح كذلك النواحى السيكولوجية للجماهير . وجدير بالذكر أن كل من تارد ولوبون كانا شديدى التأثر بعلم النفس المرضى من وجهة نظر شاركو ، وخاصة بدراساته لحالاته المرضية وقابليتها لعملية الايحاء والتنويم المغناطيسى ، حيث نجدهما يشيران الى أن الايحاء هو بمثابة المفتاح لتعليل سلوك الحشد ، وكان تارد يرى انه يكفى أن نطبق قوانين المحاكاة بصورة مناسبة حتى نتفهم ماهية التطور الاجتماعى والتقدم والحركات الدينية وآثار الجماعات الاخرى . اما لوبون فكان أول من أشار الى « نفسية الحشود » المستقلة نسبيا عن نفسية الافراد الذين يؤلفونها . اما كتابه فيعتبر تطويرا جديدا فى الجدل المتعلق بالعلاقة القائمة بين الجماعة والفرد ، وقد كان ذلك نقطة البداية فى جدل ظل يتتابع خلال مراحل تطور علم النفس الاجتماعى .

وهناك مساهمة اخرى فى هذا المجال لدوركهايم Durkheim ( ١٩١٢ ) الذى يرى أن الفرد لا يوجد الا من حيث انه عضو فى الجماعة ، وعلى الرغم من أن دوركهايم وتارد كانا متناقضين فى نظرتهما للعلاقات بين مبادىء التعليل السيكولوجية والاجتماعية ، فقد جرت العادة الى النظر الى مساهماتهما فى تفسير السلوك الانسانى بمصطلحات اجتماعية نظرة متوازية ، وتمثل دراسة دوركهايم للانتحار بصفة خاصة احد التحليلات العامة للطريقة التى تتسرب فيها المؤثرات الاجتماعية الى مظهر عالى « الفردية » فى التفاعلات الانسانية .

ويرجع فضل جمع علم نفس الشعوب عند لازاروس وشتنتال وعلم النفس التجريبى الى ولهلم فونت Wundt (١٨٨٢ : ١٩٢١ ) ، ولذلك نجد فونت قد ذهب بعيدا الى ما وراء علماء نفس الشعوب الذين كانوا راضين بالتعامل مع فكرة الروح المتطورة نصف الغامضة للهيجلية والهيربارتية . ولقد كرس فونت العشرة سنوات من حياته الاخيرة ليضع تقريرا عن العمليات العقلية العليا عند الانسان ، ويفسر السلوك الانسانى .

فلم توفر له المعامل التفسيرات والايضاحات للسلوك الانسانى ، فكتب عشرة مجلدات عن علم نفس الشعوب Folk Psychology ، اشار الى اننا يجب أن ندرس الحياة الاجتماعية والثقافية للافراد عند تصدينا لدراسة العمليات العقلية العليا لديهم ، وجدير بالذكر ان فونت وجد أن الدراسات المعملية لا تستطيع ان تعطى التفسير المقنع للسلوك الانسانى ، ومن وجهة نظرن يعتبر فونت لهذا السبب شخصية بارزة فى نمو علم النفس الاجتماعى .

وهل هذا يعنى أن فونت اعتبر علم النفس التجريبى غير مناسب لدراسة السلوك الانسانى ؟ ولكن على العكس من ذلك ، فلقد اقتحم على النفس الشعبى عن طريق علم النفس التجريبى ، حيث نجد أن مبادىء علم النفس التجريبى كانت جوهرية حتى لتلك المجالات كعلم النفس الشعبى حيث يمكن دراستهفقط من زاوية انتاجالانسانالاجتماعى فى اللغةوالعادات والاساطير والدين والفنون والقانون .. الخ ، ومن وجهة نظره أن علم النفس التجريبى وعلم النفس الشعبى وهما مجتمعان يكونان علما شاملا فى علم النفس ، وبتحديد اكبر ، يجب أن يكمل علم النفس التجريبى بعلم النفس الشعبى ، والاثنان معا يمكن أن يعطونا علم النفس الذى سيحتوى بحق على تفسير جميع الظواهر السيكولوجية الهامة .

ولقد كان لفونت فطنة عالم الانسان البشرية الثقافية ، فلقد رأى بوضوح الحاجة الى دراسة الاصول الاجتماعية فى المجتمعات بصفة عامة ، ويعتقد أن ذلك الانتاج الاجتماعى للغة والاسطورة والعادة يمكن دراستها بطريقة انسب بواسطة عالم النفس ، فان عناصر الفكر القومى غالبا ما تكون فى الانتاج الاجتماعى للغة والاسطورة والعادات ، كما وجد أن اسس التركيب الاجتماعى متضمنا فى اللغة وبالتالى فان الفرد والمجتمع يتقابلا ليكونا مجال علم النفس الانسانى بأكمله ، فاللغة عند فونت كما هو الحال عند جميع علماء النفس الاجتماعى جوهرية فى دراسة علم النفس الاجتماعى بصفة خاصة .

وجدير بالذكر فمع نمو علم النفس الاجتماعى فى بؤرة علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاجناس البشرية ، فقد بدأ علماء النفس الاجتماعى اليوم يعترفون أن كتاب ولهلم فونت تعتبر من احد اثنين المصادر لعلم النفس الاجتماعى .. كما اننا نجد تأثير كتاباته قد ظهرت فى كتابات اميل دوركهايم واتباعه والذين كانوا متأثرون بصفة خاصة بالمعهد الالمانى لعلم النفس القومى ( الشعبى ) وبخاصة فونت .

وأول كتاب فى علم النفس الاجتماعى كان لروس E. A. Ross والذى ظهر (١٩٠٨) وكان متأثرا بتارد .. ويتمركز هذا الكتاب الى حد كبير فى تطبيق « قوانين التقليد » على أحداث زمنه .. اما كتاب مقدمة علم النفس الاجتماعى لماك دوجال McDougall والذى ظهر تقريبا فى الوقت نفسه فقد ساعد على نمو هذا العلم مســـــاعدة كبيرة ، ويعتبر من اكثر الكتب شعبية فى علم النفس الاجتماعى حتى لقد طبع ١٤ مرة فى ثلاثة عشرة عاما . ولما كان ماكدوجال متأثرا بشدة بوجهة النظر التطورية ، فانه كـــان يقبل بوجود بعض الدوافع الأولية « الغرائز » والتى كانت من وجهة نظره بمثابة المحركات الأول للعمل لدى الحيوانات كما هى الحال عند الانسان ـ ومهما يكن راينا الآن فى نظرية الغرائز لدى ماك دوجال فانه يبقى صحيحا انها وضعت فى زمانها اسس عدد كبير من الدراسات التى اجريت فى مجال العلوم الاجتماعية ، كما انها اصبحت فى زمانها المفهوم الموجه فيما يتعلق بتطبيق علم النفس على فهم الاحداث الاجتماعية .

غير انه ظهر بالتدريج رد فعل واضح على استخدام الغريزة كمفهوم اساسى فى العلوم النفسية والاجتماعية ، ولقد كشف عدد كبير من المؤلفين ولا سيما بين علماء الاجتمـــاع عن العوامل الاجتماعية للسلوك الانســـانى معارضين بذلك ما اشار اليه ماكدوجال « العوامل البيولوجية » .. ولقد كانت هجمات السلوكيين اقسى واشد من علماء الاجتماع وساهمت الى حمل العلماء الى اعادة البحث فى مسلمات وافتراضات ماكدوجال .. كما أن علماء الانثروبولوجيا من جانب آخر قدموا عديدا من الايضاحات المتعلقة بتغييرات السلوك الانسانى والصورة التى كانت تتمثل فى عمليات التفاعل الاجتماعى والتى اعتبرت حتى ذلك الحين غريزية .. كانت فى الحقيقة متأثرة بالنواحى الثقافية السائدة فى المجتمع .

كما أن التطبيق الواسع للطرق التجريبية على علم النفس الاجتماعى فانها بلا شك تعتبر اهم تطور فى هذا المجال .. ولقد تمت محاولات تجريب نفس اجتماعى منذ مدة طويلة من قبل علماء المان قابلوا بين نتائج العمل الذى ينجزه الطلاب عندما يكونون بمفردهم ، والعمل الذى ينجزونه عندما يوجودون بحضور الآخرين .. وكان مود Moede (١٩٢٠) من اول من أجرى دراسات تجريبيـــة دقيقة عـــلى آثار التنافس .. كما نجـــد اوليورت Allport, F.H. فى كتابه علم النفس الاجتمـــاعى (١٩٢٤) قد ذهبت الى ابعد من ذلك خلال جملة من الدراسات الهامة نشرت عام ١٩٢٠ ولقد أوضح نمو الطريقة التجريبية فى مجال علم النفس الاجتماعى ، كما أن مورفى ومورفى Murphy & Murphy فى كتابهما علم النفس الاجتماعى التجريبى والذى نشر ( ١٩٣٧ ) يمكننا أن نجد فيه موجزا مفيدا

للاساليب التجريبية التى يمكن تطبيقها على مجال علم النفس الاجتماعى .. كما اشار كل من ياهودا Jahoda ودوتش Deutsch وكوك Cook فى مؤلفهم طرق البحث فى العلاقات الاجتماعية (١٩٥١) . الى نفس هذا الاتجـــاه .

ويمكننا أن نتكشف ثلاث اتجاهات رئيسية فى التاريخ الحديث لعلم النفس الاجتماعى وأول كل شيء أنه اتخذ صفة « العلم المقارن » بصورة متزايدة ، فلقد انتشرت القناعة بأن الانماط السلوكية لايمكن ان تفهم بصورة ملائمة اذا لم تدرس فى جو ثقافى واحد ، وهكذا تستخدم بصورة واسعة بيانات انثروبولوجية واجتماعية متصلة بثقافات وجماعات مختلفة .

والأمر الثانى : هو ان هذا العلم قد اصبح اكثر تجريبية ، ولذلك وجدنا كثيرا من متخصصى علم النفس الاجتماعى تبحث الآن باساليب يمكن وصفها بانها موضوعية وتجريبية وكمية .

واخيرا فان علم النفس الاجتماعى قد اخذ على نفسه بصورة أوضح ان يكون علما « تطبيقيا » ذو معنى عملى ، ولـــه تطبيقات فى مجـــال العلاقات البشرية .

وجدير بالذكر ان هذه الاتجاهات الثلاثة لا تتنافى بطبيعة الحـــال فيما بينها ـ بل تتكامل ، فاى دراسة او اى مجال من مجالات علم النفس الاجتماعى تظهر فيه بجلاء هذه الاتجاهات الثلاثة ، اى الاتجاهات المقارنة والتجريبية والتطبيقية .. وسيتضح لنا ذلك عندما نتكلم عن عملية التطبيع الاجتماعى ، أو القيادة أو الاتجاهات الاجتماعية وما الى ذلك .

## علم النفس الاجتماعى اليوم

انه لمن الصعب علينا أن نرسم خطا فاصلا بين نمو وتطور علم النفس الاجتماعى الذى فرغنا على التو منه خلال الصفحات السابقة ، وعلم النفس الاجتماعى اليوم .. فبعض الافكار والمفاهيم ما زالت معنا .. فهى منتشرة فى ثنايا التفهم الجديد لعلم النفس الاجتماعى وتثرى مناقشاته . وبصفة عامة فعلم النفس الاجتماعى المعاصر ما هو الا نتيجة تهجين البيانات المتعددة من علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاجناس البشرية ـ فهى جميعا تسير فى طريق واحد وتتكامل عن طريق المسلمات العضوية والاجتماعية .

وجدير بالذكر ان استبعاد الحقـــائق البيولوجية فى تفهم الكائن

البشرى — وذلك كما يفعل دارسى البيئة المتطرفين — ليس له سند علمى فيجب ان نضع فى اذهاننا هذه الحقائق البيولوجية بجانب الحقائق الاجتماعية والثافية حين نتصدى لتفسير سلوك الكائن الآدمى • ومجمل علم النفس الاجتماعى الحديث يبتدأ بالكائن الفردى كحقيقة عيانية ،ومدى تأثيره وتأثره على البيئة المحيطة به •• بالاضافة الى أننا نجد أن مدارس علم النفس جاءت وذهبت — غير ان عملية التوافق الانسانى — ما زالت المشكلة الاساسية لعلم النفس وموضوعه الجوهرى ؛ ان دراسة انماط التكيف الاساسية للفرد فى الجماعة والطرق التى يحقق بها أهدافه ويقلل من توتره تعتبر فى جوهرها عملية تعلم وبالتالى نجد لزاما على علم النفس الاجتماعى اليوم ان يلجأ بصفة مستمرة الى العمليات النفسية ، كما يجب ان يأخذ فى الاعتبار حقائق ومبادى علم النفس •

وينضوى تحت علم النفس مساهمات الطب النفسى والتحليل النفسى ، كما أصبح لعلم النفس علاقة وظيفية حميمة مع علم الاجناس البشرية • وتأكيد علم النفس الاجتماعى اليوم على دراسة الشخصية فى مجملها ، ما هو فى جوهره الا تأكيد لأهمية الطب النفسى المتعلق بالانسان ككل ، وبالتحليل النفسى الحديث عند سولفان H.S. Sulivan وكارن هورنى K. Horney وايرك فروم E. Fromm ، جميع هؤلاء قدموا مساهمات فى علم النفس الاجتماعى ، وكانت آراؤهم مصدرا للاثراء الذى لا حدود له لدراسة السلوك الانسانى •

كما أن عالم النفس الاجتماعى اليوم ، قد حول انتباهه اكثر واكثر لمشاكل علم النفس الاجتماعى التجريبى ، ومما لا شك فيه فان أعمال ودراسات كيرت ليفين K. Levin وزملائه كان لها اكبر الأثر فى ترسيخ مجالات الدراسة فى علم النفس الاجتماعى ، بالاساليب والطرق العلمية الثابتة •

وعموما فان علم النفس الاجتماعى اليوم فى جملته تفاعلى interactionist وتأكيده ليس على المثير والاستجابة ، أو على رد الفعل لمثير معين ، بل على التفاعل بين الفرد والآخر ، والفرد والجماعة ، وكذا بين الجماعات بعضها بالبعض الآخر • وجدير بالذكر أن عملية التفاعل تعتبر الى حد كبير مساهمة اجتماعية كبيرة لعلم النفس الاجتماعى اليوم ، كما أن هذه العملية تعتبر الفكرة المركزية فى أنظمة عديدة لعلم الاجتماع ، ونلاحظ تطبيق هذه العملية التفاعلية فى دراسة السلوك الانسانى فى ثنايا اعمال مارجريت ميد (M. Mead)

وصورة علم النفس الاجتماعى ، تشير الى اهمية الصفات الهامة للتطور العلمى ، أعنى ان كل تقدم جديد فى معرفة الانسان ليس بمثابة وليد يومه ولكنه بالأحرى انتقال للافكار وحقائق الأمس • ومن الصورة التى اقتضينا فيها باختصار نمو علم النفس الاجتماعى داخل اطار علم الأعراق البشرية ethnology ولعلم نفس الشعوب ، وعلم الاجناس البشرية anthropology فى القرن التاسع عشر ، ومع أن كليهما غير مقبول فى وقتنا الحاضر ، الا أن الدراسة ابتدأت فى اتخاذ شكلا واضحا فى دراسة سلوك الانسان عبر الثقافات Cross-Cultural فاذا كان علم نفس الغرائز قد لاقى اخيرا نهايته ، الا ان النظرة العلمية لعلم النفس الاجتماعى اليوم تبدأ فى حقيقة الأمر من مساهمات علماء الأجناس البشرية كما رأينا فى بداية هذا الفصل من مالونوفسكى Malinowsky الى لنتون Linton ، كما رأينا أن مفهوم الأجناس هيمن على الحقل الأنثروبولوجى والدراسات الانثروبولوجية فى القرن التاسع عشر لدراسة السلوك الانسانى ووجهة النظر هذه فى حقيقة الأمر كانت مستندة الى المسلمة التى فحوها أن السمات الاجتماعية المكتسبة كانت تنتقل وراثيا أو بيولوجيا ، الا أن الدراسة ابتدأت فى اتخاذ شكل آخر لهذه القضية معاكس لهذا الانتقال الوراثى • وعموما فان الدراسات الاثنولوجية والانثروبولوجية كانت نافعة لعلماء النفس الاجتماعى ليس فقط عن طريق البيانات الفعلية والضوء الذى القوه على الشخصية النامية ،ولكن بالاضافة كطريقة للبحث والدراسة • ولقد استخدمت الانثروبولوجيا أخيرا ، ليس لتدعيم مبدأ تفوق جنس بشرى على آخر ، ولكن لاقتفاء اثر تحديد السلوك والاتجاهات فى العادات الاساسية والانظمة السائدة لثقافة معينة •

ولقد انتهينا من الجزء السابق الى بعض من الاتجاهات الرئيسية لعلم النفس الاجتماعى الحديث وتتلخص فى ان هذا العلم اتخذ صفة المقارنة ، كما اخذ على نفسه ان يكون علما تطبيقيا ، بالاضافة الى الصفة التجريبية التى حاول يثبر غورها فى سبيل البحث والاستقصاء • وانتهينا كذلك ان علم النفس الاجتماعى اليوم وعلم الاجتماع وعلى الأجناس البشرية اصبحوا لا يسيرون الآن فى طرق مستقلة ، ولكنهم يتعاونون فى البحث عن المنابع والمصادر الاساسية للسلوك الانسانى •

ومن عرضنا الموجز السابق عن تطور علم النفس الاجتماعى ، ربما قد يلاحظ القارىء تركيب موضوعاتها ومادتها والتيارات المتنوعة من الفكر الانسانى التى ارتبطت وكيفت تطور هذا العلم ، وعلم النفس الاجتماعى مثل أى علم آخر قد تأثر بالفكر السائد ، فلقد رأينا تأثره بالافكار

الخاطئة والاستنتاجات غير الصادقة والتى قبلتها الأجيال حينذاك كحقائق ، هذه الأفكار الخاطئة استقرت كجذور عميقة ناشئة من الاستحسان والتميز والتفضيلات الثقافية لمرحلة معينة ٠

كما انه من الخطأ أن ننسب البدايات الكاذبة والاستنتاجات الخاطئة لعلم النفس الاجتماعى الى المناخ الثقافى ، بل ايضا الى تحيز العلماء كأفراد ولقد اصبح علم النفس الاجتماعى اليوم ، ذلك الفرع من العلوم الاجتماعية الذى يدرس السلوك الانسانى كما ينمو داخل الجماعة ، ومن ذلك نرى اختلاف هذه النظرة عما كانت عليه حين ركزت الدراسة على الشخص بمفرده فى المعمل والعيادة والمستشفى ٠ وهكذا انتقلت النظرة من علم النفس الغريزى والبيولوجى الى علم النفس السلوكى وعلم النفس البيئى ٠

## طبيعة علم النفس الاجتماعى

ان أكثر المعالم المميزة لحياة الكائن البشرى هو صفتها الاجتماعية ، فالأفراد غالبا ما يعملون معا ، كما انهم يباشرون الأعمال فى تناغم ووفاق ، بالاضافة الى أن الافراد فى تفاعلهم يتقاسمون الفهم لافعالهم المتنوعة وبالتالى يتفاعلون معا على أساس من هذه المعانى ٠

وعالم النفس الاجتماعى يدرس سلوك الافراد فى مضموناته الاجتماعية ، وهكذا يختلف اعماله عن اخصائى علم النفس العام الذى غالبا ما يدرس الفرد منعزلا عن بيئته الاجتماعية ، ويختلف كذلك عن اخصائى علم الاجتماع الذى غالبا ما يدرس نماذج من التفاعل الاجتماعى منفصلة عن مدى تفاعل الأفراد واثرهم فى احداث التغيير والتأثير فى هذه النماذج ٠

وعموما فان سلوك الفرد فى وجود شخص آخر هو بمثابة استجابة ومثير فورى لهذا الآخر ، وذلك لان الشخص ولنفترض ( أ ) يتفاعل تجاه سلوك الشخص (ب) ، كما أن سلوك الشخص ( جـ ) من المحتمل أن يضبط أو يعدل وذلك عن طريق الشخص ( أ ) ، وقد يسلك الشخص (ب) بوعى أو بدون وعى لكى يستثير استجابة معينة عند الشخص (جـ) وبالتالى يتوقف سلوكه على مدى نجاحه أو فشله فى أحداث أنماط معينة عند الشخص (جـ) ٠ ولكن الامر غالبا ما يكون أكثر تعقيدا من مجرد توال لانماط أو لنماذج متتالية من المثير والاستجابة ، من الفعل ورد الفعل ، وغالبا ما يسلك الافراد فى تفاعلاتهم فى هدوء وتسلل ، فكما نلاحظ اثنين من ربات البيوت يتجاذبن الحديث اثناء تجوالهن بالسوق ، يحدث الانسياب السلوكى فى عملية التفاعل لان كلا الطرفين قد تعلم توقع الاستجابة التى

يستثيرها ويحدثها فعل معين لدى كل طرف ، وكذا توقع الاستجابات التى سيؤديها كل طرف نحو افعال معينة . فمثل هذه التفاعلات تنساب بهدوء وتسلسل حيث يتقاسم كل من الطرفين نفس الافعال والمفاهيم ، وكذلك يوجد التفهم المشترك او المفهوم العام لبناء علاقة كل منهما بالآخر . وفى بعض الاحيان لا نجد هذا الانسياب السلوكى فى عملية التفاعل الاجتماعى ، فعندما يقوم اثنين فى مجتمع ما للتعارف ، فان كل منهما يمد يده ويتوقع من الآخر ان يفعل ذلك ، ولكن اذا كان احد الأفراد فى مجتمع لا يعرف المصافحة كرمز للتحية .. فانه بفعله هـــذا يكون أميل الى الاضطراب والتردد . وعموما فان هذه التوقعات المتبادلة تحـــكم الكثير من انماط سلوك حياتنا اليومية ، فاذا كان الفرد قد نشىء بمعزل عن الآخرين ، فان الكثير من تلك المعالم الضابطة للسلوك الشخصى أو التفاعلى اليومى غالبا ما تكون مجهولة بالنسبة له .

ويمكن ان نخضع سلوك الافـــــراد فى تفاعلهم للتحليل على أساس انظمة ثلاثة :

أ ــ التحليل على اساس نظام الشخصية .

ب ــ التحليل على اساس النظام الاجتماعى .

جـ ــ التحليل على اساس النظام الثقافى .

فالتحليل على اساس نظام الشخصية يضع فى الاعتبار خصـــائص الفرد ، مثل الاتجاهات والحاجات والسمات والاحاسيس وكذلك عمليـــات التعلم والادراك فمثلا عند دراسة كل عضو من اعضاء جماعة الجانحين ، قد يظهر هذا التحليل عن ان لدى هذه الجماعة دوافع عدوانية شـــديدة اكثر من مجموعة غير الجانحين ، وبالتالى نجدهم يدركون المجتمع على أنه مكان صعب مخيف مهدد للحياة .

أما التحليل على أساس النظام الاجتماعى ، فانه يركز على العلاقات بين الأفراد ، فمثلا نجد أن كل فرد يشغل واحدا او اكثر من المراكز فى هذه العلاقات ، ويرتبط بكل مركز توقعات معينة عن كيفية التفكير ، وكيفية الشعور وكيفية التصرف فى كل مركز من هذه المراكز . فمثلا فى احـــد المراكز فى جماعة العمال يمكن ان يكون فى مركز قائد الجماعة ، ويكون مرتبطا بهذا المركز بصورة وثيقة اثنين كنواب للرئيس ، ويتوقع اعضاء الجماعة من القـــائد أن يقترح ويبدأ . ويدير انشـــطة الجماعة ليوجه تقـــدم

سير الأنشطة وليقيم نجاحاتها . ويكون متوقعا من نوابه ان يوفروا التأييد والمساعدة للقائد فى تنفيذ الانشطة ، وعندئذ يمكن ان نفكر فى أعضاء الجماعة الباقين على أنهم يشغلون مركز التابع ، وعلى ذلك فان الكثير من الانماط السلوكية لاعضاء الجماعة ما هى الا وظيفة لبناء الجماعة الذى يتكون من مراكز القائدونوابه والاتباع ، بالاضافة الى العلاقات القائمة بين هذه المراكز الثلاثة .

اما التحليل على اساس النظام الثقافى ، ما هو الا الاتفاق على الأفكار والمبادىء حول العالم الاجتماعى وغير الاجتماعى ، وهذه تتضمن انظمة مركبة من المعتقدات والقيم التى يضعها اعضاء الجماعة على الانواع المتعددة من الانشطة ، والحقيقة نجد ان جوانب معينة من الثقافة تكون مرتبطة بصورة كبيرة بتكوين الجماعات .

وتختلف نظرة العلماء الى هذه الانظمة الثلاثة وفقا لارضية كل منهم . فالسيكولوجين يهتمون بالتحليل على أساس السلوك الفردى ، والسوسيولوجيون يوجهون عنايتهم الى التحليل على أساس النظام الاجتماعى ، فى حين أن الانثروبولوجين يهتمون بالانظمة الثقافية . ومع ذلك فان علماء النفس الاجتماعى عندما يستخدمون البيانات الاساسية عن السلوك وصفات الأفراد ، فانهم يحاولون تفهم السلوك الفردى أو معرفة سلوك الفرد على أساس متغيرات الانظمة الثلاثة سابقة الذكر ، ففى حين ان التحليل فى كل من الانظمة ظل متمايزا ، الا ان سلوك الفرد يمدنا بفكرة جوهرية لربط هذه الانظمة الثلاثة بعضها مع البعض الآخر حتى نستطيع ان نثبر غور السلوك الانسانى ، وذلك كما ذكرنا فى ثنايا الصفحات السابقة. وهكذا فان جوانب معينة من شخصية الانسان تكون نتيجة خواص النظام الاجتماعى ، وعندما يتكون النظام الاجتماعى الأول « الاسرة » ، فقد تنشىء الأفراد بدافعية قوية للانجاز او النجاح أو دافعية نحو الثروة أو المنزلة فى المجتمع ، وقد تكون بكيفية اخرى بحيث نجدها تنشىء اطفالها بحاجة اضعف الى الانجاز والنجاح .. وجدير بالذكر فان صفات معينة فى الشخصية قد تؤثر على وظيفة النظام الاجتماعى ، مثلا تركيب الشخصية لأعضاء كل اسرة ينتج تغييرا ملحوظا فى وظيفة هذا النظام الاجتماعى ، وقد تشجع اسرة الحاجات الانجازية القوية عند الاطفال ، وغالبا ما يكون مثل هذا السلوك مرتبط بالقيم الرئيسية لثقافة الجماعة ، وجدير بالذكر فان كثير من جوانب علم النفس الاجتماعى يتداول مع هذا الاسلوب من التفاعل بين الشخصية والنظام الاجتماعى . بالاضافة الى تأثير الجانب الثقافى فى هذه العملية التفاعليه .

## تعريف علم النفس الاجتماعى

يدرس علم النفس السلوك باعتباره متغيرا تابعا للزمن ، اى للعمر ومراحل النمو ، والسلوك كنشاط كلي مركب يتضمن ثلاثة جوانب نستطيع أن نميزهـــا فيه :

أ ــ جانب معرفى : حيث ندرك ما حولنا من مظـــاهر واحداث مختلفة ونتفاعل برموز ومعانى معينة ٠

ب ــ جانب حركى : كالاستجابة الحركية لتعليمات أو تنبيهات لفظية معينـــة ٠

ج ــ جانب انفعالى : وهى الحالة الانفعالية التى تصاحب السلوك فالسلوك الانسانى يتضمن جوانب ثلاثة ، ادراكية معرفيـــة ، حركية اجرائية ، انفعالية وجـــدانية ٠٠ وهذه الجوانب تعمل فى وحده كلية متكـــاملة (١) ٠

وعلم النفس الاجتماعى كأحد فروع علم النفس يدرس السلوك فى صبغته الاجتماعية ، بمعنى آخر هو الدراسة العلمية لتفاعلات الفرد من حيث هو متأثر بالآخرين ، ويستطيع هؤلاء الآخرون أن يحدثوا اثرهم اما بشكل فردى أو كجماعة ٠٠ ويمكنهم أن يؤثروا اما بصورة مباشرة عن طريق وجودهم فى تجاور مباشر مع الفرد ، أو بصورة غير مباشرة من خلال انماط السلوك التقليدية أو المتوقعة من الناس والتى تؤثر فى الفرد حتى ولو كان بمفرده ٠ وسواء اعمل الفرد بصورة ايجابية مع الجمـــاعة ؛ أو بصورة سلبية بسبب رفضه للجماعة ، فان سلوك هذا الفرد متعين دوما بصورة اجتماعية ٠ وحتى عندما يرد هذا الفـــرد ويستجيب بطريقة غير متوافقة مع الخصائص الفعلية للاخرين او مع سلوكهم ، فان هذا الفرد متأثر ايضا بأفراد آخرين ، على نحو ما يراهم ٠ وأخيرا عندما يؤثر هذا الفـــرد بدوره فى هؤلاء الذين كانوا يؤثرون فيه ، جملة القول نستطيع أن نقول تبادل التأثير وهى بمثابة جوهر علم النفس الاجتماعى ٠

وقد يبدو غريبا لأول وهلة أن نتحدث عن « موقف جتماعى » حيث يكون الفرد وحيدا ٠٠ فعندما يقوم احد الافراد على اتخاذ قرار ما ، يتعلق باختيار عمل معين ، أو شراء بيت ما ٠٠ فانه حتى ولو كان وحيدا فى مكتبه حيث خلا لنفسه ليفاضل بين جملة الشروط المعروضة ، سيكون

---

(١) طلعت منصور وآخرون : اسس علم النفس العام ، مكتبـــة الانجلو ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٧ : ص ٩ ٠

متأثرا أيضا بالاخرين ، اى بهؤلاء الذين أستمد منهم معايير قيمة ، والاثر الذى يحدثه اختياره هذا فى زوجته او اولاده ، وبراى زملائه فى هذا الاختيار . وبتقديره للاثر الممكن لهذا التغير فى وضـــعه الاجتماعى فى جماعته ... الخ فكل عمل نفسى يستخدم كائنات انسانية كمواضـــيع يقتضى عنصرا اجتماعيا بمقدار ما يتعين السلوك الملاحظ بالخبرة الاجتماعية السابقة التى اكتسبها الفرد .

وجدير بالذكر أن تعريفنا السابق ، قد اشتمل على عديد من التعريفات التى قيلت لعلم النفس الاجتماعى،فكرتش وكرتشفيلد Kretch & Crutchfield يعرفانه بأنه الدراسة العلمية المنظمة لسلوك الفرد فى الجماعة ، وكذلك يشير كل من شريف وشريف Sherif & Sherif (١٩٥٦) على انه الدراسة العلمية لخبرة الفرد وسلوكه فى علاقتهما بالمواقف الاجتماعية ، كما أن لامبرت ولامبرت Lambert & Lambert (١٩٦٤) يشيران الى ان علم النفس الاجتماعى ما هو الا الدراسة التجريبية للافراد فى المواقف الاجتماعية . ويشير هوبرت بونر H. Bonner الى ان علم النفس الاجتماعى ، هو ذلك الفرع من العلوم الاجتماعية الذى يدرس السلوك كمـــا ينمو داخل الجماعة الانسانية . (1) .

## علم النفس الاجتماعى وارتباطه بالعلوم الاخرى

انتهينا فى الجزء السابق الى ان موضوع دراسة علم النفس وعـــلم الاجتمـــاع وعلم النفس الاجتماعى والانثروبولوجيا وعلم الاجناس البشرية، تتمركز جوهر هذه العلوم على الانسان فمن البديهى أن يكون بينها ارتباط وصلات جوهرية حيث ان موضوع دراستها هو الانسان فى مجالات متنوعة ومتعددة . وبالتالى فان هذه العلوم تعطى لعلم النفس الاجتماعى وتأخذ منه فى نفس الآن . الا ان المتأمل فى طبيعة كل علم من العلوم الانسانية سابقة الذكر يجد انها تتميز قليلا او كثيرا بعضها عن البعض الآخر .. على الرغم من الاطار العام الذى يجمع بينها ..

فان نظرنا مثلا الى علم النفس العام ـــ فانه يبحث من الوجهة النظرية على الاقل فى تفاعل الفرد كفرد .. وغالبا ما يدرس الفرد بدون الرجوع الى بيئته الاجتماعية ، على عكس علم النفس الاجتمـــاعى الذى يدرس الانسان وتفاعله مع البيئة المحيطة به .

---

(1) Hubert Bonner : Social psychology, An interdisciplinary approach, New Delhi, Eurasia publishing House, LTD, 1965, pp. 1:15.

والواقع ان كلا من هذين التمييزين اشياء صعبة التقبل ، فكثيرا ما نلاحظ علماء النفس يعترفون ويشيرون الى اهمية الجماعة فيما يتعلق بتحديد سلوك الفرد — كما ان مباحث علماء الشخصية بصورة خاصة عن درجة تأثر الشخصية بالبيئة الثقافية والاجتماعية التى تنشأ فيهما ، بالاضافة الى انه من الصعب علينا ان نشير الى وصف نفسي واحد ، لا يكشف الى حد ما عن بعض التأثيرات الاجتماعية .. وقد لا يكون صحيحا كل الصحة ان نقول ان كل علم النفس ينحل من علم النفس الاجتماعى .. على الرغم من ان هذا القول قد يكون صادقا الى حد ما .

ولقد قيل انعلماء التحليل النفسي لم يعوا حق الوعى ذلك الدور الذى تلعبه الثقافة فى تكوين الفرد ، والحقيقة انهم لم يولوا الجانب الاجتماعى والثقافى العناية الكافية . ومع ذلك فان فرويد نفسه يرى انه لا يمكن أن تفهم التفاعلات الشخصية الا اذا نسبت الى جماعة معينة ، ومن كتاباته فى هذا المجال والتى توضح أثر تطبيقات علم النفس الاجتماعي فى آراء نظرية التحليل النفسىاشار بهفرويد فى كتابهالطواطم والمحرمات Totem and Taboo (١٩١٢) ، وقد كان هذاالكتاب فى جوهره عبارة عنمقارنة بين الميكانزمات العصابية كما كشفت عنها التحليل النفسى وبين بعض النظم البدائية المعينة، وايا كانت آراء فرويد فى ذلك الا انه أشار الى أن التحريمات الشديدة سواء فرضها المجتمع من الخارج ، أو فرضتها من الداخل العوامل الاخلاقية لعقلية الفرد الخاصة تتضمن دائما رغبة مرتبطة بها لاتيان الفعل الممنوع . كما أشار الي ذلك ايضا سيلجمان فى تأكيده الأهمية الكبيرة لعلم النفس الاجتماعى فى ميدان التحليل النفسى .

وقد درس مالينوفسكى فى مؤلفه « الحياة الجنسية للمتوحشين » (١٩٢٩) آثار الجنسية الطفلية الاكثر انطلاقا لدى سكان جزرالتروبرياند وهو موضوع تناوله مونى كيرل من وجهة النظر الاجتماعية فى كتاب صغير عنوانه Aspasia (١) محاولا العثور على مهرب من النظرة التشاؤمية التى عرضها فرويد فى أحد كتبه الاخيرة « الحضارة ومنغصاتها » حيث ركز فيه على كبت الكراهية الذى تتطلبه المجتمعات الحديثة والى حد ما كل المجتمعات ، فالكراهية أمر أولى عند فرويد ، ولقد ثار مونى كيرل على هذ الراى ( مع انه يتبع فرويد فى بقية آرائه ) واتخذ الموقف الذى اعتاده علماء النفس الاجتماعى فى تأكيد أن الكراهية لا تنشأ الا عن احباط

(1) Flugel, J.C. : A hundred years of psychology

ترجمة لطفى فطيم : علم النفس فى مائة عام ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٣٢ .

الرغبات ، فلنقلل من الاحباط ولسوف تقل الكراهية بالتالى ، كما كشف التقدم الحديث فى مجال التحليل النفسى ولأول مرة ، بعض الدوافع بالغة الاهمية التى تكمن خلف نظام الشخصية . وقد مهد ذلك الطريق امام معالجة سيكولوجية حقيقية لمشكلة الجريمة والعقاب كلها (١) .

ولقد عبر عن هذا الاتجاه نيوكومب NewComb (١٩٥٠) بقوله : ان التضاد الذى قد يبدو ظاهريا بين علم النفس الاجتماعى والتحليل النفسى يفقد شيئا كثيرا من قوته عندما ينظر فيه بتعمق أكبر ، صحيح اننا لا نستطيع الا نادرنا وفى شروط استثنائية أن نهمل علاقات هذا الفرد مع الاخرين . حيث أن هنالك دوما كائنا آخرا مضمرا فى الحياة النفسية للفرد ، اما كنموذج أو كموضوع او كخصم (١) .

وكذلك فان فقدان الحد الفاصل الواضح يعود فيلاحظ مرة أخرى فى العلاقات ما بين علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع ، صحيح أن علم الاجتماع يهتم من حيث المبدأ بالجماعات والمؤسسات الاجتماعية ، وأن علم النفس الاجتماعى يهتم بالافراد ، ولكن ما دامت الجماعات تتألف بداهة من الافراد ، فان تجاوز الحدود بين العلمين أمر لا مفر منه ، وعلى ذلك فانه ليس من الغريب أن نرى من مؤلفى علم النفس الاجتماعى اشخاصا يعتبرون من الوجهة المهنية علماء اجتماع ، كما ان بعض جامعات أمريكا يؤلف علم النفس الاجتماعى جزءا من منهاج معهد علم النفس ، وفى البعض الاخر يكون جزءا من منهاج علم الاجتماع . وان كان علينا ان ننشىء تمييزا بين العلمين ، فقد يكون من المناسب أن ننظر الى المشكلة على النحو التالى :

لنفرض مثلا اننا نهتم بمشكلة الاحداث وانماط سلوكهم ، سنجد أن عالم الاجتماع على الارجح سيهتم بالاسباب الاجتماعية والاقتصادية لوجود هؤلاء ، وبعلاقاتهم بالنظام والقانون والمؤسسات المختلفة فى المجتمع ، وسنتوقع من ناحية أخرى ان نرى عالم النفس الاجتماعى يدرس طبيعة الأفراد المنتمين الى هذه الجماعات وسماتهم العقلية ، واثر الجماعة على الفرد وتاريخ كل حالة منهم ... الخ . وجدير بالذكر أن عالم الاجتماع عندما يكتب فى هذا الموضوع فان عددا من مكتشافاته وافتراضاته قد تتصل اتصالا مباشرا بمجال علم النفس الاجتماعى . وعموما فان هناك مساهمات لكل من المجالين فى دراسة الظواهر النفسية ، وجدير بالذكر ان عالم الاجتماع يهتم بالدرجة لأولى بسلوك الجماعة ، على حين أن عالم النفس

---

(1) New-Comb, T. M. : Social psychology, New York, McGrow Hill book Co., 1950, P. 4.

الاجتماعي يهتم بسلوك الفرد في موقف معين . وغير خاف علينا مدى ارتباط كل من الاتجاهين في دراسة السلوك الانساني .

ولعلم الانثروبولوجيا علاقة متشابهة مع علم النفس الاجتماعي يذهب ويسلر Wissler ( ١٩٢٩ ) الى أن علم النفس الاجتماعي يبحث في التفاعلات الاجتماعية للانسان ،وان الانثروبولوجيا تبحث في سلوك الجماعة .. وتكشف مؤلفات كثيرة في الانثروبولوجيا عن صعوبة الفصل بينها وبين علم النفس الاجتماعي ومشاكله وموضوعاته المتعددة . وقد كتب رادن Paul Radin ( ١٩٣٦ ) في ذلك بقوله ، هل نستطيع يوما ما ان نصل الى معرفة مناسبة لما يؤلف الطبيعة الانسانية ؟ ومع ذلك فان من الواضح أن معرفة ما يؤلف الطبيعة الانسانية هي المشكلة الاساسية في علم النفس الاجتماعي .. ويتفق سيلجمان Seligman (١٩٣٥) في رايه مع راى رادن اذ يشير الى أن الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تتبوأ الانثروبولوجيا الاجتماعية المكانة التي تستحقها من حيث هي أحد فروع العلم وتتيح لها أن تحدث شيئا من التأثير على الأمور الانسانية ــ هو زيادة المعارف في مجال علم النفس واندماجها في الانثروبولوجيا ، كما نرى لنتون Linton (١٩٣٦) وهو عالم انثروبولوجي في كتابه The study of Man قد زاوج بين الموضوعات النفسية والانثروبولوجية في كتاباته . كما نجد ريفرز Rivers يشير كذلك الى نفس هذه العلاقة بقوله ان الهدف النهائي لكل دراسة للانسانية تاريخيا وعلميا هي الوصول الى تعليل وتفسير بلغة نفسية ، اي بلغة الافكار والمعتقدات والميول والعواطف التي تعين السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي للانسان .

وعموما فان لدينا ادلة كافية على العلاقة القائمة بين هذين العلمين وهناك ثلاثة مظاهر من هذه العلاقة تبدو هامة بنوع خاص :

وأول كل شيء أن المواد المجموعة من قبل علماء الانثروبولوجيا يمكن أن تكون ذات قيمة في ايضاح عدد كبير من المشكلات النفسية ، ويشير كانتور Kantor (١٩٢٥) أن علماء النفس كانوا يجهلون انه بمقدورهم أن يجدوا عددا كبيرا من المعطيات التي كانوا بحاجة اليها في مؤلفات علماء الانثروبولوجيا،ولكن يمكن التأكيد بلا خوف ، ان هذا المجهول لم يعد موجودا اليوم ، ان علماء النفس يزدادون باستمرار « وعيا بالثقافة » ولقد استخدموا هذا النوع من المواد استخداما كبيرا في كتبهم الخاصة . فعندما ينقلون نتائج دراسة تجريبية على جماعة معينة فانهم يعرفون ان النتائج التي انتهوا اليها لا يمكن ان تصدق الا على هذه الجماعة ولابد من تجارب وادلة جديدة لكي يستطيعوا تعميم نتائجهم . وبالتالي وجدنا عددا

كبيرا من علماء النفس يتفهمون اكثر فأكثر معنى الدراسات الانثروبولوجية ويؤكدون على اهميتها فيما يتعلق بمحاولة التمييز بين الصفات المرضية والصفات العامة في الطبيعة الانسانية ٠

أما الظهر الثاني للعلاقة بين علم النفس الاجتماعي وعلم الانثروبولوجيا الاجتماعية ، فيقوم على المساهمة التي يمكن يقدمها علم النفس في شرح بعض القضايا الانثروبولوجية ، مثال ذلك نجد لووى Lowie يستخدم بعض مكتشفات علم النفس المرضى فى تفسيره للديانة البدائية ، وفي بعض الحالات كان علماء النفس مثل كهلر Kohler وبارتليت Bartlette وعلمـــاء التحليل النفسى مثـــل فرويد وابراهام ورانك وكاردنر يطبقون نظرياتهم واساليبهم املا لفهم الاحداث الانثروبولوجية ، ومن ناحية أخرى استعار بعض الانثروبولوجيين امثال بندكت Bendict (١٩٣٤) وميد Mead (١٩٣٥) ومالنوفسكى Malinowski (١٩٢٧) وموردك Murdok (١٩٤٩) من علم النفس صور التعليل والتفسير التى كانت تبدو لهم اكثر جدوى من غيرها ٠

والمظهر الثالث للعلاقة بين عـــلم النفس الاجتماعى والانثروبولوجيا الاجتماعية يتضح فى تزايد الطرق النفسية على الدراسة المقارنة للثقافات باستعمال الطرق التجريبية فى الدراسات المرتبطة بالفروق الثقافية المتصلة بعملية الذاكرة ، واستخدام اختبـــــارات الرورشاح وغيره من الاساليب الاسقاطية لدراسة الشخصية فى ثقافات متباينة كل ذلك يمكن ان يذكر هنا كأمثلة على وجود هذا الاتجاه ، ولقد ساهم كل من علماء النفس وعلماء الانثروبولوجيا فى هذا التطور مازجين أساليبهم ووجهات نظرهم فى بعض الأحيان من أجل اجراء بعض الدراسات المشتركة ، ويشير الى هـــذا التزاوج بين علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والانثروبولوجيا لينتون Linton (١٩٣٩) بقولـــه :

« لقد خصصوا الفرد لعلم النفس والجماعة لعلم الاجتماع والثقافة للانثروبولوجيا الاجتماعية ، غير انهم بدأوا يلاحظون الان أن تداخل الفرد والجماعة والثقافة هو من القوة ، وان تبادل التأثير بينهم هو من الاستمرار بحيث أن الباحث الذى يحاول أن يدرس واحدا منهم دون الالتفات الى العلمين الآخرين سيصل لا محالة الى طريق مسدود ، وسترى السنوات المقبلة ولادة علم للسلوك الانسانى يعنى بالتأليف بين مكتشفات علم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا ٠٠ » (1) ٠

(1) Linton, R. The study of man, New York, Applenton — Century. Crofts, 1936, PP. 4 : 5.

كما أن هناك علاقة بين علم نفس الطفل وعلم النفس الاجتماعى ، ولقد افتتح دارون نفسه هذا الطريق بكتابه « موجز تاريخ حياة الطفل » الذى عرض فيه ملاحظات تفصيلية دقيقة عن سلوك الطفل ونمو الاطفال الصغار، وتلى ذلك كتاب براير « عقل الطفل » ولقد كانت الاصول التكوينية لكافة تلك الاعمال واضحة على الدوام ، ثم جاء ستانلى هول بنظريته ووفقا لها فان الفرد يمر بنفس المراحل التى ميزت تطور النوع ، وهى وجهة نظـــر عرضها بثبات وثقة فى اكثر من كتاباته التى يمكن القول انها وصلت الى قمتها فى كتابه « المراهقة » والذى نشر ١٩٠٤ ، وكان يعتقد ان الطفل فى سيكولوجية نموه ، وسيكولوجية لعبه يمر فى سلسلة من المراحل تقابل المراحل الحضارية للمجتمع الانسانى ، مرحلة الصيد ومرحلة البناء ..الخ.

كما أشار كارل جروس فى كتـــابين معروفين « لعب الحيوان » ، « لعب الاطفال » ، وقدم فيهما نظريات مختلفة عن اللعب مؤداها ان طبيعة اللعب هى الاعداد لاوجه النشاط المستقلة للفرد البالغ ، فالطفل فى لعبه يمارس ويتمرن على المهمات التى سيؤديها فيما بعد كرجل ، وان الافراد الذين يتمتعون بهذه الممارسة ( خلال لعبهم ) ســـتكون لهم ميزة على غيرهم فى الصراع من اجل البقاء وستكون فرصتهم اكبر فى البقاء والتكاثر .

كما يرجع الفضل الى كـل من ستينال ولازاروس (١٨٦٠) فى انهما كانا من أوائل من ادركوا الجوانب السيكولوجية لعلم اللغة ( الفيلولوجيا ) وسرعان ما تبعهما فى هذا ماكس موللر وآخرون . كما أن جابرئيل تارد ( ١٨٩٠ ) فى كتابه « قوانين التقليد » محاولة للقيام بتحليل منطقى لمختلف أشكال التفاعل الاجتماعى ، لان التقليد عند تارد يشمل من الناحية العملية كافة التأثيرات التى يمارسها كائن انسانى على آخر مهما كان المستوى العقلى المتضمن ، وعرض تارد عددا هائلا من المواقف العامة التى اتضح فيها أن « التقليد » يلعب دورا هاما فى بناء وتطوير السلوك الانسانى ، مثل تكون الجماعات عن طريق تمثل السلوك والمعتقدات والاتجاهات وتأثر جماعة بأخرى ، كما يحدث عند تقليد اهل الريف لاهل المدن ، أو محاكاة الجماعة التى تحتل المنزلة الادنى فى السلم الاجتماعى لمن هم أعلى منهم (١) .

ومن العرض الموجز السابق يتضح لنا ماهية التأثير والتأثر المتبادل بين علم النفس الاجتماعى وعلم النفس العام ، وكذلك بين علم النفس الاجتماعى وعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وعلم الاجتماع ، والتحليل النفسى وعـلم نفس الطفل .. فما دام جوهر ودراســـة هـــذه العلوم هو الانسان فمن البديهى أن تكون بينهما علاقات متداخلة ، هذا من ناحية كما أن لكل علم

---

(١) لطفى فطيم : المرجع السابق : ص ٩٦ .

موضوع للدراسة والبحث والاستقصاء ، الا انه لا يمنع أن يستفيد كل علم بآخر حتى يستطيع تقديم التفسير المنطقى والمعقول لماهية السلوك الانسانى والقاء الضوء على شخصية الكائن الادمى بصفة عامة ، وذلك باعتبار انه كائن انسانى نامى وسط ثقافة معينة يؤثر ويتأثر بأوضاع ونظم اجتماعية متعددة ، ويسلك بالتالى وفقا لهذه المؤثرات الداخلية والخارجية الواقعة عليه ٠

## مجالات علم النفس الاجتماعى

يخلص لنا مما تقدم ان مجال علم النفس الاجتماعى واسع ومتعدد ؛ وهو لا يفتأ يتزايد اتساعا ٠ ان أساليب جديدة تنمو ، وتطبيقات جديدة ؛ للاساليب والوسائل القديمة تكتشف والصلات مع العلوم المجاورة لا تنقطع عن النمو ، وكثير من المشكلات العمليةالتى تطرح على المستوى المحلى الوطنى أو حتى المستوى الدولى تستقطب انتباه علماء النفس الاجتماعى ، ولئن كان مجال هذا العلم يمتد فى اتجاه معين ، فقد يمكن ان يضيق فى ناحية اخرى ٠ وعلى ذلكفكل حصر لأطر المشاكل المطروحة لا يمكن أن يمتلك الا قيمة مؤقتة ، انه قد يكون صحيحا بصورة كافية اليوم ، ولكنه لا بد له وبلا أدنى شك من ان يصيبه التغير بصورة ما فى مستقبل قريب ٠ وليس هذا مما يدعو الى اليأس ، بل على العكس من ذلك يوحى بالثقة فيما يتصل بجدية علمنا وتقدمه ٠ فاذا ظلت هذه الاعتبارات ماثلة فى الاذهان فانه يمكن أن نميز جملة المشاكل التالية من بين القضايا التى يعنى بها فى الوقت الحاضر علماء النفس الاجتماعى ، وسنعالج بعض هذه الموضوعات بعمق اكبر فى ثنايا فصول هذا الكتاب ٠

### أولا : التداخل بين علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى :

وهذا يشتمل من ناحية ، على بحث صورة تدخل العوامل الاجتماعية الى التأثيرات التى لا ينظر اليها فى العادة على انها ذات صبغة اجتماعية ، كالدوافع والسلوك العاطفى والادراك والتذكر ٠٠ الخ ، كما يشتمل من ناحية ثانية كما أشار الى ذلك برونر Bruner (١٩٥٠) على ترجمة المفاهيم التقليدية لعلم النفس الاجتماعى كالتقليد والمحاكاة ، والتعصب الى مصطلحات نفسية أساسية كالتعلم والادراك ٠٠ الخ (١)

---

(1) Bruner. J.S. : Social psychology and group process Annual Rev. of psy. Vol. I, 1950, PP. 12 : 20.

ثانيا : التنشئة الاجتماعية :

ان دراسة الصورة التى يتحول بها الطفل الى راشد ناضج موضوع يتصل بصورة وثيقة بالموضـــوع الأول ، ولكن اتجاهها قد يختلف قليلا ، وتستخدم فى ذلك طرقا ووسائل مختلفة . انها تقتضى اول كـــــل شيء استخدام الطريقة المقارنة . ذلك ان من الواضح منذ مدة طويلة ان دراسة عملية التنشئة الاجتماعية بصورة تامة ، تقتضى ان ينظر اليها ضمن شروط مختلفة وفى مواقف ثقافية متنوعة .

ثالثا : الآراء والاتجاهات والقيم :

ان جملة هذه الموضوعات تمثل المجال الذى يركز فيه علماء النفس الاجتماعى مجالات دراساتهم ، وكذلك عدد كبير من علمـــاء الاجتماع . ويشتمل هذا المجال على قياس الآراء والاتجاهات ، واستخدام الاساليب العلمية فى البحث والاستقصاء ، وتنمية وتطوير الوسائل والطرق الكمية لتحليل محتوى هذه الظواهر النفسية ، ودراسة تغيير الاتجاهات الناشئة عن عملية التطبيع الاجتماعى او عن طريق آخر ، ودراسة اتجاهات الراى العام ، وعدد كبير آخر من المسائل المتصلة بالقضايا السابقة .

رابعا : الفروق الفردية والفروق بين الجماعات :

ان مجال سيكولوجية الفروق الفردية كثيرا ما آثار اهتمام علمـــاء النفس الاجتماعى ، ذلك لان دراسة خصـــائص الجماعات ، قد اتسعت اتساعا كبيرا فى السنين الأخيرة .. كما انه قد تحتوى الفروق بين الجماعات على الفروق الفردية وهكذا .

خامسا : دينامية الجماعات :

يشتمل هذا المجال على مجموعة من الاساليب والقضـــايا التى تثير بقوة انتباه علماء النفس ، وهذه الطريقة فى البحث المتمثلة فى دينامية الجماعات قد لعبت دورا هاما فى دراسة التفاعل الاجتماعى ، ولا سيما داخل الجماعات الصغيرة . وكذلك فى التفاعل القائم فى الاساليب المؤدية الى تكوين الجماعات ونشاطاتها وقراراتها . واخيرا فى تحليل موضـــوع القيادة ، والاهمية المتزايدة المعطاة لمفهوم « الدور الاجتماعى » حيث انـــه يساعد على فهم سلوك الفرد فى موقف اجتماعى .

سادسا : الباثولوجيا الاجتماعية :

كثيرا ما اهتم الباحثون فى علم النفس الاجتماعى بالظاهر المرضية

للحياة الاجتماعية • وبتنمية الطرق العلاجية المناسبة ، فهناك اهتمام خاص بمشاكل الاضطرابات العقلية والجنوح والجريمةوكذلك بعض صور السلوك العدوانى بين الجماعات ، والتى تنعكس فى الاتجاهات والتعصب والتمييز العنصرى وحتى فى صور التنازع الاقتصادى •

## سابعا : السياسة الداخلية والسياسة الخارجية :

ويمكننا أن نشير الى أمر يبدو كمظهر من مظاهر الاتجاه التطبيقى لعلم النفس الاجتماعى المعاصر ، وهذا الأمر هو الاهتمام المتزايد بالسلوك السياسى فى المستوى المحلى والدولى معا ، وبالعلاقات الدولية وأسسها •

ومن الواضح أن هذه الفئات السبع من المشاكل لا تتنافى فيما بينها ، أن مشكلة تأثير الثقافة فى نمو الشخصية مشكلة تتصل باغلب هذه القضايا ان لم يكن بها جميعا • وتلعب الدراسات المرتبطة بالاتصالات دورا ما فى دراسة الخصائص القومية وتحليل التعصب والاتجاهات والتمييز العنصرى، فى مجال السياسة والعلاقات الدولية •• وتساعد دينامية الجماعات على فهم الطريقة التى تتميز بها القرارات فى المؤتمرات ، كما تساعد على فهم مشكلة تكوين الاتجاهات وتغييرها فى مؤسسة صناعية أو فى أى مجال اجتماعى آخر • وسنحاول بقدر ما نستطيع ان نبين علاقات كل من هذه المجالات بعضها ببعض ، على الرغم من انه لابد من تصنيف الموضوع فى جملته وتقسيمه بغاية عرضه عرضا منظما ، ومن الجديد بالذكر يجب الانغفل عن أن كل تقسيم مهما يكن أمره ، مخالف لطبيعة الاشياء التى تؤلف بذاتها كلا تام الاندماج •

# الفصل الثانى

# طرق ووسائل البحث فى علم النفس الاجتماعى

ان الاساليب المستخدمة بواسطة اخصائى علم النفس الاجتماعى ، تحدد كل من حقيقة نتائجه ومدى تطبيقاتها العملية . وجدير بالذكر انه لا توجد أمور ثابتة فى العلم ، ولكننا نميل الى بعض التعميمات لكونها اكثر احتمالية من غيرها ، وبالتالى فان عملية الثبات فى العلوم الانسانية والتأكد من التفسيرات التى تجرى يعتمد على المدى الذى تستبعد فيه طرق البحث ومناهجه التفسيرات البديلية الاخرى ، وعموما فان عملية التأكد والثبات فى العلوم الانسانية فى جوهرها مسألة درجة ، حيث تكون بعض التعميمات احيانا تمتلك درجة عالية من الصدق ، بينما الاخرى قد تكون مضللة أو غير نهائية وبصورة مماثلة نرى ذلك فى العلوم الاخرى ، فان مدى تطبيق التعميمات العلمية غالبا ما تكون مسألة درجة ، كما أن قليل من التعميمات العلمية التى نجدها تنطبق على جميع الحالات الاخرى ، غير تلك التى اجريت عليها ابتداءا .

وجدير بالذكر ، فان هذا لا يعنى أن طبيعة الانسان متقلبة الاطوار غير قابلة للتنبؤ ، ولكن هذا يعنى انها طبيعة مركبة معقدة ، فبينما نرى العالم الطبيعى يمكن ان يرتب حالة معملية بسيطة لكى يلاحظ تفاعل متغيرات قليلة فى وقت واحد ، الا أن هذا الحال لا نجده عند اخصائى العلوم الانسانية حيث نجد فى الحالات الحياتية اليومية غالبا ما تكون المتغيرات متأثرة بواسطة مجموعة متشابكة من العوامل . وعلماء النفس الاجتماعى مثل باقى العلماء يحاولوا بيان ما استخلصوه من نتائج على أساس السبب والنتيجة أو على أساس المقدمات والنتائج . ولعمل ثمة حالات مثل الظاهرة . ( أ ) تسبب أو تحدث (ب) ، أو ان الظاهرة (ب) تكون نتيجة لـ ( أ ) فان الانماط الآتية من الادلة والبيانات يجب أن تعطى :

١ ـ ان المتغيرات المعنية يجب أن تظهر انها تتغير معا بطريقة نظامية بدرجة ما .

٢ ـ يجب أن توجد بعض أسس الاستدلال والاستنتاج ، وذلك بأن النتيجة المفترضة لا تسبق المقدمة المفترضة .

٣ ـ يجب ان يتوفر الدليل والبينة على أن القواعد والمبادىء المستخلصة من التفسير ، تنطبق على ظروف أخرى مشابهة .

واول هذه الارتباطات يمكن توضيحه بسهولة ، فقلد وجد أن طول

الشخص ووزنه مترابطان ، فكلما كان الشخص اطول ، كلما كان أكثر وزنا ٠٠ الا أن الارتباط فى مثالنا السابق غير كامل ، فليس كل الاشخاص الأطول أثقل من جميع الاشخاص الاقل طولا ، ولكنهم فى مجموعهم أثقل وزنا كما أن الصعوبات فى تحديد أى من المتغيرين المترابطين هو المتقدم عن الآخر يمكن أن نوضحه فى المثال الآتى :

الاستنتاج بأن الاشخاص الذين يتزاوجون لهم شخصيات متماثلة يمكن توضيحه بافتراض أن الأفراد المتشابهين نراهم يختارون بعضهم كأزواج ٠٠ ولكن يمكن تفسير ذلك بافتراض آخر مؤداه أنه بمرور الوقت فان شخصيات المتزوجين غالبا ما تتغير فى اتجاه أكثر تماثلا وتشابها ، فأى من هذه المتغيرات يمكن أن نعتبره المتغير السابق ، وفى الحقيقة لا يمكن أن نتحقق من ذلك من معرفة الارتباط وحده ٠

وفى بعض الحالات لا يكون لدى الباحث صعوبة فى تحديد أى من المتغيرين قد يسبق الآخر ، أو يكون بمثابة المقدمة بالنسبة للآخر ٠ فالزوجين فى اغلب الأحايين لهما نفس الخلفية الدينية وذلك أكثر من الاشخاص غير المتزاوجين ، وبما أن الخلفية الدينية للشخص قد حددت منذ فترة طويلة وقبل الزواج بطبيعة الحال ، فان التشابه فى هذه الحالة لا يمكن أن يكون وظيفة التفاعلات الزوجية ، وبالتالى يمكن اثبات هذا المتغير بثقة على انه السابق ٠

وجدير بالذكر ان علاقة السبب ـ والنتيجة Cause-effect relation ليست دائما علاقات الخط الواحد المحدد فى علم النفس الاجتماعى ، فأحيانا يمكن أن نثبت ان المتغير ( أ ) سابق على المتغير (ب) ، وأن المتغير (ب) سابق على المتغير ( أ ) فمثلا ، أن تشابه الشخصيات قد يقود شخصية الى اختيار كل منهما كشريك فى الحياة الزوجية ، كما أن علاقة التزاوج من جانب آخر قد تحدث كذلك تشابهات كثيرة عند كليهما ٠ وحتى اذا اظهر كل من المتغيرين ارتباطهما وأن أحدهما سابق على الآخر ، فان علاقة السبب والنتيجة لا يمكن استنتاجها الى ان يتوفر الدليل الذى يظهر بأن العوامل الأخرى لا تستطيع أن تحدث هذا الارتباط ٠ فالارتباط الاحصائى بين التدخين وبين سرطان الرئة قد تم اثباته ، بالاضافة الى أن التدخين قد اتضح بصورة جلية على انه متغير سابق ٠ الا أن هذه الحقائق وحدها ليست كافية لاثبات علاقة السبب وتأثيره ، حيث يجب أن تستبعد جميع المتغيرات الاخرى والتى يمكن أن تحدث هذه العلاقة ، فمثلا اذا كان حقيقيا أن الافراد المقيمين بالمدن يدخنون بصورة اكبر من الافراد المقيمين بالريف ، فان العلاقة حينئذ بين السبب والنتيجة أو السبب وتأثيره الفعلى

قد يكون الاجواء الحضرية الملوثة تسبب سرطـــان الرئة • كمـــا نستطيع استبعاد هذا الافتراض البديل مع ذلك • اذا وضعنا سكان الريف ( أو سكان المدن ) فى الاعتبار منفصلين ، الا أن النتائج اظهرت الارتباط بين سرطـــان الرئة والتدخين •

وعموما فان هذه المعايير الثلاثة ، عادة ما تقابل بطرق مختلفة عن طريق التصميمات البحثية الرئيسـية فى علم النفس الاجتماعى ، وتتمركز روح البحث العلمى فى سعى الباحث للاجابةعن السؤال « لماذا » وهو سؤال يأتى عادة بعد المرحلة الاولى من مراحل البحث وهى المرحلة التى تبدأ بالسؤال « ماذا » • وبهذا السؤال « لماذ » يحاول الباحث فى علم النفس الاجتماعى أن يجيب عن المشكلات التى تواجهه فى ميدان تخصصه•

## وجهة النظر العلمية :

كثيرا من المناقب قيلت بحق عن العلم ودوره فى المدنية الانسانية ، ولكن ليس هدفى هنا ان ازيد الى هذا المناقب والمميزات ، الا أن هدفى هو أن اضع أمام ناظرى دارسى علم النفس الاجتماعى تحليل واضح لموقف وأسلوب المنهج العلمى فى دراسة الظاهرة النفسية •

## الاتجـــاه العلمى :

ليس الاتجاه العلمى بحالة بسيطة للعقل البشرى ، والتى نستطيع فى عجالة شرحها ووصفها •• ان له أوجه عديدة ، اذ يتضمن أولا وقبل كل شىء الرفض القاطع برؤية العالم كما نحب أن يكون عليه ، بالاضافة الى الى التصميم للنفاذ تحت المظاهر السطحية لاية ظاهرة نفسية او اجتماعية• وهذه ليست مهمة يسيرة ، ولكن ادراك هذه الحقيقة ومعرفتها فى حـــد ذاتـــه عنصر هـــام من عنـــاصر التفكير العلمى • ويشير كارل مانهيام K. Mannheim (١٩٣٦) الى أن عـــالم النفس الاجتماعى كثيرا ما يقع فى مغالطة، اذ يعلم بأننا نميل لرؤية العالم من خلال افكـــار وقيم ثقافتنا وعلى ذلك فاننا نحب أن نفسر السلوك الانســـانى على أســـاس اهتمامات الجمـــاعة والتعصب والتحيز الموجود لديها • الا أن علم النفس الاجتماعى يجب أن يمنع هذا التحيز من تشويه الحقائق والتى ستســاعد فى تفهمنا للسلوك الانسانى ، ان عالم النفس الاجتماعى يجب أن يكون مرنا وناقدا وذكيا فى اطار الحدود والقوى الثقافيـــة والعقلية التى تؤثر فى تفكيره وملاحظاته •

وجدير بالذكر ، ففى علم النفس الاجتماعى ، كما هو فى جميـــع

فروع العلم التى نتعامل مع الانسان وسلوكه . غالبا ما نجد هذا الاتجاه من الصعب انجازه ، فالانسان لا يستطيع أن يرى نفسه أو جماعته بسهولة من خلال التحليل النقدى الموضوعى ففالبا ما يميل الى ان يظهر نفسه وقومه على خلاف ما هم عليه حقيقة .. وعلى ضوء هذه الحقيقة فان السير فى نهج الاتجاه العلمى يحتاج فوق كل شيء الى درجة عالية من الامانة العقلية والفكرية .

## الاسلوب العلمى فى علم النفس الاجتماعى :

العلم فى علم النفس هو النهج أو الطريقة التى يتم بها دراسة . السلوك . وما يتبناه علم النفس الاجتماعى من اجراءات وطرق يتفق أساسا مع ما تستخدمه العلوم الاخرى من أساليب فى الحصول على المعرفة . ولقد اثبتت هذه الطرق والاجراءات نجاحا وفاعلية فى علم النفس الاجتماعى ، مثلما أثبتت فى الميادين الاخرى ، وثمة عدة محكات تحدد مدى فاعلية وجدوى الطرق العلمية فى جمع المعلومات وتنظيم المعرفة السيكولوجية ، ويمكن اجمالها فيما يلى :

### ا ـ التنبؤية : Predictability

تكون المعلومات ذات جدوى اذا كانت تؤدى الى تنبؤات دقيقة عن السلوك . فلقد وجد على سبيل المثال ، أن المعلومات الخاصة بالعمر العقلى استنادا الى نتائج الاختبارات يمكن أن تتنبأ بدرجة كبيرة من الدقة بالنجاح النسبى للاطفال فى دراستهم ، كما اتضح من دراسات عديدة أنه يمكن التنبؤ بدرجة كبيرة من الصدق بأن الاتجاهات والاساليب الوالدية فى تنشئة الاطفال والتى تقوم على النبذ أو الاهمال أو القسوة أو التزمت أو الضغط أو التدليل والحماية الزائدة . تؤدى الى نمو أعراض المرض النفسى واضطرابات الشخصية لدى الاطفال فى مراحل نموهم التالية ، ولعل المبدأ الذى يقرر أن « الطفل أبو الرجل » يعبر عن هذه التنبؤية بأن نموذجا معينا من التنشئة فى الطفولة يؤدى الى تشكيل شخصية الفرد بنموذج معين يتجلى فى مرحلة الرشد ، ويتضح ذلك أيضا من المبدأ العلاجى فى علم النفس « فتش عن الطفل » ، الذى يؤكد على أن مظاهر اضطراب الشخصية فى الكبر تكمن فى الصغر ، فى نموذج الحياة الذى عاشه الطفل فى سنواته الأولى .

### ب ـ القياسية : measurability

ويعنى هذا المحك فى الحكم على الطريقة العلمية وعلى المعلومات المتجمعة منها . الدرجة التى تتعيين عندها المصطلحات والمفاهيم بدقة .

ويتطلب هذا القياس تعرفا وتحققا واضحين للمواقف وللانماط السلوكية بطريقة يستطيع معها أشـــخاص اخرون ان يأتوا ايضا بنفس التعرف والتحقق

**جـ ـ التكرارية : Repeatability :**

وتشير الى عمومية الملاحظات التى تمت . هل العلاقة ثابتة ، وهل ستحدث مرة ثانية تحت نفس الظروف . ام انها حادث عارض ، أو خبطه عشواء ؟ ويمكن قياس ثبات الملاحظات عن طريق تكرار تلك الملاحظات فى مواقف اخرى مستقبله .

**د ـ التحكم : Control**

وهى تلك الطريقة التى تختزل عدد العوامل التى تكمن وراء ســلوك ملاحظ . ويعنى ذلك أن الباحث ينبغى أن يرى ما اذا كانت «كل» الشروط والعوامل الهامة التى قد تؤثر فى ذلك السلوك قد تم تعيينها ووصفها . فالباحث لا يستطيع من ناحية ان يتناول كل المتغيرات التى تحكم ظاهره ما ، وهو من ناحية اخرى يسعى الى ضبط هذه المتغيرات والعوامل ، والى عزل بعضها وادخال البعض الآخر وبدرجات واشكال مختلفة . اى التحكم فى المدخلات ( المتغيرات المستقلة ) وما يترتب عليها بالتالى من مخــرجات ( المتغيرات التابعة ) وما يقع بينهما من عمليات وتفــاعلات ( المتغيرات الوسيطة ) .

بهذه المحكات الاربعة يمكن قياس جدوى وفاعلية المعلومات المتجمعة على أساس استخدام الطرق والاساليب والاجراءات العلمية بأكثر من طريقة وفى ذلك يستخدم العلم ايضا كاسم لوصف جميع المعلومات التى يتم الحصول عليها بواسطة هذه الطرق . ومن ثم يســتخدم مصطلح «العلم» للاشارة الى الطرق المستخدمة فى الحصول على المعلومات المفيده والى جمع لمبدأ الموضوعية واقلالا لاخطاء الذاتية وأهوائها وشططها .

**٢ ـ الطريقة التجريبية فى علم النفس الاجتماعى :**

وتمثل الطريقة التجريبية Experimental method فى علم النفس الاجتماعى الضمانات والاجراءات التى يسعى الباحث الى الاخذ بها تحقيقا لمبدأ الموضوعية واقلالا لاخطاء لذاتية واهوائها وشططها .

ولا يقف الباحث عند مجرد وصف موقف أو تحديد حالة أو التاريخ

للحوادث الماضية وتطور الحالة . وبدلا من ان يقصر نشاطه على ملاحظة ووصف « ما هو » موجود . يقوم عامدا بمعالجة عوامل معينة ، تحت شروط مضبوطة ضبطا دقيقا . لكي يتحقق من «كيفية» حدوث حالة أو حادثة معينة . ويحدد « أسباب » حدوثها . فالتجريب ــ كما يتميز عن الملاحظة ــ هو تغيير متعمد ومضبوط للشروط المحدده لحدث ما ، وملاحظة التغيرات الناتجة فى الحدث ذاته وتفسيرها .

وتعتبر الطريقة التجريبية اكثر الوسائل كفاية فى الوصول الى معرفة موثوق بها ، وذلك عندما يمكن استخدامها فى حل المشكلات الاجتماعية . وترجع كفاية هذه الطريقة الى عدة أسباب :

ــ انها تسمح بتكرار الملاحظات تحت شروط واحده عمليا ، وهـــذا ييسر تحقيق الملاحظات بواسطة كثير من الملاحظين .

ــ انهـــا تمكن الملاحظ من أن يغير فى شرط واحد فقط فى نفس الوقت ، ويبقى على جميع الشروط الأخرى ثابتة بدرجة كبيرة ، وهـــذا يسمح لنا بتحليل علاقات السبب والنتيجة . بسرعة وبثقة اكبر مما هو ممكن تحت شروط مضبوطة ، واذا كان للعلم أن يحقق أهدافه ــ أى يفسر ويتنبأ ويتحكم فى السلوك والاحداث ــ فلا بد له من اكتشاف العلاقات السببية بين الظاهرات . ولذلك فان الباحثين الذين يصممون التجارب ، بهدف الكشف عن الاسباب التى تؤدى الى نتائج معينة مما لا شك فيه يقدمون الى المجتمع خدمات بالغة الأهمية .

ولقد بدات الطريقة التجريبية فى علم النفس منذ منتصف القـــرن ١٩ خاصة فى المـانيا حين انشأ «فونت» أول معمل لعلم النفس فى ليبزج بالمـانيا فى عام ١٨٧٩ ، وبدأ علم النفس يأخذ مكانه بجوار العلوم الطبيعية . حيث استعان بمنهج هذه العلوم فى البحث واخذ فى دراسة السلوك دراسة تجريبية تلتزم بخطوات المنهج العلمى ، وذلك بقصد ضبط السلوك والتحكم فيه والتنبؤ به .

وبهذا ظهر منهج الملاحظة والتجربة أو المنهج الموضوعى ، ويقصد بهذا المنهج ملاحظة سلوك الغير من الفاظ وايماءات وحركات بالنسبة لما يحيط بهم من ظروف طبيعية . وهنا تكون الملاحظة ظاهرة موضوعية ومضبوطة بأدوات واجـــراءات محكمة . وتجمع بذلك هـــذه الطريقة بين الملاحظة والتجربة .. وعموما فان الطريقة التجريبية يمكن تلخيصها فى الخطوات الآتية :

١ ـ الملاحظة وتحديد المشكلة موضوع البحث :

حيث يلاحظ عالم النفس السلوك الفعلى فى موقف ما ، ويحدد المشكلة التى يريد دراستها وتفسيرها · ويفيدنا تحديد المشكلة فى توجيه اهتمامنا نحو حقائق معينة ·

٢ ـ فرض الفروض :

يكون لدى عالم النفس بعد قيامه بالملاحظة وتحديده للمشكلة سؤال يريد له اجابه أو موضوع يبحث له عن حل · ويدعوه هذا الى التفكير فى ان يسأل نفسه أسئلة ويجيب عليها ، ويستعرض الاسباب المختلفة · اى أن يحاول تخمين الاجابة على سؤاله · وفرض الفروض من هذا النوع ليس أمرا يلقيه الباحث على عواهنة ، بل يفترض فروضه بعد وزن كل فرض واحتمالاته فى ضوء مالديه من حقائق · فاذا فرض فروضه دون وجود أساس من الصحة ودون وجود بعض الحقائق التى يعضد بها فرضه فلن تكن هذه الفروض سوى خبطات عشوائية لا يساندها العلم ·

٣ ـ جمع المعلومات أو الحقائق المتعلقة بالمشكلة :

والتى قد تؤيد أو ترفض الفرض الذى ذهبنا اليه · وتحدد طبيعة المشكلة طريقة جمع هذه المعلومات والحقائق ويتأكد من المعلومات التى تم جمعها ·

٤ ـ اختبار صحة الفروض :

وذلك باجراء التجارب المختلفة الممكنة التحقيق ، ولا يقصد بالتجارب هنا ان تكون داخل المعمل وتستخدم ادوات كالادوات المستخدمة فى معامل الطبيعة والكيمياء · فان التجربة فى علم النفس والعلوم الانسانية تختلف عن ذلك ·

٥ ـ ثم تأتى مرحلة اكتشاف النظرية أو وضع القانون الذى يحكم الظاهرة :

٦ ـ تحقيق النتائج :

وقد تعزى النتائج بأن يحاول الباحث التأكد من صحتها باعادة التجربة فى ظروف مشابهة أو ظروف مغايره ·

وبهذا يتضح صبغ علم النفس بالصبغة التجريبية ، وذلك لمحاولة

قياس السلوك الانسانى بالاستعانة بالأجهزة والادوات والاجراءات والاختبارات المختلفة وباجراء التجارب · وثمة اعتبارات ينبغى مراعاتها عند اجراء التجارب فى علم النفس بصفة عامة وعلم النفس الاجتماعى بصفة خاصة :

اولا : تحديد الظروف او الشروط التى تجرى فيها التجربة ·

ثانيا : اجراء التجربة على جماعة او اكثر وترك احدى الجماعات دون اجراء تجارب عليها بحيث نستطيع فى النهاية أن نقارن بين نتائج الجماعة التى اجريت عليها التجربة والتى لم تجر عليها التجربة ·

مثال : اراد مختبر ان يتعرف على اى العاملين افضل من غيره ، معرفة نتيجة العمل بعد ادائه مباشرة ، ام تأجيل هذه المعرفة الى ما بعد الانتهاء من العمل كله · فجاء بثلاث مجموعات من الأفراد وحجب عيونهم وطلب منهم رسم خطوط مستقيمة طول كل منها ثلاث بوصات · وقد ترك المجموعة الأولى فى محاولاتها دون اى معلومات عن نتيجة عملها · اما المجموعة الثانية فكانت تعرف نتيجة عملها بشكل عام فى كل محاولة · وكانت المجموعة الثالثة تعرف نتيجة عملها بعد كل حركة لكى تتلاشى الخطأ فى المحاولة التالية · وكانت النتيجة ان المجموعة الأولى فشلت تماما ، اما المجموعة الثانية فقد نجحت الى حد ما ، اما الثالثة فقد نجحت تماما ·

وتؤكد هذه الدراسة على ما اكدت عليه الدراسات التجريبية الاخرى عن اهمية المعرفة المضبوطة والتوجيه السليم فى اداء الاعمال التى يطلب القيام بها ، اما عدم الوضوح وعدم التوجيه فلا يؤدى الا الى التخبط والعشوائية والى عدم النمو والتقدم ان لم يؤدى الى التأخر ·

وفى بعض التجارب تقسم عينه الدراسة الى جماعات صغيرة بحيث يمكن اخضاع كل مجموعة فى تلك الجماعات لظروف مختلفة عن ظروف المجموعة الصغيرة الأخرى وبذلك نستطيع ان نقف على اثر كل من هذه العوامل ، وسوف نورد كمثال لذلك تجربة ( ليت وهوايت ١٩٤٣ ) عن القيادة والاجواء الاجتماعية المختلفة ·

ففى احدى التجارب لليبيت Lippitt وهوايت White تكونت ثلاث مجموعات ، وتتكون كل مجموعة من خمس افراد فى سن العاشرة وقد تماثلت المجموعات ــ باكبر قدر ممكن من الذكاء والصفات

الجسمية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي ، وكذلك في سمات الشخصيه . وتم توفير ثلاثه اجواء اجتماعية مختلفة باستخدام ثلاث انواع من اساليب القيادة على الاسس الاتية : الجو الاجتماعي الديكتاتوري أو اوتوقراطي ارتباطا بقيادة ديكتاتورية ، والجو الاجتماعي الديمقراطي ارتباطا بقيادة ديمقراطية . والجو الاجتماعي الفوضوي ارتباطا بقيادة فوضوية . وقد تمخضت هذه التجارب عن نتائج بالغة الأهمية .

فلقد ادى الجو الديكتاتوري الى نوعين واضحين من الاستجابة : نمط بليد أو خاضع ، ونمط عدواني . واظهرت الجماعة الخاضعة اعتمادا كبيرا على القائد ولم تبد اي استعداد للبدء في العمل . في حين أظهرت الجماعة العدوانية سلوكا عدوانيا نحو أفرادها مع توجيه جزء من هذا العدوان نحو القائد .

اما الروح المعنوية للجماعة والتفاعل بينهم والعمل معا نحو هدف مشترك والشعور بالذات الاجتماعية فكان اكثر ما يكون في الجماعة الديمقراطية ، حيث ظهرت كلمة «نحن» لدى افراد الجماعة الديمقراطية اكثر من استخدامها لكلمة «أنا» واكثر مما وضح لدى الجماعة الفوضوية والديكتاتورية ، كما أن الجو الاجتماعي كان ينطوي على ود اكثر وتزمر أقل .

وكانت حده الطبع والعدوان نحو الزملاء من الاعضاء تتكرر من الجماعة الديكتاتورية والفوضوية اكثر من الجماعة الديمقراطية . كما ظهر في السلسلة الأولى من التجارب في الجماعة الاوتوقراطية العدوانية توتر بين الافراد مع الميل الى تحميل بعضهم البعض الذنوب والاخطاء . وكانت الرغبة في استرعاء انتباه القائد اكبر في الجو الاجتماعي الديكتاتوري عنه في الاجواء الاجتماعية الاخرى . كما أظهرت الجماعة الخاضعة تحت الجو الديكتاتوري احيانا انها اكثر من الجماعات الاخرى قدره على العمل المستمر واكثر انتاجا . ولكن ذلك كان يتم في وجود القائد . وحينما كان يصل متأخرا أو يغيب فان الجماعة الديكتاتورية كانت لا تبد اي استعداد لبدأ أعمال جديدة أو مواصله عمل كانوا قد بدأوا فيه . في حين ان الجماعة الديمقراطية كانت تقوم بعملها وتستمر فيه ولو لم يكن القائد حاضرا .

وقد ادى الجو الديكتاتوري الى هبوط الروح المعنوية في الجماعة ويرجع هذا الى حد ما الى أن المكافآت لم تأت من النشاط ذاته وانما من مدح القائد ، اما فيالجماعة الديمقراطية فكان المدحيصدر أيضا عن بقية افراد الجماعة لبعضهم البعض . وهكذا نجد انه كانت توجد في الجماعة الاوتوقراطية منافسة انانية لنيل استحسان القائد . وكان مدح الافراد

يعنى اشعال نار المغيره لدى الآخرين ، فى حين كان لا يتأثر فى الجماعه الديمقراطية بالتقدير الذى يناله الآخرون من القائد ·

وقد تتشابه استجابات الجماعات الفوضوية باستجابات الجماعة الديكتاتورية · ويؤكد هذا على اهمية سيادة الروح الديمقراطية ، حتى ينمو ويتقدم العمل وبالتالى المجتمع ·

مثل هذه الدراسة التجريبية تبرز عده خصائص منهجية . اهمها :

( أ ) الضبط والتحكم فى ظروف التجربة : فالجماعات الثلاث تماثلت فى مجموعتها فى العمر الزمنى وعدد الافراد والذكاء والصفات الجسمية والمستوى الاجتماعى والاقتصادى وسمات الشخصية ونوع النشاط والعمل المطلوب منهم ·

(ب) تساوى الجماعات الثلاثة فى كل المتغيرات عدا متغيرا واحدا وهو موضوع التجربة : فقد تساوت الجماعات الثلاثة فى كل المتغيرات والتى سبق الاشارة اليها حتى فى نوع العمل والنشاط المطلوب منهم القيام به . باستثناء الجو الاجتماعى القيادى الذى اختلف فى الجماعات وهو الذى اريد اختباره لتبين مدى تأثيره فى هذه الدراسة ·

من هذه الامثلة تتضح بعض نماذج التصميمات التجريبية فى البحوث النفسية ، وهى نماذج عادة ما تأخذ بطريقة المجموعات التجريبية والضابطه أو بطريقة المجموعات القبلية والبعدية فى تصميم هذا النمط من الدراسات (١) ·

## ٣ ـ الملاحظة كوسيلة للبحث فى علم النفس الاجتماعى :

تحتل الملاحظة مكانا بارزا فى البحث العلمى ؛ لان المعرفة تستمد بدرجة كبيرة من الملاحظة ، ولقد وضعت لها أصول وقواعد وأساليب متعددة ، غير أن الملاحظة فى علم النفس الاجتماعى تتطلب مهارة وخبره ودقة ويرجع ذلك الى تعقد الظاهرة الاجتماعية النفسية ، فالعوامل التى تؤثر فيها كثيرة والظروف التى تخضع لها متعددة ، وليس من السهل ان نفصل الواحد فيها عن الآخر · وكذلك ليس من السهل أن نفسر ما يحصل عليه الباحث من نتائج نظرا لاحتمال الحصول على نتائج متعددة كلما كررنا الملاحظة

---

(١) طلعت منصور واخرون : اسس علم النفس العام مرجع سابق ١٩٧٨ · ص ٤١ ·

أو كلما تعدد الملاحظون · والتجربة التى قام بها كروكر George R. Croker (١٩١٠) عن ملاحظة سلوك بعض الافراد ومقارنة ما لاحظته مجموعة من المشاهدين المثقفين لما حدث تدل بوضوح على ان كلا المشاهدين لاحظ غير مالاحظه الأخرون · ويرجع الباحث السبب فى ذلك الى انه لم يطلب منهم ان يلاحظوا شيئا معينا بالذات ·

ومما هو جدير بالذكر ان الملاحظة امرا لا يجيده كل فرد فهى تحتاج الى مهاره وتدريب ومستوى معين من المعرفة بالظواهر النفســـية التى يلاحظها الفرد ·

وميل الانسان لكى يلاحظ وفق هواة ورغباته ومخاوفة ، وغيرها من العوامل الذاتية امر معروف لدى الفلاسفة والمفكرين والباحثين منذ زمن بعيد · وقد قامت دراسات متعددة للكشف عن اثر حاجات الانسان على مدركاته وتبين ان الادراك حتى فى مستوياته الاولية يتأثر بهذه العوامل الذاتية ، وليس انتقال السكين من يد الابيض الى يد الملون فى تجارب الاسقاط ( حيث قرر مفحوصون بيض عندما كان السكين فى يد رجل أبيض انه يدافع عن نفســه ، ولكن عندما أخذها رجل أسود قرروا أنه قاتل معقد أثيم ) سوى شاهد واحد من الاف الشواهد على اثر التعصب والانحياز على الادراك فى الاختبارات الاسقاطية · ومن الممكن ايضـــــا ان يخطىء الانسان فى قراءه القياسات المختلفة نتيجة لرغبة فى أن ينتهى الى نتائج تؤيد الفروض التى وصفها أو النظرية التى يأخذ بها (١) · ومع ذلك فان الملاحظة كوسيلة من وسائل البحث فى علم النفس الاجتماعى فاننا نسلم بها وكثيرا ما تستخدم للوصول الى نتائج عملية ·· الا اننا يجب الا نتجاهل الى ما قد يوجه اليها من انتقادات ·

وعموما فان الملاحظة وسيلة أساسية للبحث فى علم النفس الاجتماعى ، فالباحث يستخدم الملاحظة العلمية فى كل ما يستخدمه من أدوات العلم المتقنه . من تجارب وأجهزة وادوات واختبارات او فى تسجيل البيانات التى تتضح من خلال هذه الاساليب · وتتضح مكان الملاحظة العلمية مثلا فى علم النفس الاجتماعى ، فى دراسة نمو التلاميذ من حيث بنية الشخصية لديهم بكافة مستوياتها الاجتماعية والعقلية والمعرفية والجسمية والانفعالية ، ومدى الاتساق بين هذه المكونات فى تنظيم ديناميكى يتحقق فيه الابراز

---

(١) للاستزاده فى أثر المدركات على عملية الملاحظة : انظر : محمد نبيل نوفل واخرون : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس : مكتبة الانجلو ـ القاهرة ١٩٧٧ ص ٧٢ : ص ١٠٣ ·

والتعميق اللازم لامكانات الوليد البشرى والتوظيف الامثل لهذه الامكانات فى مواقع حياته العملية ٠

كما تفيد الملاحظة العلمية فى جمع البيانات والمعلومات اللازمة لدراسة حالات اضطراب الشخصية بكافة مستوياتها ومظاهرها ٠ فى هذه الحالات يتتبع الباحث تطور نمو الظاهرات موضوع الدراسة وما يطرأ عليها من تعديلات وتغييرات ٠

كما أن الملاحظة العلمية وسيلة ضرورية لتسجيل النتائج التى تترتب على ادخال بعض التعديلات فى النشاط التربوى او تجريب طريقة جديدة من طرق التدريس او ادارة الاعمال ٠ فعن طريقها يمكن رصد النتائج التى تطرأ على سلوك التلاميذ او على مستوى نشاطهم النفسى او على فاعلية العملية الادارية كنتيجة للتحسين او التغيير ٠

كما تعتبر عملية جمع البيانات والمعلومات اللازمة عن المفحوصين من خلال الملاحظة اليقظة المنظمة ــ امرا لازما بالنسبة للبحث فى علم النفس الاجتماعى ٠ وتمثل عملية التجميع والتنظيم هذه خطوة أساسية فهى فى الواقع تتطلب من الباحث ان يكون على بصـــيره ودراية بما بين البيانات والمعلومات من علاقات تستلزم تنظيمها فى شكل يتيح فهم المفحوص ، وما يخبره من مظاهر التوافق أو تعطله وانحراف مساره ٠ كما انها تتطلب تتبع الباحث للعوامل والمؤثرات فى سلوك المفحوص واتجاهاته ٠

كما أن جمع المعلومات والبيانات اللازمة فى البحث السيكولوجى خلال الملاحظة العلمية ، يستلزم توفر مجموعة من المتطلبات لتحسين الملاحظة كطريقة من طرق البحث فى علم النفس الاجتماعى ، ويمكن اجمال هذه المتطلبات فيما يلى :

**١ ــ الملاحظة عملية موجهة :**

قبل الاضطلاع بنشاط الملاحظة ينبغى ان يحدد بدقة الهدف منها ، أى تحديد ما هى جوانب النشـــاط أو السلوك التى يجب ملاحظتها فى التلاميذ أو العمال مثلا ٠ واذا كانت الملاحظة فى مثل هذه الحالات عملية مركبة صعبة ، فانه بدون توفر هدف محدد واضح للملاحظة يصير البحث عرضيا عفويا غير موجهة ، وبالتالى يفقد البحث مقوما أساسا من مقومات ادارته وتنظيم مادته ٠ فلا يمكن للباحث ان يلاحظ بطريقة عرضـــية او ارتجالية وانما لا بد أن يعرف بالتحديد ما الذى يركز انتباهه عليه ، وكيف يسجل ما يراه وما يسمعه وما يحسه بدقة تامة ٠

ويرتبط بهادفيه الملاحظة ان يكتسب الباحث عادة وضع نفسه فى حالة من التهيؤ لكى يحس أو يدرك ذلك الجانب المحدد من الظاهرة المتعلقة بالمشكلة . ويتجاهل غيره من العوامل الأخرى · وهذه الحالة العقلية تدفع الباحث الى ملاحظة الاشياء بذهن فاحص متقد ، فيركز انتباهه على المثيرات التى تمده بالبيانات المطلوبة · ويستطيع الباحث عن طريق التدريب التحكم فى الذات تحكما كبيرا · أن يبعد المثيرات العرضية التى تتسم بالقوة والاثارة من ان تأسر انتباهه او تقيده ، كما يستطيع أن يكبح اى ضيق أو ضجر طبيعى من أن يؤدى الى تشتيت انتباهه للملاحظة بسهولة بواسطةالعواملغير الجوهرية فى بحثه ·

ومما يساعد على تحقيق هذه الحالة العقلية لدى الباحث ، أن يكتسب قدرا كبيرا من المعرفة فى الميدان الذى تقع فيه مشكلة بحثه . وهذا من شأنه أن يساعده على تحديد اى الوقائع ينبغى أن يلتفت اليها وكذلك أين ومتى يجدها · فذلك يزوده بمعين هائل من المعلومات التى ترتبط بخبراته الحسية بحيث تعطى هذه الخبرات معنى ·

## ٢ ـ الملاحظة عملية موضوعية :

تخضع الملاحظات لعديد من التحريفات والتأويلات الشخصية ، فقد ترجع الملاحظات الخاطئة الى خداع الحواس حين تزود الذهن بمعلومات خاطئة ، أو قد يكون الذهن نفسه هو مصدر هذه الاخطاء · ويمكن ارجاع كثير من الاخطاء الى حيله يلجأ اليها الذهن ، هى أن يملأ الثغرات دون وعى وفقا للخبرة السابقة ، والمعرفة ، والنتائج التى يتوقعها عن وعى · وهذا يتفق مع ما يقرره «جوته» بأننا « لا نرى الا ما نعرفة » · فعلى أساس الخبرة السابقة والاهتمامات الشخصية تتكون ملاحظاتنا ، فلو أن طبيبا ومهندسا وموجها وناظرا تفقدوا احدى المدارس ، نرى الطبيب يلاحظ الشروط الصحية للمبنى والحالة الصحية للتلاميذ ، والمهندس يلاحظ مدى سلامة بنيه المدرسة ، والموجه يلاحظ مدى سير البرامج الدراسية وفقا للخطة ومستوى التلاميذ الدراسى ، والناظر يلاحظ مدى سير النظام المدرسى وادارة النشاط التربوى بصفة عامة ·

ويتفق البحث التجريبى مع المنهج العلمى ، فى انه يستخدم الملاحظة الموضوعية المضبوطة لاختبار صدق الفروض ، عن طريق التجريب · فالباحث لا يقف عند مجرد ملاحظة الظاهرة فقط ، بل يدخل مباشرة بتغيرات معينة ويحاول ضبط متغيرات اخرى ، ثم يلاحظ ويفسر التغييرات التى تحدث على الظاهرة موضوع الدراسة ·

### ٣ ـ الملاحظة عملية منظمة :

تجرى الملاحظة بطريقة منظمة متتابعة بدون وجود فترات طويلة من الانقطاع . ويتم تسجيل البيانات أولا بأول بمجرد أن يلاحظها الباحث بقدر الامكان ، وفقا لنظام دقيق . فالانتظار لفترة يجمع فيها مدركاته قد يؤدى به الى أن ينسى بعض البيانات المتعلقة بالظاهرة التى يلاحظها أو تتجمع لديه انطباعات مشوهه أو محرفة أو غير صحيحة عما يحدث . وحينما يقـــوم الباحث بتسجيل البيانات ، فانه يضمنها كل التفصيلات الهامة عن الظاهرة ، والأجهزة التى استعان بها ، والاجراءات التى اتبعها ، والصعوبات التى واجتهه . وتعلم الخبرة الباحث المدرب كيف يسجل ملاحظات شامله كاملة ، وكيف يرسم بالتفصيل كل الاحداث والوقائع الدقيقة التى تحدث اثناء اجراء البحث ، فهى كلها انجازات ذات قيمة كبيرة فى يد الباحث تتضح وتثبت جدواها حينما يحين الوقت الذى يقوم فيه بتحليل البيانات وتفسيرها أو شرح النتائج التى توصل اليها والدفاع عنها .

ويستخدم الباحث فى تســـــجيل البيانات المتجمعة من الملاحظات عبارات محددة دقيقة ـ فالباحث يستخدم كلمات ورموزا تعنى لديه نفس الشيء الذى تعنيه لدى غيره من الباحثين . وبدلا من ان يسجل انطباعات عامة يكتب وصفا دقيقا عن كل ما خبرته حواسه . وبدلا من ان يقرر ، على سبيل المثال ، ان هناك مجموعة من الاطفال فى فصل مدرسى يتسمون بالعدوانية مثلا ، يقوم بتسجيل الوقائع المحددة التى تصدر عن هؤلاء الاطفال والداله على سلوكهم العداونى ، وعدد الاطفال الذين يسهمون فى ذلك ، وتكرار هذه الوقائع او المدة التى تستغرقها وهكذا .

### ٤ ـ الملاحظة عملية غير مباشرة :

قد يؤدى الوجود المباشر للباحث أو المجرب فى المجال الذى ينشط فيه المفحوصون الى جعل استجاباتهم تصدر بطريقة غير تلقائية . لذا قد تجرى الملاحظة بطريقة غير مباشرة ، لا يدرك معها التلميذ فى المدرسة او العامل فى المصنع أنه موضع ملاحظة ما ، لان معرفته بمثل هذه المواقف لا يجعله يسلك بطريقة تلقائية .

### ٥ ـ الملاحظة عملية وسيلية :

تسمح الملاحظة بجمع مادة ذات قيمة حينما تستند الى وسائل تضمن الاجراءات اللازمة لمزيد من الموضوعية والدقة ، مثل استخدام اختبارات الذكاء ، او مقاييس الشخصية ، واستخبارات الاتجـــاهات والميول او استخدام بعض الأجهزة والالات . وهذه الوســـائل تزود الباحث بالادلة

الاصلية التى يمكن ان يدرسها مباشرة هو وغيره من الباحثين ، كما يستطيع مراجعتها فى المستقبل كلما دعت الضرورة الى ذلك (١) ٠

**٦ ـ الملاحظة عملية فنية :**

تتضح قيمة المـادة المتجمعة من الملاحظة وفقا لمـا يتمتع به الباحث من كفاية فى فن تمحيص الظواهر بعقلية يقظة متفتحة ٠ وبرغم ان اى فرد يستطيع أن يلاحظ الظواهر الاجتماعية ، الا ان تحقيق الدقة فى الملاحظة يعد فنا من الفنون ٠ ومن خلال التدريب او الممارسة التى تتسم بالاصرار والمثابرة يستطيع الباحث أن يتعلم كيف يقوم بملاحظات يمكن أن تشتق منها المعرفة الدقيقة والتى يوثق بها ويعتد عليها ٠

وعموما فان الطـــرق الميدانية تعطى تنوعا كبيرا من الاجـــراءات والوسائل ، حيث تتضمن اجراء الملاحظات فى المواقف الاكثر تعقيدا فى الحياة اليومية ، مثل هذه الملاحظات يمكن تجميعها عن طريق المقابلات او عن طريق الملاحظة المباشرة للحالات ٠ وهذه الملاحظات يمكن ان تبنى على مستوى عال من الدقة ، مثلما يحدث عندما يسأل المختبر فى المقابلة كل حالة قائمة من التساؤلات كلماتها تتماثل وتكون بنفس الترتيب لجميع الحالات ، حتى لا يسمح الا بأقل ما يمكن من الاختلاف فى استجابات افراد العينة ، ان المقابلات المصممة ( المعدة ) قبليا تستخدم عادة فى دراسة الأراء والاتجاهات ، كما أن ملاحظة العينة يمكن ان يتضمن العيش فى وسط الجماعة لمدة معينة ، يأخذ خلالها بيانات ميدانية غزيره ، كما فعل وليم هوايت W.Whyte (١٩٤٣) ٠ وجدير بالذكر فاننا حين نستخدم الطرق والوسائل الميدانية فى علم النفس الاجتماعى ، فان السلوك غالبا ما يدرس فى موقف طبيعى تماما ، ومع ذلك ففى بعض الأحايين ، فان المواقف الميدانية يمكن تدبيرها وذلك من أجل احداث الانماط السلوكية والتى توضح افتراضات الباحث ، فمثلا عندما يريد باحث ان يدرس الانماط السلوكية العدوانية للاطفال ، فيمكن وضعهم فى مواقف مصممة لاستخراج أو لاحداث القدر العدوانى من السلوك الاكثر من الصـــورة العـــادية ٠

---

(١) للتوسع فى المناهج ينظر الى كتاب اسس علم النفس العام مرجع سابق الفصل الثالث ٠ وكذلك منـــاهج البحث فى التربية وعلى النفس ترجمة محمد نبيل نوفل واخرون مرجع سابق ٠

وجدير بالذكر فان الطرق التجريبية ، والميدانية لها مميزاتها وعيوبها ، فالاسلوب التجريبي عادة ما يستخدم وسائل قياسية فنية ادق ويمارس ضبطا اكبر على الظروف التى تفسر الظواهر النفسية ، كما ان الاسلوب اكثر وفاءا للمطالب الثلاثة والتى ذكرت فى صدر هذا الفصل لالقاء الضوء على العلاقة السببية فى السلوك الانسانى . الا ان التعميم من المواقف التجريبية الى مواقف الحياة اليومية غالبا ما يكون فيه مخاطرة .. ومن جانب اخر نجد ان الطرق الميدانية عادة ما تسمح بتعميمات أوسع لحالات الحياة اليومية ، الا انه الوفاء بالمطالب الثلاثة للاسلوب العلمى للاستدلال على علاقة السبب والنتيجة نجده اكثر صعوبة بهذه الوسائل .

ان الاختلاف بين الاسلوب التجريبي والاسلوب الميداني ، فى جوهرة مسألة درجة ، بالاضافة الى انهما يختلفان مع طبيعة المشكلة موضوع الدراسة . فبعض التجارب تخلق ظروف مشابهة لتلك التى تحدث فى الحياة اليومية ، كما أن بعض الملاحظات قد تجرى فى حالات غير قياسية أو غير عادية . وفى بعض المواقف الميدانية نجد أن المطالب الثلاثة للاستدلال أو لاستنتاج علاقة السبب والنتيجة تقابل بصورة مرضية ، الا أن بعض التجارب تفشل فى الوفاء بهذه المطالب . كما نرى أن درجة الضبط الذى قد يمارس فى بعض التجارب يزيد من الخطر بأن الظاهرة موضوع الدراسة هى بمثابة نتيجة لظروف خاصة للمعمل ذاته . كما ان توقعات الحالة بالنسبة للكيفية التى يريد المختبر ان تسلك بها الحالة قد يخلق انماطا سلوكية ليس لها معنى خارج المختبر مثلا . وجدير بالذكر فانه ما تزال هناك الكثير ينبغى أن يدرس حول تأثير العوامل الثقافية على المعمل أو المختبر فى الطريقة التجريبية .

وعموما فان كل من التجارب المعملية والدراسات الميدانية فى المواقف الطبيعية مطلوب فى علم النفس الاجتماعى وهو فى حاجة اليها . فالدراسات التى تتمركز حول المواقف الطبيعية غالبا ما تشير الى ايضاحات بديلة للسلوك الملاحظ والذى يمكن ان يوضع تحت الاختبار لمعرفة مدى صلاحيته فى المختبر . كما أن العدد الاكبر من المتغيرات فى المواقف غير المعملية ايضا تعيق اى تعميم مباشر من المعمل الى الموقف الميدانى . ومن أجل تفهم أفضل لهذا الموضوع فان جميع الظروف المناسبة الى تؤثر على السلوك فى الموقف الطبيعى يجب أن تعرف وتدرك تماما . كما ان التجربة المعملية والتى تتعامل عادة مع متغيرات قليلة فقط لا يمكن تطبيقها على المواقف الميدانية الا اذا كانت هذه المواقف قد درست بعناية للكشف عن المتغيرات الاضافية الأخرى التى قد تؤثر على السلوك الذى يهتم به العالم السلوكى .

وجدير بالذكر انه رغم هذا التقسيم لطـــرق البحث فى علم النفس الاجتماعى فكثيرا ما تعول الدراسة الواحدة على اكثر من طريقة واكثر من اداه ، نظرا لطبيعة الظاهرة النفسية « المركبة » والمتعددة الجوانب ، وضمانا لجمع اكبر قدر ممكن من البيانات الدقيقة عن الظاهرة النفسية . ولا يغيب عن اذهاننا ان هذه الطرق ، بغض النظر عن اختلاف مستوياتها من التعقيد العلمى ، وسيلة وليست غاية فى حد ذاتها . وان ابسط الطرق او الادوات قد تكون ذات قيمة كبيرة اذا تناولها الباحث فى علم النفس الاجتماعى بحس سيكولوجى سليم . وهنا لا تكون طرق وادوات البحث فى علم النفس مجرد « صنعة » أو « طقوس » وانما وسائل يجيد الباحث استخدامها وتوظيفها بعلم وبفن .

## طرق ووسائل البحث فى علم النفس الاجتماعى

كما سبق وان قدمت فى بداية هذا الفصل ، أن اسلوب ومنهج علم النفس الاجتماعى لا يختلف فى جوهرة عن اسلوب ومناهج العلوم الأخرى ، حيث يهدف الى التوصل الى نتائج ثابتة للسلوك الانسانى .. ويدعم النتائج بوضوح ودقة بقدر ما يسمح موضوع الظاهرة النفسية بذلك .

وعلى ضوء ما سبق ، فان البيانات ، ومادة الموضـــوع لعلم النفس الاجتماعى تتمركز حول دراسة الفرد فى علاقاته المتفاعلة مع الافراد الاخرين فى جماعة أو ثقافة معينة . ولقد وجـــد عالم النفس الاجتماعى انه من الضرورى أن يصمم وسائل وطرق خاصة به .

وعموما سنتأمل سويا ثلاثة وسائل او تكنيكات عامة كثيرا ما تستخدم فى ثنايا دراسات علم النفس الاجتماعى ، بالاضافة الى اننا سنضع فى الاعتبار وبشىء من الايجاز الوسائل الاسقاطية المستخدمة فى هذا العلم ، وتلك المقاييس والاختبارات المستخدمة فى قياس الاتجاهات ، وذلك باعتبار أن كليهما ساهم فى طرق ووسائل البحث فى ميدان علم النفس الاجتماعى .

### طريقة دراسة تاريخ الحالة : The Case history technique

على الرغم من ان هذه الوسيلة ليست شـــــائعة عند علماء النفس التقليديين ، الا انها اسلوبا مقبولا وله قيمته عند علماء النفس الاكلينيكيين والاجتماعيين . والاطباء النفسيين والخبراء والموجهين المهنيين والاخصائيين الاجتماعيين . وعموما فان هذه الوسيلة تعتمد على مبدأ كثيرا ما يؤكده المحللون النفسيون ــ وهو أن سلوك الفرد لا يمكن تفهمه بوضـــوح دون

معرفة تاريخة السابق . كما ان البيانات المسجلة فى تاريخ دراسة الحالات قد اصبح لها معيارا موضوعيا . وعادة ما تتضمن معلومات عن الاسرة ، واصل الفرد القومى ، موطنة الاصلى ، والحالة الاجتماعية والاقتصادية ، والحالة التعليمية للعميل والدين ، والحالة الصحية .. وما يشبه ذلك . ويعتبر دولارد Dollard (١٩٣٥) أول من طبق هذه الوسيلة بصورة موضوعية فى المجال الاجتماعى لعلم النفس عام (١٩٣٥) .

ويمكن استخلاص بيانات دراسة تاريخ الحالة من عدد كبير من المصادر مثل : سرد الافراد لحياتهم autobiographies ، والمراسلات الشخصية ، والمذكرات ، والاستفتاءات ، وتسجيلات وكالات الخدمة الاجتماعية والمحاكم والسجون والمستشفيات العقلية والمدارس . وترجع اهمية هذه الوسيلة فى علم النفس الاجتماعى فى انها تبحث بعمق عن المشاعر الدخيله والافكار الخاصة وتطلعات الفرد وذلك اكثر من أى وسيلة اخرى .

وعموما فان بيانات تاريخ حياة الفرد ليس من الصعب الحصول عليه خاصة عندما يطلب من المفحوصين عدم الافصاح عن اسمائهم أو شخصياتهم ، كما أن هذه الوسيلة تتميز عن الوسائل الاخرى فى انها تمكننا من الوصول الى التفاعلات العميقة وخبرات الفرد ، وكذلك فى دراسة الشخصية ، ولا يجاريها فى ذلك الا وسيلة التحليل النفسى ( اولبورت G.Allport (١٩٤٢) .

ويشير بول هورست Paul Horst (١٩٤١) الى اننا لا نستطيع أن نتأكد من صدق هذه الوسيلة فىدراسة السلوك الانسانى ، كما ان تشوية ذاكره المفحوص والآخرين الذين يعلمون عنه يسبب تزييفا فى عملية التسجيل لهذه الوسيلة . وعلى الرغم من المبالغة والتشويش هذه للحقائق الا ان هذه الوسيلة مما لا شك فيه تلقى ضوءا ذو دلاله على حياة العميل الداخلية .

ولقد جذب الانتباه الى هذه الوسيلة روس ستاجنر Ross Stagner (١٩٤٨) اذ يقول :

« لقد وجد ان الفرد قد يشير الى انه عوقب بشده حين كان طفلا ، على حين نجد أن الملاحظين المحايدين لا يتفقون مع الحالة فى ذلك .. وعلى الرغم من أن مثل هذا التقرير فى جوهرة غير صادق بصورة موضوعية

الا أنه ذو دلالة ومعنى فى تصور الفرد عن كيفية معاملته ؛ فالعطب الخيالى imaginary trauma قد يكون ذات اهمية كبيرة فى الشخصية كأحد الصفات الموضوعية الملموسة » (1) ..

جملة القول فأن تاريخ دراســـة الحالة ، رغم عيوبها الا انها بمثابة مصدرا هاما لجمع البيانات عن الافراد . واذا استخدمت بدقة ووضوح فانها مما لا شك فيه ستضيف اضافات جوهرية الى تفهمنا للســـلوك الانسانى .

**الوسيلة الاحصائية :**

ان التناول الاحصائى للبيانات يتضمن التعبير عنها بصورة كمية او عددية .. ويحاول الاحصائى ان يجد عدد مرات تكرار حدوث ظاهرة ما ، ويستخدم لذلك ثلاثة وسائل خاصة هى المتوســـطات ، والانحرافات ، والارتباطات . وعندما يقيس عالم النفس سمات الشخصية مثلا ، يكتشف على الفور أن العدد الاكبر من الافراد يتجمع حول نقطة مركزية على القياس ، كما أن عدد الافراد الذين لديهم قدر اكبر او اقل من الصفة المقاسة تقل فى التكرار على جانب النقطة المركزية ، وهذا التجمع حول نقطة مركزية يمثل متوسط عدد تكرار الصفة او الخاصية .

وليست كل السمات التى تقاس تتجمع حول هذا الميل المركزى ، فكثير منها ينحرف عنه ، ويعرف الانحراف عن الميـــل المركزى بالمتغيرية Varialility او بالتشتت Dispersion . فالافراد المصابون بأمراض عقلية يقال انهم ينحرفون عن الميل نحو المتوسط ، انهم يمتلكون ســـمات تنتشر حول متوسط الميل الاحصائى .

فاذا كان السيكولوجى يريد أن يتعرف مثلا على العوامل المصاحبة للاضطرابات العقلية ووجد مثلا أن عدم التوافق الجنسى يحدث بتكرار معين فانه يشير الى الارتباط بين هاتين الظاهرتين . وعلى أن لهما علاقة ارتباطية ، اذ نجده يشير الى ان الاضطراب العقلى يرتبط بسوء التوافق الجنسى . والارتباط وسيلة لقياس درجة العلاقة التى تحـــدث بين مجموعتين من البيانات المترابطة ، فاذا كان الارتباط على أســـاس جيد أى ان توفرت

(1) Stagner Ross : Psychology of personality, New York, Mc-Grow Hill book, Co. Inc. 1948, P. 56.

البيانات الصحيحة التى تدعم العلاقة الموجودة بين مجموعتين من البيانات ، فان ذلك قد يصل الى مرتبة القانون ٠

ويجب ان تؤخذ هذه البيانات الاحصائية مأخذ الحذر حيث يجب أن ندرك بأنه حتى اذا كان هناك درجة عالية من الارتباط بين مجموعتين من الظواهر الموجودة ، فان العلاقة لا تتضمن بالضرورة وجود ارتباط مسبب بينهما ٠ بالاضافة الى انه لو استخدمت عدد صغير من الوحدات فى قياس العلاقة . فان الارتباط قد يحدث بمحض الصدفة ٠٠ وكقاعدة فاننا يجب الا نفترض وجود اى ارتباط الا اذا تم التحقق من صدق عما يقل من عشرين وحدة ٠ او اتضح وجود هذا الارتباط فى عدد من الدراسات المختلفة (١) ٠

## الاسلوب التشخيصى :

الاسلوب التشخيصى لدراسة الشخصية هى دراسة مكثفة لحالة الفرد ، ومع ان هذا الاسلوب قد يعطينا معرفة قيمة ، كما ان تشخيص عدد كبير من الحالات قد يؤدى الى تعميمات ذات تطبيق واسع ٠ الا ان هذه الوسيلة تهتم اساسا بالصفات المتعددة ، كما ان المحلل النفسى عادة ما يدرس شخصية الفرد على انها بمثابة مشكلة علاجية ٠٠ ففى طريقة التحليل النفسى Psychoanalytic technique ومؤسس هذه الطريقة كما نعلم هو سيجموند فرويد S. Freud ، والعميل فى هذه الطريقة غالبا ما يكون مريضا يبحث عن اعادة تكيف نفسى ويعبر بحرية عن افكاره وانفعالاته واحلامه كما جاءت في نطاق شعوره ، وغالبا ما يجلس المحلل بجانبه فى صمت ويحاول أن يفسر ما يستمع اليه من عميله تبعا لمبادىء وافتراضات اساسية ، محاولا ان يلقى الضوء على المحتوى العقلى المستتر لدى العميل ٠

كما يتركز التحليل النفسى على افتراض مؤداه ، ان احباطات الطفولة تترسب فى شخصية الكائن الآدمى ، كما ان الطريقة التى يتفاعل الطفل مع هذه الاحباطات تستمر معه خلال مرحلة المراهقة ٠ كما ان أخصائى التحليل النفسى يشيرون الى أنه يوجد فى كل منا تعارض بين البواعث الجنسية وبواعث الانا ؛ فالأولى تبحث عن التعبير الحر غير الممنوع ، بينما بواعث الانا تكون اكثر واقعية وتعمل على وضع البواعث الجنسية والتعبير عنها فى صورة معترف بها اجتماعيا ٠ وبسبب هذا الصراع فان كثيرا من البواعث

---

(1) Dashiell, J. E. : Fundamental of general psychology, New York, Houghton Mifflin, 3rd ed., 1949,Chap.VI

غير المقبولة اجتماعيا تسقط فى اللأشعور وهذه البواعث لكونها غير متكاملة مع النظام النفسي للفرد تكون مصدرا للصراعات والذى قد يقود الى السلوك غير المتكيف او الى سوء التكيف بصفة عامة ٠

ويعتقد اخصائى التحليل النفسي ان الفرد نتيجة للاحباطات المتعددة يلجأ الى عديد من الميكانزمات مثل الاحلام ، لكونها ارضاء للرغبات ، كما انه نتيجة لاتجاهاتنا الاجتماعية نحـــو الجنس ، فان الكثير من احلامنا وتخيلاتنا تكون جنسية فى طبيعتها ، ونجد العميل عن طريق تكنيك التداعى الحر يظهر ميوله واتجاهاته اللاشعورية لأخصائى التحليل النفسى والذى يحاول تفسيرها لالقاء الضوء على شخصية عميله ٠

والتشخيص بأسلوب التمركز حول العميل diagnosis هو صيغة معدلة من تكنيك التحليل النفسى وضعها كارل روجرز C. Rogers ٠ ويشير روجرز فى كتابة الارشاد والعـــلاج النفسى (١٩٤٢) على عكس اسلوب التحليل النفسى حيث يأخذ اخصائى التحليل احيانا دورا فعالا ، اما عن طريق استثاره عملية التداعى الحر او بواسطة تفسير الميول والاتجاهات اللاشعورية للمريض ٠ وجدير بالذكر فان هـــذا الاسلوب تبعا لمؤيدية ومعارضيه يجعل العميل يتوصل الى الكشف عن مصدر مشاكلة الخاصة ووسائل حلها وذلك بدون مساعده الاخصائى ٠ وتحت الظروف النفسية الحرة الاختيارية لاسلوب التمركز حول العميل فان الفرد يكون لديه فرصة بأن يعيد بناء مجال ادراكه والطريقة التى يدرك بها ذاته ٠ وفى هذا المجال الادراكى المعاد تنظيمه ، فان الفرد يكون لديه الفرصة لكى يغير سلوكة على المنحى السوى البناء ــ وهذا التغيير لا يتأثر بواسطة توجيه الاخصائى كما هو فى جلسة التحليل النفسى ، ولكن ينبع اصلا من تكامل قوى الذات الخاصة بالعميل والتى يمكن ان تعبأ وتشحذ بحرية فى جو من الاسترخاء وغير المنتقد للمقابلة الاكلينيكية ٠

**الوسائل الاسقاطية :**

من وجهةالنظر النفسية،الاسقاطعمليةلاشعوريةفيها ينسبالفردافكارا واتجاهات ووجدانات الى اشخاص اخرين ، او انها العملية التى عن طريقها يمكن الكشف عن دوافع الفـــرد ورغبـــاته واتجاهاته ونزعاته وحاجاته باستخدام مثير غامض غير متشكـــــــل الى حد ما يقوم الفرد بتفسيره وتأويله (١) ٠

---

(١) سيد غنيم وهدى برادة : الاختبارات الاسقاطية ــ دار النهضة العربية ــ القاهرة ١٩٦٤ ٠ ص ١١

وفى تطبيق الاختبارات الاسقاطية لدراســـــة الشخصية عديد من المميزات يمكن ايجازها فى النقاط الآتية :

١ ـ ان الموقف المثير الذى يستجيب له الفرد غير متشكل وناقص التحديد والانتظام ، من شأن هذا ان يقلل التحكم الشعورى للفرد فى سلوكه بشكل يترتب عليه سهولة الكشف عن اتجاهاته وقيمه وشخصيته بصــفة عــامة ٠

٢ ـ انه حين يستجيب الفرد للمادة غير المشكلة التى تعرض عليـــه دون ان تكون لديه اية معرفـــة عن كيف أو من أى جهة سوف يتم تقدير الاستجابات ، ومن ثم فان استجاباته لن تتأثر بارادته الى حد كبير ٠

٣ ـ كما انها تمثل نزعــة من جـــانب المفحوص ليعبر عن افكاره ومشاعره وانفعالاته واتجاهاته في تشكيل المادة غير المتشكلة نسبيا ٠

٤ ـ بالاضافة الى ان الاختبارات الاسقاطية لا تقيس نواحى جزئية او وحدات مستقلة تتألف منها الشخصية فى مجموعها ، بقدر ما تحاول ان ترسم صورة عن الشخصية ككل ودراسة مكوناتها وما بينها من علاقات ديناميكية ٠

٥ ـ كما انها تساعد فى الكشف عن الحـــالات الطارئة او حديثة الوقوع بالنسبة للفرد والتى تكون قد مرت به قبيل اجراء الاختبار او وقت اجرائه ٠

ويذكر سلامة (١٩٥٦) ، فى دراسته « تطبيق اختبار تفهم الموضوع على حالات مصرية » ان الاختبارات الاسقاطية فى جوهرها عبارة عن موقف مثير يتميز بأنه على درجة من الغموض ونقص التكوين يتعرض له المحفوص فيستجيب استجابة يقف منها المختبر على جوانب شخصيته المختلفة على اساس أن هذه الاستجابة تتضمن تفسير الموقف المثير اى ادراكه وتنظيمه؛ وأن هذا التفسيريكشف عن افكار المفحوص ودوافعه ومفاهيمه ووجداناته؛ اى ان الموقف المثير فى هذه الاختبارات ستار يسقط عليه المفحوص حياته الداخلية ٠

ويذكر سلامه راى كاتل عن الاسقاط فى الاختبارات الاسقاطية على انه نوع من سوء الادراك او الادراك المشوه Misperception or Distortion

ويرجع ذلك الى اسباب رئيسية هى :

١ ـ تفاوت الافراد فى الذكاء والقدرات الحسية .

٢ ـ تفاوت الافراد فى القدرة على التركيز نتيجة تفاوتهم فيما حصلوه من خبرات معرفية سابقة ، وتفاوتهم فى الاحتفاظ بهذه الخبرات.

٣ ـ تفاوت الأفراد فى خبراتهم الانفعالية السابقة ، وفى تكوينهم الديناميكى الحالى (١) .

وعموما فان هناك عديدا من الاختبارات الاسقاطية نذكر منها على سبيل المثال اختبار الاتجاهات العائلية .. واختبار تفهم الموضوع للاطفال واختبار تفهم الموضوع للبالغين واختبار بقع الحبر لهيرمان رورشاخ .. ليس المجال هنا مركز على الاستفاضة فيها بقدر ما نود ان نشير الى القارىء بأن علم النفس الاجتماعى يمكنه الاستفادة من هذه الاختبارات الاسقاطية وذلك الكشف عن اتجاهات الفرد ومشاعره ووجداناته ، وعن شخصيته بصورة عامة . ويجب ان يكون الباحث فى علم النفس الاجتماعى على دراية بهذه الاختبارات وكيفية تطبيقها واستخراج نتائجها ..

## قياس الاتجاهات :

يمكن ان يعرف الاتجاه ـ من وجهة النظر المحدودة ـ بانه ميل لفظى ينتظم حول قيمة من القيم او انه مجموعة من الآراء المنظمة حول قيمة أو نظام من القيم .

وعلى ذلك فان قياس الاتجاهات بمثابة تسجيل للترابط الاحصائى الموقف اللفظية للفرد تجاه أى موضوع او قيمة معينة ، وبالتالى تكون درجة الفرد ما هى الا مجموع النقاط للاراء التى تم التعبير عنها فى وسيلة القياس .

ونود هنا ان نشير اشارة سريعة الى الوسائل القياسية التى اجريت فى ميدان سيكولوجية الاتجاهات .. وسنترك تفصيل هذه الوسائل الى الفصل الخامس حيث سنتعرض لموضوع الاتجاهات بشىء من التفصيل.

---

(١) أحمد عبد العزيز سلامه : تطبيق اختبار تفهم الموضوع على حالات مصرية ـ رسالة ماجستير ـ مكتبة كلية التربية جامعة عين شمس (١٩٥٦) غير منشورة .

وعموما فلقد استعملت عديد من الوسائل والمقاييس لمعرفة مدى شدة اتجاه فرد ما نحو موضوع معين ·· ومن اشهر هذه الوسائل ·

The questionnaire

أ ـ الاستفتاءات

٢ ـ ومقاييس الاتجاهات ·

أ ـ مقياس بوجاردس ·

ب ـ مقياس ثرستون ·

جـ ـ مقياس ليكرت ·

د ـ مقياس جيتمان ·

هـ ـ مقياس اسجود ·

وجدير بالذكر ان لكل من هذه الوسائل القياسية طريقة معينة للقياس والتقدير··وسوف نستعرض هذه الوسائل بصورة سريعة مرجئين تفصيلها الى الفصل الخامس ·

اولا : الاستفتاءات :

وهو عبارة عن قائمة من الاسئلة تصمم خصيصا لاستيضاح الحقائق والبيانات التى يهدف اليها الباحث فى علم النفس الاجتماعى ·

ويتطلب بناء الاستفتاء قدرة ومهارة عند الباحث ، حتى تتضمن هذه الوسيلة القياسية على ما هو جوهرى ، وليتجنب الباحث كذلك الموضوعات التى لا علاقة لها بالموضوع الذى يريد قياسه ·· كما ان الدقة يجب أن توضع فى الاعتبار فى صياغة الأسئلة ، والمعنى الذى يشمله كل تساؤل ، والطريقة التى تقدم بها ·

ويجب أن يخضع الاستفتاء لاختبار ثباته ، فالثبات يعنى التناسق الذاتى أو الداخلى لمواقف الاستفتاء ، فمثلا اختبار الذكاء يكون ثابتا عندما يستطيع ان يظهر تباينات متسقة بين الأفراد ، او عندما يعاد تطبيقه فان درجات الفرد تظل ثابتة · وعادة ما يحدد ثبات الاختبار عن طريق وسيلة اعادة تطبيق الاختبار ، حيث يتضمن استخدام الاستفتاء مرتين ومقارنة نتائجهما ، ويجب مراعاة عامل الذاكرة فى تطبيق الاستفتاء فى المرتين بحيث تفصل كل مرة مدة كافية ، كما اننا نستطيع اجراء ثبات الاستفتاء بواسطة التجزئة النصفية للاستفتاء ·

وبالاضافة يجب ان يختبر صدق الاستفتاء ، فالاسئلة تكون صادقة عندما تقيس بالفعل ما هى مصممة لقياسه ، وبالتالى فالأداة التى تستخدم

لقياس اتجاه الافراد نحو الحرب مثلا تكون صادقة عنـــدما تقيس ذلك الاتجاه .. كما ان الصدق يمكن ان نحصل عليه عن طريق آراء المحكمين فى كل موقف من مواقف الاستفتاء وعموما فان افضل أنواع الصدق لأى وسيلة قياسية .. تأتى عن طريق مقارنـة استجابات الأفـراد او ردود الفعل اللفظية للاستجابات الآدائية أو العملية لهؤلاء الأفـراد . وهكذا نجد ان اختبار اتجاه الفرد نحو الملونين مثلا يكون صادقا عندما يمكننا بالكيفية التى سيسلك بها الفرد فى مواقف تتضمن تفاعلات مع الأفراد الملونين .

## المقيـــاس :

نستعرض فى ثنايا الصفحات التالية اهم المقاييس التى استخدمت فى مجال علم النفس الاجتماعى :

### ا ـ مقاييس بوجاردوس لقياس البعد الاجتماعى :

رائد بارز فى مجال قياس الاتجاهات فى علم النفس الاجتماعى ولقد وضع تحت تأثير عالم اجتماعى آخـر بارك R. E. Park ما يعتبر الآن بالدراسات الكلاسيكية للابعاد الاجتماعية فى عـلم النفس الاجتماعى . وتتلخص طريقة بوجاردوس Bogardus (١٩٢٤) فى تبيان درجة قبول الفرد أو رفضه للآخر فى عـلاقات اجتماعية معينة ، ولقد طبق بوجاردوس هذا المفهوم فى قياس علاقة الافراد باجناس مختلفة وجماعات سلالية متنوعة . وجدير بالذكـر فان بوجاردوس قد استخدم مفهوم « البعد الاجتماعى » بصورة اكثر تحديدا وطبقه فى مجـال العلاقات بين اعضـاء الجمـاعات العنصرية المختلفة ، فى حين ان بارك قـد أعطى مفهوم البعد الاجتماعى معنى أوسع حيث يعرفه بأنه درجات للتفهم وادراك صفة الاخلاص التى تميز العلاقات الاجتماعية وما قبل العـلاقات الاجتماعية presocial بصفة عامة . كما ان بوجاردوس حاول ان يعطى درجات على البعد الاجتماعى بحيث يمكن قياسه .

وفى دراستين رائدتين حاول بوجاردوس أن يضع درجـة المسافة الاجتماعية فى صيغة قابلة للقياس ، ففى احد هاتين الدراستين طلب من ١١٠ شخصا تحتوى على ٣٩ جنسية وجماعات سلالية ، اذا كانوا يعترفون بالمسافات الاجتماعية للعلاقات بين الأعضاء ، وتدرج فى مقياسه من رابطة الزواج ( كعلاقة متداخلة ) والصداقة الحميمة ، السكان المجاورين ، فى

نفس المسكن ، الى مواطنين ، او كسائحين فقط ، او استبعادهم كلية من البلاد .. اى تدرج من اقوى الروابط الاجتماعية الى اضعفها ، وفيما يلى بعض نتائج بوجاردوس فى قياس الابعاد الاجتماعية . حيث يشير الجدول الآتى الى الأجناس الاكثر تقبلا ثم الأقل .

| | | | |
|---|---|---|---|
| الإنجليزى | ٦٠ر٤ | التركى | ١٨ر١ |
| الكندى | ٥٥ر٤ | الملاتو (الملون) | ٢٩ر١ |
| الاسكتلندى | ٢٤ر٤ | الكورى | ٢٨ر١ |
| الايرلندى | ١٦ر٤ | الهندوسى | ٣٠ر١ |
| ويلز | ١٥ر٤ | النجرو | ٣٧ر١ |
| اسكتلندى ايرلندى | ١٢ر٤ | السربى | ٤٢ر١ |

وجدير بالذكر فان مقاييس بوجاردوس قد اوضحت ثباتا عاليا ، ليس فقط فى قياس المسافات السلالية او الجنسية ، ولكن بالاضافة الى قياس العلاقات الاجتماعية بصفة عامة .

### ب ـ مقياس ثرستون :

من اكثر المقاييس دقة واكثرها تعقيدا فى قياس الاتجاهات الاجتماعية ، ويرجع ذلك الى الدقة الشاملة لطريقة ثرستون فى قياس الاتجاهات . كما أن الباحث الذى يبتغى درجة عالية من الدقة سيجد أن تكنيك ثرستون ذو كفاءة عالية ويحقق هذه الدقة التى يبتغيها اى باحث فى ميادين القياس النفسى .

وتعرف طريقة ثرستون بمقياس الوحدات المتساوية
Equal- appearing intervals scale

والخطوة الاولى فى بناء مقياس ثرستون هى جمع عدد كبير من المواقف والعبارات التى تعبر عن الاتجاه سواء بالموافقة أو عدم الموافقة ، ثم تعرض على مجموعة من الحكام ويضعوها فى فئات معينة تبدأ من اشد المواقف ايجابية الى اقلها ، وعندما لا يتفق الحكام على موقف ما يحذف من قائمة القياس ، ويختار العميل الموقف الذى يظهر موافقته ، كما أن درجة كل حالة تكون قيمة القياس الوسيط للمواقف التى تم اختيارها .

ولقد اخترنا بضعة مواقف من مقياس ثرستون نحو الكنيسة والذى أعد بالصورة التالية :

ضع علامة ( صح ) على كل من المواقف التالية بالتى تعبر عن شعورك نحوالكنيسة ٠

| | | |
|---|---|---|
| ١ ـ | اعتقد ان تعاليم الكنيسة شيء مصطنع فى كليته | ٣ر٨ |
| ٢ ـ | اشعر بأن خدمات الكنيسة تعطينى الأمل وتساعدنى لكى اعيش بصورة افضل خلال الاسبوع القادم | ٧ر١ |
| ٣ ـ | اعتقد بتعاليم الكنيسة ولكن مع استبعاد الماديات | ٥ر٤ |
| ٤ ـ | لا استفيد شخصيا من حضورى الطقوس الكنائسية ولكنى أعتقد انها تفيد وتساعد بعض الافراد | ٧ر٥ |
| ٥ ـ | انا اؤمن بالدين ولكنى نادرا ما اذهب الى الكنيسة | ٤ر٥ |
| ٦ ـ | اعتبر الكنيسة مؤسسة جامدة رجعية ، وبالتالي فانها غير مفيدة ومضرة للمجتمع والفرد | ٥ر١٠٠ |
| ٧ ـ | اعتقد ان عضوية الكنيسة شيء ضرورى للحياة الفاضلة | ٥ر١ |
| ٨ ـ | اعتقد ان الكنيسة شيء طفيلى فى المجتمع | ٠ر١١ |
| ٩ ـ | اعتقد ان النظام الكنائسى سليم ، الا ان المدافعين عنه اعطوه صورة رديئة | ٩ر٣ |

### ج ـ مقياس ليكرت :

لقد انتشرت طريقة ليكرت فى ميدان علم النفس الاجتماعى اكثر من اى طريقة اخرى ، وفى هذه الطريقة نجد ان المقياس يستخدم عددا اكبر من المواقف عما هو فى طريقة ثرستون ، كما اننا نستبعد الأوزان عن طريق الحكام التى نجدها فى طريقة ثرستون ٠

والباحث يتخير المواقف التى يرى انها تقيس ما يريد قياسه ، ويعرضها على الأفراد الذين يشيرون الى درجة موافقتهم أو معارضتهم على سلسلة متدرجة من الموافقة الشديدة والموافقة والمحايدة والمعارضة والمعارضة الشديدة ٠ وتعطى هذه الأحكام درجات تتراوح بين ٥ـ١ ، بحيث تدل الدرجات العالية على اشد الاتجاهات ٠ أما نتيجة كل فرد فتتألف من مجموع القيم التى يحصل عليها ( او يعينها بنفسه ) وتهمل العبارات او المواقف التى تبدو قليلة الترابط مع المجموع العام ٠

**الطرق التفسيرية :**

والطـــرق التفسيرية كوسيلة من وسائل البحث فى عـــلم النفس الاجتماعى تتمركز فى محاولة اظهار اتجاه الحالة دون ان يكون واعيا بما يهدف اليه الباحث ـ على عكس التقرير اللفظي والذى فيه يبنى الباحث ويقيم استجابات الحالة بتقريبها الى الحدود المرسومة والمتفق عليها فى قائمة الاستفتاء ٠

فالوسائل التفسيرية يسمح للحالة بان يبنى استجاباته الخـــاصة ، ومع ذلك فان هذه الاستجابات ليست عفوية عشوائية متقلبة ٠ وعـــلى العكس من ذلك فانه توجد ثمة مؤشرات متفق عليها والتى تظهر اتجـاه الحالة التى يمكن قياسها وتحديد درجاتها بعناية ٠

وقد استخدم هذا التكنيك التفسيرى بطريقة منظمة على الاقل منذ عصر جالتون Galton (١٨٨٣) ، كما ان اخصائى التحليل النفسى الفرويدى من بدايـــة عهدهم قد تمكنوا من ثبر غور الرغبـــات والميول اللاشعورية لعملائهم ، وفى الحقيقة فلقد اشاروا الى الاتجاهات اللاشعورية الخفية والمشوهة فى اغلب الأحايين كأحسن دليل للموقف العقلى للانسان وذلك اكثر من انماط سلوكـــه ٠ وهذا ولقد اوضـــحت دراســـات بارتليت Bartlett بأن التحريفات والتشهويات الادراكية الدائمة للفرد تعكس الميل عند كل فرد لكى يدرك بيئته بلغة دوافعه واتجاهاته ٠

ويمكن أن تقسم الطرق التفسيرية الى نوعين اساسين :

ا ـ المثيرات الاسقاطية projective Stimuli

ب ـ والسلوك المعبر Expressive behavior

ولكى نلقى الضـــوء على الميثرات الاسقاطية ، فسنتخير اثنين من الدراسات التفسيرية لاهميتها ، فان لم يكن لمضمونها ، فلكى نوضـــح بايجاز تكنيك المثيرات الاسقاطية فى قياس الاتجاهات ٠ فلقد قـــارن فروم Fromme (١٩٤١) استجابات مفحوصية على استفتاء لمنـــع الحروب ، مع تفسيراتهم لبعض من الصور والموضوعات المصـــورة والتى تعالج الموضوع بصورة غامضة وليست واضحة ، فمثلا احدى الصور تصف مقبرة بأشباح تحوم فوق القبور وبحارس على بابها ٠

ولقد وجد فروم ارتبـــاط وثيق بين الاستجابات العدوانية والقومية

لحالاته على كل من أسئلة الاستفتاء التى عرضت عليهم وايضا من خـــلال تفسيراتهم لمادة الموضوع المصورة (١) وحيث أن الصـــور يمكن تفسيرها بطرق متنوعة فان الافتراض هو أن ما تراه الحالة فى الصورة ،هو ليس ما يوجد فى الصورة بالفعل ، ولكنه يسقط فيها نتيجة لميوله الداخلية ٠

كما ان بروشانسكى Proshansky (١٩٤٣) طبق وسيلة تفهم الموضوع فى اختبار الميول نحو العمل ، حيث عرض مجموعة من الصور على عـــدد من الحالات ، وبجانب هذه الصور كان يعرض العمال فى مواقف صراعية وكانت فى كليتها غامضة ، وبعد ذلك، طلب من حالاته أن يصفوا انطباعهم فيما تعبر عنه الصـــورة التى عرضت عليهم ، ولقد تراوحت التفسيرات بين الوصف المناسب جدا للعمال الى الوصف غير المناسب كلية للعمال ٠ ولقد قيمت بعد ذلك الاستجابات عن طريق ثلاثة حكام لكى يقرروا الاتجاهات المؤيدة أو غير المؤيدة للحالات نحو العمل ٠ كما ان درجات أو معدلات جميع الحالات قورنت بعد ذلك بدرجاتهم على أسئلة الاستفتاء الذى صمم بغرض الكشف عن اتجاهاتهم نحو العمل ، ولقد اظهرت النتائج التى حصل عليها بروشانسكى ان معامل الارتبـــاط لأحد المجموعات كان مرتفعـــا الى حد + ٨٧ر٠ وهذا يوضح أن كل من الاستفتاء والوسائل الاسقاطية كانت تقيس نفس الميول الداخلية للحالات (٢) ٠

وتكنيك **التداعى الحر** Free association احدى الطرق الاسقاطية التى استخدمت فى تحديد الاتجاهات ٠ ويشير ستاجنر stagner الى دراسة لالفريد شاكلى A. Shaklee (١٩٣٩) والتى استخدم فيهـــا هذه الطريقة ، واشار ان حالات شاكلى كان مطلوب منها أن تجرى مقياس للاتجاهات وذلك عن طريق اعادة قراءة المواقف من جديد ويربط تداعيات اخرى بها ، ولقد اتضح أن الحالة التى أجابت على موقف مثلا « بان بلادنا يجب أن تبنى قوة عسكرية قوية » « بنعم » ، كانت مرتبطة مع الافتراض الذى مؤداه اعتقد بأنه يوجد تشابه بين المواطنين الذين يعيشون فى ظل القانون وبين الأمة المحبة للسلام ، وكذلك بين عنصر قطاع الطرق والدولة العسكرية ٠ نحن يجب ان نضرب بالعصا فوق رؤوس الامم المثيرة للحروب كما نفعل ذلك فوق رؤوس قطاع الطرق لان هذا هو الشيىء الوحيد الذى

---

(1) A. Fromme, "On the use of Certain qualitative methods of attitudes research, J. of soc. psy. 13, 1941, PP. 429 : 459.

(2) H. M. Proshansky, "A projective method for the study of attitudes," J. abn. soc. psy. 39, 1943, PP. 393 : 395.

يفهمونه . وعموما فان الترابطات تشير الى مجموعة الافكار التى تدفع الحالة لكى تعطى الاستجابة الايجابية .

والنوع الثانى من الطرق التفسيرية هو ما نسميه بالسلوك المعبر expressive behavior ويستخدم هذا التعبير بمعناه الضيق كما يشير الى ذلك اولبورت Allport وفيرنون Vernon (١٩٣٣) وجدير بالذكر فان معظم الاختبارات التى تقيس السلوك التعبيرى تتصدى لقياس فئات واسعة عريضة من السلوك ، مثل المزاج او الطبع ، او الشخصية ذاتها . كما لا يوجد من الناحية العملية اختبارات للسلوك التعبيرى والتى تقيس الاتجاهات كذلك .

وثمة اختبار بسيط من نوع السلوك التعبيرى هو اختبار ميرا للرسم Mira's drawing test والذى يطلق عليه « التشخيص النفسى للقوى النفسية » Myokinetic psychodiagnosis ، ويطلب من الحالة فى هذا الاختبار وهو معصوب العينين أن يرسم عشرة خطوط بكل يد . وتشير ميرا أن خطوط العميل المتجهة بعيدا عنه تومىء بالاتجاه العدوانى نحو الآخرين ، كما أن الخطوط المتجهة الى العميل تشير الى العدوانية المتجهة الى الذات او الميول الانتحارية ، كما أن الأفراد التى تميل خطوطهم الى الاتجاه الى اعلى منهم عادة معجبون بذواتهم ، ومتعالين ، اما هؤلاء التى تكون خطوطهم متجهة الى اسفل فهم فى العادة مكتئبين ، E. Mira (١٩٤٠) . وبما أن حالات ميرا السابقة هم أفراد غير اسوياء ، فاننا من المستحيل أن نعرف ما اذا كان هذا الاختبار يقيس ميول واتجاهات مماثلة عندالافراد الاسوياء .

وثمة اختبار آخر للنوع التعبيرى وهو اختبار كروت Krout الذى استخدمه لدراسة الاستجابات الاشارية أو الحركات الدالة على الاستغراق فى التخيل ، ويشير كروت انه على الرغم من أن هذه الحركات الدالة على الاستغراق فى التخيل كانت موجهة نحو الفرد ، الا انها بالاضافة كانت تشير الى ميول معينة نحو الآخرين ، ويستطرد بأنه من بين هذه الحركات الدالة على الاستغراق فى التخيل والتى سجل منها كروت اكثر من ثلاثمائة كانت تتمثل فى ضبط الفرد لنظارته واصلاحه لها ، وضع رجل على رجل ، والتثاؤب ، وعلى الرغم من ان هذه الحركات قد تبدو انها عارضة وتافهة الا انها تعكس تبعا لكروت الميول الداخلية نحو المواقف الخارجية . وهكذا فان اصلاح الفرد لنظارته او ضبطه لها قد تكون فى الاصل استجابة عادية لعدم الارتياح فى لبس النظارة ، وربما فى مناسبة أخرى

قد ترمز للاستياء من شخص آخر ، كما ان التثاؤب والذى قد يعبر عن التعب والاجهاد وحاجة الفرد الى النوم ، فقد تشير فيما بعد الى الملل من صحبة فرد ما ، وحيث اننا عادة لا نستطيع أن نخبر اصدقائنا بأنهم يسببون لنا الازعاج او الملل فنحن بالتالى نمنع استجاباتنا ونعبر عنها فى اشكال رمزية او مستترة . وقد يكون هذا التفسير مقنع ، حيث عرض كروت فى محاولته لاثبات صدق ما ذهب اليه ، فلقد قـــام بتنويم حالاته تنويما مغنطيسيا ، وطلب منهم اداء الحركات التى أدوها خلال المقابلة مـــع المختبر . ولاحظ انهم استطاعوا أن يقوموا بأداء الحركات بدقة لا تخطىء تماما ، ووصلت النتائج الى ١٠٠٪ والنتيجة هو أن تلك الحركات التافهة الواضحة لم تكن مجرد نشاطات تطفوا بحرية ، ولكنها كانت بمثابة ميول مترسبة بحزم تجاه انواع معينة من المواقف .

ويمكننا تحليل انواع أخرى من السلوك التعبيرى يمكن الاستشهاد بها ، للاشارة الى جدوى هذا التكنيك التفسيرى فى دراسة الاتجاهات ، والنتيجة التى يمكن ان نتوصل اليها من استخدام كل من التقرير اللفظى والاستفتاء والمقياس والتكنيك التفسيرى ، أنها بمثابة أنجح الوســـائل التى ابتكرها العلماء حتى الآن لدراسة السلوك الانســـانى . الا ان هذه الوسائل يجب أن تستخدم بذكاء ، بالاضافة الى أننا يجب أن نكون على دراية بحدوديتها . فلقد اثبت تكنيك التقرير اللفظى انه اكثر دقة فى تحديد الاتجاهات وذلك اكثر من الطـــريقة التفسيرية . ومهمـــا يكن فيجب الا نستبعد الأخيرة وذلك لانها طريقة نوعية فى القياس النفسى ، وربمـــا فان الخبرة ستبرهن فى المستقبل بأنها افضل من الأولى ، كما انها الطريقة الاكثر ملائمة من الناحية العلمية ، كما انها بمثابة طريقة توحد بين وسيلة التقرير اللفظى والوسائل التفسيرية ، وبالتالى تمدنا بقياس قاطع وشامل للاتجاهات .

ونقطة اخيرة نود الاشارة اليها . وهى حقيقة هامة للغاية يجب ان نضعها نصب اعيننا عندما نتصدى لموضوع قياس الاتجـــاهات ، وهى أن الاتجاهات ذاتها ليست بمثابة ميول أو استعدادات ثابتة ، ولكنها ودائما وظيفة للضغوط الاجتماعية أو الأطر الاجتماعية للبيئة الثقافية . فكما أن الجو الاجتماعى يتغير ، فان الاتجاه النابع من خلاله غالبا ما يتخذ اشكالا والوانا مختلفة ، فالذى كان ذات يوم اتجاه متطرف قد يصبح تحت ظروف اجتماعية وثقافية متغيرة مبدأ محافظا .

# الفصل الثالث

## اطار لدراسة السلوك الانسانى

يشير هوبرت بونز H. Bonner أن لكل علم اما بصورة ضمنية او بصورة واضحة مجموعة من الفروض والتى بها يستمر فى دراساته ، وعن طريقها يتم ترتيب بياناته فى نظام ذو معنى أو علم · وبدون مثل هذا الأطار التصورى يصبح البحث مجرد نبش للحقائق fact-grubbing ·

بدون اية خطة او تصميم قابل للادراك والتمييز · ان عملية تنسيق البيانات والمعلومات هذه بواسطة تلك التصورات والفروض المحكمة فى شكل منظم تمهد السبيل لنتائج واحداث معينة تسمى اطارل عمل Frame work · وعلى هذا فان الاطار هو بالتالى بمثابة مفهوم او مجموعـــة من المفاهيم والتصورات المترابطة والتى توجه البحث والتحليل فى اى علم من العلوم · هذه المفاهيم أو التصورات غالبا ما تعزى الى كينونات او عمليات فى العالم غير اللاحظ ، والتى تساعدنا على تحليل الأحداث فى العالم اللاحظ وعلى ذلك فان اطار العمل ما هو الا وسيلة ذات قيمة حـــدد عن طريق النتائج التى يمكن التوصل اليها · والى الحد الذى يمكنه ان يقرب جزء من الحقيقة التى نبحث عنها ·· جملة القول فانه يسهل عملية التفكير والتنقيب فى البحث العلمى (١) ·

ولقد استخدمت العـــلوم الطبيعية نظام التصـــورات والمفاهيم فى بحوثها ·· ويشير كل من انشتين Einstein وانفلد Infeld الى هذا الاطار الذى يستخدمه العالم فى دراسته بقولهما : ان فى سعينا لتفهم الحقيقة ، فنحن فى محاولتنا هذه نشبه انسان يحاول فهم ميكانزم ساعة مغلقة · فهو يرى وجهها وعقاربها المتحركة ويسمع دقاتها لكنه لا يملك وسيلة لفتح علبة الساعة ، فان كان بارعا فى الحل والتركيب فانه قد يكوّن بعض التصورات للميكانزم المسئول عن كل الاشياء التى يلاحظها ، لكنه لن يكون متأكدا تماما بأن تصوره هو الوحيد الذى يمكن ان يفسر ملاحظاته ، ولكنه يعتقد بصورة اكيدة انه اذا ازدادت معرفته ومعلوماته فان تصوره عن الحقيقة سيصـــبح ابسط وابسط · وبالتالى سيوضـــح آفاقا اوسع واوســـع لانطباعاته الحسية ···» (٢) ·

وفى داخل ( الساعة المغلقة كالعالم الطبيعى الذى يعيش فيـــه ) ، فالعالم الطبيعى يتضح ما يجرى فيه مـــن افعال الالكترونات والبروتونات

---

(1) H. Bonner : Social Psychology, op. cit. P. 36.

(2) A. Einstein & L. Infeld, : The evaluation of physics, New York, Simons & Schuster, 1938, P. 33.

وما شابه ذلك .. ولتوضيح المفاهيم او التصورات فهى اذن بمثابة عمليات مفترضة أو هويات مفترضة والتى تصبح بمرور الوقت مفاهيم لكى تلقى الضوء على ملاحظات العالم . وفى ميدان علم النفس فان المفاهيم والتصورات ايضا تلعب دورا هاما ، فلقد كانت الغريزة ومنذ زمن طويل بمثابة مبدأ تفسيريا هاما للسلوك الانسانى .

واطار العمل الذى سنستخدمه هنا اقل من الناحية التجريدية من الفروض الاساسية للعلوم الطبيعية ، وبلغة المقارنة ، فان مفاهيمنا وتصوراتنا تعزى الى عمليات أو هويات يمكن ملاحظتها بسهولة ويسر . وعلى الرغم من أن العلاقات الصارمة الدقيقة للسلوك الانسانى ليس من السهل دائما اكتشافها .. فان اطار العمل هذا يهدف الى بيان سبب لسلوك الانسانى ، وبيان معللات السلوك الاجتماعى ، لا على اساس المفهوم اوالتصور المنفرد الواحد ، بل كنتيجة للترابط الديناميكى لثلاثة عوامل هى :

| | |
|---|---|
| (١) العوامل الوراثية | Biological Heritage |
| (٢) التفاعل الاجتماعى | Social Interaction |
| (٣) التكيف الثقافى | Cultural Conditioning |

وسنوضح فى ثنايا الصفحات التالية .. العوامل الثلاثة سابقة الذكر والتى فى رأينا نراها كمسببات للسلوك الانسانى بصفة عامة .

**اولا : الوراثة البيولوجية :**

واحدة من المناقشات غير المثمرة فى العلوم السلوكية تلك التى تهتم بمشكلة الوراثة فى مقابل البيئة .. حيث يشير بعض الكتاب ان المعلومات المستمدة من البيولوجيا بوجه عام أقل دلالة من النواحى الثقافية والاجتماعية .. على نقيض ما نجده عند انصار الوراثة حيث ينوهون بالعوامل الوراثية فى السلوك الانسانى والشخصية متجاهلين نسبيا العوامل الثقافية والاجتماعية . ويجب على عالم النفس الاجتماعى الذى يدرس السلوك الانسانى من وجهة النظر الانثروبولوجية أو الاجتماعية بان يأخذ موضوع الوراثة البيولوجية للانسان بجدية ، ويتبين سبب السلوك الانسانى على أساس الترابط المتداخل للامكانيات البيولوجية الموروثة والتأثيرات الثقافية الاجتماعية المنقولة من جيل الى جيل آخر .

فالبناءات البيولوجيةللاورجانزم الانسانى مسئولة ولو بصورةجزئيةعن الفروق الفردية فى الذكاء والتعلم ، وشدة الدوافع وقوتها وما شابه ذلك،

ومن المحتمل انها تلعب دورا فى الاستعدادات الفردية نحو انواع معينة من الاضطرابات السيكرثوماتية ٠

انه من المستحيل فى المرحلة الحاضرة لمعرفتنا ان نحدد بدقة ما هى المظاهر من الشخصية الكلية تعزى الى العوامل الوراثية ، فالشخصية نظام معقد ومن الصعب أن نحدد شخصيات معينة ترجع الى محددات وراثية ، وطبقا للنظرية الوراثية التناسلية الحديثة فان سمات نوعية لا سمات عامة تنقل من الآباء الى الابناء ٠٠ ونظرا الى الصعوبة فى تحديد سمات معينة ، فانه من الافضل نظريا اعتبار العوامل البيولوجية ليست كمسببات ولكنها تحدد العوامل التى تؤدى الى نمو الشخصية ، وهكذا فان تاثير العوامل البيئية على طفل ذو جهاز عصبى تالف مختلف تماما عن ذلك التاثير على طفل ذو جهاز عصبى سليم ومن وجهة النظر هذه ، فان العوامل الوراثية عندئذ لا تسبب ولا تحدد الشخصية ولكنها تضع حدودا وراء البيئة غير القادرة على التأثير الفعال أو التحكم فى النمو السيكولوجى للفرد ٠

وجدير بالذكر فانه ليس من الممكن فى جميع الحالات ، باستثناء حالات قليلة ـ تحديد الى اى مدى تكون خواص السلوك نتيجة مورثات وعموما فانه ليس من الضرورى لنا ان نناقش المسألة المعقدة لدور الوراثة فى سلوك الانسان . ومن الممكن ان نضيق اهتمامنا فى الوراثة بأن نضع فى الاعتبار تلك العوامل الفسيوسيكولوجية والفطرية والتى من وجهة نظرنا تلعب دورا هاما فى تحديد السلوك الانسانى ، كالجهاز العضلى والنشاط الغددى . والجهاز العصبى . والحاجات الأساسية الكائن الحى ٠

### (١) الجهاز العضلى : Musculature

ان الدور الذى تلعبه العضلات فى سلوك الانسان يجب ان يطرق بجدية ، فان درجة اتزان او اضطراب الشخصية موضوع يرجع الى توتر العضلات . فعندماتصل العضلات الى درجة من درجات التوتر بأن الفرد يشعر بالاسترخاء ٠٠ كما نلاحظ انه اثناء الخوف او الاضطراب توجد زيادة كبيرة بنشاط الفرد العضلى خاصة العضلات الدقيقة للامعاء والمعدة ٠ ولقد عرض كل من جاثرى Guthrie وادواردز Edwards (١٩٤٩) الى هذه العملية بشىءمن الايجار حيث اشارا الى :

« ان انقباض العضلات ، تفعل اشياء كثيرة اخرى كذلك ، الا أن النشاط الاكبر للعضلات هو فى انقباضها . فعن طريق الانقباض هذا يتحرك الجسم ، ويطرد او يدخل الهواء ، وتجعل الاحبال الصوتية تتذبذب ،

وتؤدى اشياء للعالم الخارجى ، كما تساعد الانسان على ان يتصل بالافراد الآخرين .. » (١)

### (٢) الأنشطة الغددية : Glander Activities

يعتبر الجهاز الغدى من اهم الاجهزة فى جسم الانسان والتى تؤثر فى الانسان ككل .. فنشاط الغدد تؤثر على ميول الفرد او المزاج الخاص للفرد . واهتمامنا سينصب اساسا على الغدد الصماء eneócrine glands وهى الغدد التى تصب افرازاتها مباشرة فى الدم وتؤثر فى نمو الجسم والنشاط الجنسى وعملية احتراق الكالسيوم والسكر المترسب فى الدم .

وعديد من الاضطرابات السلوكية قد ترجع الى وظائف الغدد الصماء فاذا كانت الغدة الدرقية مثلا ليست نشطة ، فهذه الحالة تسبب أعراضا سلوكية مثل ضعف القدرات العقلية والنشاط الجسمى ، والميل نحو السمنة والخمول الزائد وما شابه ذلك . واذا كانت الغدة الدرقية من وجهة اخرى ذات نشاط زائد فان الاعراض الناتجة عن ذلك عادة ما تكون النشاط الزائد وحده الطبع والقلق ، والأرق .

### (٣) الجهاز العصبى : The nervous System

توصيل اجهزة الاستقبال والمؤثرات receptors & effectors عملية عصبية متشابكة ومعقدة للاعصاب ، ونقطة الاستقبال العصبى بينها هو ما يسمى بالجهاز العصبى . ويوجد جهازين من هذا النوع ، الجهاز المركزى ، والجهاز اللاارادى . والجهاز المركزى العصبى يتكون من المخ والنخاع الشوكى ، وهو مركز جميع المسالك والاتصالات والتى عن طريقها تنتقل البواعث impulses من اجهزة الاستقبال الى المؤثرات effectors

والجهاز العصبى اللاارادى autonomic يتحكم فى نشاط الغدد والقلب والكبد والمعدة والامعاء .. الخ .والجهاز العصبى المركزى اساس الذكاء والتعلم ، وهو أحد أهم الاجهزة التى ساعدت الانسان على النضال والبقاء . والانسان له مميزات كبيرة عن باقى الحيوانات فهو لديه القدرة على التعلم والابتكار لنماذج جديدة من التكيف فبدون هذا الجهاز العصبى المتعالى المعقد لا يستطيع الانسان ان يفعل هذه الاشياء السابقة ، بالاضافة الى ان الكائن الآدمى بدون هذا الجهاز يصبح من الصعب عليه

---

(1) Guthrie, E.R. & Allen, L.E dwards : Psychology, A first course in behavior, New York, Harper, 1949, P. 49.

اختراع لغة وادوات ووسائل اخرى للتحكم فى بيئته • وفى الحقيقة فان احد الفروق الهامة بين الكائن الآدمى وسائر الحيوانات الاخرى هو قدرة الأول الفائقة على التعلم وقدرته على الابتكار والاختراع واستخدام الكلمات •• وهذه بمثابة هبـــات بيولوجية يهبها الله الى الوليد البشرى ؛ وليست قدرات مكتسبة •

**(٤) الحاجات الأساسية للكائن الحى :**

Basic needs of the organism

كل كائن حى يتميز بوجود ثمة توترات لديه ، والتى نسميها بالحاجات، والحوافز والدوافع • فالحافز drive هو حالة من عدم الاتزان لدى الكائن الحى • فكل كائن يناضل من أجل المحافظة على توازنه ومن اجل ان يقلل التوتر لكى يشبع حاجاته • وجدير بالذكر فانه فى بداية تكون افعال الرضيع ، فان ادراكاته وافعاله تتمركـــز فى اغلب الاحوال فى اشباع حاجاته البيولوجية ، ويشير جيزل Gesell ( ١٩٣٤ ) أن الطـــفل الصغير لا يكون متأثر بأى طرق مختارة بواسطة هؤلاء الذين حوله ، اذ ان اهتمامه الاساسى يتمركز فى اشباع حاجاته البيوجينية biogenic وخلال حياته يتأثر بعدة طرق لأداء هذه الحاجـــات البيوجينية الاساسية كالجوع والعطش والنوى والجنس•ومهما تكن القيود الاجتماعية فانها بمثابة عنصر لا يمكن تجاهله فى التنظيم الانسانى ككل للسلوك الانسانى • وفى الحقية فا الوصول الى حياة كاملة صرفه sheer life يتوقف على الاحتفاظ بالتوازن الدائم للكائن عنطريق اشباع حوافزه الاساسية •

هذه الحوافز أو الحالات الفسيولوجية هى بالتالى حـــالات هامة للسلوك الانسانى ، اذ انها توضح أن الكائنات البشرية مخلوقات ذات نشاطات فسيولوجية وكذلك ذات توقعات اجتماعية الى حد أن السلوك الانســـانى يتأثر بالحاجات الاساسية الفسيولوجية « أو الحوافز الحيوانية » ويجب على دارسى علم النفس الاجتماعى أن يولوا الاهتمام الى ذلك •

**تفسير الطبيعة الأصلية**

الملاحظات السابقة عن الهبـــات الفسيولوجية للوليد البشرى تتطلب منا تحليــــلا ابعد من ذلك ، • فالوراثة ، والعوامل الفطـــرية ، والميول او الاستعدادات التفاعلية وما شابه لا يمكن أن تتعـــارض مع البيئة ، والميول المكتسبة والطبيعة الاجتماعية للانسان على الجانب الآخر • وحقيقة الامر فان كل من البيئة والوراثة لا ينفصلان ، فليست الوراثة فى مقـــابل البيئة أو العكس ، وهى ما يجب أن يضعه دارسى علم النفس الاجتمـــاعى

نصب أعينهم عند دراسة سلوك الانسان ٠ ومن وجهة النظر النمائيـــة ، فان نمو الشخصية يعتمد فى جوهره على التفاعل بين كـــل من العوامل الوراثية والعوامل البيئية ٠ ويشير براون Brown (١٩٣٦) الى هذا المنحى بقوله ، الى انه نتيجة للتقدم العلمى الذى طرأ على العلوم السلوكية ، ان بعض الصفات الطبيعية الاصلية اليوم ربما نتيجـــة للمعرفة الكبيرة والتحكم فى العوامل التكوينية الجنينية ، قد تصبح مكتسبة فى طبيعـــة الانسان فى المستقبل القريب ٠ وهذه وجهة النظر الاجرائية لمشكلة الوراثة والبيئة ، اذ تؤكد حقيقة بانه من الناحية الوراثية لا شيىء ثابت ودائم(١)٠

كما ان دراسات نمو الشخصية وتطورها ، تميل الى الاسباب المتعددة فى نموها ، حيث تأخذموقفا وسطا بين مؤيدى مذهب البيئة المتطرف ، ومؤيدى مذهب الوراثة المتطرف ٠٠ كما ان هذا المنهج الوسط يرجـــح نسبيا جانب البيئة ٠ وفى ذلك يشير كالمان Kallmann (١٩٣٨) اذ يقدم دراسة دقيقة وشاملة عن العوامل الوراثية للشيزوفرينيا ، ومعان نتائجه تناقض قوانين مندل فى الوراثة ، حيث اشـــارات النتائج الى ان مرض الشيزوفرينيا ليس مرضا مورثا ٠٠ الا انـــه يرفض هجر هذه الفكـــرة بكليتها ٠ فالمرض العقلى كما يشير كالمان وراثيا رغم نتائجه التى لم تؤيد هذا الزعم ٠

ويوجد اثنان من المفـــاهيم القبلية مازالا يتداولا فى عـــلم النفس الانسانى والتى تسبب الفوضى والنتائج الخاطئة ٠ احدهما هو التحيز الى علم النيروفسيولوجى ٠ ووجهة النظر هذه تدعم الطبيعية الفطـــرية او العضوية للشخصية الانسانية ٠ وعموما فـــان دارسى السلوك الانسانى المتأثرون بوجهة النظر هذه يتأثرون بصـــفة خاصة ببراهين علم الامراض العصبية او التلف المخى والتى ترتبط ببعض انواع الاضطرابات العقلية ٠ ومن خلال هذه البراهين يخرجون الينا بنظريات عـــامة تتعلق بالسلوك الانسانى ٠

والمفهوم القبلى الآخر هى المغالطة الاجتماعية Sociological Fallacy فالعديد من الاجتماعيين من ناحية بسبب جهلهم بالبيانات البيولوجية ، وبسبب التعميم المتسرع المبنى على بيانات علم الاجتماع وعلم الانثروبولوجيا من ناحية أخرى ، نجدهم قد تأثروا بصورة كبيرة بالتنوع الواسع للسلوك

---

(1) Brown, J. F. : Social psychology and the social order, New York, McGrow Hill book Co. 1936, PP. 263 : 264.

الانسانى . وفى هذا الاطار العقلى فاننا نراهم يميلون الى تقليل اهمية العوامل العضوية للسلوك ، ويعلون من اهمية العوامل الاجتماعية والثقافية.

والاتجاه المنطقى يتمثل فى هؤلاء الذين يتخذون مركزا وسطا ، مشيرين الى ان سلوك الانسان هو عملية بيولوجية اجتماعية biosocial ونحن نعتقد ان سلوك الفرد لا يمكن أن نلقى الضوء عليه وبصورة ملائمة لا على أساس العوامل العضوية ، كما يصفها العالم البيولوجى ، ولا على اساس التفاعل الاجتماعى كما يشير اليها أخصائيو علم الاجتماع .. بل على النقيض من ذلك فيجب علينا ان نضيف بعدا آخر لتحليلنا ، فيجب ان نحاول تحليل سلوك الانسان على اساس ما تعنيه الخبرة للفرد البيولوجى الاجتماعى .. فهذا المعنى مشتق من المجال الكلى للفرد – فى – بيئته .

## ثانيا : التفاعل الاجتماعى :

التفاعل الاجتماعى مفهوم جوهرى واستراتيجى فى علم النفس الاجتماعى المعاصر ، لانه فى حقيقة الأمر الذى يشكل جوهر الشخصية الآدمية ، والعلاقات الاجتماعية المتداخلة للفرد مع الآخرين . فعندما يطلق على الانسان ، انه كائن اجتماعى ، ليس بسبب طبيعته البيولوجية ، ولكن بسبب اشتراكه وتقاسمه الحياة فى ظل الجماعة الاجتماعية .

### الطبيعة العامة للتفاعل الاجتماعى :

التفاعل الاجتماعى هو نوع من العلاقات بين شخصية او اكثر حيث نجد أن سلوك الفرد يتأثر ويتعدل بسلوك الآخر .. ومن خلال المثيرات والاستجابات المتداخلة فان الكائن البيولوجى يتغير ببطء الى كائن انسانى او شخصية . فبكاء الطفل وصياحه نتيجة الألم أو الجوع مثلا ، بمثابة سلوك مثير عند الأم وبالتالى قيامها بالاستجابة لوليدها بجلب شيء سار ومريح له ، وليكن الطعام لخفض التوترات الناشئة عند الطفل . فالسلوك الصادر من الطفل يصبح بمثابة مثيرا اجتماعيا لاستجابات اخرى تقوم بها الأم كحمل الطفل او العناية به وهكذا .. فكل فعل فى العملية الكلية يخرج فعلا آخر وهلم جرا .

فالتفاعل الاجتماعى ليس بمثابة عملا مشتركا موجها من فرد الى اخر ، بل هو بالاضافة تفاعل ذاتى Self reaction . ، تفاعل متداخل مع الذات . فالطفل لا يستثير الآخرين فقط ولكنه يستثير ذاته ايضا فى نفس الآن . ويتضح ذلك فى الإشارات الصوتية الذى يصدرها الطفل فانها تؤثر على ذاته بطريقة مشابهة لتأثيرها على الآخرين المحيطين به . فالطفل يتكلم مع

نفسه كما نلاحظ ذلك فى اللعب ، وصوت كلماته ودلالة الاشارات الصوتية تحدث فى ذاته نفس تأثيرها على الآخرين . كما أنه يستجيب لمثيراته ويؤثر على سلوكة الخاص بطريقة مماثلة لتلك التى يستجيب بها الآخرين اليه ويتأثرون بأفعاله . وعلى ذلك فان التفاعل الاجتماعى فعل متبادل reciprocal action ، يكون فيه كل فرد فى العملية مقتسما ومشاركا ويكيف نفسه للأفعال الصادرة من الآخر .

ويشير جورج ميد G. H. Mead (١٩٢٢) الى هذه العملية وهو يعتبر أول من تكلم فى عملية التفاعل الاجتماعى فى علم النفس الاجتماعى ، نجده يشير الى هذه العملية بالرجوع خاصة الى عملية ظهور الذات فيقول :

« تظهر الذات وتبزغ فى صورة سلوك ، عندما يستخدم الفرد الاتجاهات أو يستخدم الاشارات التى يستعملها فرد أخر ويستجيب لها ، فالطفل يصبح بالتدريج كائن اجتماعى من خلال خبرته ، ويسلك نحو ذاته سلوكا مماثلا لذلك الذى يسلكه نحو الاخرين » (١) .

ولقد قدم الانثروبولوجى رالف لينتون R. Linton عديدا من الدراسات التى تناولت الكثير من المجتمعات والشعوب البدائية . كما قام كاردينر A. Kardiner بتفسير كثير من عوامل التفاعل الاجتماعى لدى هذه المجتمعات ، فالجماعة الأولية فى نظرة والتى تقوم بتربية الطفل تقوم بدور كبير فى تكوين أساس شخصيته .

جملة القول فان التفاعل الاجتماعى فى نهاية الامر وفى ابسط صورة عملية نفسية حق معقدة مركبة .. عملية تكاملية منظمة . والجوانب المختلفة المتضمنة فى عملية التفاعل الاجتماعى والتى سنتناولها بشىء من التحليل تتمركز فى :

أ ــ الاتصال : Communication

ب ــ التوقع: Anticipation

جـ ــ ادراك الدور : Role perception

د ــ دلالة الترميز : Significant symbolization

## ( أ ) الاتصال :

يؤدى الطفل الانسانى كثير من الانشطة البدائية مثل الصراخ

(1) H. Bonner : Social psychology. Op. Cit., P. 42.

والأنين والضجر والتبرم ، بسبب اعتماده على الاخرين فى اشباع حاجاته الأولية • ويسمع الوليد صوته عند قيامة بهذه الافعال ، ويستجيب بالنطق او عن طريق الفاظ صوتية وتقليد ما يسمعه • ويكرر الطفل هذه الاصوات ، وعن طريق التعلم الاشتراطى يتعلم الطفل كيف يربط الطفل هذه الاصوات بالافعال التى يؤديها الشخص الأخر المكلف برعايته • ومع الوقت وبمرور الوقت يستطيع الطفل ان يربط اصواته بالاشياء والافعال من حوله حتى ولو اصبحت الام لا تحدث مثل هذه الاصوات فى وجوده ، فلقد ربط الطفل فى خبرته الخاصة بين صـــوت كلماته والفاظه والتعبير عن أحاسيسه ومشاعره وبين الاشخاص والاشياء فى البيئة المحيطة به • فلقد اصبح بالتالى قادرا على توصل رغباته ومطالبة ، فالبكاء الأن يعنى الزجاجة او البزازة ، أو صدر الام ، أو الهدهده المريحة من الام • والصوت الأن كذلك سيكون مرتبطا بالاستجابة الصادرة من الشخص الأخر •

كما أن الطفل يتعلم معانى الاصوات من نشاط المثير والاستجابة التى تجرى بينه وبين امه ، بنفس الطريقة التى تعلم بها افعال مبكرة اخرى عديدة عن طريق عملية الاشتراط الاجتماعى • وبنمو الطفل ونضجه يتعلم على الفور بأن الاتساق مع المثيرات الصـــوتية من حوله يؤدى به الى مكافات متنوعة ، وبالتالى يصبح سلوكة متفقا مع التوقعات اللفظية الاخـــرى للآخرين •

وفى أيام الطفولة المبكرة فان عملية الاتصال لا يمكن تمييزها من الناحية الاجتماعية ، فالاصوات التى يسمعها والصادرة من امه وسلوكها نحوه ، ليست فى كليتها حاضرة فى وعيه ومنفصلة بعضها عن البعض الآخـر ، ولكنها بداخل نظام استجابته • انه يتعامل مع العالم الخارجى وكأنه جزء لا ينفصل عن ذاته ، فالام وسلوكها نحوه ليست فى كليتها بمثابة ظاهرة موضوعية ، ولكنها بمثابة جزء من نفسه • وعلى ذلك فان نشاطات الطفل الاتصالية المبكرة تكون فى جوهرها باطنية استدماجية introjective فهى تنصهر وتندمج فى الانماط الســلوكية للاخرين ، أو انها تدمــج « اللاذات فى الذات » كما يشير الى ذلك ميد Mead ويستطرد بقوله أن عملية الاستدماج هذه بداية للتعاطف وأول خطوة يخطوها الطفل لتفهم الأخرين •

وجدير بالذكر فلقد اشار جان بياجية Piaget الى هذه الظاهرة النمائية حين فرق بين نوعين من كلام الطفل :

أ ـ الكلام المتمركز حول الذات •

ب ـ الكلام المكيف للمجتمع •

ففى النوع الأول لا يهتم الطفل بمعرفة الى من يكون كلامه أو أن يستمع اليه شخص اخر . أما الكلام المكيف وهو الذى يعنينا فى هذا الموضوع - الاتصال - فيقصد به الكلام الذى يوجهه الطفل الى شخص يستمع اليه ، حيث يضع فى ذهنه عند الكلام اليه وجهه نظر هذا المستمع ، فيحاول التأثير فيه والتأثر به من خلال الاسئلة والاجوبة والنقد والأمر والتهديد .

## (ب) التوقع :

فى تحليلنا السابق لعملية الاتصال ، فان عامل التوقع قد يتضح فى سياق الكلام .. ففى مثال التفاعل بين الطفل وأمه ظهر الكثير من التفاعلات التوقعية . فعندما يبكى فانه يتوقع أن الام ستحضر اليه ، وعلى ذلك فان البكاء أو الصراخ اصبح له دلالة بالنسبة اليه ، بمعنى قيام الأم بعمل مريح نحوه كالرضاعة مثلا . وبالتالى فانه يكيف سلوكه نحوها بطريقة تؤدى الى اشباع رغباته . فعملية التوقع اذن من جانب الطفل بمثابة عامل آخر فى اتمام الفعل الاجتماعى ، والطفل الذى لا يستطيع تعلم توقع ما سيفعله الاخرين ، يفشل فى أن يصبح ناضجا ذو صفة اجتماعية كلية .

وبينما تكون هذه العملية فى المراحل الأولى لنمو الوليد البشرى تعتمد الى حد كبير على المستوى الحسى الادراكى Perceptual انها بعد ذلك وبالتدريج تصبح فى صورة مقنعة واكثر تجريدا ، فتكون فى البداية فى صورة تذكر ثم بعدها فى صورة تخيل وبعدها فى صورة فكر وتفكير . والطفل لا يستطيع أن يكون اتجاه التوقع نتيجة تكرار الفعل فحسب ولكن بالاضافة نتيجة للتفاعل الاجتماعى الذى يحدث . والعملية الاجتماعية التى تحدث هى عملية التقمص identification . فاستجابة الطفل لافعال امه مرتبطة بشده بهذه الافعال ، انها فى الحقيقة جزء منه . ويصف كمبل يونج K. Young هذه العملية بقوله :

« عندما تفسر الام صراخ الطفل وايماءاته ومؤثراته الجسمية على انها دليل بانه يريد أن يطعم ، فان حركاته تصبح بالتالى ذات اهمية له . لانها ستؤدى به الى أن ياخذ ثدى أمه ليرضع من لبنها . ولكنه لا يستطيع ان يكافىء - فى الحقيقة - الا اذا استطاع أن يكيف أفعاله لافعالها . انه يتعلم أن يضبط ويوجه أفعاله على اساس ما يتوقعه الاخر منه . اى ان اول معنى للجوع واشباعه تكون محصله من أفعال امه تجاهه ، وكذلك من أفعاله نحوها (١) .

---

( 1 ) H.Bonner, Ibid, p.44

**(جـ) ادراك الدور :**

حاول الفلاسفة وعلماء النفس منذ قرون تحديد الفروق الاساسية بين الانسان والحيوان ‥ ولقد كانت الاجابات متعددة ‥ احداها أن الانسان على نقيض الحيوان له روح soul وعقل وذكاء ٠ ومن وجهة نظر عملية التفاعل الاجتماعى تجيب اجابة اخرى وذات اهمية اكبر ، فى أن الانسان يختلف عن الحيوان لانه يستطيع ان يرى نفسه من خلال رؤية الاخرين له ، ولانه يستطيع ان يخبر اتجاهات وافعال الاخرين ٠ والانسان هو حيوان ذو دور معين ، كما أن الشخصية بمثابة طريقة من السلوك نعزوها للاخرين لاننا ندركها فى ذواتنا ، ولاننا نستطيع بالاضافة ان نتخيل ونتصور ونشعر ونحسن ونفكر ونفعل ما يحس ويشعر به الاخرين ، وما يفكرون وما يفعلون ٠ فالسلوك اذن يفسر على اساس التفاعل الاجتماعى وادراك الدور ، أو من خلال انواع الخبرات واشكالها التى خاضها الفرد عن طريق تقاسمه واشتراكه فى علاقات شخصية مترابطة مع افراد اخرين فى الجماعة ؛ ويرتبط الدور بمشاركة استجابات الآخرين ٠ فالشخص الذى يكون لديه مهارة القيام بالدور يستطيع أن يتعرف وبسرعة على وجهات نظر الآخرين ٠ فالحيوانات تعتبر بمثابة كائنات معوقة عقليا ، كما ان الذهانيين ينقصهم هذه القدرة على ادراك ادوارهم فى عملية تفاعلهم مع الافراد الآخرين ٠

ان اداء الدور مرتبط بصورة وثيقة بالتوقع لردود فعل الآخرين ٠ والشخص الذى يكون لديه هذه المهارة الاجتماعية يستطيع ان يتفهم وجهات نظر الاخرين بسرعة ‥ كما ان الشخصيات الجامدة الصارمة هم هؤلاء الذين يفتقرون الى بعد النظر ؛ ويفتقدون الى المدركات التى عن طريقها يغيرون ويعدلون أنماط سلوكهم مندور الى اخر ٠ فعندما يواجهون بأمور طارئة او أزمات معينة عادة ما يكونون غير قادرين على تحويل الرؤيا ، حيث يصرون على نفس نوع التفاعل ‥ ان استبصار الفرد هو الى حد كبير ما يتيح له مهارة ادراك دوره ، وفى تحويل رؤيته الى مواقف جديدة ٠

ان عملية الاتصال والتى بدانا بها مناقشة عملية التفاعل الاجتماعى تصبح بالتدريج وسيلة مؤثرة فى عملية التكيف كلما تطور ليكون وسيطا لأداء الدور ٠ فعندما يقوم الطفل باداء دور امه او ابوه ، فانه يقلد افعالهما ، ويدمجها فى سلوكه ؛ ويؤديها على انها افعاله ٠ وبهذه الطريقة فانه يتكلم ويسلك ويفعل كما يفعلون ويسلكون ويتكلمون ٠ وكلما اتسعت مجال مشاركته فانه يتعلم ان يؤدى ادوار اخرى ؛ وتزداد اكثر واكثر مجال رؤيته ٠ وبالتالى يتعلم أن يسلك كما يسلك الاخرين داخل ثقافته ٠

## ( د ) الترميز للهادف :

بمرور الوقت ، يصل الطفل الى مستوى عال من التعقيد في اداء دوره في التفاعل مع الاخرين ٠ وفي نفس الوقت يكتسب ببطء لغة تقليدية متفق عليها ، وبالتالى القدرة على ترميز الاشخاص والاشياء والاحداث في غيابها ٠ وتبكيره في عملية النطق العلني والصريح فهو يستطيع أن يستبدل الرموز ويفسرها في معظم الاحايين في استجابات مستترة غير صريحة ٠٠ ولزيادة الايضاح فانه من المفيد ان نفرق بين الاستجابة الاشارية والاستجابة الرمزية ٠

الايماء أو الاشارة شيء نتفاعل معه بصورة مباشرة ، والاستجابة الاشارية تبعا لذلك بمثابة تفاعل فورى غير مشروط آلي وتلقائي ٠ وعلى ذلك فان استجابة الطفل المباشرة لصدر امه او لزجاجة الرضاعة بمثابة استجابة اشارية sign - response والاستجابات الاشارية تشكل جزءا كبيرا من التفاعلات والتى عن طريقها يحصل الكائن على توازنه ويؤكد بقائه ٠ ومما هو جدير بالذكر فان العملية المبكرة في الاتصال للطفل تتكون الى حد كبير من مثل هذه الاستجابات الاشارية ، كما أن عملية التفاعل الاجتماعي في هذه الفترة ونموه تكون في حدها الادنى ، ويرجع ذلك الى جدب الاستجابات الرمزية ٠

والرمز بديل لشيء ، شيء نتفاعل معه بصورة غير مباشرة كما يوجد فترة تأخير تتضمن الاستجابة الرمزية والتى من خلالها يتم الانعكاس reflection وتقييم الموقف ، فالاستجابة الرمزية عملية تتضمن فترة يحـدث خلالها التفكير وانعكاس الذات ، انه بمثابة سلوك معرفي أو سلوك انعكاسى كما أن الاشارة في هذه الحالة تكون شعورية ، أو تأخذ معنى شعور بالذات ٠٠ وكما يقول ميد Mead تصبح الاشارة رمزا ذو معنى ودلالة ، والصفة المميزة للرمز ذو المعنى هو انه يستخدم بواسطة الكائن الأدمى لكى يستثير نفسه ٠ والتفاعل الرمزى في جوهرة بمثابة استشارة ذاتية ٠٠ ولا يوجد دليل عن سلوك الحيوان بانه يستخدم هذه الرموز ذوى الدلالة ٠ فالحيوان لا يستثير نفسه ولا يستجيب لمثيراته الذاتية ٠ والاشارة تصبح رمزا ذو دلالة عندما يكون لها نفس التأثير على الفرد الذى يفعلها والفرد الاخـر الموجهة اليه ٠ ووظيفة هذا النوع من التفاعل الرمزى بين شخصين أو بين شخص ونفسه هو في حقيقته اتصال اجتماعي او لغة ٠ كما أن فعل مخاطبة شخص أخر لها نفس التأثير على الشخص المخاطب ٠ فنحن لا نستجيب فقط لشخص اخر ، ولكننا نستخدم المثير المدرك apprehended من الشخص الاخر بالاستجابة اليه بانفسنا ٠

وفى محاولة لتوضيح هذا الجانب من عملية التفاعل الاجتماعى نجد ميد Mead يقارن السلوك الرمزى للانسان ، مع السلوك الاشارى عند الحيوان « كلب » . فعندما يوجه الكلام الى الكلب فانه قد يقف على أرجله الخلفية ويمشى . وذلك لان الكلمات بمثابة اشارات ولكنها ليست بمثابة رموز ذات دلالة ومعنى ، انه لا يستطيع أن يستثير نفسه بنفس الطريقة التى بواسطتها يستثار من الاخرين . على عكس الانسان نرى الكلب حيث لا يستطيع ان يكيف انعكاساته الذاتية . ان خاصية الترميز الهادف فى كلام الانسان تعنى هذه العملية فى رمزية التشريط الذاتى symbolic self-conditioning وتحدث بصفة مستمرة وفى كل الاوقات .

### ثالثا : التشريط الثقافى :

فى تحليلنا عن دور عملية التفاعل الاجتماعى فى بناء نماذج الشخصية ، قد جذبنا الانتباه لحقيقة ان الشخصية هى جزئيا نتيجة لانواع من الخبرات التى عاشها الفرد بحكم مشاركته فى علاقات شخصية حميمة مع اعضاء اخرون من جماعته ، وخاصة الاولية « الاسرة » . وهذا التقمص لاعضاء الجماعة بعضها مع البعض الاخر ، وهذا الاهتمام من جانب الفرد الى الاخر يدعو الى شىء من التفسير والايضاح . وهذه المشاركة من الاهمية بما كان مثل البناء السيكولوجى للجماعة قد يكون سلوكا تشريطيا ، الا ان هذا وحدة قد لا يكون السبب فى تكوين الصفات الاجتماعية للانسان . أن القدرة على القيام بدور شخص آخر والتى تعتبر عاملا هاما فى عملية التفاعل الاجتماعى ، لا تذهب بعيدا ما فيه الكفاية ، وذلك لان القيام بدور ما من المهم ان يكون مشروطا بالتناظر الثقافى بين شخصيتين . وبصفة عامة فكلما كان التفاوت الثقافى الموجود بين شخصيتين كلما كانت التفاعلات الرمزية بينهما اقل ، كلما تزايدت بالتالى المسافة الاجتماعية بينهما . ففى حين أن العوامل النفسية الأولية مثل الحاجة للحماية والاستقرار ، والامن والدوافع النفسية الاولية مثل الجوع والجنس قد ينشأ عنها تفاعل اجتماعى أولى بين الناس ، الا ان هذه التفاعلات ليست كافية لكى تشكل بصورة بارزة سير نمو الشخصية لدى كل منهم ، وذلك لان الكائن الانسانى لا يتفاعل فقط مع الافراد الآخرين فى الجماعة ، ولكنه ايضا يتفاعل مع المحتوى الجماعى أو التراث الاجتماعى Social heritage انه يعيش فى عالم من السلوك الشعبى folkways والاخلاق والمؤسسات الفكرية والثقافية .. والاساس العام الذى يبنى عليه تفاعلاته مع الاخرين هى الثقافة . والثقافة تبعا لذلك بمثابة القالب الهام ، واساس الشخصية والسلوك الانسانى .

## ـ مفهوم الثقافة :

لا تستخدم الثقافة بمعناها الضيق فى علم الانثروبولوجيا الاجتماعيه كعملية تربية او كعملية تهذيب ، كما انها لا تتضمن اعتبار او تطبيق المركز • فالثقافة فى جوهرها طريقة واسلوب حياة الافـــراد ، وبدقة اكبر فان مصطلح الثقافة عادة ما يعزى الى التنظيم العام للافكار الكلية والاشياء التى من صنع الانسان او من نتاج براعته ، وطرق واساليب عمل الاشياء التى يشارك فيها اعضاء مجتمع معين وتعتبر « يشارك » فيما يتصل بهذا التعريف يجب انْ يفهم ليس فقطمن الناحية الخلقية او الاقتصادية ، ولكن كذلك بالمعنى النفـسى الاجتماعى حيث تعنى ان طرق واساليب عمل الاشياء شائع لاثنين او اكثر من اعضاء الجماعة ، وبالتالى فانهم يستجيبون بطريقة مماثلة تجاه العادات السائدة فى المجتمع •

## ـ الثقافة والمجتمع :

كثيرا ما نجد الانثروبولوجيين يفرقون بين الثقافة والمجتمع ، بينما الاثنين ليسا فى حقيقة الامر ظاهرتين مستقلتين • وبالتالى فالتمييز بينهما ليس الا مجرد مواربه ومراوغة •• فالثقافة كما راينا طريقة واسلوب فى الحياة ، واسلوب الحياة دائما من خواص الناس وعلى ذلك فالثقافة لا يمكن ان توجد بمفردها • ان مجموع الافراد الذين ينتهجون طريقة معينة للحياة هو المجتمع • وبايجاز فالمجتمع يتكون كما يشير الى ذلك هرسكوفتس من الافراد ، كما ان الطريقة التى يسلكوا بها ما هى الا بمثابة ثقافتهم (١) •

وربما لا يوجد دلالة حقيقية للانسان اصدق من تراثه الثقافى • فالحيوانات الاخرى مثل الكائنات الاجتماعية كالنحل والنمل لها مجتمعات ويجبها الانسان بوجود ثقافة له • كما يوجد تمييز هام بين السلوك الفسيولوجى للحيوان الاجتماعى ، والسلوك الثقافى للكائن الادمى • فالنماذج السلوكية للاول هى الى حد كبير متوارثة بيولوجيا ، على حين ان السلوك الثقافى للانسان مكتسب اجتماعيا ، كما ان عملية التعلم المحددة ثقافيا عند الانسان ، تستلزم تفسيرا نفسيا اجتماعيا ، وليس تفسيرا بيولوجيا موروثا كما هو الحال عند الحيوانات •

جملة القول فعلى الرغم من ان كل من الانسان والحيوان ما هى الا حيوانات اجتماعية ، الا ان الانسان فقط الذى له تراث ثقافى • وسيلة

(1) Herskovits, M.J. : Man and his work, New York, Kropf, 1948, P. 29.

بارعة ومتعددة الجوانب الى حد انه قادر على استخدامها فى ضبط وتغيير وتبديل بيئته لمصلحته الشخصية ٠

## ـ روح الجماعة : Ethos

فى تعريف الثقافة على انها الافكار الكلية المنظمة ، والاشياء التى من صنع الانسان ومن نتاج براعته ، وطرق أداء الاشياء ، فاننا سنخفق فى توضيح حقيقة هامة عن الثقافة هى بمثابة نكهتها وصفتها المميزة والغالية كما يقال عادة ـ فكل ثقافة لها روحها المميزة ، او نظام من القيم والافكار والتى تعطى للثقافة جوهرها وفى نفس الوقت نوعيتها العامة الشاملة ٠ والفكرة الرئيسية لروح الثقافة يتمثل فى التنوع غير المحدود للاشكال الثقافية المحتملة فكل مجتمع يختار البعض ويرفض البعض الآخر ٠ وهكذا فان المجتمع الاسلامى يجعل القيم الدينية أساسا لكل مساعى الانسان ، فى حين نجد المجتمع الامريكى المعاصر يرى ان القيم المادية وراء مساعى الانسان ، كما ان المجتمع الهندوسى يضع اهمية كبيرة للخبرات الروحية او الصوفية ٠

وعموما فان هـذه التميزات تعزى الى الاختلافات فى النوعيات الجوهرية أو المساهمات الثقافية ، ولكنها لا تنسب الى الثقافة أو العقل او الاراده ذاتها ٠ انها تشير الى حقيقة أن معظم الافراد فى ثقافة ما تميل الى ان تعيش وتحيا وفقا لهذه النوعيات او القيم ، وبالتالى تكون أنماط سلوكهم محكومة بصورة كبيرة بها ٠ فكل فرد فى ثقافة ما من المتوقع أن يسلك تجاه الاخرين بطريقة مفروضة ٠ وحقيقة فبفعل عملية الاشتراط المبكرة على مدى الاتجاهات المطلوبة، فان معظم الافراد فى مجتمع ما سيسلكون بالطريقة المتوقعة ٠ فالروابط السائدة والتى تكون بهـذه الطريقة تجمع الافراد لعيشوا معا وفقا لنظام من القيم الضمنية والتى تكون روح الجماعة ethos او نفسية المجتمع ٠

وبالنسبة لعلم النفس الاجتماعى فان روح الجماعة لها تضمينات هامة ، فطالما ان روح الجماعة تكون باعثه على البناء الاساسى لشخصية الافراد فى مجتمع ما ٠ فان كان الانسان العربى انسان كريم ، متدين ، على قيم خلقية معينة ، فان هذه السمات لشخصيته تعكس بعض من السمات السائدة النوعية للروح العربية التى اشترطت وشكلت هذه الشخصية منذ حياته المبكرة ٠ واذا كانت القيم الالمانية هى الامجاد العسكرية ، والميل نحو الاوامر ٠ فان هذه السمات تترسب بعمق فى نظام استجاباته لان هـذه النوعية هى التى تكون روح المجتمع الالمانى ٠

جملة القول فان معرفة روح الشعب او الجماعة ، تمد دارس علم النفس الاجتماعي بأداه تصورية أخرى لدراسة السلوك الانسانى .

**ـ عملية التكيف الثقافى : Enculturation (1)**

لقد جعل علم النفس السلوكى ، علم النفس العام ذو فائدة كبيرة وذلك عندما طبق مبادىء ومفاهيم علم النفس العصبى فى الانعكاس الشرطى لدراسة سلوك الانسان . وجدير بالذكر فان السلوكيين التقليديين . اعطوا تفسيرا ضيقا جدا لعملية الاشتراط كظاهرة ميكانيكية آلية بسيطة . فنظرية الاستجابة الشرطية عند واطسون والاخرون من السلوكيين المتطرفين الأوائل قد تمسكوا بجانب واحد من الناحية الفسيولوجية فى تفسير سلوك الانسان المعقد المتنوع . ولكى نجعل هذه النظرية اكثر شمولا بطريقة ما ، فيجب الا تستبعد منها عمليات الوعى والشعور ، أو نوع السلوك الرمزى الذى ناقشناه سابقا ، وذلك لكى تظهر عملية المثير والاستجابة ذاتها ويمكن ان ينظر اليها على هيئة متناسقة متكاملة وليست مجزاة او متنافرة الأجزاء ، وعلى ذلك فان المذهب السلوكى عندئذ سيجد التأييد والتدعيم من جانب علماء النفس الاجتماعى .

ان مفهوم الاشتراط فى صورته غير الألية له تطبيقات هامة فى ميدان علم النفس الاجتماعى . تماما مثل الانعكاس الفسيولوجى قد يكون مشروطا بالمثيرات الخارجية المتكررة ، وهكذا فان السلوك الاجتماعى قد يكون مشروطا بالوراثة الثقافية ، وهذه العملية قد تسمى بالاشتراط الثقافى والذى سبق مناقشته او بعملية التكيف الثقافى enculturation والاستجابة الثقافية الشرطية الثقافية هى مجموعة مركبة من التفاعلات تكونت وبنيت فى الفرد من خلال التفاعلات المتكررة مع روح الجماعة ethos أو مع القيم الثقافية لجماعة معينة . ولكى نفرق بين هذه الاستجابة ، والاستجابة الشرطية عند المختصين بعلم الانعكاسات النفسية reflexologist فقد نسمى التفاعل المنبثق والنابع من الاشتراط الثقافى بتعبير الاستجابة المطبعة اجتماعيا Socialized response .

ان عملية التشريط الثقافى او التكيف الثقافى تؤهل الفرد وتعده لكى يجد طريقة فى ثقافته ويأقلم نفسه لمطالبها ، ويكتسب المهارة فى علاقاته مع الاخرين . وبمرور الوقت وعندما يصل الطفل الى صفة الراشد يكون قد تأقلم تماما ليحيا تبعا لمطالب وتوقعات جماعته ، الى حد أن يعيش

---

(1) استخدم هذا المصطلح هيرسكوفتس ليصف عملية الاشتراط الثقافى . Herskovits, Ibid, P. 39.

الكثير من جوانب حياته بصورة اوتوماتيكية فى اغلب الاحايين · كما ان درجة الجهد النفسى والجسمى فى عملية التكيف سوف يتأثر بطبيعة الحال بالاستقرار النسبى للثقافة التى يعيش فيها الفرد · ففى ثقافة سريعة التغير ومتقلبه فان عملية اعادة التكيف والاشكال الجديدة من السلوك ستكون مطلوبة بصفة مستمرة ، كما يحدث هذا للانسان العربى الذى ينتقل الى بيئة اوربية ، او حتى من بلد عربى الى اخر ، فلكى يعيش الفرد فى هـذا المجتمع الجديد فان اعادة التكيف تصبح السمة العادية والطبيعية له · ولهذا السبب فان الانسان العصرى قادر بصفة عامة ان يخطو نحو التغير المطلوب بواسطة وسائل الاعلام المختلفة التى يحيا فى مضمارها ·

ان مفهوم الاشتراط الثقافى لعملية التكيف الثقافى ، يساعدنا بأن نربط الفرد بثقافته ويعمل كوسيلة لاثبات وتوضيح طبيعة الكائنات الحية الانسانية · فكل من الانسان وثقافته بمثابة شيئين منفصلين · كمـا ان تعريف الثقافة على انها الطرق المنظمة لعمل الاشياء تدعونا الى الانتباه الى الطبيعة السيكولوجية لوجودها ، ذلك لان الثقافة ما هى الا تناسق سلوك الافراد الذين يكونون المجتمع والذى من خلاله يتم التعبير عن الثقافة · ان وجهة النظر المشوه للسلوك الانسانى والتى ميزت بعض المداخل والاتجاهات السيكولوجية ، وبصفة خاصة اصحاب مذهب الغريزة · واصحاب المذهب السيكوباثولوجى ، كانت الى حد كبير ترجع الى تمييزهم بين الفردوثقافته· الا اننا نرى ان كثيرا من العمليات السيكولوجية الاسـاسية ، كالدوافع والشخصية وعمليات التعلم ، والتكيف الاجتماعى وكثير من الموضوعات النفسية ، اصبح لا يمكن عزلها عن الثقافة التى انبثقت منها وتعمل فيها ، كما لا يمكن فصلها عن الفرد الانسانى ، الذى يناضل ويبحث عن الغايات ويؤقلم نفسه مع زملائه من الافراد الادميين ·

# الفصل الرابع

## اللغــة والسلوك الانســانى

يتميز الانسان عن الحيوان بأنه يتفاعل مع موضوعات العالم الخارجي تفاعلا غير مباشر ، توسيطيا mediating وابرز مظاهر هذا تعلمه واستخدامه للغة كنظام من الرموز · وحقيقة هامة يجب أن نضعها نصب اعيننا كلما حاولنا دراسة السلوك الانساني في علاقاته الاجتماعية — وهى ان الانسان حيوان متكلم — وبدون قدرته على الكلام ، فان كل من الانسان ومحيطه الاجتماعي سيكونان مختلفان بطريقة جوهرية عما هما عليه الآن ·

ويلاحظ أن الاستعداد للكلام فطرى ، اما اللغة التى تصب فيها الكلام فمكتسبة ، وليس لدينا دليل على وجود ذلك عند الحيوانات الاخرى ، ويدعى أحيانا ان القردة من سلاله الانثروبويد Anthropoid لديها القدرة على الكلام ، الا ان ذلك ليس له اساس من الصحة ، ومع أن هذه القردة تعبر عن أحوالها وحالاتها العاطفية عن طريق النطق الصوتى والحركات الجسمية وايماءات الوجه ؛ الا انها ليس لديها القدرة على الكلام كما نألفة · كما ان اكتساب اللغة لا يتوقف على عملية النضج وحدها ؛ ولكنها بالاضافة تتوقف على الوصول الى مرحلة نضج معينة يستطيع الكائن البشرى الكلام · كما وانه لا بد وان يستمع الانسان الى الآخرين حتى يتمكن من تعلم اللغة وتتمكن أعضاء الكلام لديه من القيام بوظائفها ·

وبينما نجد أن القدرة على الكلام بمثابة جزء من ميراث الانسان البيولوجي ، الا أن اللغة كنظام من الاصوات والرموز لنقل رغباته ودوافعه وعواطفه وخبراته العقلية مكتسب فى المقام الأول · فاللغة نتاج اجتماعى ، مزيج من الاختراع والثقافة ، تتمركز على أسس عضوية ، وتعتمد فى نموها على عوامل اجتماعية وثقافية ·

ويمكننا ان نوجز اهمية دراسة اللغة فى علم النفس الاجتماعى فى الاسباب الآتية :

**أولا :** انها الوسيط الاساسى للتفاعل الانسانى ، فالفرد فى حياته اليومية يتفاعل بصورعديدة مع مواقف الحياةبكل ما تحويه من موضوعات مادية وبشرية ، وتتحدد استجاباته تبعا لنوع التفاعل الذى يحدث بينهوبين هذه الموضوعات ، فاما ان تكون استجابات قبول أو رفض وتصاغ غالبيتها فى نمط من انماط السلوك اللفظى · وجدير بالذكر فانه بدون اللغة فحياه الانسان الاجتماعية كما نفهمها لم تكن لتنشأ ، كما أنه بدون المشاركة الاجتماعيه فوق المستوى البيولوجى لا يمكن أن يستمر الانسان ·

**ثانيا :** اللغة هي وسيلة النقل الوحيدة للثقافة من جيل الى اخـــر يليه ، فهى بمثابة الأداه الناقلة للافكار ولنماذج السلوك الانسانى . الواقع ان الانسان لا يمكنه الاستمرار فى الحياة بدون اللغة ، فكما أن الغـــذاء والهواء ضروريان لحفظ بقاء الكائن الحى ، فان اللغة لا تقل عنهما ضرورة بالنسبة لاستمرار وبقاء الحياة الاجتماعية والاتصال الاجتماعى بين الافراد والجماعات (1) ..

**ثالثا :** تلعب اللغة دورا هاما فى تحويل الطفل من حيوان بيولوجى الى حيوان اجتماعى ، حيث انها بمثابة عاملا اساسيا فى عملية التطبيع الاجتماعى للوليد البشرى ، كما تسهم فى عملية التوافق الانفعالى والحسى والحركى للانسان .

**رابعا :** اللغة هى وسيلة التعبير عما يجول فى ذهن الفرد ، ويشير تورنديك Thorndike (١٩٤٩) وما ورر Mowrer (١٩٦٠) الى ان اللغة أعظم اختراع قام به الانسان ، كما انها الوســـيلة الاجتماعية الاكثر اهمية من اى وسيلة أخرى كالمؤسسات والمدارس وغيرها ، كما انها تجب أي وسيلة مادية من حيث التأثير على الكائن الآدمى . وتتضح اهمية اللغة فى انها تشبع رغبات الفرد ويستطيع من خلالها التعبير عن أفكاره وأحاسيسه وعن ذاته بصفة عامة . فاللغة تبزغ الفكرة الكامنة عند الفرد وتظهرها للآخرين ، وبالتالى تتم عملية الاتصال الاجتماعى بين الأفـــراد والجماعات . واللغة ما هى الا نظام اجتماعى تتخذه جماعة معينة فى مجتمع ما ، للتحدث والتفاهم ، قاصدين بذلك تحقيق وظائف معينة . وهـــذا النظام يتأثر بباقى النظم الســـائدة فى المجتمع سواء كانت اجتماعية او اقتصادية أو سياسية أو دينية .

**خامسا :** واللغة تجعل من الممكن تعميم مجموعة من المعانى والأفكار والمفاهيم العامة والتى عن طريقها يستطيع الافراد أن ينظموا حياتهم .

**سادسا :** وتكتسب اللغة اهمية اخرى للعلاقة الموجودة بينها وبين عمليات التفكير والنمو العقلى ، حيث تدخل اللغة فى كثير من عمليات التفكير ، خاصة التفكير المجرد والتمييز بين المعانى ، وكذلك فى التعبير عن العمليات الفكرية التى يقوم بها الفرد ولا يدركها الآخرون الا اذا عبر عنها لفظيا .

---

(1) نوال محمد عطية : علم النفس اللغوى . مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٥ ، ص ٢٠ .

جملة القول ، فبدون اللغة لا يمكن أن توجد حياة اجتماعية وثقافية ذات دلالة ومعنى ، كما لا يمكن أن توجد تقاليد أو سلوك قومى أو علوم أو فنون ، ولا كثير من الاشياء التى ميزت وخصت الانسان عن باقى الكائنات الحية الأخـــرى ، انها تمثل ما هـــو نوعيا خاص بالانسان فى الحياة الاجتماعية ، كما انها وسيلة تفكير واتصال ، وهى عامل انسجام يدعم المجتمعات الانسانية ويميزها بعضها عن البعض الآخر ·

ان اللغة المشتركة كما يشير ادوارد سابير (١٩٢٩) ɹıdɐS هى الدليل على التعاون الاجتماعى فى الجماعة · وما التناقض القائم بين اعضاء جماعة واخرى ، أو بين مجتمع واخر ، الا لافتقادها الى لغة للتفاهم فيما بينها ، وقد كان ذلك احد الاسباب الرئيسية التى ادت الى انشـاء اللغات الدولية كوسائل لتوحيد الانسانية ، وتقريب وجهات نظرها · ومما هو جدير بالذكر فان اللغة تعمل كعامل انسجام أو انقسام بحسب قدرتنا على ادراكها وتفهمها ·

## جذور اللغة واصـــولها

لقد اولت الفلسفة والعلوم الاجتماعية الاهتمام الى اصول اللغة · وبصفة خاصة فقد كون علم الانثروبولوجيا وعلم النفس نظريات عديدة عن اصول اللغة وجذورها · ولقد اقتفى فونت E. Sapir اصول اللغة فيشير الى ان الطفل يستخدم الحركة والايماءه بصورة تلقائية لكى ينقل مطالبة ورغباته الى الأخرين ، كما أن الحركات الجسمية كتقطيب الوجه والاشارة بالايدى تفهم عالميا عندما تحدث بين فرد واخر لا يملكان لغـــة مشتركة ، حتى اننا نجدها تستخدم بين الحيوانات الدنيا كأساليب فنية لتوجيه وضبط السلوك فيما بينها وبين الكائنات الأخرى · وعلى ذلك فان اللغة من وجهة النظر هـــــذه ما هى الا تعبير عن انفعال معين وذلك لان الايماءات بمثابة ظواهر علنية لاحوال انفعالية ·

نظـــرية التقليد الصـــوتى لهيردر Herder تشير الى أن اللغة تنمو من حاجة الانسان العملية لترميز موضوعات خبرته ، ومن أجل هـــذا فان الانسان يستخدم اصواتا يقلد تلك الاصوات الموجودة فى الطبيعة وهذه النظرية تعتمد على الملاحظة بأن مفردات الطفل اللغوية وكذلك الانســـان البدائى محددة ومرتبطة بالكلمات التى تشير الى الاشياء بتقليد الاصوات الصادرة عنها ، كالكلمات التى تقلد اصوات تغريد الطيور ، ونباح الكلاب وزمجره الرياح وما الى ذلك ·

وعموما فان نظرية هيردر فى اصل اللغة تشير الى ان الانسان قد بدا بتقليد الاصوات الطبيعية كالرعد ، وتقليد اصوات الحيوانات كذلك ، فسمى الكلب « هوهو » والقطة « نونو » وما الى ذلك ٠

وتوجه عديد من الانتقادات الى نظرية هيردر ، لانها تضع الانسان فى المرتبة الثانية بالنسبة للحيوان ، حيث يقلده ويأخذ منه ٠ ويشير جيسبيرسن Jespersen بأن هذه الاصوات لا تعنى شيئا محددا بالنسبة الى الحيوان ، اما بالنسبة للانسان فإن معناها محدد ، كما أن استعمالها على هذا النحو قاصر عليه ٠ ومن المقطوع به أن « هوهو » لا تعنى عند الكلاب معنى « كلب » كما تعنى عند الانسان الذى يستعملها فى هـذا المعنى ٠

ونظرية اخرى فى اصل اللغة هى نظرية نوارية Noiré ويذهب الى ان بداية اللغة يكمن فى الانطباعات الحسية ، وفى تأثير الموضوعات على اجهزة الاستقبال الحسية وفى قدرة الانسان على نقل هذه الانطباعات الى الآخرين ، ويحدث هذا الاتصال بالطرق التالية :

أ ــ فى صورة ايماءات انفعالية ٠

ب ــ فى صورة رموز لفظية ٠

وعلى ذلك فان الافعال والايماءات تبعا لنظرية نوارية سابقة على الرموز اللفظية ، وهذه الاخيرة هي التى تحل محل الافعال العضلية ، ويطلق على نظرية نوارية احيانا « بنظرية الاصوات الجماعية » حيث يرى أن التنفس الشديد يتطلب قيام الانسان بمجهود عضلى ويجعل الهواء المار بالحنجرة يحرك الأوتار الصوتية ، فتنتج اصواتا مختلفة ويلاحظ ذلك عندما يزاول عدد من الناس عملا شاقا ، يحدث هذا بصورة جماعية فيقولون مثـلا « هيلا هيلا هوب » ، ومن الممكن أن تكون هذه الظاهرة بداية ظهور اللغة الانسانية ٠

ولقد اكتسبت وجهة نظر نوارية Noiré هـذه تأييدا يستحق الاعتبار فى فلسفه اللغات وكذلك فى علم النفس الاجتماعي ، حيث نجد أن الاصوات الصادرة من الحنجرة قد سبقت الكلام المفصل articulate speech فى تطور الانسان ٠ فصيحات الغضب والخوف قد استخدمت عن طريق كل من الانسان والحيوان لضبط وتوجيه استجابات الآخرين ٠ وعموما فان ضبط الافراد الاخرين والتحكم بواسطة هذه الاصوات الحلقية الحنجرية ، واستجابة شخص لآخر وتوافقه عن طريق الاصوات كان بمثابة المرحـلة

الاولى والمبكرة فى تطور ونمو اللغة • فالانسان البدائى كان مثل الطفل فى ايامنا الحاضرة لديه القدرة على التلفظ والنطق الحلقى ، وخلال عملية التدريب لهذه القدرة اصبح فى امكانة تكوين مقاطع لفظية عشوائية ، ويشير اولبورت F. A. Allport (١٩٢٤) الى ذلك بقوله : ان الانعكاس الصوتى فى الاذن للمقاطع الهجائية المنطوقة ، عادة ما تكون مشروطة لدى المتكلم برؤية الشىء او الموضوع ، كما انها تستدعى نفس الشروط عند شخص اخر • وان نجاح الكائن الحى فى الاتصال وتوجيه وضبط زملائه عن طريق الاشارة لشىء معين ، عادة ما يستخدم لتثبيت هذا الانعكاس الصوتى الاذنى المشروط كعادة اصيله ودائمة ••• ويستطرد اولبورت بقوله ، انه مع قدم ذكاء الانسان ( فمن المحتمل ان تكون البشرية قد تعلمت أن تستفيد من هذه الاكتشافات العفوية بالتمكن والفهم لأهمية الاسس والمبادىء التى تتضمنها ، وابتدأت تطبيقها بدون قصد ، وبعدئذ استخدمتها عن قصد فى وضع واستخدام كلمات اشارية جديدة •

وعموما فان كانت وجهة نظر اولبورت Allport هذه صادقة ، فان المثير الاجتماعى والاستجابة الاجتماعية تكمن اذن فى صميم جذور اللغة ، ويأتى اهمية هذا التحليل السابق فى مدلوله وتأكيدة على دور الضبط الاجتماعى كعامل هام فى أصل اللغة •

وهناك وجهة نظر أخرى فى أصل اللغة اشار اليها ميد G. H. Mead (١٩٣٤) ، وعلى الرغم انها متأثرة بنظرية نوارية السابق عرضها ، وذلك فى تأكيدها على أن الكلام ما هو فى جوهرة الا بديل للحركات العضلية ، ووجهة نظر ميد كذلك تتفق مع نظرية فونت Wundt فى استخدامها لمفهوم الايماءات ، الا ان تحليل ميد متطور ويتميز الى حد كبير عن وجهات نظر من سبقوه ، اذ نجده يبدأ مناقشته عن اللغة بتحليل الايماءة gesture وكطريقة للتحدث عن الايماءه فانه يوضحها عن طريق قتال الكلاب ، فكل نمط سلوكى يصدر من الكلب يحدد عن طريق ما سيفعله الكلب الاخر ، وعلى ذلك فان التغير فى السلوك يحدث عند كل منهما • فان استعداد كلب للهجوم على كلب آخر ، يصبح مثيرا للثانى فى أن يغير من موقفه تبعا لموقف الأول ، هذه المحادثة الايمائية Conversation of gestures قد تستمر لبعض الوقت دون أن يحدث صدام فعلى • والحقيقة الهامة حول هذا النوع من المحادثة الايمائية هى انها بمثابة نوع من الاتصال فالايماءات ذاتها بمثابة رموز ، حيث تحث كل حيوان لكى يتصرف ويسلك بطرق مناسبة وتتفق مع الطرف الاخر •

وجدير بالذكر فان هذا الاتصال الايمائى لا يعتبر مهما يكن بمثابة

لغة ، لان هذا الاتصال لا يحدث بوعى فيما بينهم · الا اننا نجد أن اللغة نوع من الاتصال والتى تصبح فيها الايماءات بمثابة رموز هامة · كما ان الاتصالات الرمزية ذات المعنى والدلالة فان الفرد لا يكون فقط قادرا على الاستجابة للشخص الاخر ، ولكنه بالاضافة يكون قادرا على تفسير معانى ايماءاته · وفى هذه العملية فان الفرد يتصرف على اساس من المعنى الشعورى الواعى · فاللغة اذن عملية شعورية واعية ، نموذج من الاتصال بين الافراد وكل منهم يكون واعيا وعلى دراية بما يفعل · فنحن نكون على وعى ودراية وكما يشير ميد Mead عندما يكون ما سنفعله ضابطا وموجها لما نفعله ·

وثمة نظرية اخرى فى اصل اللغة ·· وهى نظرية اصوات التعجب وتشير الى أن الانسان يندفع بمقتضى فطرته الى اصدار أصوات ، يعبر بها عن الخوف والفرح والتعجب وسواها من الانفعالات ، فهو حين يسعل او يعطس أو يضحك او يبكى ، يستعمل اصواتا تصدرها فطرته ؛ وقد كانت هذه الاصوات بداية اللغة الانسانية ولم تثبت أن تنوعت وتعددت مظاهرها ويعترض جسبرسن Jespersen (١٩٤٧) هنا بأن مثل هذه الاصوات ـ كما نلاحظ اليوم ـ لا ترتبط بمختلف مظاهر النشاط اللغوى ، بل هى مجرد نشاط صوتى قد يصدر منعزلا عن سياق الحديث ، بالاضافة الى أنها لا تخضع لما نعرفة من قواعد اللغة · ومعنى هذا وجود فجوه بين هذه الاصوات وبين النشاط اللغوى العادى مما يستبعد معه ان تكون اصلا للغة · ومع هذا ، فليس هناك ما يمنع من ان بعض هذه الاصوات قد تستعمل فى اللغة العادية ، ولكن على شريطة أنها تخضع فى استعمالها لما يخضع له سواها من الالفاظ والقواعد ·

وهناك نظرية اخرى من نوع مختلف قليلا ، وهى تدعى أن أول لغة وجدت ، كانت لغة الاشارات ، ثم استعيض عنها وبالتدريج بلغة الكلام · ويشير باجية Paget (١٩٣٠) الى ان من الارجح انه كان يوجد لغات من الاشارات كاملة تماما ، وهى التى كانت أولى وسائل الاتصال ، ويشير باجية الى لغة الاشارةعند هنود امريكا ، وعند الفئات الصم والبكم وذلك لكى يبين الى اى حد يستطيع الناس الاتصال فيما بينهم بالاستعانة بالاشارات وحدها ·

وترى نظرية باجية Paget انه عندما احكمت لغة الاشارات ، عرض لبعض الناس مشغولى الايدى بالعمل ان يريدوا التفاهم فيما بينهم ، وحينئذ اكتشفوا ذلك الاكتشاف الهام وهو انهم يستطيعون الاتصال عن طريق الصوت ، واتضحت بسرعة حسنات الاتصال اللغوى واستطاع هذا ان يحل محل لغة الاشارات ، حيث وجدت ان هذه اللغة ( لغة الاشارة )

لا تجدى مع الظلام شيئا ؛ كما ان اكبر حجة ضد هـــذه النظرية هى أن الحيوانات الادنى من الانسـان تستخدم فى بعض الاحوال تعابير صـوتية بغاية الاتصال فيما بينها ٠

ونظرية الربط الطبيعى بين الصوت والمعنى ، وفحوى هذه النظرية ان هناك ارتباطا طبيعيا بين الكلمة وبين ما تدل عليه ، ومن ثم فان ما يحس به الانسان من مظاهر الكون الخارجية لا يلبث أن يجـد فى سيكولوجية الانسان ما يقابلة من اصوات يرتبط به ارتباطا طبيعيا ٠ وفساد هـــذه النظرية ظاهر الوضوح ، فلو فرض أن رايت جسما اسمه حجر ، فانه بمقتضى هذه النظرية سيكون هناك ارتباط فطرى بين الحاء المفتوحة والجيم المفتوحة والراء ، وبين هذه الكتلة الخارجية من المـادة التى رايتها ٠ ولكن لو فرض أن صادف انجليزى نفس الخبرة ، فكيف يفسر أن ينطق بكلمة Stone للدلالة عليه ، حيث انها ترتبط ارتباطا طبيعيا بالحاء والفتحة والجيم والراء ، لا بالسين والتاء والضمة الطويلة والنون ٠ كما أنه لو صحت هذه النظرية لمـا وجدنا تعدد لغات البشر الحالية ٠

وتبرهن لنا قصة خلفها لنا المؤرخ اليونانى هيرودوت على أن الاهتمام بمسالة أصل اللغة ، ليس امرا حديثا ، ويحكى هيرودوت كيف ان الملك المصرى بساميتك Psammetique ( ٦٦٦ ــ ٦١٠ ق٠م ) حاول ان يعرف ما اذا كانت اللغة المصرية هى حقا اول لغة تكلمها الانسـان ٠ ولهذه الغاية قام بنقل ولدين قبل ان يتعلما الكلام الى جزيرة خالية وكلف برعايتهما رجل اصم وابكم ــ وبعد عدة سنوات ، ذهب الناس لرؤيتهما ، وعندئذ اقبل الولدان على القادمين الجدد ، صارخين « بيكوس Becos ولم يستطع العلماء المصريين مع الاسف أن يجدوا هذه الكلمة فى لغتهم ، الا انهم اكتشفوا أن هذه الكلمة تعنى «الخبز» فى اللغة «الفريجية Phrygienne بحيث قرروا ، ان هذه اللغة هى الأولى ، وأن اللغة المصرية هى الثانية ٠ ويحكى ان تجربة مماثلة قام بها الامبراطور المغولى اكبار Akbar ( ١٥٤٢ ــ ١٦٠٥ ) من أجل معرفة اى دين كان هو الدين الأول للانسانية ولكن الاطفال الذين عزلوا عن العالم ، لم يكونوا يستطيعوا الكلام باية لغة عندما ذهب الناس للقائهم (١) ٠

ويرى جسبرسن Jesporsen ان هذه النظريات جميعا لا تفسر

---

(1) Otto Klinberg : Social Psychology

ترجمة حافظ الجمالى ــ مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥ ص ٥٩ ٠

سوى جزيئات من النشاط اللغوى ، ولا بأس أن نتعرف عليها جميعا على الا نجعل احداها ، أو نجعلها كلها ، المصدر الوحيد الذى نشأت عنه اللغة الانســـانية •

كما اننا نرى جون ديوى Dewey (١٩٢٥) فى تعليقه على هذه النظريات بانها ليست فعلا بنظريات فى اللغة ، بل هى مجرد وســـائل نفسر بها بشكل مقبول نوعا ما ، كيف ولمـاذا انتخبت بعض الاصـــوات دون غيرها لتمثيل الاشياء أو الافعال والمواقف • وبتعبير اخر ان هــذه النظريات قد تعلل طبيعة الاصوات المستعملة ، ولكنها لا تعلل لمـاذا بدأ الناس باستعمال الاصوات ، ولا بأية طريقة بلغ الناس التعبير الرمزى • ولو اردنا معرفة اصل اللغة وجب علينا أن نتصدى لدراسة امورا ثلاثة هى :

١ ـ لغة الطفل •
٢ ـ لغة القبائل البدائية •
٣ ـ تاريخ اللغات (١) •

والموضوع الأول ـ وهو النمو اللغوى عند الوليد البشرى ، أمس الموضوعات بعلم النفس الاجتماعى ، واكثر قربا بموضوع السلوك الانسانى وتطوره ، ولذا سنولية بعض من الشرح والتوضيح •

**نمو اللغة عند الطفل :**

ان مناقشتنا السابقة عن جذور اللغة وأصولها قد يفيد فى القـاء الضوء على السلوك الانسانى ، الا اننا عندما نتناول النمو اللغوى عنــد الطفل ، فاننا نتلمس جوانب واقعية وعملية بصورة اكبر لموضوع اللغة والسلوك الانسانى • بالاضافة الى اننا يمكننا ان نتأكد من صدق التفسيرات النظرية التى فرغنا من مناقشتها •

وعموما فان كثيرا من مؤلفات علم النفس الاجتماعى خصصت مكانا يستحق الاعتبار لالقاء الضوء على مراحل النمو اللغوى لدى الوليد البشرى ، وعلى سبيل المثال كارل يونج K. Young فى مؤلفة علم النفس الاجتماعى (١٩٣٠) ، وكذلك فى مؤلفة الشخصية ومشـــكلات التوافق (١٩٥٢) • ويمكن أن نشير الى خمس مراحل للنمو اللغوى عنـــد الطفل نوجزها فيما يلى :

---

(١) عبد الرحمن ايوب ، اللغة والتطور : القاهرة ، مطبعة الكيلانى : ١٩٦٩ ص ٢٥ •

١ ـ مرحلة ما قبل اللغة Prelinguistic stage :
وتتضمن هذه المرحلة صيحة البكاء الأولى عند الميلاد .

٢ ـ مرحلة الثرثرة Babbling stage :
وتتضمن عملية الصياح والمنانما .

٣ ـ مرحلة تقليد الاصـــوات sound imitation stage :
ونجد الطفل خلال هذه المرحلة يكرر نفس الصوت مرة ومرات .

٤ ـ مرحلة التفهم اللفظى : stage of verbal understanding
ونجد الطفل خلال هذه المرحلة يعرف كلمات كثيرة الا انه لا يستخدمها بصورة عادية .

٥ ـ مرحلة النطق اللفظى Verbal utterance :
وتشير الى الفترة التى نرى فيها الطفل يستخدم الكلمات التى قد تعلمها بالفعل .

وكثير من علماء النفس الاجتماعى ـ فى الوقت الحـــاضر ـ يولون اهتماما قليلا الى هذه المراحل النمائية اللغوية عند الطفل ، حيث يوجهون اهتمامهم لاستعمال الطفل للكلمة الجملة word sentence حيث افترض أن الطفل يتعلم فى البداية كلمات منفصلة ، وفيما بعد يتعلم كيف يربطها بعضها ببعض فى جملة مفيدة . وعموما فقد بينت الدراسات المختلفة للنمو اللغوى للاطفال ما يلى :

ـ صيحة البكاء الأولى للطفل لها أهميتها فى كونها أول خبرة يستعمل فيها الاعضاء الصوتية ، كما تسمح للطفل بأن يسمع نفسه لأول مرة .

ـ يجمع الباحثون على أن الاصوات الأولى التى يخرجها الطفل عبارة عن أفعال منعكسة وانها خالية فى بداية الأمر من اى معنى ، وتتخذ الاصوات المختلفة معان مختلفة بالتدريج نتيجة لتفاعل الطفل مع من حوله .

ـ ويتفق الباحثون فى سيكولوجية النمو اللغوى على أن الاصـــوات الأولى عبارة عن حروف الحركة مثل ( آ ، أ ، إ ) أى أن حروف الحركة هى الحروف الأولى التى تظهر فى أصوات الطفل . وأول حروف ساكنة تظهر فى أصواته التى تخرجها هى ( م ، ب ) كما أن حروف الشـــفة من الحروف الأولى التى تظهر ضمن أصواته حين يضم شفتيه أثناء بكائه .

- يكون معدل محصول الكلمات عند الطفل فى نهاية السنة الأولى حوالى اربعة كلمات ، ثم يزداد محصولة اللغوى بسرعة كبيرة فى السنوات التالية حتى يصل الى ما يقرب الى ٢٥٠٠ كلمة فى سن السادسة ·

- وكثيرا ما يفهم الطفل معانى كلمات وجمل دون أن يستعملها ، مادام يسمعها من الآخرين ·

- يلاحظ ان الاطفال فى السنوات الأولى من العمر قد تكون لهم كلماتهم الخاصة التى تشبه كثيرا أو قليلا الكلمات المتعارف عليها بين الكبار ، ويعبرون بها عن أنفسهم ·

ونقطة البداية فى تعلم الطفل الكلام هى الاصوات التى يخرجها ويستجيب لها الكبار ، مثل البكاء فترتبط الصرخات المختلفة بسلوك معين من الكبار · وتحاول الأم تثبيت بعض هذه الاصوات بتكرارها والقيام بالسلوك المناسب لها · وتكون هذه الاصوات فى البداية خالية من المعنى ، ولا يمكننا القول أن الطفل قد اكتسب السلوك اللغوى الا اذا ارتبطت الاصوات التى يخرجها بأشياء وحوادث معينة فى بيئته · ويتمكن الطفل بالتدريج من ربط الالفاظ اللغوية بسلوك من حوله ثم تتخذ هذه الالفاظ معانيها المصطلح عليها ·

ومن العوامل المساعدة على اكتساب اللغة ، ارتباط نغمة الأم فى الكلام بخبرات الطفل ، كما أن للمحاولة والخطأ أثرها فى اكتساب اللغة ، اذ نجد الطفل كثيرا ما يجرب بعض من الاصوات ويخطىء ويبدأ فى انتقاء الاصوات المناسبة عن طريق التوجية والتصويب ·

ومن العوامل المساعدة ايضا سماع الطفل مناغاته لنفسه ، ويجب ان نتوقع الفروق الفردية بين الاطفال فى طلاقة اللسان ، وقد تعزى هذه الفروق الى أسباب جسمية فى اللسان او الفم أو الاسنان مما يؤدى الى العيوب اللغوية لدى بعض الاطفال · ويصدر الطفل الرضيع أصواتا متنوعة تفهمها الأم ويلاحظ فى هذه المرحلة تقليد الرضيع للاصوات البشرية المحيطة به والتى يسمعها ويستجيب بها لغويا معبرا عن سروره ورضاه ، وعن قبوله أو توترة ، وعادة ما تبدأ هذه الاستجابات اللغوية فى الشهر التاسع ، كما أن الرضيع يستجيب للتحية فى عامة الأول ·

ونلاحظ عماية المناغاه عادة ما تظهر خلال الشهر الثالث حيث نجد الطفل ينادى نفسه ، دون أن يكون هناك من يستجيب لصوته ·

ويبدا الرضيع النطق بالاحرف الحلقية ( آ آ ) ثم تظهر حروف الشفة ( م م ، ب ب ) ثم يجمع بين الحروف الحلقية وحروف الشفة ( ماما ـ بابا ) ، ثم تظهر الحروف السنية بعد ذلك مثل ( د ٠ ت ) ثم الحروف الانفية مثل ( ن ) وهكذا ٠ ويلى ذلك مرحلة المعانى وفيها تلتصق بالحروف والكلمات معان محددة فكلمة ماما تعنى الام ، وبابا تعنى الاب وهكذا ٠

وعادة ما تظهر الكلمة الاولى فى الشهر التاسع تقريبا ، وقد تتأخر الى سن ١٥ شهرا عند الطفل العادى ، اما عند ضعاف العقول فتتأخر ظهور الكلمة الأولى الى ما بعد ٣٦ شهرا ٠

وتعتبر السنة الأولى مرحلة الكلمة الواحدة ، حيث ينطق الرضيع كلمة واحدة للدلالة على ما يريد التعبير عنه ، مثـــل كلمة « محمد » فان الرضيع قد يقصد « محمد ضربنى » أو « محمد اخذ لعبتى » أو « اريد الخروج مع محمد » ٠٠ الخ وهذه المرحلة يطلق عليها الكلمة الجملة ٠

اما مرحلة الكلمتين فتاتى فى السنة الثانية ، خاصـــة فى النصف الأخير منها ، وتكون معظم الكلمات فى هذه المرحلة اسماء ، فكما توضح بعض الدراسات ان معظم كلمات الطفل فى هذه المرحلة اسماء ، وان الطفل يستخدم الاسماء مثل الافعال ، واخيرا يستخدم الحروف ٠ ويلاحظ أن البنات يتفوقن على البنين فى كل جوانب اللغة كبداية الكلام وعدد المفردات اللغوية ٠

وتبين الدراسات النفسية ان النمو اللغوى يرتبط بالذكاء ويشـــير ماكارثى Mc Carthy الى ذلك بأن العلاقة بين عدد المفردات والعمر العقلى ايجابية وثابتة ، وأن معامل الارتباط هو ٩٦ ر ٠ كما اثبت ان معامل الارتباط بين معانى الكلمات وحاصل التعلم بالنسبة لاختبارات ستانفورد التحصـــيلية Stanford Achievement Test يتراوح بين ٧٨ر٠ ــ ٨٨ر٠ كما أن الطفل الذكى يستعمل ويميز كلمات اكثر من الطفل المتوسط الذكاء ٠

النضج وسلامة الجهاز العصبى تؤثر كذلك فى النمو اللغوى ، وفى ذلك يشير سايلر Sayler الى أن عدد الاخطاء فى الكلام ينقص تدريجيا تبعا لدرجة النضـــج التى يصلها الفـــرد ، كما ان شنيدرمان Schneiderman سجل لنا ان عدد المفردات وطول الجملة يزداد وفقا لنمو العمر العقلى والعمر الزمنى ٠

ولقد توصل كل من ادمز Adams وديفز Davis وفيشر Fisher وجودانف Goodenough وما كارث Mc Carth الى ما يلي :

١ ـ ان الاسماء تكثر بين المفـــردات التى يستعملها الطفل ثم تقل بالنسبة لنمو العمر الزمنى .

٢ ـ ان استعمال الافعال والصـفات والضمائر يتزايد مع العمر الزمنى .

٣ ـ ان استعمال الظروف يكون اكثر من غيره من اقسام الكلام .

٤ ـ ان استعمال حروف الجر وحروف العطف يظهر متاخرا بالنسبة لأقسام الكلام .

كما ان الحالة الصحية للطفل تؤثر على نموه اللغوى ، بالاضافة الى سلامة اعصابة السمعية حيث تمكنه من فهم معانى الكلام الذى يسمعه كما ان السمع الجيد ضرورة لنمو الكلام العادى وان الطفل الذى يكون اصما كليا عاده ما يكون غير قادر على الكلام الشفهى (١) .

كما ان الوسط العائلى ذو اهمية كبرى فى نمو اللغة ، ويشير الى ذلك جيزل Gesell بان مهارة الام الرئيسية هى أن تكون متيقظة لكل انواع الصراخ والضجيج الذى يحدثه الطفل لتستطيع ان تفسره وتعرف معناه وتكون قادره ومتاهبة للاصغاء لذلك قدر المستطاع . كما ابان لنـــا اهمية العائلة فى التأثير على الطفل ، وان نوعية العائلة التى ينشأ فيها الطفل ويتربى تحدث فرقا بالنسبة لنمو لغتة . كما ان الوســـط الاجتماعى والاقتصادى يؤثر فى النمو اللغوى حيث لوحظ أن الاطفال الذين يولدون فى عائلات متقدمة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية يميلون الى ان ينموا فى كلامهم أسرع من أولئك الذين يولدون فى عائلات اقل مستوى اجتماعيا واقتصــــاديا كما ان ثراء البيئه الاجتماعـــية والثقـــافية ، يؤثر فى ذلك ايضا .

---

(١) دخام الكيال : دراسات فى علم النفس . الرياض ، مؤســسة الانوار بالرياض ، الطبعة الثانية . ١٩٧٠ . ص ٣٨ .

## مفردات الطفل اللغوية :

كلما تنمو وتتقدم عملية التمييز لدى الطفل ، كلما زادت ونمت مفرادته اللغوية • وتكون هذه الزيادة ملحوظة بصورة واضحة خلال السنة الثانية من نمو الوليد البشرى ، فلقد اشارت احدى الدراسات أن زيادة النمو اللغوى فى السنة الأولى من ثلاثة كلمات الى ما يقرب من ٢٧٢ كلمة عند نهاية السنة الثانية • كما أن ماكارثى McCartny اشار الى ان معدل عدد الكلمات التى يستعملها الاطفال تزيد عن عشرين كلمة فى خلال الشهر الثامن عشر ، وتبلغ ما يقرب من ٢٢٠ كلمة حين يصبح الطفل ٥٤ شهرا ، وتبعا لنتائج دراسات سميث Smith فى النمو اللغوى فان الطفل يبلغ معدلة اللغوى عند سن السادسة الى ما يقرب من ٢٥٠٠ كلمة • وعلى ذلك فان اكبر نمو نسبى فى مفردات الطفل اللغوية يحدث خلال سنواته الاربعة الاولى ، وتزيد مفرادته بعد ذلك بمعدل أقل ، ويستطرد كروت Krout فى مؤلفة « مقدمة فى علم النفس الاجتماعى » (١٩٤٢) الى انه كلما تمت قدرة الطفل اللغوية كلما ازدادت حصيلته من الكلمات والمفردات بصورة واضحة ، حتى تصل الى ما يسمى بنقطة التشبع Saturation Point

وجدير بالذكر ، فان نمو مفردات الطفل خلال سنته الاولى والثانية يتمركز بصورة جوهرية على التعرف والتفهم اللفظى ، وكثيرا ما نجده يستطيع ان يتفهم كلمات كثيرة ويشير اليها بايماءات خاصة ، الا أنه لا يقدر ان يصيغ الاستجابات اللفظية لهذه الايماءات • أن مستوى النطق والكلام اللفظى يمكنه التوصل اليه بصورة تدريجية ، انه ينمو ويتطور عندما يكون للكلمة لديه نفس التأثير الذى عند قائلها ، وبالتالى نجد أن كلامة ينتقل من صفة التمركز حول ذاته الى صيغة الكلام الاجتماعية • ويشير بياجية Piaget فى دراسته على الاطفال السويسريين ان الكلام الاجتماعى الحق نادرا ما يظهر عند الطفل قبل سن السابعة ، على حين أن التأثيرات والاستجابات التفاعلية عند الطفل غالبا ما تحدث فى وقت أكثر تبكيرا • ان الكلام ذوى الصـــيغة الاجتماعية التعاونية ، والتخاطب والتحادث التى يستخدم فيها الكلمات من وجهة نظر الشـــخص المخاطب ، غالبا ما تنمو متأخرة بصورة نسبية ، وقبل هذه الفترة فان كثيرا من النشاط اللغوى للطفل يكون عبارة عن منالوجا متكررا ، انه يتجاهل وجهة نظر الآخرين ، وغالبا ما يكون كلامه لارضاء ذاته ، ولقد أشار الى ذلك بياجية بقوله :

« أن الجانب الملفت حقيقة فى التفسيرات بين طفل واخر •• تتكون بما نسميه بصفة التمركز حول الذات ، لقد لاحظنا أن الطفل من السادسة الى السابعة من عمره ما يزال يتكلم والى حد كبير الى ذاته فقط ، بدون

محاولة لجذب انتباه سامعية ٠ وعلى ذلك فان جزءا كبيرا من لغة الطفل ما يزال متمركزا حول الذات ٠ وعندما تصبح اللغة مطبعة اجتماعيا ، فان العملية بصورة اولية تمس فقط الناتج الفعلى من الفكر ، فمثلا فى الحديث لبعضهم البعض يتجنب الاطفال استعمال العلاقات السببية ، والعلاقات المنطقية ( لان ٠٠٠ الخ ) ، مثلما هو متبع فى جميع المناقشات الاصلية غير الزائفة ، أو فى الفكر التعاونى المجرد ٠ وجدير بالذكر فان هذين النوعين من العلاقات قبل سن السابعة أو الثامنة لا يعبر عنهما بصورة جلية ، وبالاحرى ما تزال صيغة الكلام فردية الى حد كبير ٠ كما أن الملاحظة ابانت انه حتى فى سن السابعة والثامنة فان الطفل على الرغم من انه يستطيع أن يفكر فى هذه العلاقات ، الا انه لا يستطيع ان يعطى تفسيرات أو دلالات تلقائية لاقرانه ، ويرجع ذلك الى أن لغته ما زالت مشبعة بالتمركز الذاتى ٠٠ » (١) ٠

ولقد أشارت نتائج روج Rugg ، وكروجر Krueger وسوندرجارد Sondergoard (١٩٢٩) فى دراساتهم للنمو اللغوى عند اطفال الحضانة الامريكية الى نفس نتائج جان بياجيه سابقة الذكر ، اذ وجدوا أن ما يقرب من نصف ملاحظات الاطفال واشاراتهم اللغوية كانت تتصف بالتمركز حول ذواتهم ٠ كما أن مكارثى McCarthy (١٩٣٠) وجد مرحلة زائدة عما ذهب اليه كل من روج وكروجر واطلق على هذه المرحلة المرحلة الوسطى intermediate stage الاطفال الامريكيين ، وفى هذه المرحلة وجد أن الاطفال يستخدمون عبارات ذات معنى اجتماعى ، ولكن بطريقة ميكانيكية آلية ومحفوظة عن ظهر قلب ، المثال النموذجى هو مصطلع باى باى bye-bye وعلى الرغم من انها ذات مسحة اجتماعية الا انها لم تصبح اجتماعية بصورة كاملة ، كما انها من وجهة اخرى ليست لها صفة التمركز الذاتى بصورة كلية ٠ وجدير بالذكر فان مكارثى فى احدى دراساته قد وجد ان استخدام الطفل للكلمات يختلف تبعا للفرد المخاطب ٠ والكلام ذو المسحة الذاتية يكثر عندما يتكلم الطفل الى طفل آخر ، الا اننا نجد نوعا من الكلام ذو صبغة اجتماعية اكبر يحل محل هذا النمط السابق عندما يتكلم الطفل الى الكبار والبالغين المحيطين به ( ماكارثى ١٩٢٩ ) ٠

## نمو الجملة فى لغة الطفل :

كما فرغنا من الاشارة الى أن الطفل يبدأ نمو لغته بجملة ضمنية ، أو الكلمة الجملة ، أو بكلمات فردية ٠ والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : كيف تتطور الجملة ذات الكلمة الواحدة الى بناء منظم من الاجزاء المترابطة وظيفيا ؟

---

Hubert Bonner : Social Psychology, Op. Cit., P. 61.

ان الطفل فى تفاعلاته مع الآخرين يتعلم تدريجيا ان وسيلة الكلمات .. الجمل ، تفشل فى جعله ان يكون مفهوما عن طريق الآخرين . ان هـــذه الوسيلة تجعله يخفق فى كثير من جوانب خبراته اليومية ، خاصة جانب التوجيه والضبط عن طريق الآخرين . ولاجل هذا فانه يسقط بالتدريج لغته المتفردة هذه . ويتبنى ما هو مفهوم للآخرين . فاللغة اذن من وجهة النظر السيكولوجية ـ الاجتماعية ما هى الا وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى . وعلى ذلك فان الكلمات ، وتركيب الكلمات التى تفشل فى اظهار الاستجابات المتوقعة فى الآخرين عادة ما تكون عديمة النفع والفائدة . كما ان الاصوات مثل الكلمات فى هذا غالبا ما تهمل لنفس هذا السبب . وجدير بالذكر انه بحلول الشهر الرابع من حياة الرضيع نجده قادرا على اخـراج جميع الاصوات الموجودة فى اى لغة من اللغات .

وعموما فان الانتقال من الكلمة ـ الجملة ، الى الجملة الكاملة تشير الى فترة هامة للغاية فى النمو اللغوى للكائن البشرى ، حيث نجد أن الوظيفة الأولية لجميع الاساليب الكلامية ـ سواء كانت كلمة ـ جملة بدائيـــة ، او كانت جملة مصاغة بوضوح ، هو فى كونها وسيلة ضبط وتوجيه للسلوك الانسانى . فالعلامة المميزة للجملة الكاملة يتمركز فى طبيعتها الحـــوارية interlocutory . انها هذه العلامة او الصفة التى تجعل اللغة ذات صبغة اجتماعية بحق ، وبتعبير بياجيه Piaget ففى هذه الآونة فان ضبط وتوجيه السلوك يحدث على مستوى الاتصال الاجتماعى ، او على مستوى المحادثة او الحديث . ان اللغة الاجتماعية وسيلة تنسيقية تكيفية اكثر من كونها وسيلة ضرورية ملحة ومؤكدة للذات . وبالتالى فانها عنصر اساسى فى جميع الافعال المدبرة والمتفق عليها . انها تجعل من الممكن الاخذ والعطاء التى تجعل حياة الجماعة حقا اجتماعية .

## اللغة والفكر

ان العلاقة بين التفكير واللغة مسألة متكررة الوقوع فى علم النفس الاجتماعى . ومع ان هذه المشكلة حقيقة واسعة ومراوغة الى حد كبير ، الا اننا نرى اذا اريد معالجتها بطريقة مناسبة فى ثنايا هذه الصـــفحات فانه من الضرورى ان نقتفى وعـــلى الأقل اثر العلاقة بين الفكر والرموز بطريقة عامة .. حيث ان السلوك الاجتماعى لا يمكننا تفهمه بصورة كافية بدون ذلك .

لقد عانت سيكولوجية اللغة طويلا من التأثير الضار لماكس مولر M. Muller

فى تحليله المغرض والغامض للعلاقة بين التفكير واللغة ، اذ يشير الى ان كل من التفكير واللغة ينشآن معا عند الانسان ، ويستحيل وجود واحد منهما بدون الآخر ، ويستطرد بقوله بما ان الحيوانات الادنى من الانسان ليست لها لغة فانها لا تفكر ، وبالعكس لكونها غير قادرة على التفكير فانها لا تستطيع الكلام • ولقد اثبتت الدراسات النفسية ان الانسان لا يستطيع تنمية وتطوير كلامه خارج جماعة اجتماعية وبالاضافة الى انه اتضح أن الحيوانات لها القدرة على التفكير •

وفى هذا المضمار فان تجربة كيلوج Kellogg (١٩٣٣) مع الشمبانزى أشار الى أنها تفكر وتسلك بذكاء خلال السنة والنصف من حياتها بصورة أكبر من ولده ، فلقد احضر جاوا GUA شمبانزى تبلغ من العمر شهرين ونصف الشهر ودونالد Donald ابنه الذى يبلغ من العمر خمسة أشهر ، ودرب كليهما ليؤديا افعال متشابهة ، واختبرا باستمرار خلال فترة التجربة وانتهت التجربة حين وصل الشمبانزى ستة عشر شهرا ونصف ، وبلغ دونالد تسعة عشر شهرا • واثبتت النتائج ان الفروق بين الاثنين خلال السنة الأولى كانت ثابتة لصالح الشمبانزى فى كل من النمو الجسمى والعقلى والذاكرة والتعلم • كما ان الشمبانزى كانت متفوقة فى التفكير السببى عما وجد عند الاطفال الا ان كيلوج لاحظ ان الطفل بعد السنة الأولى من عمره تقدم بسرعة اكبر من الشمبانزى •

كما ان تجارب فيرلن verlaine ومعاونيه (١٩٣٢) على القرد كوكو Coco ، تؤكد ان الحيوانات لديها القدرة على التفكير ، اذ اتضح ان القرد كان قادرا على آداء اختبارات كاملة على مستوى الانسان من سن الخامسة الى السابعة ، اذ يستطيع ان يصنف النباتات والحيوانات ، ويتعرف على الطيور •• الخ • بالاضافة الى انه كان يستطيع أن يتعرف بسرعة ويتفهم اشكال التجارب الذى شارك فيها وادى العمل بها بدون صعوبة • وبالتالى فان فيرلن استنتج بأن عمليات التفكير عند القرد هى نفسها ما لدى الانسان • وان الفرق ذو الدلالة والمعنى يكمن فى الحقيقة بأن الانسان يفكر بصورة اكبر واعلى من القرد •

وعلى ذلك فان الدراسات دعمت الافتراض بأن التفكير قد يستمر فى غياب نمط الاستجابة الرمزية والتى نسميها باللغة ، وهذا الافتراض قد دعم بصفة عامة على ايدى علماء النفس الاجتماعى • وبالتالى فان هذا لا يعنى أن اللغة والفكر بمثابة عمليات مستقلة تماما ، وعلى النقيض من ذلك فانهما فى الجوانب الاكثر دقة ونقاء من السلوك الرمزى البشرى عادة ما يكونان متداخلين ويعتمد كل منهما على الآخر •• وعلى ذلك فان المغالطة

فى آراء مولر Muller ورفاقه لا تنحصر فى تاكيدهم فى اعتماد التفكير على اللغة فقط . ولكن فى اعتقادهم بانه بما ان الحيوانات السفلى ليست لها لغة . فانها بالتالى غير قادرة على التفكير .

## دور المفاهيم :

ان العلاقة بين الفكر واللغة تتضح بصورة بارزة فى استخدام الانسان المفاهيم . فالمفهوم هو فى جوهره تعميم للادراكات فكلمة كرة ليست مدرك متفرد . ولكنها مفهوم ، نموذج مثير يجمع ويحتوى على مجموعة متنوعة من الخبرات الفردية . ويشير سابير Sapir ( ١٩٢١ ) الى انه عندما تجتمع مع مفاهيم اخرى فانها تكون تدفق للكلام ، بينما المفاهيم المختلفة توضع فى علاقات تبادلية مشتركة بعضها مع البعض . فالكلمة اذن مفهوم، تمثيل رمزى كما ان اللغة بديل للاستجابات الجسمية للبيئة ، بمعنى أن علامة او مفتاح التكيف لا يكون موجودا فى وقت الاستجابة . وهكذا فاذا كان فى غياب كرة الطفل ينطق بكلمة « كرة » وتحضرها له الام ، فان الكلمة تستخدم كبديل رمزى للكرة ، وعلى ذلك فان الكلمة البديلة الآن توفر للطفل شكلين هامين من السيطرة :

(١) وسيلة للتحكم على موضوعات بيئته .

(٢) القدرة على التعميم أو التجريد .

فكلمات الطفل تعزى الى فئات من الموضوعات ، اكثر من موضوع منفردة . وبالتالى فان جوهر المفاهيم ، واللغة كذلك ، يكمن فى دلالالتها لاكثر من موضوع واحد .

ان الطبيعة التصورية للغة يمكن ادراكها بوضوح فى الفكر المجرد ، خاصـــة فى احضان اللغة العلمية او اللغة الفلسفية ، فكلما كانت اللغة اقل نماءا وتطورا كلما كانت التجريدات المستخدمة فيها اقل ، وكلما كانت تمييزها بين الموضوعات بصورة ادق . فكلام الهنود الكلامائيين Klamath Indians ، ذات الثقافة المتواضعة والمنخفضة نسبيا ، لا تجد فى لغتهم ولو كلمة واحدة مرادفة لكلمة « يجرى » run حيث ان لديهم كلمات مختلفة تصف « الجرى » لكل حيوان . كما ان بعض اللغات ليس لديهـــا ولو تعبير واحد لكلمة « اخ » brother ولكن كلمات اخرى مختلفة للأخ الاكبر والأخ الأصغر ، كما ان اللغة الالمانية تفرق بين الاكل عن طريق الانسان والاكل بواسطة الحيوان، كما ان العرب لديهم ما يقرب من ستة آلاف مصطلح ترتبط بالجمل ، مثل جمل اللبن ، جمل الركوب . كما ان بعض

الشعوب ليس لديهم مصطلحا مجردا لكلمة شجرة ، وبالتالى يجب علينا أن نشير الى اى نوع من الاشجـار يشيرون اليه - مثل شجره القضبان او البتولا birch tree وشجرة اللوط . كما ان الاسكيمو يميرون بدقـة بين الانواع المختلفة للثليج ، مثل ثلج المياه العذبة ، أو ثلج المياه المالحة ، وذلك وفقـا لتحليل بوس Boas (١٩٣٨) (١) ويسـتطرد بوس كذلك بالاشارة الى اننا تقول أن جارنا مريض ، ونرى ذلك معبر عنـه فى لغة الكواكيتل الهندية Kwakiutl بالجملة الآتية « ان ذلك الرجل الخفى علمت انه يرقد بجوارى مريضا على ظهره مطروحا على الأرض . وفى المنزل المجهول بعيدا عنك » ، ومن المستحيل على هـذا الهندى ان ينقل معلوماته بطريقة اخرى وذلك لان الصيغة التى تتخذها جمله وعباراته محددة بواسطة البناء الرمزى والنموى للغة الكواكتيل .

وعموما فان هذه الاختلافات فى استخدام المفاهيم لا تحدد بصـورة بيولوجية ، فالحياة الاجتماعية لكثير من الشعوب لم توفر لهم مصطلحات وتعبيرات عامة وذلك لان نموذج حياتهم ليس فى حاجة الى ذلك .

### الفكر والتخيل :

ان مشكلة العلاقة بين الفكر والتخيل فى جوهرها مثل العلاقة بين الفكر واللغة ، فالفكر قد يحدث بدون تخيل ، ولكنهما غالبا ما يحدثان معا . فالكلمات بمفردها وبدون وجود تخيلات قد تنقل الفكر ، وفى الاشكال الاكثر تجريدا من التخيلات الفكرية قد لا تكون غائبة بصورة كلية فقط ، ولكن وجودها قد يعمل كعائق ، عندئذ قد يقال ان التخيل يلعب دورا هاما فى تفكير الإنسان . والتوقع بهذا المعنى يعنى التخيل ، كعملية رمزية والتى قد يحدث فيها المثير الغائب استجابة حاضرة . ان التخيل عملية نشيطة جدا لدى معظم الاطفال فى سنوات ما قبل المدرسة ، وجدير بالذكر فان عملية التطبيع الاجتماعى تقلل من سلوكه التخيلى . ان تخيلاته الجامحـة تفتح الطريق امام التلاعب الر Symbolic manipulation ، بمعنى أن تفكيره يصبح اكثر مسئولية وسهل الانقياد للعملية التربوية داخل المدرسة وداخل ملاعب الاطفال .

وعلى الرغم انه من الضرورى بالنسبة للطفـل ان ينتقل من السلوك التخيلى الى التفكير ، الا اننا يجب ان ندرك ان الانتقاص الى الأول لـه

(1) F. Boas : General Anthropology, mentioned in H. Bonner : Social pschology, op. cit., P. 65.

خطره وليس هناك الا دليل التحليل النفسى يدعم هذا الاستنتاج . فان الانتقاص للسلوك التخيلى قد يقلل احتمال حل الصراعات الصغيرة ويزيد من احتمال وقوع امارات سوء التكيف .. ( أنا فرويد ) ١٩٣١ .

ولقد جذب جيرسيلد Jersild (١٩٤٤) الانتباه الى الوظائف القيمة للنشاط التخيلى عند الطفل اذ يشير :

« ان الطفل خلال تخيله يستطيع ان يواصل تفكيره على مستوى أقل من التركيز ، فهو يقدر على حل المشكلات التى لا يستطيع أن يعالجها عندما يتعامل مع الحقائق ، ليتغلب على حدوديته ، وليتغلب بخياله على بعض التزاماته ، وليتخطى حدودية الوقت والمسافة ، وليقرب العالم اكثر الى مستوى رغباته الحاضرة ، وليتعامل مع بيئته بسهولة اكبر .. » (١)

انه ليس من السهل دائما ان نفرق بين هذا النموذج من النشاط التخيلى الطليق وتنظيم الرموز فى التفكير المقيد . وفى أحوال كثيرة فان التخيل يكون وسيلة للتنظيم وللتعبير عن ميول الفرد ، ولمساهمة القيم الجديدة للموضوعات القديمة والخبرات القديمة غالبا ما تقودنا الى اكتشافات وابتكارات جديدة ، ونعتقد أنها مصدر قوة وشيىء ذو قيمة للفرد ومجتمعه .

## مرتبة المعنى فى اللغة والفكر :

ان العلاقة بين الفكر واللغة يمكن توضيحها حين نضع فى الاعتبار مشكلة المعنى . وفى هذا الشأن يجب ان نعود مرة اخرى الى مناقشة ميد Mead (١٩٢٩) عن اللغة خاصة تحليله للرموز ذات المعنى والدلالة .

ان الرمز ذوى الدلالة والمعنى بمثابة ايماءة تثير فى الشخص الذى يؤديها نفس الاستجابة التى تثيرها لدى الشخص الموجهة اليه الايماءة . فالفرد يأخذ اتجاه الآخر نحو ايماءاته الخاصة . ففى هذه العملية نجد أن كل ايماءة تمثل استجابة معينة ، وان الاستجابة التى تحدثها للتو لدى الفرد التى تكون موجهة اليه والفرد الذى يؤديها ؛ وهذه الاستجابة المعينة التى تعتمد عليها هى معناها بمثابة رمزا ذو معنى ودلالة . أن جوهر التفكير هو هذا الفعل التذويتى الداخلى فى خبراتنا لحادثة الخارجية

---

(1) A.T. Jersild, Child Psychology, New York, Prentice-Hall Inc. 1944, P. 386.

للايماءات التى نتداولها مع الاشخاص الآخرين • ان الايماءات الذويتية الداخلية بمثابة رموز ذات معنى ودلالة • وذلك يرجع لان لها نفس المعنى والدلالة لجميع الافراد فى جماعة اجتماعية معينة •

ان عملية تكيف الفرد لآخر خلال عملية الاتصال بواسطة الرموز ذات المعنى والدلالة بمثابة المعنى للمعنى ، والمعنى تبعا لذلك ينبع دائما من الخبرة الاجتماعية الانسانية ، انها متضمنة فى هيكل الفعل الاجتماعى ، ونفس وجهة النظر هذه اشار اليها جون ديوى J. Dewey (١٩٢٩) بقوله : ان مدلول معنى النشاطات الفطرية ، ليست فطرية ، انها مكتسبة ، اذ تعتمد على التفاعل مع وسيط اجتماعى ناضج •

ان هناك دليل فى هذا التحليل للارتباط بين التوقع والمعنى من ناحية ، وبين المعنى والتخيل من ناحية اخرى • فالمعنى هو توقع فعل لم يحدث بعد ، ولكن يجب أن يحدث ، فى استجابة للموضوعات أو للاشخاص فى بيئة الشخص • ان الشخص يتوقع او « يتخيل » الشيىء غير موجود او ان فعل شخص آخر لم يؤدى بعد • ان كل من المعنى والتخيل يكون وظيفيا فى صفاته • وهكذا فان الكرة بالنسبة الى الطفل شيىء ينطق على الأرض ، وللعالم بمثابة جسم كروى • ففى الحالتين نجد ان معنى الكرة وتخيلها تنشأ فى قالب اجتماعى من الاتصال ، وهى مشروطة بالوظيفة التى تؤديها•

والمعنى هو بالتالى ظاهرة مركبة ، انه لا ينمو فقط من الخبرة ولكنه يكتسب اتساعا وشمولا بها • انه ليس معزولا ولكنه جزء وظيفى لخبرة مستمرة : فمثل الكلمات والمفردات نجد كذلك المعانى تشكل مجموعة من الروابط بين كل منها والآخر ، وبينها وبين الموضوعات لأى شىء ما أو حادث معين يزداد عندما نربطه بأشياء او احداث كثيرة • وهـــذا عادة ما يرى ويلاحظ فى التعاريف الشكلية المصاغة للكلمات ، فعندما تعرف كلمة بأخرى ، وهذه الأخيرة بكلمة اخرى وهكذا • فالكلمة مثل التخيل image تعنى شيئا وراء نفسها • وكل منها رموز تمثل شيئا آخر غير نفسها • ما الذى يجعل كل من الكلمات والتخيلات ادوات نقل للفكر ، ومع ذلك بأن مرجعها ليس لكلمات أو تخيلات اخرى ، ولكن لتنظيم الخبرات فى نماذج •

ونستنتج من تحليلنا أن طبيعة الفكر يمكن ان يشتق فقط من المعنى ، والمعنى وحده يستطيع أن يعطى الدلالة للكلمات والتخيلات • والمعنى فقط يستطيع ان يجعل الفكر شيئا اكثر من الكلام الغامض • خال من المعنى •

## الوظائف الاجتماعية للغة

اللغة فى جوهرها اجتماعية ، ولقد تطورت اللغة ـ كما رأينا فى عرضنا الموجز السابق ـ من الايماءات الحيوانية الى النظام الرمزى لكى يشبع حاجات الأفراد فى الجماعات المختلفة . وحيث أن معظم الحاجات الفردية يمكن اشباعها فقط فى حياة الجماعة ، فان اللغة كانت دوما وسيلة هامة لجعل هذه الحاجات معروفة واشباعها عن طريق افعال متفق عليها . فاللغة تنشأ وتبقى وذلك لان تأثيرها ضرورى فى ربط الأفراد بعضهم مع البعض فى جماعة اجتماعية . كما انها بمثابة وسيلة للاتصال والضبط الاجتماعى . كما ان اللغة لعبت دورا اضافيا لبعض الوظائف الانسانية الأخرى .. وسنرى تفصيل ذلك فى ثنايا الصفحات التالية :

### اللغة كوسيلة للاتصال الاجتماعى :

انه لمن المألوف من الناحية الاجتماعية . ان الشىء الاساسى لجميع التنظيمات الاجتماعية الانسانية هى الاعتماد المتبادل فيما بينها أو سمتها الاجتماعية . ان الرابطة الانسانية والتى تتسم بالمعايشة ما هى الا نوع من التفاعل الاجتماعى والذى فى احضانه يتصل كل فرد بالآخر . والمجتمع الانسانى هو نوع من الاتصال ، حيث يتضمن اشتراك الافراد فى انشطة جماعية متبادلة وفى مشروعات مشتركة . والأهم من ذلك نوع الاتصال والذى نسميه باللغة ـ بعكس ذلك الذى بمثابة الايماءه الكلية كما فى حالة صياح الحيوان حيث نجد ان ايماءة الحيوان توجه حيوان آخر نحو موقف خارجى . انه يتضمن فعل احد الاشخاص الذى يأخذ دور شخص آخر ، الذى يؤثر فيه . ان عملية الاتصال تبعا لذلك ليست مجرد نقل الافكار المجردة فقط ، ولكنها عملية وضع اتجاه الشخص فى مكان اتجاه شخص آخر ، حيث يؤثر الرمز على الشخص الآخر كما يؤثر على الشخص ذاته . وبنفس الاسلوب والطريقة . واذا ما آثار المتصل فى نفسه نفس انفعل الذى يحدثه فى الآخرين فانه بالتالى يسهم فى تنظيم المجتمع الانسانى . والمجتمع كما يشير ديوى Dewey مرارا يكمن فى عملية الاتصال ، فكلما كان الاتصال اعمق وبصورة متبادلة ، كلما كان المجتمع اكثر تنظيما وتماسكا . ولقد اشار ميد Sapir الى ملاحظة ثاقبة بهذا الخصوص . بالاشارة الى نظام مثالى من الاتصال حيث يقول :

« اذا كان اى نظام من الاتصال يمكن ان نجعله من الناحية النظرية

كاملا . فان الشخص يجب ان يؤثر فى نفسه كما يؤثر فى الآخرين فى كل الطرق والوسائل . ذلك سيكون مثالية الاتصال أو الاتصال الأمثل ، وعموما فان المثالية يمكن التوصل اليها من خلال المحادثات او المعالجات المنطقية اينما كانت مفهومة . ومعنى ذلك هو ان ما لنفس الفرد هو نفس ما للاخرين او لأى فرد أخر . والمناقشات المنطقية هى اذن الصورة المثالية للاتصال . واذا كان الاتصال بصورة كاملة ، عندئذ سيوجد نوع من الديمقراطية .. حيث ان كل فرد سيعمل الاستجابة فقط الذى يعرف أنها تستدعى فى المجتمع . ذلك هو ما يجعل الاتصال فى معناه ذو الدلالة بمثابة العملية المنظمة فى المجتمع .. » (1) .

انه ليس من الضرورى ان نتأمل قيمة الاتصال المثالى لندرك اهمية الاتصال فى اللغة والحضارة . ان نمو الحضارة قد تحدد عن طريق اتساع رقعة الاتصال ومداه . ويشير سابير Sapir انه بواسطة الاتصال قد تكون العالم المتمدين باجمعه ، ولاغراض معينة . العدالة أو التكافىء النفسى لقبيلة بدائية والتى فيها بفضل الرموز العامة والشائعة نجد ان كل فرد يستطيع ان يتفهم الآخر . ان أهمية الاتصال كمبدأ منظم قد وضع بطريقة مناسبة عن طريق فهمنا العام لعالم العلوم ، حيث تتعدى المعرفة الحدود الجغرافية والثقافية . وجدير بالذكر فان اتصال المعرفة العلمية حتى الآن قد نتج عنه وحدة اجتماعية اكبر واعظم من اى جانب آخر للعملية الرمزية .

وبينما نحن نؤكد الخواص الاجتماعية للاتصال ، فيجب أن لا نفقد الرؤيا لطبيعتها التفردية ؛ كما لاحظ سابير بحساسيته غير العادية للمكونات السيكولوجية الدقيقة للغة : بأن اللغة عامل فردى فعال فى نمو التفردية ، فمثلا ، حتى فى استخدام الصوت يكيف عن طريق الاتصال الاجتماعى . فالصوت عملية فسيولوجية الا ان طريقة استخدامه يحدد عن طريق التوقعات الثقافية . فالايقاع المميز والخاص لجزء من الأفراد او المجتمع يجسد ويندمج فى كلامه . فالعضوية فى فئة معينة وكذلك وظيفته تنعكس فى صوته الى حد ما ، وهذا ما ذهب اليه بيير T.H. Pear (١٩٣١) . وبالتأكيد فان نموذج الايقاع للكلام العلنى ما هو الا بمثابة توافق للفرد للتوقعات الاجتماعية .

كما توجد جوانب تفردية اخرى للاتصالات الانسانية ، فسرعة النطق

---

(I) mentioned ir, H. Bonner : Social psychology, Op. Cit.. P. 69.

الواضح عادة فردية الى حد كبير ، كما ان بناء وطول الجملة يختلف من شخص الى آخر ٠ ونوعية ونمو المفردات يختلف بطريقة ملحوظة تبعا لثمة عوامل فردية مثل الذكاء والتعليم والعضوية الاجتماعية ، كما ان الصوت ودرجته يرتبط بصورة وثيقة بالاستقرار الانفعالى للشخص ٠

## اللغة كوسيلة للضبط الاجتماعى :

ان الطفل فى عملية نقل مطالبه واحتياجاته الى الكبار ، فان الطفل يستخدم وسيلة بدائية للتأثير على سلوك الآخرين ٠ ان صوت كلامه يدفع الآخرين للعمل لاشباع حاجاته ٠ هذه التعديلات البدائية للطفل لسلوك الكبار يشير الى مرحلة اولية من العمليات الاكثر تعقيداً للضبط الاجتماعى ٠ وانه لمن المحتمل الى حد كبير أن يكون السبب الاساسى لنشأة اللغة وتطورها يكمن وراء فائدتها فى التأثير على الكائنات ذات التكوين المماثل ٠ ومع ان اللغة تنشأ نتيجة لاسباب أخرى ، الا انها من الصعب أن تبقى ما لم تمنح الاستقرار واستمرارية الوجود للجماعة ٠ وعموما فان اللغة منذ نشأتها يجب ان تعمل من أجل الوصول الى هدف جوهرى واحد ، وهو التأثير على تفكير وسلوك الأفراد بالنسبة لبعضهم البعض ٠

وبتطور كل من الحياة الاجتماعية والعملية الرمزية ، فان الضبط الرمزى للآخرين اصبحت وبالتدريج أكثر تنظيما ودقة ٠ وجدير بالذكر فان الضبط على هذا المستوى المتقدم ما هو الا بمثابة تنظيم لمصلحة التماسك الاجتماعى والمجتمع ككل ٠ وفى نفس الوقت عبارة عن ازدياد للغموض وعمليات ما قبل الشعور ٠ وهذه حقيقة فى الأدب والتربية بصفة خاصة ٠ ففى هذه النشاطات فمن النادر ان يعى بانه اما أن يوظف أو يخضع للضبط الرمزى ٠ لقد اصبح لا يفكر فى اللغة كضابط ولكن كوسيلة للتفاعل مع الكائنات الآدمية الاخرى ٠

## اللغة كأداة للتعاون الاجتماعى :

لقد اصبح الانسان اجتماعيا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى اذ انه يشارك فى علاقات تعاونية مع الآخرين ٠ فانجاز الفرد لغايات معينة يتطلب التعاون أو على الاقل التعاطف مع الآخرين ٠ انه من الضرورى لنا أن نضع فى الاعتبار التقدير الذى اعطيناه لعملية الاتصال على المستوى الانسانى ٠ فالاتصال هو عملية وضع الذات فى مكان الذات الاخرى ، حتى أن الرمز الذى يؤثر فى الآخر يؤثر بالتالى فى الشخص ذاته وبصفة مماثلة ٠ ان

توجيه الفرد فى عمل تعاونى يحدث عندما يستطيع « ان يأخذ دور الآخر » وذلك باستعمال تعبير ميد Mead وفى غياب عملية اخذ الدور role taking لا يمكن ان نصل الى التعاون الحقيقى، وذلك لان تأثير اخذ ـ الدور يكمن فى التوجيه
نصل الى التعاون الحقيقى ، وذلك لان تأثير اخذ ـ الدور يكمن فى التوجيه التى تعطيه للفرد زيادة الاستجابات الخاصة · فالتعاون لا يتضمن فقط عملية التوجيه والضبط المشترك والجماعية ولكن بالاضافة عملية الضبط الذاتى ·

ان اللغة التعاونية عملية عقلية منطقية ، وذلك لان للافـــراد الذين يستخدمونها هدف عام · انه معقول وذلك لان كل فرد فى عمل تعاونى يكيف نفسه لمعنى هذا الهدف الذى يعبر عنه فى افعال كل منهم · كما ان لغـــة المريض الذهانى غالبا ما تكون لا معنى لها وذلك لافتقادها الهدف الضابط · فالشخص الذهانى عنيف أو ساذج · وذلك لان له تحكم ضعيف أو بدون تحكم كلية على رموزه اللغوية · انه بعيد عن الاتصال بالواقع لانه لا يستطيع ان يأخذ دور ـ الآخر ، انه معزول ومنسحب لافتقاده وسيلة الاتصال والتى هى فى جوهرها وضع الذات مكان الذات الاخرى · وبالتالى فان الرموز فى عملية الاتصال لا تؤثر فى الآخرين كما تؤثر فى ذاته ، الى حد أن التعاون مع هذه الفئة غالبا ما يكون صـــــعبا او مستحيلا · ان المريض الذهانى لايستطيع ان يتعامل مع زملائه الذهانيين الاخرين ويرجع ذلك لنفس السبب الذى ذكر سابقا · وهذه الانماط السلوكية المنظمة فى تجميع المرضى كما هو الحال فى جوهره توفيقى أكثر من كونه تعاونى ، ويمكن الحصول عليه عن طريق الضبط الخارجى : كالاقناع والاقتراح والملاحظة والمداهنة ، والاجبار ·

ان وظيفة اللغة كأداة للتعاون يمكن ان توضح بصورة اكبر بمقارنة هذا النوع من التفاعل مع ذلك لدى الحيوانات الادنى ·

ففى دراسة لكوهلر Kohler (١٩٢٩) على الشمبانزى وهى معروفة بأنها اجتماعية بصورة اكبر من اى حيوان آخر ، فلقد وجد كوهلر تعاونا اجتماعيا حقيقيا ولكنه بصورة صغيرة · انهم لا يشتركون فى اعمال متفق عليها نحو غاية مشتركة · ان الانشطة الاجتماعية لجميع الحيوانات السفلى ما هى فى جوهرها الا الميل للانتماء للجماعة او نزوع التعايش مع بنى جنسه ، اكثر من كونها تعاونية كما يستخدم هذا التعبير للنشاطات الانسانية · فنوع وشكل الفعل المتفق عليه والذى يظهر فى دفاع الحيوان ، فعندما يصيح احدهم فانه يثير الآخرين ليتخذوا فى العمل ، الا انه ليس شكلا سلوكيا منسقا بصورة كبيرة · انه سلوكا آليا وغريزيا · ان صيحات القـــردة والتى كثيرا ما تفسر على انها نوع بدائى من الكـــلام ، نجد مالينوفسكى Malinowski يصفها وصفا مناسبا بتعبيره بأعمـــال

المشاركة الاجتماعية Phatic communion ، وهى حـــالة تكون فيها الحيوانات فى جو يتسم بعلاقات مؤثرة ومتناسقة بعضهم مـــع البعض الآخر . كما أن الايماءات الصوتية للقردة الانثروبويد Anthropoids لها طابع اكثر تعقيدا ومتميزا فى الاتصال عما هو موجود لدى الحيوانات الأدنى منها بالمقياس الارتقائى الفيلوجينى ، الا أنها مع ذلك ليست وسيطا للتعاون .

وعموما ، فان اقوالنا السابقة لا تنكر وجود الاشـــكال البدائية من التعاون بين الحيوانات الأدنى ، الا أننا ننكر انها تستعمل بواسطة اللغـــة كوسيط ، كما استخدمنا هذا المصطلح فى ثنايا هذا الفصل . فلقد عرف العلماء ومنذ وقت طويل وجود السلوك التعاونى لدى الحيوانات السفلى ، كما وجدوا إنهم لا يقومون كلية بعمل على مستوى النضال من اجل البقاء ، والبقاء للأصلح . فدارون Darwin الذى نسبت اليه نظرية التنافس الضارى للحيوانات السفلى فى مساهمته التاريخية ، كان على غير دراية بالطبيعة المدبرة أو الوفاقية للكثير من السلوك الحيوانى .. فقلد كتب كروبتكن Kropotkin (١٩١٤) مجلدا بأكمله لكى يدعم وجهة نظره بأنه ليس كل شىء فى عالم الحيوان بمثابة نضال وبقاء كمـــا ذهب الى ذلك دارون ، كما ان البيولوجيين المعاصرين وعلماء النفس قـــد اضافوا تأكيدات أخرى لما ذهب اليه كروبتكن (١) .

مما سبق يتضح لنا ان الوظائف الاجتماعية للغة تتمركز فى عمليـــة الاتصال الاجتماعى، وعملية الضبط الاجتماعى ، وعملية التعاون الاجتماعى. وهذه بمثابة انشطة انسانية مميزة وتحدد وتيسر بواسطة اللغة الإنسانية . واذا كان التعاون الانسانى ليس شائعا كما يريد ويحب الانسان ، فان هذا النقص يرجع فى جزء منه للاتصـــال الناقص او الى معوقات الاتصـــال الانسانى . فاذا كانت عملية ضبط الانسان لاخيه الانسان ما تزال بصورة وحشية بوهيمية فان مرجع ذلك الى اللاتعاونية السائدة بين البشر فى عصرنا الحديث . وفى جميع الاحـــوال فان ذوبان التفردية التى ينسبها الرجل العصرى خطأ الى وجود عملية الضبط الأجتماعى وانتشارها ، وعلى النقيض من ذلك يشير ميد G.H. Mead الى ذلك بقوله :

« ان عملية الضبط الاجتماعى حقيقة بعيدة عن الميل لتحطيم الفردية الانسانية ، أو لطمس الوعى الذاتى الفردى ، انه على النقيض منظم ومنسق مع هذه الفردية . وذلك لان الفرد هو ما هو عليه ، شخصية واعية متفردة ، تماما بالقدر الذى هو فيه عضو فى المجتمع محتوى فى عملية اجتماعية من النشاط والخبرة ، وبالتالى مضبوط اجتماعيا فى أنماط سلوكه.. » (٢)

---

(1) H. Bonner, Social Psychology, op. cit. P. 72.
(2) Ibid, P. 73.

## اللغة والثقافة

كما اشرنا فى بداية هذا الفصل ، ان اللغة تنقل ميكانيكية افكار الانسان واشكال سلوكه الناقل الوحيد للثقافة الانسانية • بالاضافة الى ذلك فان اللغة هى ايضا نتاج الثقافة ، حيث تشكل وتوجه فى كل دور وطور عن طريق العادات او التوقعات للجماعة الانسانية • وعلى ذلك فلا توجد صفة انسانية مميزة للغة اكثر وضوحا من ارتباطها الوثيق بالثقافة • ونظرا لاهميتها الكبيرة لعلم النفس الاجتماعى ، سنتأمل سويا العلاقة بين اللغة والثقافة •

### اللغة والوسائل والأدوات :

عادة ما يولع الانثروبولوجين بتلقيب الانسان بالحيوان صانع الوسائل والأدوات • وحقيقة لا شيء على مدى الانشطة البشرية باجمعها يميز نوعياتها وصفاتها الاجتماعية والعقلية اكثر من عمل واستخدام الوسائل والأدوات • واللغة نفسها فى الحقيقة ما هى الا احد اعظم ادواته ووسائله نفعا •

كما ان استخدام الانسان لوسائل وادوات ثقافته يبدو انه استحداث تام لهذه الوسائل ـ اى ان عنصر الابتكار والاختراع يتضمن فى الاستخدام الآدمى لوسائل وادوات ثقافته • ويشير كوهلر ان القردة مثلا لا تملك ثقافة حقيقية ، الا انهم يمتلكون وسائل وادوات ، فتجارب كوهلر على الشمبانزى توضح بأنه بعد مرور فترة زمنية تستحق الاعتبار فان الشمبانزى تعلمت ان تضع قضبان مع آخر لتجعل منها واحدة طويلة ، كما انها بالمحاولة والخطأ استطاعت ان تضع صندوقا على آخر ، وما شابه ذلك لكى تحصل على الطعام المعلق بأعلى القفص ، لقد تعلموا كذلك ان يمضغوا طرف العصا لكى يضعوها فى طرف مجوف من الخيزران ، ويشير كوهلر ان هذه الانماط السلوكية بمثابة انماط سلوكية مبتكرة او مخترعة ، ويقترح بناء على ذلك بوجود نوع من الثقافة البدائية Protoculture عند القردة •

الا ان هذه الثقافة البدائية للقردة ، وعلى الأخص فيما يتعلق باستخدامهم وعمل الادوات او الوسائل لها مميزات معينة تفرقها جوهريا عن الاختراعات الانسانية • ويشير كروبير Kroeber (١٩٤٨) الى ان الشمبانزى تجد عملية الاستنباط او الاختراع هذه عملية شاقة للغاية ، فاذا لم تستطع حل المشكلة بسرعة فانها تصبح غاضبة وبالتالى يتوقف

صبرها وبعد نظرها٠وجدير بالذكر فان صفةالصبر وبعد النظر التى تميزان جميع الاختراعات الابداعية الابتكارية ، وحل المشكلة نراها ضعيفة عند الشمبانزى . ويستطرد كروبر بقوله ، حتى رجـــال الفترة الاخيرة من العصر الحجرى Pre Neolithic لا يجلسون صابرين ، فان ما يريدونه، يريدونه بسرعة . ايفكروا فى المستقبل وليضحوا براحتهم الحاضرة من اجل مستقبلهم (١) .

ان هذا الانتقال من حالة الى اخرى ، يشير الى حقيقة هامة جـــدا فيما يتعلق بالانسان والأدوات والوسائل واللغة . ان ابتكارات او استنباطات فصائل القردة Anthropoid مورست بمفردهـــا لهدف توافق الاورجانزم لبيئته الحاضرة الحالية . الا ان الصفة المميزة للانسان انـــه يستطيع ان يرى آفاقا ابعد لمجرى الاحداث المستقبلة ، وانه بفعله هـــذا سوف يطيع البيئة لمصلحته الخاصة . فالانسان ليس مجـــرد كائن او اورجانزم متوافق ولكنه بالاضافة حيوان مخترع ومطـــور كذلك . وهو وحده دون سائر الحيوانات الاخرى يستطيع أن يصنع الوسائل والأدوات بواسطة الوسائل والادوات الاخرى .

بالاضافة الى أن القردة الـ Anthropoids لا يصيغون مجـــرى المستقبل ، ولا يضعون هدفا جماعيا مقدما ، فانماط سلوكهم خالية ومجردة من العادات والتقاليد المستقرة والباقية والتى تتصف بها حياة الانسان . كما انه فى غياب مثل هذه التقاليد فان الحيوان ليس له ميكانيكية او القدرة على تطوير ونقل ادواته ووسائله واختراعاته او ابتكاراته للأجيال القادمة . فالبصيرة لمجرى احداث المستقبل تتضمن القدرة على البنـــاء التخيلى ، والقدرة على التجريد . انها تتطلب القدرة الخاصة للتعامل مع الاشـــياء والاحداث بطريقة غيرمباشرة . ان عملية الضبط غير المباشر للانســـان على بيئته والتى توضح بصورة جلية العلاقة بين الوسائل والأدوات وبين اللغة الانسانية . ان الاختراع والابتكار واستخدام الوسائل والادوات يتضمن استخدام اللغة . ولاجل ذلك فاللغة كنظام من المفاهيم أو الرموزفهى بالتالى وسيلة للتعامل مع عالم الموضوعات والاشياء بالوسائل غير المباشرة .

واللغة على ذلك بمثابة ضابط تصـــورى للسلوك الانسانى ، والأداة أو الوسيلة هى نوع واحد من أدوات ووسائل هذا الضبط وكل وسيلة ما تتضمن غاية سبق تصورها ، وكل غاية سبق تصورها ، وكل غرض

(1) A. L. Kroeber, Anthropology, New York, Harcourt Brace, 1948, P. 59.

موجود بفضل الكلمات والتجريدات . ان كل خطوة فى عملية عمل الأدوات والوسائل تتضمن فى جوهرها توقع غاية معينة . كما أن التصور للغاية هو ايضا مفهوم معين ، حيث يرمز الى حالة عامة ومجردة من المصالح . وهذا الترميز لموضوع المصالح هو بدقة السلوك اللغوى وعلى ذلك فـــان اختراع الوسائل والأدوات يفترض مسبقا وجود لغة . تماما كما هو فى حالة الكلام فالانسان يمارس عملية الضبط الذاتى وكذلك ضبط الآخرين، وهكذا فبواسطة الوسائل والأدوات اصبح الانسان فى مقدوره أن يطـــور نفسه والطبيعة معا . والعالم الذى صنعه الانسان والذى بدوره قد احدث تغيرا فى نفسه ما هو الا مجموعة اجتماعية ارتبطت بعضها ببعض عن طريق الوسائل والأدوات وايضا بالكلام .

وعموما فمهما كانت العلاقات بين اللغة والوسائل والأدوات فان أصول ذلك قد لا يعرف مطلقا ، ولكن بما أن الاثنين كانا متعاصرين منذ أن تطور الانسان واصبح حيوان بانيا للثقافة ، فان ذلك دليلا موجودا واستنتاج مقبول شكلا . فثقافة الانسان تتكون من وسائل وادوات ومن اعمال فنية اخرى ، انها مجموعة الطرق للعيش معا . واللغة نوع هـــــام من الحياة الجماعية واللغة جزء جوهرى من عملية الاتصال المركبة والضبط الاجتماعى والتعاون .

**اللغة كوسيلة للاستمرار الثقافى :**

اذا كان كل جيل من البشر عليه أن يبدأ حياته الاجتماعية من جديد فلن تدوم الحياة والتقدم والثقافة الانسانية ، ان النقل الثقافى من جيل الى جيل آخر قد اصبح ممكنا من خلال اللغة . ان التراكم المعرفى للمعلومات والمهارات ، وتعلم استخدام الادوات ، وانتشار العادات والتقاليد اصبح ممكنا كذلك فبفضل اللغة . كما أن كل شيء ذو اهمية ومعنى يمكن أن يحفظ وينقل للآخرين من خلال الكلمات كذلك .

ان الطبيعة الاتصالية للغة هى ايضا خلاقة . فالثقافة من النادر ان تستمر بدون تغيير . فكل جيل يضيف بعض العنـــاصر ويستبعد البعض الآخر . وهكذا وعلى الرغم من ان كل جيل يبنى الى الأساس الاجتماعى للحياة الاجتماعية المنظمة الموروثة من الماضى ، الا انه ايضا يخترع نمـــاذج واشكال جديدة للحياة الاجتماعية وعن طريق اللغة فان الأنسان لا يخترع ويبتكر فقط ولكنه بالاضافة يحافظ على ما اكتسبه .

كما ان مفهوم الانسان عن العالم الثقافى الذى يعيش فيه يحـــدد

كذلك عن طريق لغته ، والانسان حقيقة يعتمد كليـــة على الرموز التى يستخدمها الى درجة ان القيم الاجتماعية الماضية والتى تنعكس فى لغته ، تؤثر فى مدركاته وذكرياته وافكـــاره واتجاهاته وانفعالاته ومشــاعره واحاسيســه • كما أن المفاهيم اللفظية التى تتضمن لغة الناس توجه مجرى نمو الطفل •هذا بالاضافة الى ان عملية التطبيع الاجتماعى التى عن طريقها يتحول الكائن البيولوجى الى كائن انسانى تأخذ مجراها خلال المعانى المنقولة اجتماعيا والتى تتضمن ثقافة الجماعة (١) • فاللغة بتعبير دقيق تعمل على التماسك الاجتماعى والاستمرار الثقافى •

## اللغة والمركز الاجتماعى :

فى وصف العلاقات بين اللغة والثقافة ، فانه من السهل نقل الانطباع بأن الفرد يتأثر بواسطة اللغة والثقافة ككل ، الا ان هذا ليس فى الحقيقة هدفنا ، ولا يوجد فرد فى امكانه أن يخبر ويفهم ثقافته فى كليتها ، أن سلوكه يحدد الى حد كبير عن طريق اجزاء صغيرة من ثقافته الكلية فمثلا ، الكلمات التى يكتسبها الطفل تحـــدد بواسطة مركز والديــه فى السلم الاجتماعى • كما ان الراشد يتكلم بلغة الجماعة الاجتماعية المعينة التى ينتمى اليها • وعموما فانه توجد ادلة كثيرة بأن نمو اللغة يكون مشروط بالحالة الاجتماعية ففى البيئة اللغوية للأمى او فى تلك الجماعات المتعسرة اقتصاديا غالبا ما تكون مفردات الطفل اللغوية محدودة بصورة ظاهرة•، بعكس ذلك الذى نجده فى الجماعات الاجتماعية العالية حيث نجد الطفل يستطيع تعلم رموزا لغوية وفيرة •

فهيا بنا نتأمل بعض الأدلة التجريبية التى تدعم الادعاءات سابقة الذكر•• ففى دراسة ماركى Markey (١٩٢٨) فى سرعة تعلم الاطفال الكلمات واستخدامها فى كلامهم • وجد ان الاطفال الذين من طبقات اجتماعية اعلى يتفوقون على الاطفال من الطبقات الفقيرة ، وكان معدل السرعة ٢ : ١ لصالح الفئة الاولى •

كما أن دراسات ستيرن Stern (١٩٣٠) الدقيقة على لغـــة الاطفال • قد اشار الى ان طفل الطبقات الراقيـــة يتقدم على قرينه فى الطبقات المنخفضة فى مهاراته اللغوية بما يقرب من ثمانية شهور ، ولقد كانت نتائجهمشتقة جزئيا من دراسة دسكودر Descoeudres عن العادات اللغوية لدى ٣٠٠ طفلا بلجيكا ذوى طبقات اجتماعية عالية ومنخفضة •

---

(١) انظر التطبيع الاجتماعى « الفصل الثامن »

ودراسة ماكارثى McCarthy (١٩٣٦) كذلك فى مينابولس Minneapolis على ١٤٠ عفل ، اشارت ايضا الى هذه النتائج ، ولعد تركت دراستهامسحة من الشك فى ان الحالة الاقتصادية والاجتماعية للوالدين تلعب دورا هاما فى النمو اللغوى عند الاطفال ، وعموما فان دراستها لم تدعم الملاحظات التى ذكرت فيما يتعلق بالمفردات فقط ، بل اشارت بالاضافة الى ان طول جمل الاطفال يختلف تبعا للمستوى الاقتصادى لوالدى الطفل ، فلقد ابانت النتائج ان اطفال البيوت الراقية قد كونوا جملا اطول من جمل الأطفال من بيوت متواضعة . كما ان ماكارثى قد وجدت ان هناك ارتباط ايجابى بين استعمال الجمل المركبة والحالة الاجتماعية والاقتصادية للطبقة الراقية(١).

كما ان هناك دراسات اخرى اشارت الى نتائج متفقة مع السابقة ، معبرة ان مجال المهارة اللغوية يكون مشروطا باختلاف الاوضاع الثقافية التى يحياها الطفل ، وفى ذلك يشير كامبل يونج K. Young :

« من النادر ان نتوقع من الطفل او من الراشد فى عالم اجتماعى وثقافى محدود للعامل البدوى ، ان يضاهى فى اللغة او الفكر طفلا او راشدا فى عالم ثقافى اكثر اتساعا وتركيبا للرجل المثقف » (٢)

## سوء استعمال اللغة

كل فرد مألوف بحقيقة ان القدرة على التكلم بلغة عامة شائعة يقرب الناس بعضهم من البعض الآخر ، وان عدم القدرة لأداء ذلك يستخدم كحاجز أو عائق بين الناس . كما اننا اقل الفة للحقيقة التى مؤداها بأن الأفراد الذين يتكلمون لغة عامة شائعة لا يتفهمون دائما بعضهم البعض . ولقد اصبحت هذه المشكلة ذات اهمية خاصة فى علم المعانى العام او السيمانتيك Semantics وعلم السلوك اللغوى وذلك حسبما اشار كل من كورزبسكى Korzybski (١٩٤١) ، وتشيس Chase (١٩٣٨)، وجونسون Johnson (١٩٤٦) . وبتحديد اكبر فان السيمانتيك قد وصفت لنفسها مهمة البحث عن اسباب الغموض فى العملية الرمزية .

(1) Mc Carthy, D. : The language development of the pre-school Child, New York, UN. of Minn. 1930, PP. 350 - 350.

(2) Young, K. : Personality and problems of adjustment, New York, 1950 2nd ed. P. 151.

ان دراسة السيمانتيك بدأت بدراسة البناء اللغوى ولذلك وجدوا أن المغالطة او التضليل اللغوى الشائع ما هو الا بناء الهوية او التحقق الضرورى بين الكلمات وما ترمز اليه ٠ وطالما لم ينشأ سوء فهم نتيجة ارتباط كلمة معينة بشيء نوعى محدد ٠ فان هذا التحقق يكون مفيداً للغاية ٠ وعندما يصبح التحقق بمثابة عائق للاتصالات العقلية الذكية ، فان الأمر يتطلب اعادة الاخبار أو الفحص ، ويشير هياكوا Hayakawa الى نفس الاتجاه فى ربط الرمز بمدلول الكلمة الرمزية حيث يقول :

« ان هذا الاحساس يوضح نفسه بصورة كبيرة عند هؤلاء السائحين الانجليز والامريكيين الذين يبدوا انهم يعتقدون أنه بامكانهم جعل البدائيين فى أى بلد ، يفهم اللغة الانجليزية ، اذ نجدهم يصرخوا بها على هـــذه القبائل ولفترة كافية حيث يشعرون بأن الرمز يجب بالضرورة امام عقولنا
القبائل ولفترة كافية حيث يشعرون بأن الرمز يجب بالضرورة ان يصور أمام عقولنا الشيىء الذى يرمز اليه (١) ٠

كما نجد هياكوا Hayakowa يقسم رموز الكلمة التى تنظم وترتب اللغة الى نموذجين توسيعية extensional وايجازية intentional فالرموز التوسيعية هى تلك التى ترمز للموضوعات او الأشياء ، فهى تمثل الأشياء والموضوعات فى العالم الخارجى ، مثل « كراسى ، مناضد ، السباحة ، أو حوادث السيارات » ٠ والرموز الايجازية هى التى تشـــير الى ما هو ضمنى ٠ ومراجعها لا يمكن بناؤها تجريبيا ، كما ان المناقشات التى تعتمد عليها عادة ما تكون عديمة المعنى وغير ذى جدوى ٠ والأمثلة للرموز الضمنية مثل الشياطين ، والاشباح والجنيات ، ويسميها جونسون Johnson بـــ Plogglies وعادة ما تستخدم الرموز الضمنية بحرية بواسطة رجال الدعاية وناشرى المبـــادىء والدين ورجـــال الاعلام والتربويين والسياسيين ، فمثلا رجال الاعلام قد يشيرون الى انك باستخدام نوعـــا معينا من معجون الاسنان تحصل على السعادة والشعبية والنجاح ، كما أن السياسى قد يصر بأن ننتخب من أجل الحـــرية والرخاء والتقدم ٠ وعن طريق الصناعة او السحر اللغوى للتوجيه الضمنى ، فان الكلمات والعبارات المقولبة برغم ما يقال عنها قد لاتمت الى الحقيقة بصـــلة ، وبالتالى فكما أشار سارجنت Sargent ان أحد اكبر مخاطر الاتصال هو الخطأ فى المعانى الضمنية للمعانى الخارجية ٠

(1) H. Bonner : Social psychology, op. cit., P. 78.

جدير بالذكر أن وندل جونسون Johnson في دراسة اناس في مازق quandaries قد قدم لنا أحسن تطبيق هام ومستنير في دراسة المعانى ولتطبيقها لدراسة الانماط السلوكية غير المتوافقة . فعمليات سوء الفهم التى تنتابنا وصراعاتنا واضطراباتنا الانفعالية ، والاكتئاب العاطفى كما يشير - جونسون - ما هو الا نتيجة لتقييماتنا غير الصادقة والمخادعة . ان الشخص سيىء التوافق عادة ما نجده شديد الاضطراب والاهتياج ، شخص مثـــالى ذو مثاليات عالية ، غامضة وغير واقعية . كمــــا انه ليس لديه أهداف محددة معقولة ، وبالتالى ينقصة الاطار المرجعى الواضح الذى يحدد بواسطتة مدى انجازه لآماله أو لا . انه ينساق مع الزمن للنتيجة التراجيدية ، فان حياته فاشلة تماما . وعموما فاننا لدينا نوعا من تاريخ السيمانتيك « المعنى » والمعروف « بعقدة الدونية » ويشير جونسون فى توضيحها بما يلى :

« ان الاشخاص غير المتوافقين او سيئوا التوافق ، يبدوا انهم عادة ما يأخذون ( الاتجاه أ ما هو الا أ ) وذلك نحو النجاح أو الثروة او السعادة ، أو اى نوع من المثل التى يسعون فى الوصول اليها . وعلى ذلك ، فانهم يسلكون بصورة اوتوماتيكية على أساس تعبيرات ذات القيمتين ( اى يستبعد الوسط ) والذى على أساسه فان اى شىء يجب ان يكون اما « نجاح » أو « فشل » ثروة أم فقر ، سعادة او بؤس . الا ان هذا النموذج يمكن أن يصحح بافتراض آخر مؤداة بأن اى شيىء لا يمكن أن يكون كل من الثروة والفقر ... الخ . ولكونهم يتوقعون داخل هيكل التوجيه ذو القيمتين ، فانهم ينسجون ذواتهم بنسيج العنكبوت ويترددون فى عمليات خلط وفوضى كبيرة .. » (1) .

والشـــــخص غير المتوافق ، المتضمن الحالات الشديدة من المرض الذهانى ، عادة ما تنقصه عملية الوضـــوح فى انماط سلوكـــه اللفظى سيمانتيكيته اللغوية يشوبها الخلط والتشويش والعبث ، ولا يستطيع أن يعبر بكلمات معينة عن مشكلاته الانفعالية ، كما ان ليس لديه الوضـــوح اللغوى والدقة المطلوبة لعرض مشكلته بطريقة تشير الى الخطوات التى يجب أن تتخذ للوصول الى حل معين .

وكما يشير جونسون أن دراسة الاشخاص سيئوا التكيف تظهـــر لنا ، بأنه يمكننا ان نجعل الاشخاص مرضى حتى الموت عن طريق الرموز ،

---

(1) H. Bonner, op. cit., P. 80.

حيث يمكن أن تؤدى الى الذهول والحيرة والى انماط السلوك المدمر بواسطة الكلمات ، وعلى وجه الخصوص عنـــدما تشير تلك الكلمات او تعزى الى اهتماماتهم الشخصية الدفينة والعميقة ، وتعيق تقييماتهم لذواتهم .

جملة القول ان اللغة انجاز متفرد للانسان ، بالاضافة الى أنها بصورة جوهرية اختراع اجتماعى اكثر من كونها ابتكار فردى . انها شيء كبير معقد للغاية الى الحد انها لا يمكن أن تكون انتاج شخص بمفرده . انها نموذج من التراكمات لأجيال لا حصر لها . ومع ذلك فعلى الرغم من أن اللغة ما هى الا انجاز الانسان وسط جماعاتمعينة ، فانه الفرد يستطيع القيام بتغييرات لا حصر لها استجابة لمطالب وحاجات شخصيته ، ونتيجة لخبرته .. وعلى ذلك فان اللغة تتبع بصورة مباشرة للفرد ولجماعته ، انها تلخص الخبرات المتنوعة للبشرية والاحداث المحددة فى حياة الفرد الواحد .

كما أن اللغة تحمل علاقة هامة مع السلوك العقلى ، للفكر والتخيل والجدل . ان السلوك الراشد المتعقل والذى يتميز عن الانماط السلوكية الانعكاسية عادة ما تتضمن اشـــارة الفرد الى المعانى والتى تكون افعالة الرمزية تماثل افعال الأفراد الآخرين . كما أن السلوك العقلى يحدث عندما يكون الفرد قادرا على الاشارة الى معانى رمزية للآخرين ولنفسه فى نفس الوقت ، وعن طريق قدرته هذه فهو ليس قادرا على الاتصال مع الآخرين فقط ، ولكنه قادر على ضبطهم والتعاون معهم . ولكل هذه الاسباب فان اللغة وسيلة جوهرية للتفاعل والتداخل والتعامل الاجتماعى ، والتى تشكل بالتالى وتكون بواسطة حياة الجماعة .

واللغة كذلك قد يساء استخدامها . ان علم السيمانتيك اللغوى قد أبان أن اللغة قد لا تستعمل فقط لتمنح الانسان تفهما عن ذاته وعن عالمه ، الا انها اعطته القدرة لبناء تنوعا غنيا من الشرانق، اللغوية verbal Cocoons والتى يتقوقع فيها ويكون مغلق عليه باحكام ولا يستطيع أحيانا التخلص منها او الهرب بعيدا عنها . وعلى ذلك فان اللغة قد خدمتنا بصورة جليلة ، وفى نفس الوقت جعلتنا نخفق بطريقة محـــزنة . لقد اعطتنا وسيلة للتعامل والتداخل الاجتماعى والثقافى ، ولكنها فشلت فى اعطائنا التفهم الكامل بين الأفراد ، حتى بين هؤلاء الذين تسود بينهم لغة شائعة .

واخيرا ، ولأن الناس يتكلمون بالسنة مختلفة متباينة فان اللغة قد فشلت وباقصى قدرتها على تسهيل الاتصال بين اكبر عدد من الناس . وفى ذلك يشير كروت Krout ان سوء الفهم والتناقض الاجتماعى ، بالاضافة الى الصراعات الاجتماعية التى اوبأ العالم بها ، ما هى الا انعكاس

فوضى تعدد الالسنة ، ويوضح هذا الامر جيدا بكلماته بقوله ان معجزة الكلام والاستبصار التى رفعت الانسان الى الافق العالية ، والى اعلى ابعاد الحياة ‥ هى ايضا قد منعت ملايين من الناس من الاتصال بعضهم مع البعض الآخر ٠ لقد جعلت من الممكن وجود عالم لجماعات صغيرة متعددة ، كل منها قانع فى ان يعيش بمفرده ، وكل منها يتظاهر او يدعى العزلة وينشغل بمشكلاته الخاصة ٠ وبكلمات اخرى فان قانون اللغة ـ اقل من اى قانون آخر فى النمط الثقافى العالمى ، كان جامعا شاملا بحق ٠ هذا على الرغم من كل ما تتصف به اللغة من المميزات التى سبق التنويه عنها ‥ الا ان أمامها الكثير ايضا لكى تصل بالانسان الى كامل انسانيته ‥ وأن تجعل العالم يسود فيه الود والسلام ٠

# الفصل الخامس

## العلاقات بين الجماعة

ان تفهم سلوك الجماعة لا يمكن أن يكون كاملا ، دون أن نضع فى الاعتبار العلاقات بين الجماعات ، وتاثيرات هذه العلاقات على وظيفـــة الجماعة ونظامها ·· وسنتأمل سويا فى ثنايا هذا الفصل جانب محدد من هذا الموضوع ·

واحد من المجالات التى درست بصورة مكثفة للعلاقات بين الجماعة· هو موضوع الاتجاهات نحو الاقليات من اجناس وسلالات بشرية مختلفة ، كما كرست دراسات واسعة ومكثفة لدراسة التعصب نحو جماعات الاقلية فى سائر انحاء العالم · وفى السنوات القليلة الماضية كان الاهتمام مركزا والى حد كبير على المشكلات الأعم فى الصراع بين الجماعة ووسائل حلها ·· وعموما فان ثلاثة مسائل جوهرية تنطوى تحت هذه الموضوعات · أحدهـــا تتعلق بالظروف التى تثار بسببها اتجاهات غير مرضية نحو جماعات معينة ·· وتختص الأخرى بالمبادىء التى توضح استمرار الاتجاهات غير المرضية ، وتتعلق الثالثة بالعوامل التى تسهم فى تغير هذه الاتجاهات الى المنحى المرضى · ومع أن هذه المسائل تتداخل الى حد ما ·· الا أن بعض الاجابات سنراها متفردة لكل منها ·

والمتأمل فى الدراســـات النفسية والاجتماعية ، يجد ان المجهودات التى بذلت لايجاد نظرية للعلاقات فى الجماعة intergroup theory قد تطورت بصورة ضعيفة ، ويرجع ذلك الى أن الدراسات المبكرة فى هذا المجال لم تستطع أن تحدد البناء النظرى الكامل فى مجـــريات دراساتها وبحوثها ·· كما ان دراسات التعصب مثلا كانت تعانى من حقيقة أن معظم الأعمال التجريبية كانت قد ركزت مجـــالات دراســـاتها على المدركات والاحاسيس والمشاعر ، مع اعطاء اهتمام اقل لانماط السلوك بين الجماعة · ولحسن الحظ ومنذ عهد قريب ، فقد وجدنا الاهتمام يزداد لايجاد نظرية للعلاقات بين الجماعة ، وكذلك فى السلوك الجماعى · بالاضافة الى أن بزوغ النظريات السيكولوجية الاجتماعية ، تمدنا الآن ببناء هام وله اعتبار للنتائج التجريبية المتنوعة بين الجماعة ·

## طبيعة العلاقات بين الجماعة

سنركز مناقشتنا على جانبين من العلاقات بين الجماعة وهما :

- التعصب : Prejudice
- التمييز : Discrimination

## اولا : التعصب

التعصب كما فى صورته التطبيقية فى العلاقات بين الجماعة ، يتمثل فى أنه بمثابة اتجاه يعد الشخص قبليا أو يجعله ميـــالا للتفكير والادراك والاحساس والتصرف بطرق محابية أو غير محابية نحو جماعة معينة أو نحو أعضائها • وسواء كان الشخص المتعصب سوف يسلك بالفعل تبعا لاتجاهه أم لا ، فان ذلك يتوقف على عوامل موقفية وعوامل اخرى معينة • وعـــلى ذلك فان مصطلح « التعصب » يؤكد المحتوى الادراكى والمعرفى والانفعالى للنزعات والخبرات الداخلية للفـــرد ، الا أن هذا لا يتصمن بالضرورة أن يكون السلوك متناسقا ومتطابقا مع مثل هذه الخبرات •

والمحتوى المعرفي ـ الادراكي للتعصب يتمثل فى أن يرى أعضـــاء جماعة معينة أو فئة ما من الأفراد على أن لديهم سمات معينة مختلفة عن تلك الموجودة عند عامة الأفراد •• ومثل هذا التقولب stereotyping ذو خصائص ثلاث :

١ ـ تصنف الأفراد وفقا لخصائص معينة لتعيين هوياتهم •

٢ ـ يتفق المدركون على الصفات التى يمتلكها افراد كل فئة •

٣ ـ يوجد تباين بين السمات التى تنسب أو تعزى اليهم ، والسمات الفعلية التى يتسمون بها •

وعلى الرغـــم من أن بعض أنواع التقولب قد تكون اكثر تحديدا من الأخرى ، وذلك لان معظم جماعات الاقلية المألوفة عادة ما يكون الاتفـاق بين المدركين فوق المستوى الذى يمكن الوصول اليه بكثير وذلك فى حالة أن كانت السمات قد تحددت للجماعة بطريقة عشوائية •

كما أن المحتوى الانفعالى للتعصب عند شخص معين ، فكما يعتقد عادة على انه بمثابة نقطة على مدى يتراوح من الشعور أو الاحساس المحابى الشديد الى الشعور أو الاحساس غير المحابى بصورة شديدة • وهكذا فان تعصب الفرد قد يكون غير محابى بشدة ، أو غير محابى بصـــــورة معتدلة •• الخ • كما يمكن دراسة جوانب انفعالية أخرى للتعصب مثل ، المحتوى الفعلى للانفعالات كما يعبر عنها الشخص لفظيا ، أو الاتساق الذى يعبر به عن مثل هذه المشاعر أو الاحاسيس فى مجموعة كبيرة ومتنوعـــة من المواقف •

## التمييز : Discrimination

يشير وليامز Williams (١٩٤٧) الى التمييز على انه المعاملة التفاضلية او التباينية للافراد التى تعتبر على انها تنتمى لجماعة اجتماعية معينة ٠٠ وكما يشير كل من سيمبسون وينجر Simpson & Yinger (١٩٥٨) الى أن التمييز ما هو الا تعبير علنى ، او تعبير سلوكى للتعصب : ويستطردا بقولهما ، انه المعاملة الطبقية الصريحة لفرد ما بسبب عضويته فى جماعة معينة ، وعموما فان معاملة الفرد بهذه الطريقة عادة ما تنكر عليه بعض الامتيازات او الحقوق التى تمنح للاعضاء الآخرين الذين ينتمون الى جماعة الاقلية ٠ ويضيف كل من سيمبسون وينجر ، الى انه على الرغم من أن التمييز قد يحدث بدون الاحساس المصاحب للتعصب ، فمثلا ، صاحب المؤسسة الذى يرفض قبول اعضاء جماعة الاقلية كعملاء دائمين لانه يشعر أن ذلك سيضر بعمله ، فانه قد لا يكون متعصبا ، ولكنه يشعر بأنه يجب أن يضع اعتبارات عمله قبل اية اعتبارات أخرى ٠ أو قد يكون متعصبا بالفعل وبالتالى يستخدم اعماله كفرصة للتعبير عن تعصبه (١) ٠

### صراع الجماعة :

يعتبر صراع الجماعة مصطلح أعم وأوسع نوعا ما من التعصب أو التمييز ٠ فالجماعة قد تعبر عن عدائها بصورة علنية نحو جماعة أخرى ، أو قد تشتبك فى صراع من أجل المركز أو السلطة أو اى أهداف اخرى ٠ والجانب العكس والمناقض لصراع الجماعة يتمثل فى التعاون ، وهى حالة حيث نرى الجماعات تعمل سويا فى السعى وراء أهداف عامة ٠ ولكى نتفهم الصراع ينبغى ان يعطى للتعاون بعض الاهتمام ، وذلك لأن الكثير من الجوانب الاعم لصراع الجماعة ابتدأ يدرس بصورة تجريبية فقط ٠٠ وعموما فان مناقشتنا التالية ستركز والى حد كبير على شكلين من اشكال الصراع قد بحثا بصورة واسعة فى دراسات علم النفس الاجتماعى وهما :

التعصب ٠٠ والتمييز :

## مصادر التعصب والتمييز

سيتمركز حديثنا القادم على تحديد نوع الظروف التى تنشأ نتيجة لها التعصب والتمييز ضد جماعة معينة ٠٠ كما انه سيلقى الضوء على تساؤل

---

(1) Simpson, G. E. & J. M. Yinger : Racial and cultural minorities, New York, Harper & Row pub. Inco. 1958, PP. 12 : 15.

مؤداه : لماذا تنفرد احدى الجماعات دون غيرها ، أو اكثر من غيرها كهدف للتعصب والتمييز • كما ان العوامل المسئولة على ابقاء مثل هذا التمييز والتعصب ستناقش ايضا •

ومن المفيد فى مناقشة العلاقات بين الجماعة ، أن نتعرض لمصطلحى داخل الجماعة ingroup ، وخارج الجماعة outgroup فالأول يتضمن الافراد الذين يخبروا معنى الانتماء ، وهو عبارة عن شعور أو احساس بأن يكون لهم هوية متشابهة ، ومصطلح « خارج الجماعة » يعتبر من وجهة نظر الاعضاء داخل الجماعة بمثابة مجموعة من الاشخاص الذين لديهم بعض الخصائص المميزة ، والتى تضعهم كجـزء مستقل عن داخـل الجماعة •

## مصادر التعصب :

والمبدأ الأول الذى نسوقه فى بداية مناقشة مصـادر التعصب ، « هو ان نوع العلاقات القائمة فى داخل الجماعة وخارج الجماعة سيولد اتجاهات نحو داخل الجماعة والتى تكون متسقة مع هـذه العلاقات » • وبمعنى اخر فان بناء العلاقة بين جماعتين على أساس المركز النسبى والسلطة ينشأ عنه مدركات ومشاعر واحاسيس تكون متوافقة مع البناء القائم • فمثلا ، حيث تهيمن جماعة متسلطة على جماعة اخرى فى حالة استعباد ، فان العبيد اغلب الظن سيعتبرون كسـالى ، غير مسئولين ، تنقصهم المباداه والابداع • ومما هو جدير بالذكر ان هذه المعتقدات تنبثق من حقيقة أن العبيد يعملون بناء على أوامر أسيادهم ، ومن ثم لا تعطى لهم الفرصة لكى يظهروا المباداه أو تحمل المسئولية • وهكذا فان المعتقدات نحوهم تكون متسقة مع أنماطهم السلوكية ، والتى يحكمها ويضبطها هيكل العـلاقة السـائدة •

ومثال اخر يسوقه لنا سيمبسون Simpson ووينجر Yinger .

(١٩٥٨) من التطور التاريخى للتعصب ضد اليهود ، فتصور اليهود على انهم اغنياء وبخلاء ويتسمون بالدهاء ، صادر من دورهم الوظيفى كمرابين ومقرضين للاموال بالفائدةالباهظة • كما ان بناء وتطور المدن فى القـرن العاشر والحادى عشر قد ادى الى الطلب المتزايد لرؤوس الامـوال على صورة نقود ، ولقد منعت الكنيسة المسيحيين من اقراض المال بفائدة ، ولكنها سمحت للمسـيحيين بالاقتراض من اليهود • وهكذا اصبح اليهود أصحاب بنوك ومصارف حيث كانت هذه المهنة مربحة بصورة كبيرة ، والتصورات الادارية المصرفية المتكافئة مع الدور اصبحت راسخة بحزم

بالاضافة الى ان ظروف المضاربة والتنافس انتج تأثيرات سلبية نحو اليهود ، حيث كانوا يرفضون اقراض المال الا بفوائد باهظة ، وبالتالى حسدوا على ثرواتهم ٠٠ » (١) ٠

والتغير الملحوظ فى ادراك « خارج الجماعة » والتى تحدث نتيجة التغير فى بناء العلاقات « داخل الجماعة » ، يمكن القاء الضوء عليه كذلك عن طريق بعض البيانات الموضوعية التى تجمعت عن النزاع بين الهند والصين على الحدود بين البلدين فصحافة الصين التى يتولاها الهنود قد قيمت فى فبراير ١٩٥٩ ، قبل بدء حالة الصراع ، وقيمت مرة اخرى فى ديسمبر وعندما كان الصراع بين البلدين عنيفا ٠ ولقد سئل طلبة جامعة باتنا Patna فى الهند فى استفتاء لاختيار خمسة صفات من قائمة بها ثمانون صفة عن اكثر ما يميز اعضاء تسعة بلاد بما فى ذلك الصين « سئولوا مرتين فى فبراير ومرة اخرى فى ديسمبر » ٠ ولقد حدث تغير درامى فى الصفات المحددة للصينيين ، فالصينيون الذين اعتبروا اصدقاء وتقدميون ومخلصون ووطنيون وشجعان ونشطون قبل النزاع ، قد اعتبروا بعد النزاع معتدون مخادعون انانيون وتجار حرب مجرمون يتصفون بالدهاء والغباء ٠

والجدير بالذكر فى هذه النقطة هو ان الصفات التى نسبت لاعضاء الجماعة الخارجة المسيطرة ، لم تكن قاصرة على الصفات المشتقة من العلاقة ذاتها ٠ فالصينين العدوانيين فقط تجار حروب معتدين ولكن كانوا يلقبون بالداهية من قبل البعض وبالغباء من قبل البعض الآخر ٠ وهذا يأتى من الحقيقة بأن الافراد يميلون الى ادراك صفات المركز او الوضع على انها متطابقة بعضها مع البعض الآخر ٠

ومبدأ اخر وثيق الصلة بما ذكرناه ، ونـــرى فيه العقائد بدلا من الاتجاهات ــ فاذا ادرك ان شخصا لديه مركز أو منزلة مختلفة بصـــورة ملحوظة عن منزلة اخر ، فانه غالبا ما يدرك على ان له معتقدات مختلفة ٠ وفى ذلك يشير كل من بيرن Byrne ٠ وونج Wong (١٩٦٢) حيث طلبا من حالاتهم أن تخمن او تفترض معتقدات الاجانب بما فيهم الزنوج ، واشارت نتائجهما الى ان الحالات البيض اشارت الى ان الزنوج لديهم معتقدات مختلفة عن معتقداتهم (٢) ٠

---

(1) Simpson, G. E. & other : Ibid, P. 45.

(2) Byrne, D. & T. J. Wong : Racial prejudice, interpersonal attraction and assumed dissimilarity of attitudes, Jour. of abn. soc. psy. 1962, 65, PP. 246 : 253.

**مصادر التمييز والصراع :**

لقد اوضحنا كيف يتولد التمييز نتيجة للمركز او المنزلة غير المتساوى بين جماعتين . ولكن كيف تنشـــــأ المنزلة او المركز غير المتكافىء وغير المتساوى هذا ، فهنا مبدأ اساس مناسب اشارت اليه النظرية المتبادلية exchange theory فحيث ان نتائج تكلفة المكافئة لجماعتين مستقلتين ، تدرك على أن هناك مانع مشترك او متبادل ، لدرجة ان كل جماعة تستطيع أن تحسن نتائجها فقط على حساب الاخرى ، فان أعضاء كل جماعة ستعمل بالتالى على حماية او زيادة عائدها او نتائجها . فاذا كانت الجماعتين غير متساوية فى السلطة أو فى القـــوة ، فانهم بالتالى سيحققون دخولا او عائد مختلف ،الا اذا منعوا بواسطة القيم والمعايير التى تحارب استغلال الضعيف .. وعلى ذلك فان هذه الدخول المختلفة تخلق اختلافات فى منزلة ومركز كل من الجماعتين .

والى الحد الذى يشعر فيه اعضاء جماعة الاقلية انهم مختلفون فى المعاملة ، يحسون بالعداء نحو جماعة الاغلبية ما هو الا وظيفة للعلاقة بين مستواهم بالمقارنة مع مستوى جماعة الاغلبية ، وعادة ما يعرف مستوى المقارنة على انه نوعا من المستوى الادنى من التوقعات ، فاذا كانت جماعة الاقليـــــة لديها نفس مستوى المقارنة عنـــد جماعة الاغلبية ، فانها غالبا ما تكون غير راضية وعدوانية ، ولكن اذا كـــــان مستوى المقارنة عندها منخفضا بصورة متناسبة لمستوى جماعة الاغلبية فان مثل هــذه المشاعر لا يمكن ان تخبر . وعموما فان مستوى المقارنة لجماعة الاقلبية يتوقف استخدامه فى الغالب بواسطة جماعة الاقلية على خبراتها الماضية ، والى الدخل المتاح ، بالاضافة الى العوامل البنائية والثقافية .. فمثلا فى مجتمع له قيم عادلة راسخة ، فان السلطة او المراكز التفاضلية عادة ما تخلق السخط وعدم الرضا ، اكثر مما تكون فى مجتمع اخر حيث نظام القبيلة هو أسلوب أو طريقة الحياة المقبولة .

وجماعات الاقلية ذات مستوى المقارن الصاعد ، غالبا ما تكون غير راضية . فمثلا فطالما أن مستوى المقارنة للزنجى الامريكى قد استبقى فى مستوى هابط ، فانه لا يعبر بالتالى عن عدم الرضا بصورة علنية . ومنذ الحرب العالمية الثانية ، فان المكاسب التى حصل عليها السود ، قد حطمت جزئيا التمييز العنصرى والاشكال الاخرى لممارسة التمييز قد اسهمت فى رفع مستوى المقارنة ، ونتج عنه عدم رضا اكبر بصورة عالية ، على الرغم من أنه أفضل عن ذى قبل . فالمظـــاهرات الجماهيرية والاحتجاجات المنظمة والاشكال الاكثر عنفا من الاحتجاج يمكن ان تتوقع نتيجة لارتفاع مستوى الاقلية لديها نفس مستوى المقارنة عند جماعة الاغلبية ، فانها غالبا ما تكون غير راضية وعدوانية ولكن اذا كان مستوى المقارنة Yinger Simpson

المقارنة ، فطالما بقى المستوى هابطا أو اسفل جماعة الاغلبية ، فانه بالتالى يستمر فى اعلان الثورة والعصيان ٠

وجملة القول فان عنصر الادراك يكون قاطع او بات ٠ انه الادراك الذى يجعل النتائج ليس متبادلا ومشتركا ٠ ان ادراك الفرد لعائده الشخصى ، ولعائد الجماعة الاخرى ، وادراك التهديدات المحتملة لمستوى العائد الحالى هو الذى يحدد السلوك ، وليست وقائع الموقف وحقائقة ٠

وهكذا نان التمييز والصراع ينشأن من المواقف المتنافسة أو المتضاربة ، وعلى الاخص تلك التى يكون فيها لدى احد الاطراف سلطة ومنزله اكبر من الأخر ، وحيث يكون مستوى المقارنة للمجموعتين محـــددا عن طريق نفس الاعتبارات ٠ ولقد ايد ذلك نتائج التجربة الميدانية والتى حقق فيها المختبر مستويين من المراكز لجماعتين من الصبية ، فلقد لعبوا عده العاب والتى كان يحدد فيها لاحد الجماعات دورا او مركزا أقل بواسطة المختبر ٠ ووصف المختبر لعبة كروكى الانسان human croquet كالاتى : فى هذه اللعبة يقف اعضاء احد الفرق جنبا الى جنب فى خط ، وكل عضو ينحنى ليكون قنطره ، ويقف اعضاء الفريق الاخر فى صف واحد ، وعند اشارة من المختبر يتقدم ببطىء العضو الأول عبر الكوهات ويعود ثانية ويلمس العضو الثانى الذى يتقدم ببطىء عبر الكوهات جيئة وذهابا وهكذا ٠ ولقد لاحظ ثبوت Thibaut ان اتقان اداء الفرقة يتوقف على الوقت الذى يستغرقة جميع اعضائه فى اتمام هذه اللعبة ٠ والفكرة الجوهرية فى هذه اللعبة هو ان الفريق المعين له دور الكوه السلبى حيث لا يسمح له بأداء الدور الأخر ، وهو اظهار كيف يستطيع تأدية اللعبة ، وبصورة مشابهة كانت الفرقة صاحبة المركز الاعلى فى لعبة اخرى حيث يصرح لها بقذف اكياس من الفول على هدف يحمله فريق المركز الادنى الذى يسترد اكياس الفول ، ولكن فريق المركز الادنى لم يعطى فرصة لقذف الاكياس على الهدف ٠ وطوال اجراء التجربة كان المختبر يثنى باستمرار على جماعة المنزلة او المركز الاعلى ويشير ثيبوت Thibaut ان هذه الظروف ولدت قدرا كبيرا من العداء وعلى الاخص من جانب الفريق الادنى نحو الفريق الاخر ذو المركز الاعلى ، ، وابدى الفريق الاعلى على الرغم من انه قد خبر النصر ، الا انه قد خبر ايضا بعض مشاعر الذنب النابعة من معايير اللعبة غير العادلة ٠ ولقد وضح العداء عن طريق التقريع ، والتعبير بثمة اشياء مثل « ان اختى الصغيرة تستطيع ان ترمى افضل من ذلك ، وعن طريق الضرب بالارجل والدفع والصفع وما الى ذلك ٠ وجدير بالذكر ان معظم مشاعر العدوان فى هذه التجربة لوحظت من قبل الجماعة المحرومة ، ذات المركز الادنى (١) ٠

---

(1) Thibaut, J. W. : An experimental study of cohesiveness of under privileged group, J. of Hum. Rel., 1950, 3, P. 257

وفى تجربة اخرى اكثر دقة واتقانا ، اجريت فى ميدان الموقف على ايدى شريف وآل Sherif et al (١٩٦١) حيث وضعت جماعتين فى منافسة مع بعضها البعض ، وذلك لكى تخبر كل من المجموعتين الواجبات المختلفة حيث احضر مجموعتين من الاطفال منفضلتين للاقامة فى معسكر . ولاول يومين لم يكن لديهم اية معلومات عن بعضهم البعض ولم يحدث اى تفاعل بينهم ، وخلال هذه الفترة اقيمت بناءات ثابتة للجماعة اصبحت متكونة ، وكذلك شعور التبعية فى داخل الجماعة . وكانت المرحلة التالية من هذه التجربة ان ادخلت مواقف تنافسية متنوعة بين الجماعات ، مثل شد الحبل الذى كان الفوز فيه « للثرثاريين » ، الا ان النسور Eagles ثاروا عن طريق حرق علم الثرثاريين الذى كان قد ترك فى الملعب . وتكاثرت الاحداث الاخـــرى المتنوعة فأحدثت بعدا وتباعدا اجتماعيا للغاية بين المجموعتين . بالاضافة الى ظهور بعض التعبيرات مثل شجاع ، خشن وعنيد وصدوق قد استخدمت لوصف اعضاء جماعته ومتذلل ومتوحش وخبيث الرائحة استخدمت لاعضاء الجماعة الخارجية . كما ان التحيز كان واضحا بواسطة ما اشير اليه ان اداء الجماعة الخارجة قد قدر بأقل من الحقيقة او قلل من شأنه واستخف به ، فى حين أن أداء الجماعة الداخلية ingroup قيم بأكثر مما يستحق وغولى فى التقدير (١) .

ان المبدأ ذو الفعالية السارى فى الجماعة الخارجية والذى بخس نتائج الجماعة الداخلية يؤدى للتمييز والصراع .. هذا المبدا قد دعم بواسطة دراسات ميدانية اخرى ، ففى دراسة لوندر Winder (١٩٥٥) عن الجوار بمدينة شيكاغو والمناطق المجاورة التى شغلت اخيرا بواسطة السود ، فلقد وجد ان اصحاب الدخول المنخفضة من البيض فى المنطقة المجاورة لهم كانوا اكثر عداء من الافراد الذين فى المناطق البعيدة نسبيا عن الزنوج . ومن واقع الاستجابات فى المقابلات الشخصية التى اجريت ، اتضـــح للباحث ان العداء كان اساسه التنافس على الوحدات السكنية خلال ازمة اسكان بالغة الشدة ، حيث شعر هؤلاء السكان البيض ــ ببعض من التبرير . بأنهم سيطردون من مساكنهم ، وذلك بسبب رغبة الملاك التأجير للسود ، وذلك لاستيلائهم على قيمة ايجارية اعلى من التى كانوا يحصلون عليها من البيض (٢) .

---

(1) Sherif, M. et al., : Intergroup conflict and cooperation, The robbers cave experiment, New York, Norman, UN. Book, 1961 PP. 22 : 29.

(1) Winder, A.E. : White attitudes towards Negro - White interaction in an erea of changing racial composition, Jour. of soc. psy. 1955, 41, PP. 85 : 102.

## الابقاء على التمييز والتعصب

ان الظروف التى تخلق التمييز والتعصف قد تكون واضحة ، الا ان العوامل التى تبقى على هذا التعصب والتمييز ولمدة طويلة من الزمان قد تكون اكثر غموضا ‥ ويمكن النظر الى هذه العوامل على انها تعمل على مستويات ثلاثة :

أ ـ البناء الاجتماعى ٠

ب ـ دينامية شخصيةالفرد ٠

جـ ـ الثقافة ٠

وسنلقى الضوء فى ثنايا الصفحات التالية على كل من هذه العوامل سابقة الذكر ٠

### اولا : العوامل داخل البناء الاجتماعى :

وتتضمن هذه العوامل عديدا من العوامل الفرعية يمكن ايجازها فى الآتى :

#### ـ الامتثال لمعيار التعصب :

بمجرد أن يبنى التمييز والتعصب ضد جماعة خارجية ، فان المدركات والاحاسيس والمشاعر المرتبطة بالجماعة الخارجية تكتسب نوعية معيارية ٠ يتقاسمها ويشترك فيها اعضاء الجماعة الداخلية ، ويتوقع الاعضاء أن كل منهم يجب ان يتمسك بمثل هذه الاتجاهات ٠ ويؤيد ما نذهب اليه دراسة اجراها Works (١٩٦١) عن الاسكان ، فلقد كان من المتوقع ان يكون هناك اتصال اكبر فى مشروع متكامل للاسكان بين زوجات البيض والسود اكبر من ازواج هؤلاء النساء ، بمعنى اخر فلقد افترض وركس ان يكون النساء اقل تعصبا ضد السود اذا ما قورنوا بأزواجهم وذلك نتيجة الاتصالات التى حدثت بين النساء بعضهن وبعض ٠ الا ان هذا الافتراض لم يثبت ٠ وكان سبب ذلك والذى اشار اليه الباحث ، هو أن الزوجات قد اثرن على ازواجهن لغيروا اتجاهاتهم حتى تتساوق مع اتجاهاتهن ، كما ان المقابلات التى اجريت مع الازواج اعطت بعض التأييد لوجهة النظر السابقة (١) ٠

(1) Works, E. : The prejudice interaction hypothesis from the point of view of the Negro minority group. Amer. J. social. 1961, 67, PP. 47 : 52.

ولقد قام بيتجرو Pettigrew (١٩٥٨) بدراسة قيمة أمدتنا بدليل واضح عن تأثير المعايير الاجتماعية فى التعصب ، ففى دراسته عن التعصب ضد السود فى الولايات الامريكية الجنوبية ، وايضا فى اتحاد جنوب افريقيا .. حيث ان كل من هاتين المنطقتين تتميز بتعصب شديد نحو الزنوج . ولقد اشار الباحث الى أن الافراد الذين وجدوا أنهم يمتثلون لمعايير مجتمعهم .. كانوا اكثر تعصبا بصورة عامة . ولقد حدد الباحث درجة التعصب ضد الافريقيين لطلبة جنوب افريقيا البيض عن طريق مقياس للاتجاهات .. وكون مجموعتين من هؤلاء الطلبة الذين كانوا اقل من المتوسط فى تعصبهم ، واجرى الباحث استفتاء* اخر لقياس درجة الامتثال للمعايير الاجتماعية المتحررة من اتجاهات التعصب واشارت النتائج الى الارتباط المباشر بين الامتثال والتعصب .

واظهرت الدراسة التى اجريت على الولايات الامريكية الجنوبية ، ستة ابعاد اجتماعية ثقافية اعتبرت على انها مرتبطة مع الامتثال الاعلى للمعايير الثقافية ، واعتبرت كعوامل توضع فى الاعتبار لالقاء الضوء على شخصية الافراد ذوى التعصب العالى .. كما ان الفئات الستة الاتية وجدوا أنهم اكثر تعصبا من غيرهم :

١ ــ الاناث اعلى من الذكور .

٢ ــ المترددون على الكنيسة اعلى من غير المترددين .

٣ ــ التقدميون اعلى من غير التقدميين .

٤ ــ الديمقراطيون او الجمهوريون اعلى من السياسيين .

٥ ــ غير المحاربين اعلى من المحاربين .

٦ ــ الافراد الأميون او قليلوا التعلم اعلى من المتعلمين .

والجدير بالذكر فى تفسير هذه البيانات ، انه قد وجد أن هذه الابعاد الثقافية والاجتماعية لم تكن مرتبطة بالتعصب وان ارتبطت فهى بصورة اقل مما اتضح فى الدراسة السابقة وذلك على الولايات المتحدة الشمالية . وهذا ما كان متوقع حيث أن التعصب ضد الزنوج غير منتشر كمعيار اجتماعى فى الولايات الشمالية (١) .

---

(1) Pettigrew, T. F. : Social psychology and desegregation research, Amer. Psychologist, 1961, 16, PP. 105 : 112.

ونستخلص من هذا ان هذه الدراسة سابقة الذكر تشير الى أن جنوب افريقيا والولايات المتحدة الامريكية الجنوبية حيث وجد ان التعصب يشكل معيارا اجتماعيا هاما . فان الافراد الذين يظهرون امتثال اكبر للمعايير ، هم فى نفس الوقت اكثر تعصبا من غيرهم ، بالاضافة الى تعليل اخر فى الدراسة للتعصب ، مؤداه ان الافراد الممتثلون كانوا اكثر تعصبا لانهم كانوا ذوى شخصيات اكثر تسلطا ، حيث حصل على هذه النتائج من التحليل الاحصائى للمقاييس التى طبقها الباحث ٠

ولقد اشار كل من هيمان Hyman وشيتسلى sheatsley (١٩٥٤) الى ان العوامل التى تكمن وراء الامتثال لمعايير التعصب قد تفسر على اساس اختلاف نتائج المكافاة ( العائد ) ، والتى تتلو الامتثال او عدم الامتثال ٠ فاذا كان التعصب والتمييز ضد جماعة اخرى هو المعيار ، عندئذ يكون التعبير العلنى للتعصب ، والاداء افعال التميز هو فى الاغلب لاستخراج الاستحسان والتايد من الافراد الاخرين ٠ وعلى نقيض ذلك فان التعبير عن اتجاهات الصداقة نحو اعضاء جماعة الاقلية ، او الفشل فى ممارسة التمييز ضدهم ، يستبعد جلب التأييد من الاخرين ، ويأتى بعدم التأييد والعقوبة اليهم (١) ٠

ان التكاليف Costs المدركة لعدم الامتثال للمعاييز ، متنوعة الى حد كبير ٠٠ كما انها تعمل بأساليب عديدة لتدعيم التعصب ضد جماعات الاقلية ٠ ويوضح ذلك بيلث Belth (١٩٥٨) باشارته حيث ان اليهود غير متصلين كأعضاء فى النوادى الخاصـــة المختلفة ، والتى تعقد فيها الصفقات التجارية الهامة فان كثيرا من اصـــحاب المؤسسات يرفض استخدامهم كمديرين او رؤساء عمل وهذا موضح فى التعليق التالى :

« انه من المفيد لاعمالنا ومشروعاتنا ، ان يكون لمديريها منزله معينة فى المجتمع ، حيث يجب عليهم ان يشتركوا فى نادى الاقليم ونادى المدينة الرئيسى ، حيث تناقش هناك اكبر الصفقات التجارية ، وتعقد جلسات لذلك ٠ كما انه من الضرورى لمديرى الاعمال ان يكونوا على درجة عالية من التقبل الاجتماعى لاصحاب البنوك فى المدينة ، بالاضافة الى قدرتهم على المحافظة والاستمرار فى الاتصالات الحرة والسهلة مع الافراد ذوى المكانة والذين لهم اعتبارهم ٠٠ وعلى ذلك فاذا قمنا بترقية الموظفين اليهود الى المراكز

---

(1) Hyman, H.H. & P.B. Sheatsly : The authoritarian personality A methodological critique, New York, Free Press of Glencoe 1954, PP. 50 : 122.

الرئيسية والحساسة ، فنحن سنواجه مخاطرة عدم التقبل الاجتماعى ٠٠ وبالتالى يجب تفادى هذا الخطر باختيار شخص اخر فى هذه المراكز (١) ٠

وبايجاز ، ففى جميع الاحوال ، نرى ان التكاليف المدركة للامتثال والاتساق هى التى تحدد السلوك ، فمثلا فقد يكون من المحتمل ان التمييز ضد جماعات الاقلية فى الصفقات التجارية على المدى الطويل اكثر تكلفة من عملية عدم التمييز ، الا ان هذه التكاليف الفعلية لا تؤثر على السلوك ، الا اذا تم ادراكها ٠

## ـ انماط التفاعل :

يخلق التعصب والتمييز نماذج معينة من التفاعل التى تسهم فى الحفاظ على الوضع الراهن status quo ان انماط ونماذج عديدة من التفاعل تزيد التماسك وبالتالى تقوى سلطة الجماعة لتدعيم الامتثال لمعايير التعصب والتمييز ٠ فاى عامل يجعل الاعضاء اكثر اعتمادا على الجماعة يؤدى فى الغالب الى زيادة التماسك فيما بينهم ٠ فمثلا اعضـــاء الجماعة الداخلية ingroup عادة ما تتفاعل بتكرار اكبر مع بعضـــها البعض ، وتقلل التفاعل مع اعضاء الجماعة الخارجية outgroup مثل هذا التفاعل يحدث شعورا ايجابيا وتماسكا اكبر بين اعضاء الجماعة الداخلية ، معطيا اياهم قوة اكبر لتقوى وتدعم التطابق والاتساق فيما بينهم ٠

كما أن التفاعل بين الجماعة الداخلية ، قد يزيد ايضا من الاعتماد والتبعية الاقتصادية للاعضـــاء بعضـــهم على بعض ٠ ورجال الاعمال او المحترفون والذين يتعاملون بنوع خاص مع اعضاء الجماعة الداخلية ، عادة ما يواجهون بفقدان استثماراتهم ودخولهم ، اذا رفضوا ان يساندوهم فى اى مشكلة تتضمن التعصب او التمييز ٠ بالاضافة ، الى المدى الذى نجد عضو الجماعة ينظر للاعضاء الاخرين للتصديق على اتجاهاته ومعتقداته ، يكون بالتالى اكثر تعرضا لضغوط الامتثال والتطابق ٠

واخيرا اذا كان التفاعل داخل كل جماعة يطغى على انماط التفاعل خارج حدود الجماعة ، فان نمو نماذج من التفكير والاحساس والشعور وانماط السلوك المتفرد يشجع ويعزز ٠ ومثل هذه الانماط من التفاعل توسع الهوه او الفجوه الثقافية التى تفصل الجماعتين ، فمثلا التفرقة للامريكى

---

(1) Belth, N. C. : Patterns of discrimination against jews, New York, 1958, P. 11.

الاسود . تزيد من التفاعلات بين السود وايضا بين البيض · ولكنها تقلل التفاعل عبر هذه الجماعات العنصرية وتخفض منه ، وبالتالى يسهم ذلك فى الاختلافات فى الاتجاهات والقيم بين كلا الجماعتين ·

## ـ التدشيمات القيادية :

ما زال هناك عملية اخرى تساعد على ابقاء التعصب والتمييز واستمراره · وهى ظهور القادة الذين يدعمون معايير التعصب والتمييز · فالقادة السياسيون قد يصعدوا الى السلطة بقدر ما يقدمون المعايير المميزة لجمهور المنتخبين ، وبالتالى فان الاشخاص الذين لديهم اتجاهات مغايره مع هذه المعايير نادرا ما ينجحون فى الانتخابات · وهكذا وبما ان القادة يكتسبون القوة والسلطة ، فانهم يبذلون مجهودات اكبر فى تدعيم الحالة الراهنة status quo

## ـ المدعوات البيئية للتعصب :

لقد لاحظ كل من كرتش وكرتشفيلد Krech & Grutchfield (١٩٤٨) . حيث يكون التعصب منتشرا ، فالشخص يستطيع ملاحظة المظاهر البيئية المختلفة والتى تدعم اتجاهاته التعصبية · ولقد ذكرنا سابقا ان التعصب والتمييز تنشأن من نمط معين من العلاقة بين داخل الجماعة وخارج الجماعة . وبالتالى فان الاتجاهات نحو خارج الجماعة outgroup تكتسب صفة معيارية · اضف على ذلك فان هذه الاتجاهات تبنى داخل المؤسسات الاجتماعية للمجتمع الذى تسود فيه · فمثلا ، فحتى بعد الحرب العالمية الثانية ، فان الاتجاهات نحو السود كانت تنعكس فى عمليات وتدريبات الخدمة العسكرية ، فقد كانوا يعينون الجنود والبحارة السود فى وحدات منفصلة ، وبالتالى كانوا يساعدون على استمرار وتأييد هذه الاتجاهات العنصرية · كما كانت فى بعض المدن تفرقة فى الحدائق والمدارس والمطاعم والمواصلات والمرافق العامة الاخرى ·

ويشير كل من بيرلسون Berelson وسالتر Salter (١٩٤٦) الى ان تصورات جماعة الاقلية انعكست كذلك فى الادب ، والافلام السينمائية والتليفزيونية : حيث يحدد عادة لاعضاء جماعة الاقلية ادوارا تتناسب مع تقولب Stereotype جماعة الاقلية · كما وجدنا عديدا من المؤسسات الاخرى لم تتثنى من ذلك مثل الكنيسة ونظام التعليم الى عهد قريب جدا · ونتيجة لقرار المحكمة العليا فى عام (١٩٥٤) والتى حرمت

التفرقة فى المؤسسات التربوية فى محاولة منها لمحو انعكاسات معيار التعصب من المدارس والكليات العامة (1) ·

وبسبب التمييز ، فاننا نجد ان بعض الصفات الموضوعية لجماعات الاقلية ، مثل السود ، هى فى حقيقة الامر متناسقة مع اتجاهات التعصب ضدهم · وقد يوجد نوعين من الصفات نتيجة للتمييز ويمكن ايجازهما فيما يلى :

الاول : فيما ان السود كجماعة *تتلقى انماطا من التعليم اضعف ، بالاضافة الى الدخل الاقل ، ويعملون فى مهن حقيرة ، ويعيشون فى مساكن متواضعة ·· فانهم فى حقيقة الامر يجب ان يختلفون عن اعضاء جماعة الاغلبية ( البيض ) · ومما يؤسف ، بأن هذه الاختلافات قد تزود الشخص المتعصب بالدليل على صدق معتقداته ومشاعره تجاه السود · الا ان هذه النظرة قاصرة وليست موضوعية على الاطلاق ·

والثانى : ونوع اخر من الاختلاف ينبثق من رد فعل عضو جماعة الاقلية للتمييز · ولقد استشهد اولبورت Allport (١٩٥٨) بعدد من ردود الفعل هذه والتى تعمل كمدعمات بيئية · فمثلا فبسبب القلق الدائم من مواجهة ردود الفعل التعصبية فى المواقف المتداخلة او العلاقات الشخصية ، فان عضو جماعة الاقلية قد يصبح ذو حساسية زائدة للتعصب المحتمل وقوعة · وقد يستخدم هذا ضده بواسطة الافراد المتعصبين ، والذين يشتكون دائما بأنه يتجول « والعصا على كتفه » · كما يمكن ان يؤخذ كميكانزم مضاد ويستخدم لتوضيح وتفسير ذلك ·

## ثانيا : العمليات الفردية

ان البناء الاجتماعى يقع عليه عبء تحديد الجماعات الخاصة التى تصبح موضوعا للتمييز والتعصب ، كما انه يبنى كذلك الظروف المتنوعه التى تحافظ على التعصب نحو هذه الجماعات وتستمر فيه · الا ان هناك عمليات معينة تعمل على مستوى الشخصية الفردية ، يجب الا نتجاهلها · فان التعصب يبنى ويحافظ عليه فى كل فرد من خلال التعلم بالاضافة الى عمليات فردية اخرى ·· وسنلقى الضوء فى ثنايا هذه الصفحات القادمة على العمليات الفردية التى تعمل على ابقاء التعصب والاستمرار فيه ·

---

(1) Secord, Paul & C. Backman : Social psychology. McGraw Hill Book Co., 1964. P. 422.

## ـ الاحباط والعدوان : كبش الفداء :

كان فرويد Freud (١٩١٥) احد الأوائل الذين اكدوا وحللوا فى تفصيل كبير ، فكرة ، انه عندما يمنع الشخص من اشباع حاجاته ، فمن المحتمل ان يقدم على نمط من السلوك العــدوانى · كما ان الاعمال التجريبية المبكرة لدولارد وآل Dollard et al (١٩٣٩) اعطت هــذا الافتراض بعض التدعيم والتأييد · فغالبا ما لا تكون الوكالة المحبطة هدفا مناسبا للعدوان ويرجع ذلك الى قوتها وسيطرتها ، وفى مثل هذه الحالات فقد يوجه العدوان ضد كبش للفداء scapegoat وعادة ما يكون طرف برىء · ولقد وصف كل من سيمسبون Simpson وينجر Yinger (١٩٥٨) هذه العملية ، اذا يشيران الى أن جماعة الاقلية يمكن اختيارها غالبا كأهداف ، حيث يقولان :

« توجد عديد من البراهين التى تشير الى أن اعاقة او منع السلوك الموجهة ـ للهدف ، كثيرا ما يخلق بواعث عدوانية فى الفرد · وفى حالات كثيرة فان هذا العدوان لا يمكن ان يوجه نحو مصدر الاحباط فقد لا يوجد العامل البشرى ، او قد يكون العامل غير معروف ، او قد يكون أقوى بكثير من أن يضرب أو يحطم ·· فان العدوان تحت مثل هذه الظروف والحالات قد تختزن او توجه نحو شخص ما ، او نحو بعض الاهداف البديلة حيث يمكن النيل منها ، او يكون أقل قدرة على رد العدوان · وبكلمات اخرى فان العدوان العائم a free floating أو غير المباشر ، قد يكون نتيجة الاحباط ، عندما يكون العامل أو الوكالة التى تسبب هذا الاحباط الحقيقى لا يمكن مهاجمتها ، ويكون المحتوى الاجتماعى غالبا ما يرجح استبدال وتحويل هذا العدوان الى اعضاء جماعة الاقلية » (١) ·

وفى عملية التضحية هذه او كبش الفداء ، فان الاساس الحقيقى للاحباط لا يزال ولا يمحى · وهكذا فان العداء يتولد بصورة مســتمرة ودائمة ، ويعبر عنه نحو جماعة الاقلية · ويشير لويس Lewis (١٩٦١) فى دراسته عن العداء المستحكم بين العشائر المغربية الى هذا فى ان الصراع الاجتماعى ما هو الا صــورة وظيفية تماما · فتحت ظروف الحياة الصعبة هناك ، فان العشائر المعادية تعطى مخرجا لاعتداءات شخص ما · بالاضافة الى العداء المستحكم الدائم مع هذه العشائر يقوى الاحساس بالأمان الذى يخبره الفرد من خلال عضويته فى عشيرته ·

---

(1) Simpson, G. E. & J. M. Yinger : op. cit., P. 76.

وواحدة من الدراسات التى تلقى الضوء على محاولة اختيار كبش الفداء ·· تراها فى الدراسة التجريبية التى قام بها وترلى Weatherly (١٩٦١) ، فلقد طبق مقياس العداء للسامية على عدد كبير من طلبة الجامعة الذكور ، واختار مجموعتين منخفضتين فى عدائها وعرض مجموعة منهما لموقف مثير للعداء ، كما ابدى المختبر ملاحظات فيها اهانة شديدة خلال الفترة التى كانت تملأ فيها الحالات استفتاء قصير · والمجموعة الضابطة تكونت ايضا من مجموعة عالية العداء للسامية ومجموعة أخرى منخفضة فى عدائها ، وملأوا نفس الاستفتاء فى جو من الصداقة وعدم الاستفزاز · وكانت الخطوة التالية من هـــذه العجربة ان اعطى لكل من المجموعتين اختبارات القصص المصورة Picture story tests بواسطة مختبر اخر · وتكون هذا الاختبار من ثمان صور عبارة عن استكشات او كروكى بالقلم الرصاص لاشخاص عين لهم اعمار واسماء ووظائف واثنين من الاسماء كانت اسماء يهودية ، والاثنين الاخرين لم تكن كذلك ·

ولقد طلب وترلى من حالاته أن تحكى قصة عن كل صورة ، وتم تحليل تلك القصص لتحديد عدد الافعال العدوانية الموجهة نحـــو الشخصيات المرسومة على الاسكتشات ، ولقد اشارت الدراسة الى النتيجة الآتية :

١ ــ ان الحالات عالية العداء للسامية قد وجهت استجابات عدوانية اكبر للشخصيات اليهودية فى قصصهم ، وذلك اكثر مما فعلت الحالات ذات افتراض الضحية او كبش الفداء ، اشارت الى ان الافراد المتعصبون عادة ما يكون لديهم ميل عام لاستبدال العدوان ·· الاان دراسة وترلى اختبرت مفهوما اكثر

٢ ــ لا يوجد اختلاف بين الجماعات عالية العداء ومنخفضة العداء فى الاستجابات التى اعربوا عنها نحو الشخصيات غير اليهودية (١) ·

وهكذا فبينما نجـــد أن عديد من الدراسات الاخرى قد اختبرت افتراض الضحية او كبش الفداء ، اشارت الى ان الافـــراد المتعصبون عادة ما يكون لديهم ميل عام لاستبدال العدوان ·· الا أن دراسة وترلى اختبرت مفهوما اكثر تحديدا ، وهو أن الفرد عال العـــداء للسامية ، قد يكون له ميل قوى لازاحة العدوان نحو اليهود ، ولكن ليس بالضرورة الى موضوعات أخرى ·

**المكاسب الاقتصادية والاجتماعية :**

قديتوقع الفرد ان تحدث عملية الضحية او كبش الفداء ، بصورة اكثر ، حيث توجد المنافسة الشـــديدة ، او يكون منصب الفـــرد

---

(1) Weatherley, D. : Anti-Semitism and the expression of fantasy agression, J. abn. psy. 1961, 62 PP. 454 : 455.

ومركزه مهددا . وعلى الرغم انه لا يوجد دليل مباشر على هذه الفكرة الا ان التعصب يبدو اكثـــــر ما يكون تحت هـــذه الظـــروف . ويؤيد تومن Tumin (١٩٥٨) بدراسته التى اجراها فى ولاية جنوبية من الولايات المتحدة الامريكية لبحث الاتجاهات المتنوعـة للذكور الجنوبيين نحو عدم التفرقة ، يثبت قلب قاسى لهؤلاء الرجال الذين يستخدمون القوة لمعارضة عدم التفرقة اذا لزم الامر . هؤلاء الرجال كجماعة يتمركزون فى قاعدة هيكل المراكز الوظيفية فى التعليم والدخل والمهنة ، كما ان لديهم اقل الفرص لاجل تحسين مراكزهم واوضاعهم ، كما أنهم بالاضافة مهددون الى اقصى درجة بارتفاع مركز او حالة السود . وهكذا يميلون الى الاعتقاد بأنهم اول من سيجنى المكاسب من المحافظة على التعصب وابقاء التمييز ضد الزنوج .

ويشير كل من سمبسون Simpson وينجر Yinger (١٩٥٨) ان تغيير وتبديل الاتجاهات نحو الزنوج عادة ما يكون فى تناسق مـــع الفترات الاقتصادية المتغيرة . فمندما كان يوجد اعمال كثيرة خلال السنوات الأولى من التوسع فى الولايات المتحدة للافراد المهرة مثل النجارين والبنائيين، فان نسبة الزنوج التى كانت تعمل فى هذه المهن كانت مرتفعة نســــبيا . وحيث ان كمية العمل المتوفرة الآن قد قلت ، فان نسبة الزنوج فى هذه الاعمال قد نقصت بالتدريج ، فمنذ عام ١٩١٠ ، الى ١٩٤٠ انخفضت هذه النسبة من ٣٦٪ الى ١٥٪ فى الولايات الجنوبية . وبالتالى فان هـــذا الوضع قد افسح المجال للطبقة الفقيرة من البيض فى تلك المهن ، والنتيجة هو كسب اقتصادى لهم .

## حاجات الشخصية :

توجد مجموعة متنوعة من حـــاجات الشخصية يمكن أن تدعم التعصب . واحد هذه الحاجات قد درست بصورة مكثفة وهى « عـــدم احتمال الغموض واللبس intolerance for ambiguity فان الافراد تختلف فيما بينهم فى المدى الذى يضطربون بواسطة المواقف الغامضة أو المحيرة . ففى جانب نرى بعض الأفراد يودون ان تكون جميع الاشـــياء بأسود وابيض ، ومن جانب آخر نرى البعض اقل انزعاجا من المواقف غير المحددة او المحيرة . وعموما فان الافراد غير القادرين على احتمـــــال الغموض من المحتمل ان يكونوا اكثر تعصبا من الآخرين ، وهذا ما أشار اليه اندرنو وال Andorno et al (١٩٥٠) . كما ان التعصب قـــد يخدم مثل هذه الحاجة لانه يوضح موقفا غامضا ومحيرا . فالعامل الابيض الذى فقد وظيفته والذى يمر بوقت عصيب فى ايجاد وظيفة اخرى ، فقد يقرر على سبيل المثال : ان سبب متاعبه هو تدفق الزنوج على مدينته .

كما أن الحاجة فى الحصول على مركز متفوق يمكن أن تدعم بواسطة التعصب ، والتى تجعل جماعة من الأفراد اقل مركزا من ذلك الشخص • فان الفرد يشعر باحساس التقمص مع بنى جنسه أو نوعه بواسطة التعصب • ويصف لنا اولبورت بوضوح كامل كيف أن شخصا ما يمكن أن يدعم تقديره لذاته عن طريق تحويل اهتماماته الى خارج الجماعة •• اذ يقول :

« ان ابسط فكرة لبيع اى فرد •• هو الايعاز له بأنه احسن من غيره • إن لجوء جماعات الكوكلوكس*كلان Ku Klux Klan ومثيرى الفتن العنصرية ، يعتمد على هذا النوع من البيع • فالتنفيجية snobbery هو اسلوب للتمسك باحد المراكز ، وهو اسلوبه شائع ، وربما يكون اكثر شيوعا بين هؤلاء الذين فى بداية السلم الوظيفى • وبواسطة تحويل انتباههم الى جماعة خارجية غير مقبولة ، فانهم يستطيعون من المقارنة أن يحصلوا على القليل من تقدير الذات • والجماعات الخارجية كواصفين للنظم والمراكز ، لديهم ميزة خاصة بكونهم بالقرب من انيد ، او مرئيون ( او على الاقل بارزين او جديرون بأن يذكروا ) ، كما أن شغل مراكز ادنى بالاتفاق العام ، بأن ذلك يعطى تدعيما اجتماعيا لشعور فرد ما بقيمة وبهجة المركز » (١) •

كما أن الحاجة للامن يمكن اشباعها من خلال رفض ونبذ الجماعة الخارجية • ويشير كتاب كثيرون وعلى سبيل المثال كوسر (١٩٥٦) ، أن الصراع بين الجماعة الداخلية ingroup والجماعة الخارجية outgroup يؤدى الى التماسك بين اعضاء الجماعة الداخلية• مثل هذه الاختلافات تشحذ الحدود بين الجماعات ، وتعيد تاكيد هوية الجماعة الداخلية • وتجربتان ايدتا هذا ، وذكرت فى السياق السابق وهى تجربة شريف وآل sherif et al (١٩٦١) ، وتجربة ثيبوت Thibaut (١٩٥٠) •

وهكذا ، فقد نتوقع ان كل من التمييز والصراع مع جماعة خارجية ، قد يجعل الشخص يشعر بأمان اكثر واستقرار اكبر فى احضار عضويته فى الجماعة الداخلية ، وبالتالى يكون لديه معنى أعمق من الانتمائية •

---

(1) G. W. Allport : The nature of prejudice, New York, Doubleday & Co. Inc., 1958, P. 349.

## الشخصية المتسلطة :

كما سنرى فى فصل القيـــادة ان هنـــاك نمطا من الاشخـــاص يمتلكون شخصية متسلطة · وهى بمثابة نمط من السمات والتى تظهـــر علاقة هامة بالتعصب · وهذا النمط من الشخصية لدى الراشد ، يبدو انه مرتبط بجوانب معينة من بناء ونظام الاسرة والذى يخبره فى مرحلة طفولته · ومن المعتقد ان والديه قد فرضوا عليه نظاما حازما صـــارما فى مراحل نموه الأولى · وبالتالى فقد تأكدت لديه انماط السيادة والطاعة والمراكز التفاضلية · فالتعبير عن العداء وعلى الأخص تجـــاه والديه أو اعضـــاء الأسرة الآخرين ، قد منـــع بشدة وهكذا · فمن المعتقد أن يكون ميكانزمات خانعة ليخفى عدائه ويضبط بواعثه · ويؤدى ذلك الى نقص الاستبصار فى آداء عمله ، والى خلق الاتجاهات الصارمة تجاه التفاعل مع الأفراد الآخرين ·

ان قيم الشخصية المتسلطة والطريقة التى يتفاعل بها ، يبدو انهـــا تساعد على تكوين التعصب نحو جماعات خارجية · فعادة ما نجدة يؤكد على القوة والسلطة والمركز والســـيادة · فان كبت عدوانيته ، والتعصب نحو الجماعات الخارجية المتسلطة التى اقرها مجتمعه يعطى مخرجـــا ومتنفسا لهذه العداءات · كما أن صرامته وعدم مرونته كثيرا ما تقودانه الى عمل تمييزات بين الأسود والأبيض أو بين جماعات أخرى من الافراد ·

## التناغم والاتساق الاتجاهى :

سنناقش فى فصل الاتجاهات ، ميل المحتويات الاتجاهية الى التناغم والاتساق مع بعضها البعض · اذ يعمل الفرد جاهدا من أجل الوصول الى حالة من الاتساق بين نزعاته العاطفية والادراكية والسلوكية · وهكذا فان محاولة تغيير اى من هـــذه المحتويات يقابل بمقاومة ، طالما ان المحتويات الأخرى باقية فى حالة غير متغيرة · وهذا المبدأ يعطى بعض من التحريف وسوء الادراك لسلوك الجماعة الخارجية · وعلى ذلك فان افعال الجماعة الخارجية التى تكون مغايرة مع هذه المحتويات من المحتمل ان يساء ادراكها فى توجيه الاتساق والتناغم مع المدركات والعواطف السائدة · ويماثل ذلك ، السلوك الودود نحو جماعة خارجية سوف يتجنب لانه غير متسق مع المدركات والعواطف العدائية ·

والقصة التى يرويها اولبورت توضح لنا تشويه المدركات والمعـــارف فى توجيه عملية التعصب ··

« ففى احدى الجلسات بمدرسة صيفية ، اقتربت سيدة فى متوسط العمر غاضبة من المدرس قائلة ، اعتقد انه توجد فتاة من دم زنجى او من سلالة الزنوج فى هذا الفصل ، ولما كانت اجابة المدرس غير جادة ، أردفت بقولها وباصرار ولكنك لا تريد احدا من الزنوج فى الفصل ٠٠ اليس كذلك ، وفى اليوم التالى عادت واصرت بشـــدة انا اعرف انها من الزنوج ، فقد اسقطت ورقة على الارض وقلت لها التقطى هذه وفعلت ما أمرتها به ، وهذا يؤكد انها خادمة ملونة ، تحاول أن ترتفع عن منزلتها ومقامها » (١) ٠

كما أن التعبير الفسيولوجى للمكون العاطى للتعصب ٠ يمكن أن يؤيد بعض النتائج الى ان المحتويات المعرفية ربما تتغير بدون تغييرات مقابلة فى المكونات العاطفية ٠٠ ولقد اشار مان Mann (١٩٦٠) فى احدى دراساته والتى اشترك فيها الطلاب المتخرجين ، فى سلسلة من جماعات المناقشة والتى تهدف الى تخفيض التعصب وتقليله ٠٠ واظهرت نتائجه الى امكانية الخفض والتقليل من الجوانب الادراكيـــة للتعصب ، الا ان التغيرات المرتبطة بالمكونات الانفعالية والسلوكية لم يحدث فيهـــا تغيير يذكر (٢) ٠

والحقيقة التى نود الاشارة اليها ، انه اذا كانت التغييرات فى المدركات صعبة او وقتية ، فان ذلك قد يؤيد مبدأ الاتساق ولا يعارضه فبسبب قوة المحتوى الانفعالى ، فان مبدأ الاتســـاق يعمل على حفظ المدركات دون تغيير ٠ كما ان مبدأ الاتساق متساوق كذلك مع الحقيقة التى مؤداها ان الدراسات التى هدفت الى تغيير التعصب من خلال تعـــديل المحتوى العرفى لم تصب قدرا كبيرا من النجاح ، ويؤيد ذلك نتائج دراسات كل من هاردنج Harding وال AL (١٩٥٤) وسيمبسون Simpson وينجر Yinger (١٩٥٨) (٣) ٠

نوع آخر من الاتساق يتعلق بالاتساق بين الاتجاهات المختلفة ، فعلى سبيل المثال ، فالتعصب ضد جماعات الاقلية يبدو انه غير متساوق مع مبادىء الديمقراطية حيث تؤكد الحقوق المتساوية والعدالة للجميع ٠ الا

---

(1) Ibid, PP. 162 : 163.

(2) Mann, J. H. : The differential nature of prejudice reduction, J. of soc. psy. 1960; 52, PP. 339 : 343.

(3) Harding, J. B. & Kunter, H. : prejudice and ethnic relations, In G. : Lindzey (ed.) : Handbook of social psychology, New York, Addison-Wesley, Pub. Co. Inc. 1954. PP. 1021 : 1023.

ان اتجاهات التعصب . اكثر من اى نوى آخر من الاتجاهات ، يبدو انها مرتبطة بوجه خاص بثمة عمليات فردية مثل سوء الادراك . والتقسيم الى فئـــات والتبرير . ونمو العمليات الجماعيـــة كالمعتقدات الجماعية مثل ايديولوجية العلاقات العنصرية . ويمكن تفسير هذه الميكانزمات على انهـــا استنباط وسائل لتخفيف عدم الاتســـاق بين التعصب والاتجـــاهات الاخرى .. الا انها تشير ايضا الى اهمية مبدأ الاتساق .

واخيرا فان سكوت Scott (١٩٥٨) يشير الى انـــه ليس لجميع الاتجاهات بناء منطقى أو تعليل عقلانى ، فان الفرد غير قادر دائما على ذكر القيم المتعلقة بالاتجاه وموضوعاته واحداثه على الرغم ان للتعصب درجة كبيرة من التعليلات غير العقـــلانية والذى تعزلـــه الى حد ما عن الاتجاهات الأخرى .

**تباين العقيدة والتعصب :**

لقد اشار كل من روكش Rokeach وسميث Smith (١٩٦٠) الى انه طالمـــا ان العمليات السيكولوجية للفـــرد متشابكة ، فان التباين فى العقيدة يكون اكثر اهمية من العنصرية العـــرقية او العنصرية كمحدد للتمييز والتعصب . وبكلمات اخرى فان الفرد سيكون عرضة واكثر استعدادا لكراهية شخصا آخر ، اذا اعتقد ان هذا الشخص لديه معتقدات متغايرة عن معتقداته ، وذلك بصورة اكبر مما اذا كان يعتقد انه من سلالة او جنس آخر ، وذلك لان التباين العقائدى ينتج كراهية متسقة مع نظرية تجاذب التداخل المنوه عنها فى فصل الاتجاهات . ولقد اختبر روكش وزملائه هذا الافتراض بأن احضروا مجموعة من الصفات افتراضية للافراد وفى كل زوجين من الوصف معينين السلالة او الجنس كان متغيرا مع بقاء العقيدة ثابتة ، والعكس أى العقيدة متغيرة مع بقاء الســـلالة او الجنس ثابت او كلاهما كان متغيرا فى نفس الوقت ، فمثلا الزوجين الاثنين من الصفات مختلفة الجنس ولكنها تبقى العقيدة ثابتة .

شخص ابيض يعتقد بالاله

شخص اسود يعتقد بالاله

والزوج الثانى يغير العقيدة ، ولكنه يبقى السلالة أو الجنس ثابت :

ـ شخص أبيض يعتقد بالاله .

ـ شخص ابيض ملحد

واوضحت الاستجابات ، وكما يشير التحليل الاحصائى بوضوح ان تشابه العقيدة كان اهم بكثير من تشابه السلالة او الجنس فى الاحساس بصداقة الشخص الذى عبرت عنه الحالات . ولقد انتقد ترياندس Triands (١٩٦١) هذه الدراسة السابقة على اساس ان المقياس المستخدم كان يقيس الصداقة وليس التعصب ، حيث نجده باستخدام مقياس البعد الاجتماعى وجد ان السلالة او الجنس تلعب الدور الأهم من العقيدة .. الا اننا نميل الى النتائج الأولى .. ففى وجهة نظرنا أن العقيدة تلعب الدور الأساسى وذلك اكثر من الجنس او السلالة فى المجتمعات المتحضرة (١) .

ومما يؤيد وجهة نظرنا سابقة الذكر ما اظهرته نتائج دراسة كل من بيرن Byrne وونج Wong (١٩٦٢) ، حيث اشارت الى ان الحالات التى اظهرت درجة عالية من التعصب كانت تشير بالفعل الى ان السود لديهم معتقدات مغايرة لمعتقداتهم . (٢)

كما ان دراسة مالوف ولوت Malof & Lott (١٩٦٢) اشارت كذلك الى أن التشابه فى العقيدة يلعب الدور الجوهرى فى التعصب اذا ما قورن بتغاير الجنس أو العنصر .

وتثار هنا مشكلة خطيرة فى تفسير مثل هذه الدراسات والتى تظهر العلاقة الارتباطية بين الكراهية او التعصب من جانب ، والتباين او التمايز من جانب آخر . الا أن التتابع السببى غير واضح فى نتائج هذه الدراسات .. كما أنها تعانى من الحقيقة التى مؤداها : ان التعصب يمكن أن يسبب ادراك التمايز والتغاير .

## ثالثا : العوامل الثقافية

يحتفظ التعصب بذاته ويستمر فى المجتمع عن طريق الاسهام فى تكوين الايديولوجيات المدعمة له ، وبالتالى يضمن أن الاطفال فى ثنايا عملية التطبيع الاجتماعى سيكونوا متشربين بافكار ومبادىء تتفق معه وتماثله .

---

(1) Triands, H.C. : A note of Rokeach's theory of prejudice, Jour. of abn. soc. psy. 1961, 62, PP. 182 : 186.

(2) Byrne, D. & T. J. Wong : Racial prejudice, interpersonal attraction and assumed dissimilarity of attitudes, Jour. of abn. soc. psy. 1962, 65, PP. 246 : 253.

## التعصب والقيم :

ان الاتجاهات نحو جماعات الاقلية ، ربما تصبح جزءا من الايديولوجية الثقافيه : نظام مركب من الافكار والاتجاهات والعقائد المرتبطه بصوره وثيقة بالقيم الثقافيه ، فمثلا قد ينظر الى الشخص الاسود على انه اكثر تشابها مع القردة ٠٠ واكثر بدائيه واحط من الناحيه البيولوجيه وكذلك في عديد من المسائل الاخرى ٠ وجدير بالذكر فان هذه المعتقدات تكون عادة مرتبطة بعوامل اخرى مثل : أن احتلاط الاجناس أو السلالات غير مستحب من الناحيه البيولوجيه ، حيث ان سمات معينة مثل الجنس ، وعدم المسئوليه والتبعية والعنف ، عادة ما تكون مرتبطة بالسلاله او الجنس ، وفقا لنتائج دراسات كل من فرمكن Fauman وروك Roucek (١٩٥٩) ٠ ان التقبل الواسع لمثل هذه الايديولوجيات يساعد على تدعيم وتاييد التمييز والتعصب ٠ وواحدة من أهم الطرق التي تساعد بها الايديولوجيات على استمرارية التعصب في انها تعطي وسائل لعمل وخلق اتجاهات وقيم تكون غير متناسقة مع بعضها البعض ، فمثلا ، اذا كان احد الاشخاص يعتقد ان الاسود « أحط من الانسان » ، حينئذ فان مزاولة التمييز ضده سيكون غير متناسقا مع عقيدة الحقوق المتساوية لجميع الكائنات الانسانية ٠

كما ان نتائج دراسة كل من بيزانز Biesanz وسميث Smith (١٩٥١) على العلاقه بين منطقه القنـــال وبناما ابانت أهمية القيم المركزية للمجتمع ٠ ففي منطقه القنال والتي كانت تدار بواسطة الولايات المتحده ، وجـــد الباحثان ان ممارســـه التفرقة والتمييز بين الامريكيين البيض والباناميين ، بينما كان الوضع خارج منطقه القنال يختلف عن ذلك حيث وجد ان التساوى التكامل بين المراكز كانت هي القاعدة العامة ٠ ويشير الباحثان ان هذه الحالة كانت مدعمه بصورة جزيية عن طريق اختـــلاف القيم بين المجتمعين ٠ ففي منطقة القنال تعين المكافآت والارباح على الادوار الوظيفيه والمهنيه المتطوره جدا وعلى المعرفه التكنولوجية العاليه ٠ ويشيران الى ان الباناميين لم يكونوا مجهزين لمواجهة المتطلبات الرسمية للحياة في المنطقه ٠ فالشكليات والنظام في المنطقه يدعم نمط التمييز ضدهم ، بينما ان الصفات غير الرسمية للحياه في باناما له تاثير عكس ذلك (١)

## التطبيع الاجتماعي للطفل :

يولد الانسان بدون اى تعصب ٠٠ الا انه مولود في أسرة عادة ما تعكس الاتجاهات السائدة في المجتمع ، كما أن الطفل يعتمد بصورة كبيرة على

(1) Biesanz, J. & L. Smith : Race relations in Panama and the Canal Zone, Jour. of soc. psy. 1951, 57 PP. 7 : 14.

الاعضاء الكبار فى اسرته من اجل اشباع حاجاته ٠٠ ومطلوب منه فى النهاية ان يسير وفقا لاتجاهاتهم وقيمهم ٠٠ وسنولى عملية التطبيع الاجتماعى شرحا مفصلا فى الفصل السادس الا ان ما يعنينا فى هذا المقام ، هو كيفية نمو التمييز والتعصب عند الطفل ٠

وينمو التعصب عند الاطفال فى سن مبكرة نسبيا ، فعندما اختبر كل من هوروتز Horowitz (١٩٣٦) ، وكرسول Criswell (١٩٣٧) التعصب لدى الاطفال فى سن المدرسة او ما قبله بواسطة الصور وكذلك عن طريق المواقف الافتراضية hypothetical situations ٠ اشارت نتائجهما الى بعض من الأوليات التفضيلية للارتباط مع اعضاء اخرين من جماعة الاغلبية وتجنب جماعة الاقلية ٠ كما ان الجماعات الخاصة التى كانت موضوع للتعصب حددت عن طريق انماط التعصب السائدة فى المجتمع ٠ وثمة تعصب يكون طفيفا فى البداية ، الا انه يصبح اقوى عبر سنوات الطفولة ٠ ومما هو جديد بالذكر ، فان الاطفال لا يكونون على دراية بالتعصب فى عمرهم المبكر ، كما انهم عادة لا يستطيعون ابداء الاسباب العادية للتعصب وكلما تقدموا فى عمرهم الزمنى يتعلمون الايديولوجية المدعمة ، ويسمعون الاسباب الثقافية والتقليدية للتعصب وبالتالى يتشربوا ذلك ٠

كما ان التعصب وظيفة مباشرة للتطبيع الاجتماعى ، ولقد اشارت نتائج دراسة هورويتز Horowitz (١٩٣٦) المقارنة لنمو التعصب نحو الاسود فى جماعات متعددة من اطفال مدرسة تينسى Tennessee ومجموعات اخرى لاطفال مدينة نيويورك ٠ وتشير النتائج أن التعصب كان واضحا فى المرحلة الأولى ، واستمر فى الزيادة خلال سنوات المدرسة الابتدائية ٠ كما لم يلاحظ اختلاف فى التعصب بين اطفال الجنوب والشمال ، ولا يوجد ايضا اختلاف بين اطفال نيويورك فى جميع مدارس البيض واطفال نيويورك فى مدرسة مختلطة ٠ وهذا التشابه فى الاتجاهات كان متوقعا لكل من اطفال نيويورك واطفال تينسى حيث كانوا معرضين الى حد كبير للتعصب ضد السود ٠

موجز القول ، ان الاتجاهات نحو جماعات الاقلية يكون فى النهاية منسوجا فى نمط مركب من الافكار والاتجاهات والعقائد ، ومرتبط بصورة وثيقة مع القيم الثقافية ٠ ان الوجود المنتشر لمثل هذه الايديولوجيات ساعد مما لا شك فيه على تدعيم التمييز والتعصب ٠ وعندما تكون عمليتى التمييز والتعصب مكثفة فى المجتمع بأسره ، فان التطبيع الاجتماعى للطفل نحو قبول مثل هذه الايديولوجيات والسلوك السائدين فيما يختص بجماعات الاقلية يصبح امرا مؤكدا لا لبس فيه ٠

## تغيير التعصب بين الجماعة

ان تأمل الدراسات العديدة للظـــروف التي تعمل على خفض وتقليل التمييز والتعصب عند بعض الحالات ، او فى زيادته لدى حالات اخرى · تمدنا بمعلومات اضافية متناسقة مع المبـــادىء التى اوجزناهـــا فى ثنايا الصفحات السابقة ·· بالاضافة الى انها تمدنا ببعض من الاستبصار لتفهم طبيعة عمليتى التمييز والتعصب ·

### افتراض الاتصال بين الجماعة :

ان الدراسات المبكرة فى التمييز والتعصب ، اشارت الى الافتراض بانه كلما كان الاتصال اكبر بين جماعات الاغلبية وجماعات الاقلية ، كلمـــا زاد من احتمال خفض التعصب والتقليل منه · ولقد اصبح واضحا مـــع ذلك ، أن نوع العلاقه بين الجماعتين يعتبر بمثابة عاملا هاما فى ذلك · وكما سبق وان رأينا فان نوع معين من العلاقات التنافسية قد يزيد من حدة التعصب بين جماعتين . كما أن الاتصال المتكرر بين الافراد فى علاقات غير متساوية ، وبين الاتصال بين السيد وخادمه ، فان تأثيرهـــا ضئيل على خفض التعصب · ومناقشاتنا السابقة والتى القت الضوء على أن التعصب ينبثق من العلاقات حيث المـــراكز غير المتســـاوية ، ســـيؤدى بنا الى الاعتقاد بأن خفض التعصب والتقليل منه يحدث نتيجة للعلاقات عـــلى اساس المنزلة المتساوية ·

وعلى الرغم من ان افتراض المنزلة المتساوية يبدو أنـــه متناسق ومتطابق مع الدراسات المتنوعة على خفض التعصب ، ومع انه كان مقبولا بصورة واسعة بواسطة دارسى العلاقات داخل الجماعة ، الا اننا نود تقديم افتراضا اكثر تحديدا ، وسنتأمل سويا الأدلة والدلالات المرتبطة به ·

### تغير الاتجاه ـ واحتلال الدور :

فى كل حالة من حالات الاتصال بين الجماعة ، والتى سبق وان نوهنا عنها ، تحدث نوعا خاصا من المواقف : فالاسكان المتكامل والمعارك الحربية، والبحارة على ظهر السفينة ، ومواقف العمل المتنوعة ولكى نصف العلاقة داخل الجماعة بتحديد اكبر ، فسنقوم بتقديم مفهومين تعرضنا لتعريفهما فيما سبق وهما :

- فئة الدور او المركز
- توقعات الدور

فالمركز position يمكن أن نطلق عليه بانه فئة من الاشخاص يشغلون مكانا او وضعا فى علاقة اجتماعية معينة · وامثلة ذلك ، البحار او الجار ،.زملاء العمل ، الاسود ، اليهودى ، المقاتل ·· الخ · ويرتبط بكل مركز او فئة الدور توقعات عن كيفية شغل الفرد لهذا المركز او فئة الدور بحيث يجب ان يسلك والصفات الشخصية التى يجب عليه امتلاكها ·

ومن وجهة نظر هذه التصورات ، فان اى موقف اتصالى يمكن ان يقدم كما يلى : بسبب مركزه كعضو فى جماعة الاقلية ، فان صفات تقولبية stereotyped قد تنسب اليه ، وانماط سلوكية ستكون متوقعة منه · وعندما يشغل دورا آخر ، مثل زميل فى العمل او كجار فان توقعات اخرى ربما تكون متضاربة بالنسبة لسلوكه وصفاته من المحتمل ان تظهر · فمن جانب فالميل فى ان ينسب اليه الصفات التى تعتبر مناسبة لاعضاء جماعة الاقلية التى ينتمى اليها · ومن جانب آخر الميل الى أن ينسب الى ذاته الصفات التى تحص الجار او زميل العمل · وعلى نقيض هذا الموقف حيث نجد عضو جماعة الاقلية يشغل بوضوح دورا اضافيا ، ففى المواقف حيث الاتصال غالبا ما يكون امرا عرضيا ، فمن المحتمل ان يدرك وان يسلك نحوه تبعا لدور جماعة الاقلية · وكما سبق ان ذكرنا فى مناقشة التدعيمات البيئية ، حيث نجد ان دور جماعة الاقلية يتناغم وينسجم مع الادوار الاخرى · فان التعصب كذلك يحظى بتدعيم · فمثلا ، فان تقولب الاسود غالبا ما تكون مدعمة أو مؤيدة طالما ظل الاسود مرتبطا بالمهن الدنيا او بالمهن الحقيرة ·

ويمكننا أن نتأمل التتابعات المنطقية للتفاعل المستمر مع عضو جماعة الاقلية الذى يشغل دورين · فالى الحد الذى يكون فيه سلوك عضو جماعة الاقلية متناغما ومنسجما مع توقعات فئة الدور لزميل العمل ،اكثر من فئة جماعة الاقليه ، فان التوقعات المرتبطة بفئة جماعة الاقلية من المحتمل ان تعدل تدريجيا أو يتخلى عنها كلية · وهكذا فاذا كانت توقعات زميل العمل هو ان يكون نشطا · أكثر من كونه كسولا ، وتوقع عضو جماعة الاقلية على كونه كسولا اكثر من كونه نشطا ·· فان السلوك النشط من جانب زميل العمل على مدى فترة من الزمن ، من المحتمل أن يؤدى به الى التخلى من الفكرة المؤداه بأنه كسول ·

وبصورة اعم فعندما تتضمن الاتصالات مع اعضاء جماعة الاقلية دورا يكون غير متنا ما وغير منسجما مع مركز جماعة الاقلية ، فان

التوقعات المرتبطة مع الدور غير المتناغم هذا من المحتمل ان تؤدى الى نمط سلوكى جديد نحوهم ، ولتغيرات مناسبة فيما يتعلق بالادراكات لصفاتهم، ولكن من الأهمية بما كان ان الادراكات الجديدة لهؤلاء الافراد مرتبطة بشغلهم لفئة دور خاص .

ويجب ان نتوقع ان الادراكات المعدلة عنهم من المحتمل ان تكون مقصورة على المواقف التى يشغلون فيها دورا معينا . كما انه تحت ثمة ظروف كثيرة فان مثل هذه الادراكات لن تعمم على المواقف الأخرى . جملة القول .. ان المواقف الاتصالية يمكن ان نتأملها من وجهة نظر هذه الآراء والأفكار سابقة الذكر .

وقبل ان نلقى نظرة سريعة على بعض الدراسات التى تضمنت اتصالا حقيقيا فعليا .. نشير الى ما ذكره ويستى Westie (١٩٥٢) فى ان تاثيرات شغل فئات دور أخرى ، بالاضافة الى مركز جماعة الاقلية نستطيع ان نوضحها بواسطة الدراسات التى تظهر مقدار المسافة او البعد الاجتماعى التى يشعر بها البيض نحو الزنوج فى ادوار مهنية متعددة .. فلقد أشارت نتائج ويستى ان المستجيبين البيض الذين تم اختبارهم بطريقة عشوائية من مدينة انديانا بولس . قد عقدت لهم جلسات مقابلة شخصية فى منازلهم .. واوضحت نتائجه ان الاشخاص البيض من الطبقة الدنيا يشعرون بتفاوت اجتماعى اكثر من الاشخاص السود . كما انهم يعملون تمييزا ضعيفا بينهم وبين السود فى الوظائف المهنية المختلفة . الا ان الطبقة المتوسطة والطبقة المرتفعة اشارت الى تباعد اجتماعى اقل فيما بينهم .. كما اظهروا تمايز أكبر بكثير فى شعورهم نحو السود فى ثمة وظائف معينة كالاطباء واصحاب البنوك وما الى ذلك .. وتوضح هذه الدراسة ان المشاعر نحو اعضاء جماعة الاقلية عادة ما تكون مرتبطة بمراكز اخرى قد يشغلها الفرد .. (١) .

وواحد من أوضح التفسيرات عن اهمية فئات الدور ، اتت من الدراسة التى قام بها مينارد Minard (١٩٥٢) على العاملين فى المناجم من البيض والسود فى حقول الفحم ببوكاهونتاس Pocahontas بقرب فرجينيا . نراه يصف موقفا حيث تكون فيه المناجم متكاملة ومتداخلة تماما ، حيث السود والبيض يعملون جنبا الى جنب .. الا ان الحياة خارج المنجم تكون فى صورة منفصلة تماما .. ويشير الى ذلك بقوله :

---

(1) Westie, F.R. : Negro-White status differentials and social distance, Amer. social. Rev. 1952, 17, PP. 550 : 558.

« أن الخط الفاصل بين حدود المجتمعين عادة ما يكون فتحة المنجم ، حيث تساعد الادارة عامليها بالمنجم على معرفـــة مداخلهم الى المجتمع الخارجى ، وذلك بتفريغها فى المركز بواسطة توفير ممرات مستقلة وغرف منفصلة ، كما ان الخط اللونى والذى يمكن ملاحظته بصورة مباشرة ، حيث تعودت اعين العمال على ظلمة المنجم ·

ان عامل المنجم الابيض يتكيف مع هذه التأثيرات المتضاربة عن طريق اتباعه دورا ثنائى المظهر · فداخل المنجم يؤدى دورا نحو زملائه العمال مبنى على قبول المساواة العملية فى المركز ، وفى خارج المنجم حيث دوره كعضو فى مجمتع البيض يتضمن سمو المركز والمنزلة ، والتى يصبح عضوا فى جماعة ذات سلالة متفوقة ·· » (١)

فاذا كان اداء الدور يعمل على خفض التمييز والتعصب صادقا ، فان البيانات الكمية عن الاتجاهات نحو اعضاء جماعة الاقلية يجب ان تظهر بالتالى تغير الصفات المناسبة للدور ، اى أنه اذا كان عضو جماعة الاقلية يعمل كزميل او كجار ، فان صفـــاته الادراكية يجب ان تتكيف وتتعدل لتكون مناسبة لدوره ، الا أن الصفات الملائمة والتى تتناسب مع الصـــداقة الشخصية مثلا قد لا تتغير وعلى الرغم من أن نتـــائج هذه الدراسات المتنوعة ، غالبا ما تكون غير كاملة ومتكاملة ، كما أنها تكون فى بعض الاحايين معرضة لبعض التفسيرات البديلية ، الا انها اذا اخذت بعضها مع البعض او فى صورة كلية ، فانها تنسج نموذجا مقنعا بصورة متناسقة مع وجهة نظرنا ·

وفى دراسة اخرى لهاردنج Harding وهجرف Hogrefe (١٩٥٢) على اقسام المخازن ·· حيث قسم العاملين البيض فى الجماعات الثلاثة الآتية :

مجموعة تتألف من اصحاب المراكز المتساوية ، من افراد بيض عملوا سابقا أو حاليا فى اقسام حيث يوجد فيها على الاقل شخص أسود على الاقل ذو مركز متساوى معهم او اعلى منهم ·

وتتألف جماعة المركز غير المتساوى من اشخاص بيض قاموا بالعمل سابقا أو حاليا فى اقسام حيث كان الأفراد السود فى مركـــز اقل من مراكزهم ·

وتتألف المجموعة الثالثة من اشخاص لم يعملوا على الاطلاق مـــع اشخاص سو. ·

---

(1) Minard, R. D. : Race relationships in the Pocahontas coal field, J. soc. Issues, 1952, 8, P. 30.

وفى الجزء الاخير من المقابلة الشخصية التى أجريت مع أفـــراد عينة البحث ، سئل الموظفون الأسئلة المبينة فى الجدول الآتى · وهـــذه الأسئلة لم تسأل بصورة متوالية ، ولكنها بعثرت بأسئلة اخرى لا تتعلق بالسود ·

ولقد اشارت النتائج ان العاملين الذين لهم اتصال متساوى مـــع الزنوج كان لديهم اتجاهات أفضل نحوهم فى المواقف التى ارتبطت بالمهنة او العمل ·· ولكن لم يتضح ذلك فى مواقف مثل المواصلات العامة مثلا ، او خدمات المطاعم والاسكان والصداقة وهكذا ·

| الأسئلة | اتصال على مستوى المركز المتساوى | اتصال على مستوى المركز غير المتساوى | بدون اتصال |
| --- | --- | --- | --- |
| ١ ـ ماذا تحس عندما تجلس بجانب الاسود فى الاتوبيسات او القطارات ؟ | ٧٣ | ٧١ | ٧٠ |
| ٢ ـ ماذا تحس عندما تجلس مع شخص اسود على نفس مائدة الطعام او فى الكافيتريا ؟ | ٥١ | ٥٣ | ٥١ |
| يعمل فيه كل من البيض والســود | | | |
| ٣ ـ ماذا تحس عندما تتسلم عملا جديدا ، نفس نوع العمل معا ؟ | ٧٣ | ٦١ | ٤٨ |
| ٤ ـ ماذ تشعر عندما تعمل تحت اشراف شخص اسود ؟ | ٣٧ | ٢٩ | ٣٣ |
| ٥ ـ ماذا تحس نحـو الاقامة فى مشروع اســـكانى يشتمل على أسر البيض والسود معـــا ؟ | ١٣ | ٢٢ | ١٨ |
| ٦ ـ ماذا تحس فى أن يكون لك صـديق الاعمال · | ٨٢ | ٤٩ | ٧٩ |
| ٧ ـ هل تعتقد ان الســود يجب ان يكون لهم نفس الفرص للحصول على اى نوع من الاعمال كالافراد البيض ؟ او هــل تعتقد ان البيض يجب ان يكون لهم الأولوية فى اى نــوع من الاعمال ؟ | ٦٥ | ٥١ | ٥٧ |
| عدد المستجيبون | ٨٢ | ٤٩ | ٧٩ |

جدول يوضح اتجاهات موظفى ادارة المخازن البيض نحو العاملين المشتركين معهم من الســود ·

وتشير الأسئلة رقم ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ والتى ليست مرتبطة بالعمل • الى العاملون الذين يعملون مع الزنوج على اساس متساوى اوغيرمتساوى لم يكونوا متحابين مع الزنوج اكثر من هؤلاء الذين ليس لديهم اتصـالات مهنية معهم • الا ان الأسئلة رقم ٣ ، ٤ ، ٧ والمرتبطة بعلاقات العمل ، بأن الاشخاص البيض الذين يدركون الافراد الزنوج فى ادوار متساوية لمراكزهم اتضح ان لديهم افضل الاتجاهات • وهذا يشير بصورة مباشرة الى أن تأثير موقف الدور قد غير الاتجاهات المرتبطة بالدور ، الا انه لم يعمم على المواقف الاخرى • ومع ان الزنوج للذين عينوا فى احد المخازن لمدة أربعة سنوات ، وفى مخازن اخرى لاقل من سنة واحدة •• الا ان النتائج لم تظهر اختلاف بين هذين المخزنين فى الاتجاهات السائدة نحو الزنوج •(١)

وفى دراسة لبروفى Brophy (١٩٤٦) عن البحارة التجار ، نرى ان نتائجها متفقة مع نتائج الدراسة السابقة لهاردنج وهجرف •• وعـلى الرغم من ان نتائج بروفى معرضة لعديد من التفسيرات المختلفة ، الا ان معظم بيانات هذه الدراسة اشارت الى انه كلما زادت عدد مرات ابحـار البحار الأبيض مع البحار الاسود ، كلما قل تعصبه نحوه ، وهكذا فـان النتائج تشير الى ان ٤٣٪ من هؤلاء البحارة البيض الذين ابحروا مرتين مع بحارة سود كانوا يتسمون بالتعصب ضدهم ، فى حين ان ١١٪ فقط من هؤلاء الذين قد ابحروا ثلاثة مرات او اكثر كان لديهم هذه الاتجاهات • وفى جماعة اخرى اتضح ان ٨٤٪ كان لديهم اتجاهات ايجابية نحو البحارة السود اذا ما قورنوا بـ ٤٣٪ فقط من هؤلاء البحارة الذين لم يبحروا الا مرة او اثنين مع البحارة السود •

الا أن بروفى Brophy (١٩٤٦) لم ينشر مواقف مقياس اتجاهه، حتى انه أصبح من غير الممكن القول عما اذا كانت الاختلافات فى التعصب ترتبط فقط بالعمل ، او كانت اكثر عمومية من ذلك ، ونتيجة اخـرى لهذه الدراسة فقد تكون النتائج مرتبطة بدور البحار • فالبحارة المحترفون ( وهم اولئك الذين ابحروا منذ عام ١٩٣٩ ، اى قبل بدء الاعتداءات فى الحرب العالمية الثانية ) كانوا اقل تعصبا بكثير من البحارة التجار والذين كانت اعمالهم محدودة بفترة الحرب فقط • واظهرت النتائج ان ٨٪ فقط من البحارة المحترفون اتسموا بالتعصب ضد الزنوج ، اذا ما قورنوا الى

(1) Harding, J. & R. Hogrefe : Attitudes of white department store employees toward Negro Co-workers, Jour of soc. Issues, 1952, 8, PP. 18 : 28.

٣٣٪ من بحارة فترة الحرب ، كما ان ٥٦٪ من المجموعة الاخيرة كانوا ذوى ميول ايجابية تجاه السود ، بالمقارنة الى ٩٠٪ من البحارة المحترفين . (١).

ان اهمية متطلبات موقف الدور فى السعى للحصول على التقبل ، وضح بصورة جلية بواسطة دراسة بالمور Palmore (١٩٥٥) ، فى دراسته لحالات تقبل العمال الزنوج فى مشروع شيكاغو لتعليب اللحوم فلقد نقل احد الزنوج ذو اقدمية طويلة الى الورشة الميكانيكية والتى كانت حتى ذلك الوقت محرمة على الزنوج ، وتقرير هذا الشخص الزنجى يوضح كيف انمتطلبات وضغوط المهنة كانت عاملا مهما فى التقبل المحدود خلال الاسبوعين الاولين .. ويشير بالمور Patmore الى ذلك بقوله :

« صباح يوم الاثنين اثبت حضورى ، واحسست بكمية كبيرة من الهمس والنظرات اخذت تتابعنى ، وكما تعلم فقد مر الجميع بجانبى ورمقونى بانظارهم باحتقار ، وكانهم لم يروا رجلا مثلى من قبل .. فانتظرت حتى حضر شخص الى رئيس العمال يطلب منه المساعدة ، ونظر الى رئيس العمال بقوله هذا هو مساعدك الوحيد الذى تبقى لدى .. وفى الحال يقرر الرجل الأبيض بانه لا يحتاج الى مساعد ، وينصرف . واستمر الحال على ذلك لمدة يومين ، لا احد يريد العمل معى . ولقد جعلونى اعمل بمفردى فى فك المضخات وفى التشحيم والنظافة .. وعندما اذهب الى احد الرجال حيث يعمل على مخرطة ، اساله اى سؤال فقد يجيبنى بكلمة واحدة او لم يجيب على الاطلاق ــ واخيرا فى اليوم الثالث كان هناك عمل فى حاجة الى شخصين ، وكنت المساعد الوحيد الموجود داخل العمل ... واضطر الرجل أن يقبلنى مساعدا لـه ، وقمنا بالعمل سويا ، وفى اليوم التالى قمت بالعمل مع رجل آخر ، والآن يوجد خمسة رجال قد عملت معهم حيث يأتون ويبدأون الحديث معى من جانبهم .. أما الباقون فمازالوا لا يتكلمون معى الا اذا بدات ذلك معهم .. (٢) .

وتشير نتائج الدراسة السابقة .. الى انه على الرغم من تقبل بعض الزملاء له فى العمل، فان هؤلاء الخمسة الذين عملوا معه لا يأكلون أويشربون القهوة معه .. وهذا يوضح لنا مرة أخرى حدودية علاقة الدور ونوعيته.

---

(1) Brophy, I. N, : The Luxury of anti-Negro prejudice, J. of pub. opin. Quart, 1946, 9, PP. 456 : 466.

(2) Palmore, E. B. : The introduction of Negroes into white department, J. of Hum. Organization, 1955, PP. 14 : 28.

وتدعم نتائج دراسة بالمور ، نتائج الدراسة التى قام بها جوندلاخ Gundlach ( ١٩٥٦ ) على موظفى اتحاد البحارة عن سياسة مكافحة التفرقة العنصرية والتمييز العنصرى، فقد اظهرت اتجاهات محابية عالية نحو العاملين المساعدين من السود ، ولسوء الحظ لم يستخدم جوندلاخ مجموعة ضابطة فى دراسته للمقارنة بها ، الا انه قارن نتائجه بدراسات اخرى والتى استخدمت مواقف مختلفة للاتجاه نوعا ما . وجميع الاسئلة اهتمت تقريبا بعلاقات العمل ومما هو جدير بالذكر ، فان العمال لم يستجيبوا بصورة ايجابية حول سؤال وجود جيران من السود ، كما هو الحال بالنسبة للافراد الذين يعيشون فى مشروع الاسكان الحكومى المتكامل .. ومرة اخرى تشير نتائج جوندلاخ الى ان التحول فى دور العمل نحو التعصب ، لا يمتد الى دور الاسكان أو الجيرة .

ويشير كل من كامبل Campell ويارو Yarrow (١٩٥٨) فى دراسة لهما على معسكرات الاطفال المتكاملة .. يبدو أن الصداقات قد حدثت الى حد كبير مع السود الذين يشاركون فى غرف المعيشة .. وفى المواقف اكثر عمومية كفترات الانشطة السباحية والمباريات الرياضية والاعمال الترفيهية الأخرى فلقد ظهرت عمليات العزل بصورة أكبر .

ودراسة أجريت ابان الحرب العالمية الثانية .. حيث فحصت درجة العلاقة بين الجنود السود والبيض فى مواقف قتالية ودرجة تعصب البيض نحو السود .. فلقد وجد فى بعض الحالات أن فصيلة زنجية من الجنود ( ٥٠ رجل تقريبا ) قد عينوا فى الشركات أصدقاء من البيض ، ( حوالى ٢٠٠ رجل ) وكان هذا أقرب درجة من التكامل . وفى حالات أخرى كانت وحدات السود جزء من فرقة عسكرية (٣٠٠ رجل) ، أو حتى فى قوات الميدان الكبيرة والتى تختلف الى حد كبير فى حجمها .. وجدير بالذكر فان هذه التعيينات الأخيرة تمثل تزايد اتصال بين السود والبيض ، وكانوا مرتبطون بعلاقة ايجابية الى حد ما مع السود .

وتشير النتائج أن تلك الاتجاهات الايجابية فى الوحدات الأكثر تكاملا ، كانت الى حد ما قاصرة على الجنود السود كزملاء قتال ، ويقدم الباحثان التعليق الآتى على هذه الفكرة :

« .. لقد انتهز جنود كثيرون الفرصة ليشيروا الى أن العلاقات كانت افضل فى القتال عما كانت عليه فى موقف المعسكر .. فعلاقات القتال قد تعتبر بمثابة علاقات عمل أكثر من اعتبارها علاقات اجتماعية ..

وبتحديد ادق يمكن ان تكون قاصرة على اسس مهنية محددة بصورة اضيق، مما تستطيعه او تكون عليه الاتصالات القائمة فى حياة المجتمع ، وعلى الاخص . فان موقف القتال كان مقصورا على الذكور .. ونتائج العلاقات الاجتماعية بين الرجال والنساء لا تبدو كما هى عليه فى المعسكر . وبعيدا عن كونها حالة اختبارية ففى علاقات الأبيض والأسود العادية ، فان الموقف القتالى يمكن أن يعتبر كحالة خاصة تدعو لعلاقات حسنة ، وذلك لان الاحساس بالخطر العام والالتزامات العامة كان بصورة عالية ومرتفعة ، وان الحاجةالى الوحدةكانت فى حدها الاقصي اوعلى اشدهاكماوجدوعى كبير بالخبرة المشتركة ذات النوع الانفعالى المكثف . (١)

وتشير نتائج دراسات كل من ولنر Wilner ووكلى Walktey وكوك Cook (١٩٥٥) الى ان دراسات الاسكان أوضحت اهمية دور الجار . فلقد قارنت هذه الدراسات اتجاهات البيض الذين يعيشون فى مشروعات اسكانية متكاملة ، مع اتجاهات البيض الذين يعيشون فى مشروعات اسكانية منفصلة .. وتتفق نتائج هذه الدراسات مع ما ذهبنا اليه فى ثنايا الصفحات السابقة . حيث أوضحت النتائج ان الاشخاص الذين كانوا فى مشروعات اسكانية متكاملة ، قد اظهروا تعصبا بصورة اقل من الآخرين الذين فى مشروعات اسكانية منفصلة ، كما اتضح أن لديهم اتجاهات ايجابية رقيقة نحو السود اكثر من الآخرين ، بالاضافة الى وجود علاقات اتصالية لهم اكبر مع السود وذلك لانهم كانوا يعيشون فى تقارب سكنى ، او بشقة سكنية مجاورة ، كما وجدوا انهم اقل تعصبا من الآخرين .

وعموما فان نتائج هذه الدراسات يبدو انها توضح بصورة كبيرة واكثر من غيرها ، الاتجاهات الايجابية بالنسبة للعلاقات الشخصية الواسعة . كما تبدو نتائجها متناسقة مع مكونات دور الجار ، والتوقعات المرتبطة به فى ان يكون ودودا صدوقا نحو جاره ، يحترمه ويساعده ويتوقع منه المساعدة .

وتؤيد هذه الفكرة ، نتائج الدراسات التى اجريت على المشروعات الاسكانية المتكاملة اذا اشار كثير من السكان البيض بأن لديهم جيران من

---

(1) Star, Shirley, A. R. Williams, & S.A. stouffer : Negro infantsy platoons in white companies, IN E. Maccoby & others (eds) Reading in social psychology, New York Rinehart & Winston, (3rd) ed. INC. 1958, PP. 598 : 600.

السود كأصدقاء لهم في حين أشار الأفراد في مشروعات الاسكان المنفصلة الى اتجاهات اكثر تعصبا حيث لم يشر أحدا منهم بأن له أصدقاء من السود .

وجدير بالذكر ، لم يعطى الاهتمام الكافى فى تلك الدراسات لاختبار عما اذا كان التغير فى الاتجاهات يعمم للادوار الاخرى .. ولقد قدمت احدي الدراسات لولنر ووكلى وكوك (١٩٥٥) مقياسذوخمسة مواقفقياسية حول التمركز حول عرقه او الايمان بأن عرقه أسمى من سائر الاعراق ethnocentrism للمستأجرين فى مشروع اسكانى ولسوء الحظ لم يذكر الباحثون النتائج المفصلة لكل موقف من هذه المواقف .. فأحد المواقف التى ترتبط بموقف العمل كانت :
« انه من دواعى الخطأ دائما ، تعيين السود كرؤساء للعمال وقادة على العمال البيض .. » .

وموقف آخر يتعلق بالمدارس .. الا انه يرتبط بالاتصال والعلاقات العامة :

« ان السود لهم حقوقهم .. ولكن من الافضل أن نستبقيهم فى مقاطعاتهم ومراكزهم ومدارسهم .. كما يجب أن يمنع الاتصال بصورة واسعة مع البيض .. »

والثلاثة مواقف الاخرى الباقية ، مع ذلك هى مواقف عامة نحو السود .

انه من المهم ان يذكر انه عندما نقارن الجيران الذين لهم اتصالات اكثر مع السود بالذين لهم اتصالات اقل ، فان واحد من كل اربعة مشروعات اسكانية اظهرت اختلافا دالا من الافراد الموافقين على المواقف المختلفة. ولقد كان هذا مشروعا متكاملا وكانت الاتجاهات أكثر ايجابية ، كما ان المشروعين الاسكانيين الاخرين المنفصلين لم يظهرا اختلافات ذو دلالة فى الاتجاه بين الافراد الذين كانت لهم اتصالات أكبر ، وهؤلاء الذين كانت لهم اتصالات اقل . كما أن المعلومات والبيانات التى نشرت ليست مفصلة بصورة كبيرة ، لكى تشير عما اذا كان الفشل فى الحصول على اختلاف وفروق دالة يرجع لوجود مواقف لا ترتبط بالدور والتى سبق الاشارة عنها .. بالاضافة الى أن الاتجاهات الاكثر ايجابية فى التقارب نحواشخاص

معينيين من السود قد عممت الى حد ما ولكن ليس بالكامل نحو السود كجماعة ٠٠ (١) ٠

ان التأكيد الذى اعطى لعلاقة الدور بين جماعات الاغلبية وجماعات الاقلية فى سياقنا السابق ، يجب الا يحجب اهمية العوامل الشخصية فى التعصب ٠ ان مناقشتنا السابقة فى العمليات الفردية فى التعصب ما تزال تستخدم ، خاصة فى مواقف الاتصالات المشروحة ، تشير الى أنه ليس جميع الافراد يستجيبون بنفس الطريقة ٠ فمثلا فى دراسة لمينارد Minard (١٩٥٢) على عمال المناجم البيض والسود فى حقول منجم Pocahontas حيث اظهرت نتائجه ان ما يقرب من ٦٠٪ من عمال المناجم البيض قد بدلوا علاقة دورهم نحو السود تبعا لدخولهم وخروجهم من المنجم ٠٠ واتضح ان مسلكهم نحو السود كان على اساس المركز المتساوى فى داخل المنجم ، وكان على اساس المنزلة والمركز المتفوق فى خارج المنجم ، كما أن ٢٠٪ من الرجال ظلوا متعصبين بصورة عالية فى كل من مواقف داخل وخارج المنجم ، وظلت الـ ٢٠٪ الباقية محتفظةبصداقاتها ، واستمرت فى اتجاهاتها غير المتعصبة داخل وخارج المنجم معا ٠ وبكلمات اخرى فنستطيع أن ننظر الى الـ ٢٠٪ من عمال المناجم على انهم متعصبون بصورة عالية ، لدرجة انهم يميزون ضد السود فى داخل المنجم وخارجه ، والـ ٢٠٪ الاخرى صديقة وايجابية بصورة كافية ، الى درجة انهم يسلكون تجاه السود بصورة ودوده داخل المنجم والمجتمع معا ٠ والـ ٦٠٪ الباقية يمكن اعتبارها على ان لها درجة متوسطة من التعصب والتى تستسلم أمام الضغوط الشديدة لموقف العمل ، الا انها تكون فعالة وعملية حيث يتوفر لها تدعيم المجتمع ٠ وثمة فروق فردية مماثلة تحدث فى كثير من المواقف الاتصالية الأخرى ، ويمكن أن تنسب أيضا الى العوامل الشخصية التى ناقشناها سابقا ٠ (١)

## استثارة التنافر وتغير الاتجاه

فى مناقشة تغير الاتجاهات التى تعزى الى التفاعل مع أعضاء جماعة الاقلية الذين يشغلون ادوارا متنافرة متعارضة ، فان الانماط السلوكية لاعضاء جماعة الاقلية قد تتأكد ٠ ويمكننا الآن تأمل سلوك عضو جماعة الاغلبية فى مثل هذه المواقف ونتائجها فى تغير الاتجاه ٠٠

(1) Wilner, D.M. & others : Human relations in interracial housing New York, Un. of Minnesota Press, 1955, P. 69.

(1) Minard, R.O. : op. cit. P. 69.

ان الشخص المتعصب والذى اتخذ قرار انتقاله الى مشروع اسكانى شعبى ، يجد نفسه ملتزم بموقف معين حيث يكون الى حد ما مطالب بأن يسلك بأسلوب مناقض لاتجاهاته . فربات البيوت فى المشروع مثلا يحدث بينهن اتصالات كثيرة مع جيرانهن السود فى أماكن الغسيل أو الكى وفى الملاعب والحدائق مع اطفالهم .. وفى مواقف اخرى كثيرة ، ان عامل دور الجار يؤدى بهن الى أن يسلكن بطريقة صدوقة ودودة .. فاذا كانت ربة البيت متعصبة ، فان سلوكها الودود غالبا ما يثير التنافر .

كما يجب ان نتوقع أن التنافر سيذوب بواسطة تعديل جوانب اتجاهاتها نحو الزنوج والتى فى جوهرها متباعدة مع دور الجار ومتنافرة معه . وهنا نجد مرة اخرى تنبؤ آخر مؤداه بأن جوانب من الاتجاهات المناسبة لموقف الدور يحتاج الى تغيير .. ان القاعدة لخلق تغييرات أعم يمكن ايضا اجرائها . ان أى ظروف تجعل العوامل غير الوظيفية للاتجاه مناسبة مع السلوك فى موقف الدور ، من المحتمل ان تسهل التغيير فى العوامل غير الوظيفية كذلك .

ان مواقف الاتصال بين الجماعة ما يزال فى حاجة الى مزيد من الدراسات لكى نتوصل الى النتائج الصادقة والثابتة ، فان مناقشتنا العامة وعرضنا لعديد من الدراسات فى تغيير التعصب من ناحية وتغيير الاتجاهات من ناحية اخرى .. فى حاجة الى تدعيمات ميدانية . كما ان مواقف الاتصال بين الجماعات فى ثنايا الدراسات السابقة غير واضح كذلك ، فالالتزام الشخصى للانتقال الى مشروع اسكانى يبدو أنه اختيارى ، الا أن التعيين بواسطة السلطات لمشروع متكامل ليس كذلك .. كما أن فى مواقف العمل ، فلقد عين الموظفون السود عن طريق صاحب او مدير العمل ، اى أن الموظفين لم يكن لهم دور فى هذا القرار . ومن ناحية اخرى ، فان بعض اشكال الالتزام الشخص ما زال يظهر فى ثمة مواقف داخل العمل . فقد يشعر العامل أن له اختيار فيما اذا كان سيسلك بطريقة متعصبة أو غير متعصبة نحو زميله داخل العمل . كما أن هؤلاء العمال الذين يظهرون تعصبا منخفضا يمكن أن يكون هؤلاء الذين اتخذوا قرارا لمعاملة زملائهم السود على اسس متساوية .. جملة القول فان هذا الميدان ما يزال فى فى حاجة الى عديد من الدراسات الميدانية الأخرى عن مواقف الاتصال فى العلاقات داخل الجماعة .. ما زال مطلوبا لاثبات صدق النتائج التى تعرضنا اليها فى ثنايا الصفحات السابقة .

**قوانين الأدوار المحددة :**

فى دراسات الاسكان العام ، يشير الباحثون ان السياسة الرسمية للسلطات الاسكانيه قد تكون ذات اهمية فى خلق تقبل الموقف ، وبطريقة غير مباشرة يحدثوا تقليلا للتعصب . وفى الحقيقة أن كـــل وحدة أسرية كانت فى مشروع اسكانى حكومى قد اعطيت قوانين رسمية لنموذج الاسكان المتكامل أو المنفصل والذى تم تحقيقه بواسطة السلطات . كما أن تخصيص أو تحديد الوحدات كان يجرى عن طريق السلطة ، كما أن الاسرة المتفردة لم يكن مصرح لها باختيار الموقع أو وحدة الاقامة .

وبصورة مماثلة . يحدث ذلك فى بعض مواقف العمل ، فان سياسة عدم التفرقة النشطة سواء من جانب المستخدمين او الاتحاد ، كـــانت تحبز وتصدق على دور العلاقات المتساوية للمراكز . كما أن هيكل السلطة العسكرية حيث تعود العاملين على تلقى الأوامر من السلطات الاعلى ، يبدو أيضا انه يؤدى الى تكوين انماط التكامل للتفاعل الممكن تطبيقه . والمناقشة هنا تأخذ شكلا بأن مثل هذه القوانين والمراسيم يساعد على تحقيق المعايير الاجتماعية التى تؤيد التفاعل على أساس المنزلة المتساوية .

كما أن القوانين والمراسيم الصادرة من الســـــلطات .أو الأفراد أو الجماعات ذات السند ، قد تحافظ أو تزيد من التعصب . ففى دراسات عن المناطق السكنية للبيض والتى انتقل اليها السود ، فان هذه المنـــاطق قد أصبحت وبسرعة من السود كلية . والانتقال السريع للسكان البيض الى خارج المنطقة تضاعفت سرعته بفعل الضغوط المتنوعة الصادرة من الجماعات أو الأفراد الحاكمة . وعندما ينتقل الزنوج الى منطقة ما ، فان أصحاب العقارات يخشون انخفاض قيمة ممتلكاتهم . وبسبب الضـــغط لاجل اسكان السود أسكانا مناسبا ، وبالتالى نجد العديد من المشترين السود يهتمون بالشراء ، ولا تمضى فترة الا وتصبح المنطقة معزولة عنصريا. وهكذا يضغط السماسرة وتجار العقارات على البيض ليبيعوا الى السود حيث يستطيعون الحصول على ثمن افضل . وعادة ما نجد وكالات القروض ومؤسسات التأمين الحكومية لا تشجع البائعين البيض المقبلين على البيع فى الاقدام على ذلك . وهكذا فبدون بعض أشكال الضبط فانه من الصعب المحافظة على منطقة ســــكنية مختلطة كما أن منظمات تكامل الأجناس biracial organizations تكونت فى محاولة منها لحفظ النمط المتكامل القائم ( سويسمان Sussman ١٩٥٧ ) .

ان قوانين السلطة لا تحتاج دائما الى احداث تغيير فى الاتجـــــاه

المشروع . فتحت بعض الظروف او الحالات نجد ان محاولة ما من فشل المسئولين لتغيير المعايير ، قد تؤدى الى ظهور معايير مضادة . فمثلا ادت سلسلة قرارات المحكمة العليا الامريكية فى عدم التمييز والتفرقة ضد السود . الى تكوين جماعات متنوعة كانت معارضة لقرارات المحكمة فى عدم التفرقة ، وكانت نشطة فى تشجيع مقاومة هذه القرارات ، مثل مجالس المواطنين البيض المنتشرة فى انحاء جنوب الولايات المتحدة الامريكية . ان الظروف التى يمكن ان تتكون او تتغير تحتها الاتجاهات والتى سبق مناقشتها ملائمة ويمكن تطبيقها فى هذا المقام .

**المصير العام والاهداف المشتركة :**

كل من الملاحظات الميدانية والتجريبية تؤيد فكرة ان موقف الدور يتضمن مصيرا واهدافا مشتركة تؤدى الى اتجاهات محابية بصورة ايجابية للمشتركين نحو بعضهم البعض . فاذا خبرت جماعتين مصيرا مشتركا عندما تقاسموا واشتركوا ، فمن المحتمل أن تكون النتائج متماثلة عند كل منهم . فمثلا ، فمن المحتمل ان يكون هذا مخبرا عن طريق الجيران فى مشروع اسكانى ، أو العلملين الزملاء فى مؤسسة تجارية . ثمة هذه الخبرات عادة ما تكون مكثفة خاصة اذا كانت كلا المجموعتين معرضتان لبعض الخطر أو التهديد الخارجى .

ففى دراسة جنود المشاة البيض والسود فى المعارك القتالية ، فان خبرة القتال معا وضد عدو مشترك ، يبدو انها ذات صبغة حيوية فى احداث تغيير فى الاتجاه . كما ان دراسات البحارة أشارت كذلك ان هؤلاء الذين كانوا معا تحت نار الاعداء ، كانوا اقل تعصبا من الاخرين خارج المعارك الحربية ، ولقد اشار كل من شريف Sherif وال AL (١٩٦١) أن سلسلة المواقف المهددة والخطرة التى تتطلب تعاون بين الجماعات ، فمثلا قد قطعت مصادر المياه ، وبالتالى أصبح جميع الأفراد فى حاجة الى التعاون والتماسك لكى يحصلوا على المصدر بصورة مناسبة . وموقف آخر يتضمن عربة بضاعة مشحونة والتى يمكن تشغيلها فقط بجرها بواسطة مجموعتين من الأولاد معا . مثل هذه المواقف التعاونية الطارئة لمقابلة التهديد تخلق هدفا واحدا يرغب كل من الجماعتين التوصل اليه ، وهذا ، يتأتى الا من خلال التعاون . هذه المواقف أدت الى انخفاض ملحوظ فى العداء الموجهة للجماعة الخارجية .

وتجربتان معمليتان اعطت تأييدا ابعد لتأثير خبرات التهديد المشترك فى خفض التعصب . فلقد قام كل من فيشباخ وسنجر Feshbach & Singer

(١٩٥٧) وكذلك برنشتين Burnstein ومكراى McRae (١٩٦٢) قد قاموا بوضع حالات متنوعة من التعصب ضد السود تحت ظروف التهديد او عدم التهديد المشترك فى جماعات تتطلب تعاون لحل المهمة التى فرضها المختبر ، واحد اعضاء كل من الجماعتين كان اسود حيث كان مساعدا للمختبر والذى قد الف مقدما متطلبات حل المشكلة · ولقد خلق التهديد والخوف لأعضاء جماعة التجربة وذلك عن طريق اخبارهم ان قسم علم النفس والجماعة كانوا يباشرون العمل فى برنامج لتقييم الطلبة بواسطة هذه المواقف التجريبية ·· كما اخبروا أن التسجيلات الكاملة لأدائهم سيوضع فى ملف كل منهم الدائم · واتضح وكما كان متوقع أن قياسات التعصب التى اخذت قبل وبعد الموقف التجريبى اظهرت هبوطا ذو دلالة فى التعصب لدى المجموعة التجريبية ، ولكن لم يحدث ذلك بالنسبة للمجموعة الضابطة والتى لم تتعرض للتهديد · (١) ·

## تهديم التميز والتعصب

سنكتفى فى الصفحات التالية بالادلاء ببعض الملاحظات العامة ، وبتقديم بعض الأمثلة الموجزة ·· غير ان القارىء يجد انْ المسائل المتصلة بهذه القضية والمناهج المستعملة فى بحثها معروضة بتفصيل اكبر فى مؤلفتا وليامز Williams (١٩٤٧) وماكيفر Mciver (١٩٤٨) وروس Rose (١٩٤٧) وواطسون Watson وسانجر Saenger (١٩٥٣) وكلينبرج Klinberg (١٩٥٤) ، بالاضافة الى العرض الممتاز فى كتابات دوتش Deutch وكوك Cook (١٩٥١) لطرق البحث ومناهجه فى هذا المضمار ·

ويمكننا ان نستخلص من تحليلنا سابق الذكر لكل من التمييز والتعصب المبادىء الرئيسية الثلاثة التالية :

**اولا :** انه ان كان يوجد عدة اسباب عادة ما تؤدى الى مثل هذا التمييز والتعصب المبادىء الرئيسية الثلاثة التالية :
أبعاد ، فان علينا أن نحاول اقتلاعها بعدة طرق مختلفة ·

---

(1 Feshbach, S & R. Singer : The effects of personal and shared threat upon social prejudice, J. abn. soc. psy. 1957, 54 PP. 441 : 416.
— Burnstein, E. & A. McRace : Some efect of shared threat and prejudice in racially mixed group, J. abn. psy. 1962, 64, PP. 257 : 263.

**ثانيا :** يجب أن تكون المناهج التى تهدف الى اقتلاع التمييز والتعصب على صلة مباشرة مع تعليلنا للاسباب التى ادت الى ظهور كل منهما ٠

**ثالثا :** واذا كانت الاسباب ذات علاقة تبادلية فيما بينها ، كما راينا فى سياق حديثنا السابق ، فانه يجب أن نستخدم فى الوقت نفسه جملة مناهج ووسائل للتقليل من هذا التمييز والتعصب او القضاء عليه ٠

واحسن ما نفعله لايضاح كيفية تطبيق هذه المبادىء هو مثل نضربه ٠ لقد تناقش الباحثون كثيرا فى أمر التعصب والتمييز العنصرى ، وذلك كما اتضح لنا فى نتائج الدراسات التى عرضت فى ثنايا هذا الفصل ، فهل تتخذ تدابير تشريعية ضدها ؟ كأن ننشىء مثلا لجانا لمنع التعصب والتمييز العنصرى فى قبول طلبات الاستخدام ، أو ان ننشر قوانين ضد هذا التمييز فى المجلات العامة والمساكن والتربية ٠٠ الخ ويرى البعض من جهة أولى ، ان القوانين ليست بناجعه الا اذا كان الناس مستعدين لقبولها ، ولذلك فان من الواجب أن تسبقها حملة تربوية تمهد لها ٠٠ كما يقال من جهة أخرى ، انه اذا كنا لا نستطيع منعه ، فاذا ابدانا بتهديم الركائز التى توفرها البيئة لهما ، فاننا بالتالى سنغير مع الزمن اتجاهات الاكثرية ٠

ويبدو لنا أن الاتجاه الثانى اكثر اقناعا من الاخر ، واذا كنا فى بلاد تعود اهلها احترام القوانين ، فان لنا ان نتوقع ان يكون للتدابير التشريعية فى محاربة التمييز والتعصب اثرها المنتظر ٠ واذا كانت هذه القوانين مما يساعد على اقتلاع الركائز التى تقدمها البيئة لاتجاهات التمييز والتعصب٠ فمما لا شك فيه اذن انها اسلوب يشتمل على قوانين ضخمة ٠٠ ولئن كان الناس التى تتخذ فيهم هذه التدابير والقوانين معارضين فعلا لاتخاذها ، فلا شك سيكون من الصعب وضعها موضع التنفيذ ، أو ان شئت فقل انهم سيعرفون كيف يحولونها عن مقاصدها ويضعفون اثرها ٠ ان مثل هذه التدابير لا يمكن ان تتخذ ابدا ما دام الناس غير مستعدين لقبولها وفى هذه الحالة يجب القيام بما يسمى بحملة تربوية ، والواقع ان مثل هذا المنهج هو الذى قدم أكبر الخدمات للزنوج حديثا ، سواء اتحسنت اوضاع هؤلاء بطريق التدابير التشريعية الجديدة ، أو بالاعتماد على الحقوق المدنية كما ضمنها الدستور الامريكى ( انظر نتائج الدراسات فى التمييز والتعصب سابقا ) ٠

ويجب ان نتذكر مع ذلك ان الدعائم التى تقدمها البيئة للتمييز والتعصب لا تنهار كلها أمام ضربات التشريع والقوانين ، أن هناك اعرافا

وعادات تتصل بما بين الجماعات العرقية من علاقات لا تطاولها القوانين أو التشريعات . ولكن ينظمها العرف والتقاليد ، وهذا العرف والتقاليد سوف بتغير ايضا اما ببطىء وبالتدريج ، واما خلال مدة قصيرةنسبيا٠ان مائة قانون يمنع السود من الانتساب الى مختلف فرق البيزبول Baseball ولكن العرف كان يقضى بذلك ايضا ، حتى تسنى لعدد من الافراد الشجعان ان يحطموا هذا التقليد . ولم تكن المعارضة فى هذه الحالة بالقوة التى كانوا يقدرونها ، وكل ما فى الامر اننا كنا امام حالة من حالات الجهل الجمعى ignorance plurale ( ويقصد به فى هـــذه الحالة ان كل انسان على حده كان لا يرى مانعا فى انتساب السود الى الفرق الرياضية الا انه كان يعتقد ان الاخرين يعارضون ذلك ) ٠

وكذلك التربية تستطيع ان تؤثر فى تغيير التمييز والتعصب ٠٠ ويذهب جيلبرت Gilbart الى ان الضـــعف والتقليل من التمييز والتعصب يرجع الى تأثير الدروس الجامعية فى العلوم الاجتماعية ، حيث دفعت هذه الدروس بالطلاب الى الحيطة واتخاذ موقف نقدى فيما يتعلق بسرعة التعميم على الجماعات العرقية المختلفة ٠ ومن الممكن ايضا ان تكون بعض مكتشفات المختصين فى العلوم الاجتماعية فيما يتصل بالخصائص العرقية قد اثرت لا فى تفكير الطلاب وحدهم بل فى تفكير المثقفين جملة(1)٠

ولكن فى ذلك ما يحملنا على التســـاؤل عن قيمة اســـتخدام نشر المعلومات فىتغيير الاتجاهات أو التعصب ٠٠فعندمااستعرضروس Rose نتائج احدى عشر دراسة على اثر المحاضرات المخصصة للعلاقات بين الجماعات لاحظ ان ستة منها انتهى الى تعديل الاتجاهات والتقليل من التعصب عند افراد عيناتها ، الا ان اربعة دراســـات لم تؤدى الى اى تغيير اما الحادية العشر فان نتائجها ظلت غامضة ٠

وعموما يمكننا ان نستخدم وسائل الاعلام الكبرى لا لمجرد تقديم المعلومات فحسب ، بل كذلك لعرض مواقف مصبوغة بصبغة عاطفية تقع احداثها بين مختلف الجماعات العرقية ٠٠ ولنذكر على سبيل المثال فلقد درس ثرستون Thurstone فى عدد من التجارب اثر الافلام على الاتجاهات وكانت الافلام الخمسة المستعملة تتضمن فيلما يقدم الصينين بشكل حسن، وآخر يقدمهم بشكل سىء ، وفيلما ثالثا فى مصلحة الالمان ورابعا ضـــد

---

(1) Gilbert, G.M. : Stereotype persistence and change among college students, J. of abn. soc. psy. 1951, 46, PP. 245 : 254.

القمار وخامسا يوضح الأثار السيئة لتهريب المخدرات وكانت العينة من طلاب المدارس الثانوية فى البلدان الصغيرة بمنطقة شيكاغو ٠٠ ولقد اجابت كل العينة على استفتاءات تتعلق بالاتجاهات قبل رؤية الافلام وبعدها ٠٠

ولقد اشارت نتائج ثرستون ان تغيير الاتجاه فى حالة الفيلم المناسب للصينيين يعادل ١٦ر٩٨ ضعف الانحراف المحتمل بين النتائج قبل رؤية الفيلم وبعده ، كما لوحظ ان الافلام الاخرى كانت اقل جدوى ولكن الباحث يشير الى انها ادت الى بعض التعديل فى الاتجاهات ٠ كما كان اثر الفيلمين فى الدعاية اقوى من اثر الفيلم الواحد ، واثر الافلام الثلاثة اقوى من اثر الاثنين ٠ ويذكر ثرستون أن التغيرات التى نشأت ظلت باقية الاثر خلال فترة تتراوح بين شهر ونصف وتسعة عشر شهرا ٠

كما ان سميث اتبع منهجا اخر فى تغيير التعصب ، مؤداه انه كان يحمل طلابه وهم ٤٦ طالبا فى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا على قضاء عطلتين اسبوعيتين فى حى الزنوج هارليم Harlem بدلا من ان يتحدث اليهم عن الزنوج وان يقول لهم لماذا يجب عليهم ان يتبنوا موقفا اكثر تهذيبا ، واستعان فى ذلك بفنانين وكتاب ورجال اعمال من السود٠ فبرهن بهذه الطريقة لطلابه على خطأ تعصبهم وبغضهم نحو الزنوج ٠ وجعلهم يتصلون بزنوج مختلفين جدا عن أولئك الذين كانوا قد عرفوهم حتى ذلك الحين ، ونشأ عن ذلك تغير كبير فى تعصب الطلاب نحو الزنوج وتغيرت اتجاهاتهم بصورة كبيرة نحوهم ٠٠

وعموما فان الاتصال وسيلة فعاله فى تغيير التعصب ، كما هو مفيد فى تغيير الاتجاهات كذلك ٠ هذا ولقد رأينا أن التعصب يمكن أن يكون نتيجة تعلم ، او ان شئت فقل فى جملته نتيجة ذلك ، فان تركة واهماله قد يكونان نتيجة تعلم ، كما رأينا كذلك ان التعصب ان كان يمكن غرسه من جانب فان من الممكن اقتلاعه من جانبا اخر ٠٠ ولكن حين تتمركز عملية الغرس التى يتولاها الأباء والامهات والمدرسون ووسائل الاعلام المختلفة ، على التسامح اكثر من البغض ، فان عملية الاقتلاع بالتالى تكون اسهل وايسر ٠ غير ان النتائج تكون افضل لو ان التعلم الأول الذى يحمل الأباء والمعلمون مسئوليته يتركز اساسا على حسن التقبل لا على التعصب ٠٠ وذلك كما سنرى فى عملية تطبيع الوليد البشرى ٠٠ وهذا يعنى أن الحملة التربوية يجب أن تتجه الى سائر الطبقات لا الى التلاميذ والطلاب وحدهم ٠

هذا ويجب ان نضع فى اذهاننا ايضـــا أن التعصب والاتجاهات العنصرية تحدث من الخسائر اكبر ما تجلب من المكاسب . ويشير روس Rose (١٩٥١) الى التبذير الاقتصادى الناشىء من عدم استخدام اليد العاملة استخداما كاملا ، وعن ازدياد خطورة المشـــاكل الاجتماعية ، وعن تزايد الخوف والقلق وعن الضرر الذى يصيب الصداقة بين الشعوب .. الخ . فان وجود فئات كبيرة من كل شعب يحرم عليها الوصول الى التساوى فى الحقوق .. يزيد ذلك من خطورة الامراض الاجتماعية . ومن المؤكد أن التمييز العنصرى يساعد على جعل مستوى الحياة لدى جماعة الاقليات مستوى ضعيفا ويؤدى الى تهديم عدد كبير من الاسر وزيادة نســبة الجنــوح والاجرام ..

ويلخص دوتشير وشين Deutscher & Chein (١٩٤٨) جملة اراء المختصين بالعلوم الاجتماعية فى الاثار النفســية للتعصب والتمييز العنصرى ، والصور الاخرى من التعصب العرقى . ويقولان :

« ان اكثر من ٩٠٪ ممن أجابوا عن مجموعات أسئلتهما كانوا واثقين بأن لها اثرا ضارا جدا على افراد جماعات الاقليات ، ويمكن تصنيف النتائج الواردة فى الاجوبة التى تلقوها بالشكل التالى :

اولا : تحدث توترات كبيرة تنشا عن التناقض بين الروح الديمقراطية الحريصة على المساواة . وبين واقع التمييز العنصرى .

ثانيا . شعور الفـــرد من الاقليات بعقدة نقص وشعوره بانه غير مرغوب فيه .

ثالثا : الاستسلام والشعور بالاضطهاد ، والميل الى الانســحاب والعــدوان .

رابعا : فساد البيئة الاجتماعية وأعــرب اكثر من ٨٢٪ من هؤلاء المختصين بالعلوم الاجتماعية عن قناعتهم بان التعصب يسىء الى الصحة العقلية والنفســية لدى هؤلاء الذين يمارســون التمييز والتعصب العنصرى . انهم قد يكونون فرائس صراعات داخلية ، ومشاعر اثمة ، ويمكن ان يتزايد الشعور العدوانى وأن تفسد القيم الاخلاقية ، وقــد يصبحون غير واقعيين فى تقدير كفاءاتهم الذاتية وكفاءات الاخرين (١) .

(1) Deutscher, M. & Chein, I. : The psychological effects of enforced segregation, J. of psy. 1948, 26, PP. 259 : 294.

ويرى روس Rose اننا لو استطعنا أن نفتح عيون الناس على هذا كله وعلى « تكاليف » التمييز والتعصب العنصرى فلربما اصبحوا اكثر استعدادا لاحلال موقف تعاونى كريم ، محل هذا التمييز والتعصب الكريه ·

واخيرا ماذا نفعل بالتمييز والتعصب العنصرى الذى يستمد وجوده من دينامية الشخصية ( من سمات الشخصية نفسها ) ان هذه القضية تتعلق ، بمعنى ما ، بالصحة النفسية والعقلية جملة · وكل ما يمكن ان ينمى الشعور بالاطمئنان عند الفرد ؟ وقبوله لنفسه وللاخرين ، كما يجب أن يقلل من تعصبه وتمييزه والى بلوغ مركز ما على حساب الاخرين · ان الصحة النفسية واساليب المعالجة النفسية تبدو كتدابير مفيده فى اغلب الأحيان ·

ويشير لنا نيوكمب Newcomb (١٩٤٣) ان السمات الشخصية لهذا الفرد تشجعنا على الاحتفاظ بالأمل ، فهو محافظ ، وفى وسعة ان يتقبل العادات الجارية ، وهو يحترم السلطة ويمكن ان يحذو حذو الشخصيات الكبيرة اذا هى صرحت بعدائها للتمييز والتعصب العنصرى · كما انه يشعر بحاجة ملحة الى الاستحسان ، وقد يغير من موقفة اذا وجد جماعته لا تؤمن بهذه التفرقة والتعصب العنصرى ·

# الفصل السادس

## الاتجاهات الاجتماعية

كثيرا ما يسلك الانسان بطرق متناسقة متناغمة تحت ظروف ومثيرات بيئية واسعة متغيرة .. فقد يصوت الفرد لمرشح معين فى انتخاب تلو اخر ، فيرغمبال بالسمات الشخصية التى يجب أن تتوفر فى ممثليه .

وحقيقة فنحن فى حاجة الى بعض المفاهيم النفسية التى تلقى الضوء على هذا التناغم والتناسق السلوكي عند الانسان ، نحو موضوعات البيئة المختلفة .. ومن غير شك : ان مفهوم الاتجاهات يعتبر واحد من المفاهيم التى تقدم طريقة لتناول هذا التناغم فى السلوك الانسانى .

وقد ينتاب اخصائى علم النفس الاجتماعى فى دنوه لموضوع الاتجاهات . شعور بالتهلف والتوق من ناحية ، واحساس بالخوف والتردد من ناحية اخرى ، ويرجع ذلك الى اننا لا نجد موضوعامن موضوعات علم النفس قد تعرض لكثير من الاهتمام والدراسة من جهة ، وكذلك الى التشـــويش والهيولانية من جهة اخرى ، اكثر من موضـــوع الاتجاهات ، ولقد عونج هذا الموضوع بصورة واسعة وبمناحى مختلفة على ايدى علماء الاجتماع وعلماء النفس ، مما يجعل الدارس قد يساوره بعض من اليأس حين يلج فى هذا الكم الواسع من المـادة المنشورة لموضوع الاتجاهات .

وعلى الرغم من ان هذا المصطلح يعتبر من الموضوعات الرئيسية والتى نوقشت بصورة واسعة فى علم النفس الامريكى المعاصر : وذلك حسبما يشير اولبورت Allport فى مؤلفة علم النفس الاجتماعى (١٩٣٥) . الا ان دروبا Droba ينوه الى ان هذا المصطلح اول ما وجد ، وجد فى الكتابات السوسيولوجية ، حيث كان جدنجز Giddings من الرواد الاوائل فى علم الاجتماع الذى استخدم مصطلح الاتجاهات فى مؤلفة « علم الاجتماع » (١٨٩٦) ، كما ان أورث J. orth (١٩٠٣) من مدرســـة فيرزبرج Würzburg أول من استخدم مصطلح الاتجاهات الواعية .

وكما يشير دروبا انه بحلول عام (١٩١٩) فلقد بدأ الاستخدام العلمى لمصطلح الاتجاه على يدى وارن Warren فى مؤلفة علم النفس الانسانى ، Human psychology (١٩٢٠) ، ومن ثم أصبح متداول فى الدوريات النفسية الامريكية . ويجب الا نهمل مساهمات كل من توماس وزنانيكى Thomas & Znaniecki (١٩١٨ : ١٩٢٠) ، ويشير أولبورت فى تقديره لدورهما بقوله :

« أن فضل اقامة مفهوم الاتجاه ، كمفهوم مستقر راسخ ، وكـــمة رئيسة فى الكتابات الاجتماعية ، يجب أن يعزى الى توماس وزنانيكى ..

فلقد اعطياه الأولوية فى دراستهما . كما أنهما كانا من العوامل الاساسية التى ساعدت على دخول هـــذا المفهوم نظريات علم النفس الاجتماعى .. وحقيقة فلقد ساعدا فى تعبيد الطريق وتمهيده لجذب كل من السيكولوجيين والسوسيولوجيين معا فى طريق واحد .. » (١) .

وجدير بالذكر فان الاتجاهات فى نموها ، وتعديلها ، وتغييرها ، تعتبر غاية عملية التطبيع الاجتماعى للوليد البشرى ، فان كان اتجاه فرد ما نحو موضوع معين او مجموعة من الموضوعات معروف لنا ، فان ذلك يستخدم فى تزامن مع المتغيرات الموقفية والنزوعية الاخرى للتنبأ بردود الفعل لهذا الفرد فى مجالات متعددة ، كما هو واضح فى مجـــال التربية والدعاية والعلاج النفسى وما الى ذلك .

وعلى ذلك فانه ليس بمستغرب ان تحتل دراســـة الاتجاهات مركزا رئيسيا فى علم النفس الاجتماعى خلال الخمسين سنة الماضية .

## طبيعة الاتجاهات

غالبا ما تعزى الاتجاهات الى تنظيمات معينة ، او ارتباطات لمشاعر الفرد واحاسيسه وافكاره ، تهيئة لسلوك نحو بعض جوانب بيئته . وتعزى المشاعر والاحاسيس فى الاتجاهات ، كمكون عاطفى ، والافكار ، كمكون معرفى ، وحالة التهيؤ كمكون سلوكى ، ويوسع البعض مفهوم الاتجاهات لتشمل على موضوعات عيانية « مثل الكوكاكولا » ، او نحو كينونة مجردة « كالحكومة الديمقراطية » ، وقد ترتبط بموضـــوعات غير شـــخصية « كالمساعدات الاجنبية » كما قد تكون شخصية جدا كاحساس فرد ما أن انفه اكبر من اللازم .

ان مكونات الاتجاه الثلاثة قد توضح عن طريق تحليل اتجاه فرد ما نحو المساعدات الاجنبية :

١ ـ المكون العاطفى : يتشمل فى شعور الفرد وانفعاله الشديد ضـــد المساعدات الاجنبية ويستدل على هذا المكون من ارتفاع ضغط الدم عنـــد

(1) Allport, G. W. : Attitudes, in C. Murchison (ed.), A hand book of social psychology, New York, Worcester Mass, Clark Un. Press, 1935, P. 802.

قراءه الميزانية المخصصة لهذا الغرض ، او عند مقابلة شخص اخر يدافع عن هذه القضية .. ويتضح كذلك من سلوك الفرد وغضبه عند مناقشة هذا الموضوع مع مؤيدية .

٢ — المكون المعرفى : يتمثل فى افكار الفرد عن المساعدات الاجنبية ويظهر هـــذا المكون فى اقوال الفرد ، فقد يردد ان اعطاء المـال للاخرين سيضعف اقتصاد البلد ، او ان ذلك يعتبر ابتزاز للموارد القومية وان بلده لن تتلقى اى عائد لذلك .

٣ — والمكون السلوكى : يتمثل فى الانماط السلوكية التى يؤتيها الفرد بالفعل ، فربما يكتب لحزبه او حكومته موضحا اعتراضه على هـــذا الموضوع ، كما انه قد يشجب اية محادثات خاصة بهذا الموضوع ، وقـــد يميل الى قراءه المقالات الصحفية والاعلامية التى تكتب بواسطة الافراد الذين لهم اتجاهات غير مؤيده لمشروعات المساعدات الاجنبية .

وغالبا ما يكون الاتجاه فكريا ، بناء قائم على الافتراض لا يخضـــع للملاحظة المباشرة ولكن يستدل عليه من التعبير اللفظى او السلوك العلنى الظاهر للفرد . ويتضح ذلك فى قياسنا للاتجاهات اذ تعتمد على الملاحظات المحددة لكى نبنى الاستدلال عن اتجاه ما ، والذى بدوره يعطى مرتبة أعلى للتنبؤات عن الانماط السلوكية التى لا تقاس فى موقف معين ، فمثلا من مجموعة المواقف السلوكية التى يؤتيها الفرد نحو الزنوج مثلا ، فاننا يمكن ان نستدل على ان هذا الفرد لديه اتجاه معادى او محابى نحو الزنوج ، ومن افتراضنا عن تأثير الاتجاهات على القدرة على عمل التمييزات المعرفية ، فاننا نتنبأ انه اذا اعطينا هذا الفرد قائمة من الاسماء فانه سيكون اقـــدر على تمييز اسماء الزنوج من غير الزنوج ، وذلك اكثر من الفرد الذى يكون اقل تعصبا ضد الزنوج .

ونود ان نلقى نظرة سريعة على الفرق بين الاتجاهات وبين بعض البناءات المتماثلة فى علم النفس الاجتماعى كالراى والعقيدة والقيمة والدافعية ، والسمة وما الى ذلك ... فمصطلح عقيدة belief يشير الى تصديق يمتلكه الفرد عن بعض الموضوعات فى بيئته ، وتختلف عن الاتجاهات فى انها خالية نسبيا من الانفعال اذ ينقصها المكون الانفعالى « العاطفى » ، والذى يعتبر بمثابة مكونا جوهريا للاتجاه . الا اننا نلاحظ ان المكون المعرفى واضح وجلى فى العقيدة والراى . فقد يعتقد الفرد ان الارض كروية ، او ان المراة

التى تعمل فى قيادة السيارات اقل كفاءه من الرجل ؛ فاذا كانت هذه الاشكال بمثابة حقائق بالنسبة له ، فانه ينظر اليها كاراء وعقائد ، وبالتالى ينقصها المكون العاطفى كما اشرنا والذى نجده فى صفات الاتجاهات · ولقد اشار كل من اندرسون Anderson وفيشبين Fishbein (١٩٦٥) فى تعريف العقيدة على النحو التالى : فعقيدة الفرد فى شيء ما هى الا تقبله لبعض المستويات الاحتمالية على ان الشيء موجود ، وعقيدة الفرد عن شيء ما تعرف على ان الاحتمالية بأن علاقات محـــددة موجودة بين المفهوم وبين الموضـــوعات الاخرى · وربما تكون العقائد نوعية تقييمية فيما يتعلق بتفضيل للصفات او وجود الموضوع ·· وهذا متفق مع ما ذهب اليه كل من انجلش وانجلش English & English (١٩٥٨) فى العقيدة « بانها تقبل انفعالى لمسألة او مبدأ ما والذى يعتبره بعض الافراد كأساس أو كمبدأ مناسب » (١) ·

ولقد استعمل روكش Rokeach العقيدة لتشمل على توقع موقف أو اقتراح معين والذى يتقبله الفرد كحقيقة للموضوع أو الحدث · واذا تقبلنا هذه التعريفات السابقة للعقيدة ، فانها ستصبح اتجاه عندما تكون مصحوبة بمحتوى عاطفى والذى يعكس تقييم الافضلية للصفات أو لوجود الموضوع · فالاتجاه ما هو الا خلاصه لشمه معتقدات عن موضوع ما ، فالعقيدة فى ان بعض الاشياء غير موجودة قد تكون اتجاهية فى طبيعتها عندما يكون وجودها تفضيليا أو لا تفضيلية لدرجة معينة ·

وتمييز اخر على جانب كبير من الاهمية ، وهو التمييز بين **الاتجاهات ونظم القيم** (Katy & Stotland, 1959) فالاتجاهات هى افكار تتصل بموضوع مفرد ، حتى بالنسبة لهذه الاتجاهات التى تكون مجردة ؛ اما نظم القيم من وجهة نظـــر اخرى تعتبر بمثابة توجيهات نحـــو انواع كلية من الموضوعات · وغالبا ما نجد اتجاهات الفرد منظمة داخل نظام قيمى معين ، فمثلا الشخص الذى يكون نظام قيمة يتصف بالانسانية humanitarianism كقيمة مركزية ، يجب أن يكون لديه اتجاهات مؤيدة للحكم الديمقراطى ، والرفاهية الاجتماعية ، ولنقابات العمال ، والتوزيع العـــادل للثروة ، والاتجاهات المعارضة للحروب والاحتكار والحكم المطلق ··· الخ ·

والاتجاهات تتشابه مع **الدوافع** فى ان كليهما يعزى للسلوك التوجيهى وليس للسلوك ذاته ·· ولقد اشار نيوكمب Newcomb (١٩٥٠) ان الاتجاه يختلف عن الدافع بطريقتين على الاقل :

---

(1) English, H.B. & English, A.C. : A Comprehensive dictionary of psychological and psychanalytic terms : A guide to usage, New York, McKay 1958, P. 64.

( أ ) لا يتصف الاتجاه بوجود حالة حافزة ، ولكنه يعزى فقط الى احتمالية دافع معطى ومصاحبته بحافز معين قد يستثار او يحدث وعلى ذلك فان الاتجاهات قد يشار اليها على انها حافز منتج كما ذهب الى ذلك Doob (١٩٤٧) ٠

(ب) كما أن الاتجاه يوصف بموضوعه ، وقد يعتبر موضوعا نوعيا ، بينما الدوافع توصف باهدافها ، وبأهدافها النوعية (١) ٠

كما يجب ان نفرق بين **الرأى والاتجاه** ، فلقد اشار انجلش وانجلش (١٩٥٨) الى الرأى على ان فردا ما يعتقد فى شيء بدون انفعال ، وفى نفس الوقت يكون متفتحا لاعادة التقييم بحيث أن البينه لم تثبت فلن تكون بالتالى مقتنعة (٢) ، وهذا التعريف ينكر على الرأى رد الفعل العاطفى والذى يجسد خصائص الاتجاه ، ولقد اشار كل من هوفلاند وال Hovland et Al (١٩٥٣) الى الاختلاف بين الرأى والاتجاه بقولهما :

( أ ) الاراء تكون لفظية ، بينما الاتجاهات قد تكون توسطية وغير مباشرة ، كما انها قد تحدث عن طريق عمليات غير لفظية ، وقد تكون لا شعورية ٠

(ب) والاراء بمثابة استجابات ، بينما الاتجاهات ما هى الا استعداد للاستجابة (٣) ٠

كما ان **الموقف والعادة** يعكسا ميلا للفعل ، فالموقف يشير الى استعداد او ميل حركى ، والعادة تشير الى ميل للفعل اقوى بعض الشيء من الموقف واكثر تعقيدا فى بناء ثابت ، وكل من الموقف والعادة مكتسبين كما هو فى الاتجاهات ، ولكن لا هـذا ولا ذاك يعكس رد فعل عاطفى أو تقييمى كما هو فى الاتجاه ٠ كما ان **الاتجاهات** تختلف عن **السمات** ، فقد تعرف السمه على أنها نزعة أو ميل اقل او اكثر استقرارا واتساقا للفرد وذلك لكى يستجيب بطريقة معينة والتى تميزه عن باقى الافراد الأخرين ، والاتجاهات تختلف عن السمات بصورة أساسية فى انها ذات مرجع محدد ، بينما السمه ليست محددة ، اذ انها بمثابة توجيهات عامة للفرد ٠

---

(1) Marvin Shaw & Jack Wright : Scales for the measurement of attitudes, New York, McGraw Hill Book Co. 1967. PP. 1 : 14.

(2) English, H.B. & English, A.C. : Op. Cit., P. 358.

(3) Marvin Show & J. Wright : Op. Cit., PP. 9 : 10.

كما ان الاتجاه غالبا ما يظهر فى صورة سلوك معمم نحو موضوع محـــدد بينما السمه تنعكس فى كل من ـ او اى من السلوك المحدد أو العام نحو تنوع واسع من الموضوعات ( وعمومية السلوك يعتمد على ما اذا كانت السمه رئيسية أو ثانوية ) (١) ٠

كما ان الاتجاهات كثيرا ما تكون وظيفية ، بمعنى انها قد تشبع الفرد انفعاليا ، فمثلا الشخص العدوانى قد يجد مخرجا وتنفيسا لعدوانيته فى اتجاهاته التعصبية نحو جماعات الاقلية فى مجتمعه ، كما انه قد يجد تدعيما لذلك عن طريق افراد اخرين ذوى عقلية متشابهة وبالتالى يكون باستطاعته أن يعبر عن عدوانيته عن طريق موافقة الاجتماعية ٠ كما أن الاتجاهات قـــد تستخدم لتبرير انماط سلوكية معينة فالتمييز ضد جماعات الاقلية تعطى صاحبها التبرير فى دفع الاجور المنخفضة لافراد هذه الجماعات ٠ وقد تكون الاتجاهات مجرد وظيفة فقط بالمعنى المحدود ، فقد يكتسب فرد ما رضا الأخرين عنه فى تمسكه باتجاهات متشابهة مع جيرانه أو زملائه ٠

وعموما ، فان البناء الكلى لشخصية الفرد ، ومن ثم سلوكة يدرس على انه نظام منظم حـــول قيم مركزية تتكون من اتجاهات كثيرة مترابطة فالشخصية المتسلطة مثلا نجدها منتظمة حول ثمة سمات كالقوة والمركز والسلطة والقيم المعنوية ٠ ولقد أجرى كل من سميث Smith وبرونر Bruner وهوايت White (١٩٥٦) دراسة عن العلاقة بين الاتجاهات والشخصية لمجموعة من الرجال واشاروا الى أن هناك تشــــابه كبير بين الاتجاهات والشخصية ، فلقد اظهرت حالة فى دراستهم ٠ والذى حصل على ترخيص ببناء مزرعة والتحق بمدرسة ليلية اظهر اتجاهات نحو العمل ونحو المدارس الرسمية ، وابان كيف ان هذه الاتجاهات كانت مرتبطة بشخصيته ٠

بالاضافة الى ان دراسة الاتجاهات ذات فائدة فى دراســـة عوامل واسعة معينة فى مجتمع معين والتى تقولب وتصيغ الاتجاهات والانماط السلوكية فى مناحى خاصة ، ولذلك فان السوسيولوجيين يدرسون الارتباط بين المناطق الجغرافية « الريفية والحضرية » والدين والجنس ، باتجاهات خاصة وذلك للكشف عن بعض الظواهر او للتنبؤ بامتياز ناخب معين ، أو

---

(١) عادل عز الدين الاشول : سيكولوجية الشخصية ، مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٨ ـ ص ١٢٠ : ص ١٢٧ ٠

عمل استدلالات عن القوى الاجتماعية المنتجة لاتجاهات معينة . ولقد اشار كل من كوهن Kohn وكارول Karroll (١٩٦٠) الى ان الظروف المختلفة لخبرات الحياة للطبقات المتوسطة والطبقات العاملة تولد اتجاهات حق متباينة نحو الامن الاقتصادى والضبط الذاتى والعلاقة مع السلطة والاعداد للمستقبل (١) .

وعموما فان الاتجاهات تعتبر مكونا من مكونات الشخصية الا انها تتميز عن بناءات الشخصية الاخرى بما يلى :

١ ـ تتسم الاتجاهات بالعلاقاتية او الاتصالية .

٢ ـ مرجع الاتجاهات محدد ، بمعنى ان الاتجاه غالبا ما يكون صفة مميزة ، والتى تدل ضمنيا على نوع من العلاقة بين الفرد وجوانب محددة من بيئته .

٣ ـ تختلف الاتجاهات عن كثير من بناءات ومكونات الشخصية الاخرى فى امتلاكها لوظيفة تقييمية .

٤ ـ الاتجاهات بالاضافة الى كونها استجابات علنية صريحة ، فهى تعمل كنزوعات او تهيئوات للاستجابة العلنية الصريحة ، ولاجل ذلك فانها كأى متغير وسيط من الضرورى أن نقيسها بصورة غير مباشرة .

## تعريف الاتجاهات

على الرغم من تعدد واختلاف تعريف الاتجاهات ، الا أن معظم هذه التعريفات اجمعت على صفة عامة : وهى أن الاتجاه يستلزم وجود حالة من التهيؤ والنزوع للاستجابة للموضوعات الاجتماعية فى تفاعلها مع متغيرات نزوعية تنظيمية توجه وتقود السلوك العلنى الظاهرى للفرد .

وعموما فان هذا التعدد والاختلاف فى تعريف الاتجاه قد يعزى الى النتائج المعرفية المحدودة فى مقابل العمومية لتحديد السلوك الانسانى ، وهكذا فقد نجد البعض مثل ايزنك Eysenck (١٩٤٧) وروكش Rokeach (١٩٦٠) يميلان فى جعل الاتجاه نزعة لدى الفرد ، كما أن كل من هوفلاند وكيلى Hovland & Kelley (١٩٥٣) وكرتش وكرتشفيلد Krech & Crutchfield (١٩٦٢) ، وشريف وكانتريل Sherif & Cantril (١٩٤٥) ، يشيرون الى انه نظام نوعى من الصلات والعلاقات .. والمتامل فى كتابات علم النفس الاجتماعى يجد أن وجهة النظر الاخيرة اقرب الى الحقيقة ، بالاضافة الى أن لها مزية فى منع هذا المصطلح ان يصبح عاما شاملا عديم القيمة .

---

(1) Secord, P. & C. Backman : Social psychology Op. Cit., 100.

والمصدر الثانى للتنوع والتعدد فى تعريف الاتجاه ، ناشىء من ميل البعض للتعميم فى هذا البناء ليتضمن اى ميل او استعداد للاستجابة . وكما نستعمل هذا المصطلح فانه يحتوى فقط على الميول او الاستعدادات للاستجابة للجوانب والمظاهر الاجتماعية للبيئة ، الا أن هـــذا الوصف للجوانب الاجتماعية واللا اجتماعية وصفا غير دقيق . حيث أن الاتجاهات تتضمن التفاعل مع الافراد والموضوعات الاجتماعية والاحداث والمواقف . وحقيقة الامر فان هذا التمييز بين الموضوعات الاجتماعية والفيزيقية قد يرجع الى طبيعة الصفات التى تعزى الى الموضـــوعات . فالتفاعل مع الموضوع قد يقال انه ذو صبغة اجتماعية عندما ينسب اليه ثمة موضوعات كالدوافع والاراء ، والهدف والرغبة وما الى ذلك ، وعلى النقيض من ذلك قد يقال ان الصفات التنظيمية النزوعية تنسب الى الموضوعات ذات الصبغة المادية كقولنا : انها ستولد الكهرباء ، انها ستدور ، او انها ثقيلة وما الى ، ذلك هيدر Heider (١٩٥٨) وعند امتلاك الفرد لاتجاه ما ، حينئذ فقط يكون موضوع العلاقة ذو صبغة اجتماعية ، حيث يجب ان يدرك الموضوع ذو العلاقة بواسطة المالك كأن يكون لديه سبب ، او انه كنتيجة للســلوك الهادف لبعض الافراد . وقد يقول فرد ما انه يضمر اتجاه نحو نموذج أو او نمط معين للفن عندما ينظر الى انتاج الفنان كنتيجة للقصد او الافادة ، سلوك « ذو دافعية » خاص لفرد اخر حين يكون الناتج مجسما « ينسب اليه صفات بشرية » .

والمصدر الثالث للتنوع والتعدد فى تعريف الاتجاه ، ينشأ من التصور النظرى لمحتوى الاتجاه : فالبعض مثل كرتش وال Krech et al (١٩٦٢) وسيكورد وباكمان Secord & Backman ( ١٩٦٤ ) ، يشيرون الى أنه مكون من ثلاث محتويات : المحتوى العاطفى ـ المحتوى المعرفى ـ المحتوى السلوكى . ونحن نفضل ان نحدد البناء النظرى للاتجاه بالمحتوى العاطفى الذى يبنى على أساس العوامل المعرفية السابقة للسلوك ، اى اننا نعتبر الاتجاه رد فعل تقييمى حيث يبنى على اساس المفاهيم التقييمية والتى ترتبط بصورة كبيرة بالمدركات الاخرى وبالسلوك العلنى الظاهرى للفرد . وتتفق وجهة النظر هذه مع راى كل من رهن Rhine (١٩٥٨) ، وهارفى Harvey وهنت Hunt وشرودر Schrooder (١٩٦١) كما ان هذا المفهوم يتشابه بدرجة كبيرة مع ما اشار اليه كل من تاننبوام Tannenbaum واسجود Osgood (١٩٥٧) ، واندرسون Anderson وفيشبين Feishbein (١٩٦٥) . كما أن قصر المفهوم على ردود الفعل التقييمية التى تبنى على اساس العوامل المعرفية ، لها ميزة فى ربط البناء النظرى للاتجاه مع العمليات الادائية « فى شكل مقاييس الاتجاهات » . حيث نجد ان اغلب مقاييس

الاتجاهات تشتمل على مواقف متنوعة من حيث الدرجة من الايجابية الى السلبية .. وذلك بالنظر الى العلاقة الاتجاهية .

وعموما فان هناك عديد من التعريفات التقليدية ، يجدر بنا ان ننوه عنها .. حتى نستطيع ان نوضح الاستعمال العام لهذا المفهوم :

فقلد اشار كل من انجلش وانجلش English & English (١٩٥٨) الى انه نزوع او تهيؤ ثابت متعلم ، وذلك لكى يسلك الفرد بطريقة متسقة نحو مجموعة من الموضوعات المحددة (١) .

ويشير كل من كرتش وال Krech et al (١٩٦٢) الى انه نظام ثابت من التقييمات الايجابية او السلبية ، الانفعالية والعاطفية ، وهو بمثابة نزعة او ميل فعل سلبية او ايجابية نحو موضوع اجتماعى معين (٢) .

كما نجد اولبورت Allport (١٩٥٤) يشير الى ان الاتجاه هو حالة من الاستعداد العقلى العصبى ، نظمت خـــلال الخبرة وتمارس تأثيرا توجيهيا ديناميكيا على استجابة الفرد لجميع الموضوعـــات والمواقف المرتبطة به (٣) .

كما نرى كامبل Cambell يشير الى ان الاتجـــاه الاجتماعى لفرد ما . ما هو الا الاتساق الاستجابى المتزامن نحو موضوعات اجتماعية معينة (٤) .

ويعرفه كل من اندرسون وفيشبين Anderson & Fishbein (١٩٦٥) على انه بمثابة بعد تقييمى لمفهوم ما . ويتفقان مع اســـجود فى ذلك .

---

(1) English, H.B. & English, A.C. : A comprehensive dictionary of psychological & psychoanalytic terms, New York, McKay, 1958, P. 11.

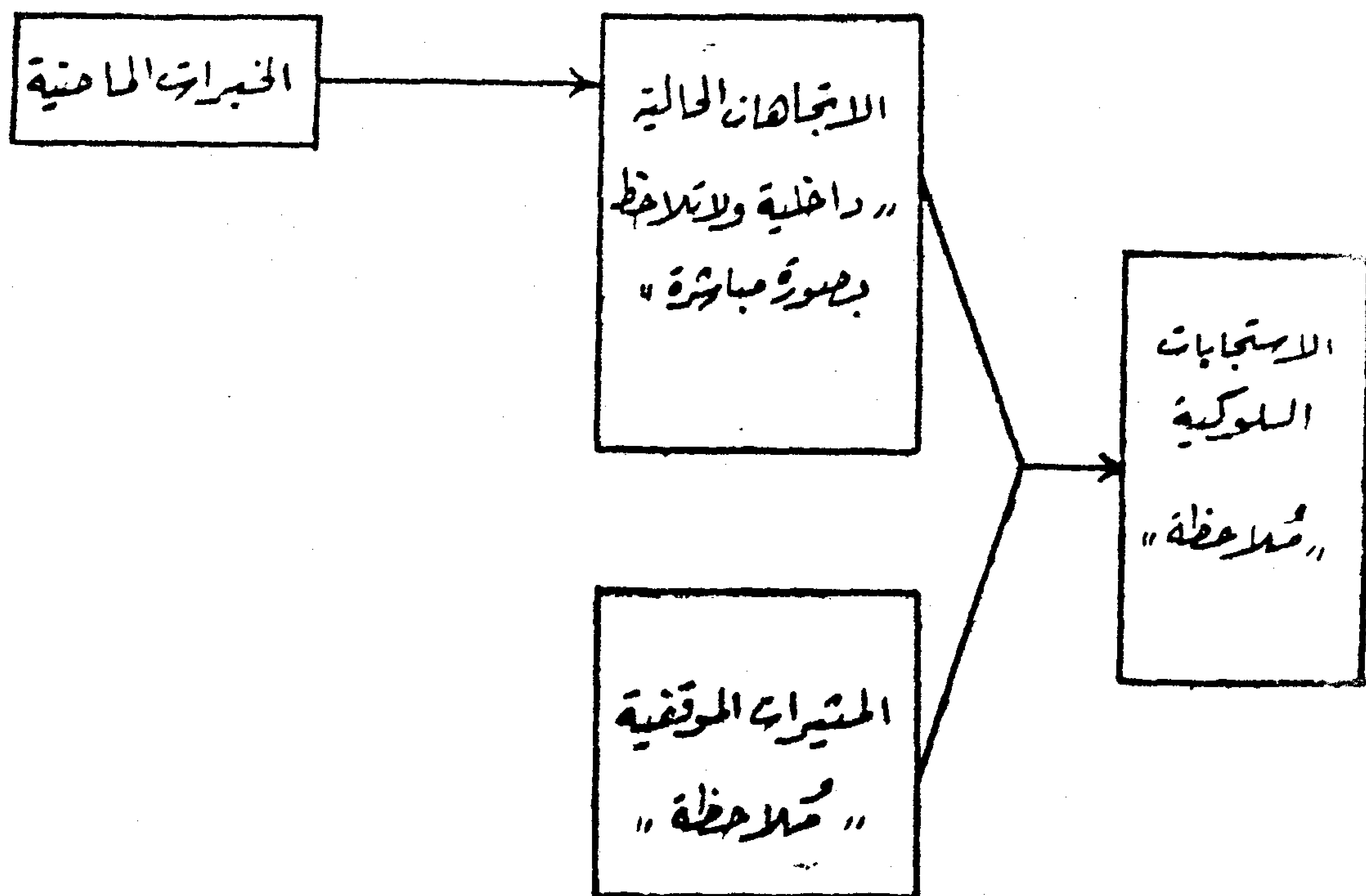
(2) Krech D. & others : Individual in society, New York Mc-Graw Hill book Co., 1962, P. 177.

(3) Allport, G.W. : The historical background of modern social psychology, IN. G. Lindzey (ed.) hand book of social psychology, Vol. I, Addison, Wesley, 1954, P. 54.

(4) Cambell, D. T. : The indirect assessment of social attitudes, psych. Bull. 1950, 47, PP. 15 : 38.

ويستطردان فى تعريفهما الى أن الاتجاه نحو موضوع ما ، ما هو الا تلخيص لعدة آراء ومعتقدات عن موضوع معين ٠٠ ويتضح الجانب التقييمى لهذه الآراء والمعتقدات فى حالة التفضيل أو عدم التفضيل ، كالحسن والردىء ، النظيف والقذر ٠٠ الخ ٠٠ وذلك فيما يتعلق بصفات الموضوع ، مستخلصا وبقدر الامكان العمومية للتعريفات السابقة ومحاولة ربط البناء بدقة وبقدر الامكان لهذه العملية ٠

كما يشير أوسكمب Oskamp (١٩٧٧) الى أن الاتجاهات ما هى الا المتغيرات الوسيطية غير الملاحظة (غير المرئية) ، والتى تؤثر على العلاقة بين أحداث المثيرات والاستجابات السلوكية والرسم التالى يوضح وجهة نظره (١) ٠




(1) Oskamp, Stuart, : Attitudes nad opinions, New York, prentice-Hall. Inc. New Jersey, 1977, P. 15.

ويمكننا ان نقدم التعريف التالى للاتجاه :

« بأنه نظام تقييمى ثابت بصـــورة نسبية ، ويتمثل فى ردود فعل عاطفية تعكس المفاهيم التقييمية ومعتقدات الفرد التى تعلمت عن صفات موضوع او فئة من الموضوعات الاجتماعية .. » وبايجاز فان الاختلاف بين وجهة نظرنا هذه ، ووجبة النظر التقليدية يجب ان ينظر اليه عن طريق العلاقة بين المحتويات التصورية والعاطفية والافعال المتماثلة والمتطابقة فى التحليل السابق ، ففى حين أن كثير من تعاريف الاتجاه قد تعاملت مـــع هذه المكونات الثلاثة كعناصر مختلفة لنفس النظام الذى يسمونه بالاتجاه ؛ وحقيقة الأمر فاننا نتعامل معها كعناصر منفصلة ولو انها مرتبطة بصورة وثيقة ــ وهذا التعريف ايضا يتساوق مع وجهة نظرنا فى ان الاتجاه ضمنى فى معظمه وان لم يكن فى كليته .

## ابعـــاد الاتجاهات

لقد أشار كثير من علماء النفس الاجتماعى الى أن الاتجاهات لها صفات عامة نستطيع ايجازهافيما يلى :

أولا : ان الاتجاهات تبنى على اساس من المفاهيم التقييمية وذلك فيما يتعلق بصفات موضوع المرجع ، وتكون باعثه لسلوك دافعى ، وفى ذلك يشير كل من اندرسون Arderson وفيشبين Fishbein (١٩٦٥) ؛ ودوب Dood واسجود Osgood (١٩٥٧) بأن الاتجاهات ما هى الا ردود فعل قيمية وعاطفية ، كما انها تبنى بصورة جوهرية على استعمال وتطبيق المفاهيم التقييمية والتى تكون باعثة لدافعيه من نوع معين؛ ونعنى بالعاطفية Affective بأنها حالة من حالات الاورجانزم يكون مدفوعا تحت ظروف معينة نحو تحقيق غاية أو هدف معين . وينجـــح او يفشل ، ويدرك بأن هذا نجاح أو فشل أو يتوقع بأنه سينجح او يفشل فى نضاله مع الهدف . وجدير بالذكر فان هذه الظروف تتصف بثمة ردود فعل عاطفية كالاحباط او الحرمان أو الاشباع . والموقف الخاص هو نقص أو افتقاد وضوح الهدف وغالبا ما يتصف بالقلق ، وهذه الحالات بدورها تكون باعثا على ثمة دوافع إخرى كالعدوان أوالتواد او الاجتناب وهلمجرا ــ وبالتالى فان الاتجاهات ليست دوافع الا انها غالبا ما تبرز وتصـــاحب مجالات حافزة . وهذه الدوافع فى تفاعلاتها مع الصفات النزوعية والموقفية تحدد السلوك العلنى للكائن البشرى .

وانه لمن الواضح الآن ان استثارة الاتجاه يعتمد على وجـــود بعض حالات الحفز والتى تنعكس فى توجيه الهدف للكائن المشـــبع أو المحيط .

كما ان المقاييس المستخدمة لتقييم الاتجاهات تقيس بعداً واحداً فقط وهو ردود الفعل العاطفية والتى غالبا ما نعزوها كاتجاه ما ٠ فاذا كان مرجع الاتجاه يدرك على انه ميسر ومسهل للهدف فانه يقيم بصورة ايجابية ، كما يقيم بصورة سلبية الى المدى الذى يدرك كمانع لاحراز أو تحقيق الهدف ، وعندما توجد مفاهيم او معتقدات كثيرة فيما يتعلق بموضوع الكف او المنع والتسهيل ، فان الاتجاه نحو هذا الموضوع سيكون أشد وأقوى ٠

وكما نلاحظ فى ردود الفعل العاطفية ، فان الاتجاهات استجابات ضمنية تعمل كمحدثات للدوافع ٠ كما ان طبيعة هـــذه الاستجابات تقيم وتبنى اساسا على تصور الموضوع بواسطة الفرد الذى يملك الاتجاه وغالبا ما تكون المفاهيم التى تنضوى تحت الاتجاهات تقييمية فى طبيعتها ونوعية من حيث التفضيل مثل اكثر امانة من ٠٠٠ اكثر كرما من ٠٠ اكثر نظافة وصدقا من ٠٠٠ الخ ٠ كما أن الطبيعة الدقيقة للتفضيل هذا تعتمد على توجيهات الهدف الخاص بالشخص المدرك ٠

ان التتابعات السلوكية للاتجاهات تتضمن ثمة أنماط سلوكية متنوعة، مثل الجرى ، أحمرار الوجه ، تغير الموقف العقلى او العاطفى للفـــرد ، او التعبير بالالفاظ ٠ وعموما فيوجد اقسام اربعة عامة للسلوك والتى يمكن ان توصف بما يلى : المنحى الايجـــابى ( كالمؤازرة ، والتواد ٠٠ الخ ) ، والمنحى السلبى ( مثل الهجوم أو الاعتداء ) ، الاجتناب السلبى ( كالاشمئزاز والمقت ) ، والاجتناب الايجابى ( كالعزلة او السرية عندما يكون هنـــاك ضغوط اجتماعية) ٠ وهذه الاقسام للسلوك تتساوق مع الأقسام الافتراضية لردود الفعل العاطفية ٠ وجدير بالذكر فان مقاييس الاتجاهات لا تقيس الا البعد الايجابى والسلبى فقط ٠ اما المنحى الاجتنابى لا تقيسه بصـــورة كـــاملة ٠

ثانيا : يشير كل من كرتش وال Krech et al (١٩٦٢)نيوكومب وتيرنر Newcomb & Turner (١٩٦٥) الى ان الاتجاهات تؤول وتفسر كتفاوت فى النوعية والشدة على سلسلة متصلة من الايجابية والمحـــايدة والسلبية ٠ كما ان الاختلاف الكيفى للاتجاه يظهـــر عن طريق التكافىء ( الايجابى او السلبى ) والذى يعكس تقييم الموضوع فى علاقته باحـــراز الهدف ٠ والاتجاهات على هذا المتصل تشير الى ردود فعل عاطفية سلبية والتى تثير استجابات ذات منحى سلبيا واجتنابيا أو تنافريا مثل الهجوم والمقت والاشمئزاز على التوالى ٠٠ ومن جانب آخر تشير الى ردود فعل ايجابيه عاطفية ٠

ويشير جتمان Guttman (١٩٥٤) الى هذا التركيب كما فى حالة محتوى المقياس والذى يحمل علاقة لهذه الاستمرارية المتصلة والذى فيه يخرج من الحيادية الى كل من الايجابية القوية او السلبية الشديدة على هذه الاستمرارية ٠

**ثالثا** : الاتجاهات متعلمة ، وليست نظرية ٠٠ كما يشير الى ذلك كل من شريف وشريف Sherif & Sherif (١٩٥٦) ، وماكجراث McGrath (١٩٦٤)، فالاتجاهات تتعلم من خلال عملية التفاعل مع الموضوعات الإجتماعية والمواقف والأحداث فى المجتمع ٠ وحيث انها متعلمة فهى تشير الى نفس الصفات كما فى حالة التفاعلات الاخرى المتعلمة كالكمون والاستثارة كما انها موضوع للتغير من خلال عملية التفكير والكف والانطفاء والتعب ٠٠ الخ (Gallenbeck & Smith) (١٩٥٠) ٠ وعلى ذلك فان الاتجاهات بمثابة موضوع للتعديل والتغيير والاستمرار والتعطل من خلال نظام المتغيرات التى تنتج نوعيتها المكتسبة ، وكل أشكال التعلم الكلاسيكية والاشتراطية والآدوية تمنحنا التصور والفهم الذى يبنى على اساسه الاتجاهات (١) ٠

**رابعا** : الاتجاهات ذات مرجع اجتماعى نوعى ، وفى ذلك يشير كل من نيوكومب وال Newcomb et al (١٩٥٥) وشريف وشريف Sherif & Sherif (١٩٥٦) ٠ وهذا المرجع لا يتحتم بالضرورة أن يكون موضوعات عيانية ، بل قد يتضمن علاقات مجردة ، كالقضايا السياسية ، والمشكلات العالمية والألوهية ٠٠ اى ان الاتجاهات تمتلك علاقات او اشارات اجتماعية تعكس البيئة والمحتوى الاجتماعى التى تعلمت واكتسبت فى احضانها ٠ وهذه الخبرات التعلمية قد تكون نتيجة تفاعل واتصال مباشر مع الأفراد الاخرين أو الموضوعات الاخرى ، كما ان الاتصال غير المباشر ذو تاثير فعال كذلك حيث يتضمن امتلاك المعايير وغرسها ، والانتقال الانتقائى للمعلومات التى تحدث فى الجماعات الاجتماعية ٠

وتمتلك الاتجاهات درجات متنوعة من التحديد والدقة والغرضية ، ولقد استخدم كرتش وال Krech et al (١٩٦٢) اصطلاح التعددية multiplexity ليشيرا الى مجال الاتجاه ٠ فالاتجاه المتعدد Multiplex attitude الذى يمتلك عددا كبيرا او مجموعة متغايرة الخواص من الموضوعات فى طبقتها وطبيعتها الاشارية (المرجعية) ٠ كما ان التحديد والدقة تعزى الى الضبط والدقة

---

(١) انظر فصل التطبيع الاجتماعى كعملية تعلم اجتماعى « الفصل الثامن » ٠

والتى عن طريقها تعرف المجموعة المرجعية • وربما ينظر الى عدد صغير من الموضوعات ، أو الى مجموعة شديدة التجانس قد تدرك على انها اكثر دقة من عدد كبير أو مجموعة متغايرة غير متجانسة • ولذلك فالاتجاهات المتفردة ( البسيطة ) يجب أن تكون اكثر تحديدا ، وحيث ان الاتجاهات ستصبح اكثر تحديدا ، فانها ستكون بالتالى اكثر قوة وشدة • ويشير هوفلاند وال Hovland et al (١٩٥٧) الى هذه النوعية من الدقة بنطاق التقبل Latitude of acceptance ، حيث يشيران الى أن الاتجاهات المركزية تميل الى ان تكون قوية اكبر من الاتجاهات السطحية ، وعلى ذلك فان الأولى يجب ان تكون اكثر دقة وربما اقل تعددية ، فالاتجاهات نحو الذات من بين هذه الاتجاهات الاكثر مركزية ، وعلى ذلك يجب أن تظهر خصائص هذه الذات وصفاتها •

**خامسا :** يشير كرتش وال Krech et al (١٩٦٢) ، وماكجراث McGrath (١٩٦٤) الى أن الاتجاهات تمتلك درجات متفاوتة لكل منها بالآخر ، فالاتجاهات تكون على علاقة تبادلية الى المدى التى تكون فيه ممتلكة لمراجع او تكافؤات متشابهة • كما أن الاتجاهات التى تكون على علاقة تبادلية قوية تكون ما يسمى بالمجموعات clusters مع بعضها البعض وتشكل النظام الاتجاهى الكلى للفرد • وهذه العلاقات المتبادلة عادة ما تحدث تشابه المراجع أو الفئات المرجعية ، فقد تكون على علاقة متبادلة من خلال تشابه المفهوم القيمى المطبق ( بمعنى كل الاشياء التى يحبها او يكرها الشخص ) • كما أن العلاقة المتبادلة الضعيفة للاتجاهات تعرضها الى التجزئة وتقود الفرد الى عدم الاتساق المنطقى والى درجة من الجمود •

وبالنظر الى درجة العلاقة المتبادلة ، فان الاتجاهات تحتل اوضاعا متنوعة من المركزية فى النظام الفرعى والتى تتكامل فيه • فالاتجاهات الاكثر مركزية ، حيث تمتلك درجة كبيرة من العلاقة المتبادلة تجعلها مقاومة للتعديل والتغيير الى أقصى درجة •• وعموما فان مقاومة التغيير ( او استقرار ) هذه الاتجاهات المركزية عادة ما تحدث على اساسين :

أ ــ فلكى تغير اتجاه مركزى معين ، فان هذا سيتضمن كثيرا من الاتجاهات السطحية ( او بعيدة عن المركز ) فى تبديلها وتعديلها وتعطلها •• والنتيجة تكون قصورا ذاتيا معينا من جانب الاتجاهات المركزية •

ب ــ كما أن الاتجاهات الاكثر تمركزية ( او الاساسية ) تمتلك قيمة اكبر او اهمية للسلوك الفردى •• فقد يفترض ان الاتجاهات الاكثر مركزية

هي تلك التي تكون متعلمة بدرجه عالية ، وذلك يرجع الى التدعيمات الكامنة لها . وثمة اتجاهات ذو بداية واستهلال اضعف للاستثاره الا انها تظهر اتساقا وتناغما اكبر واعظم اكثر من الاتجاهات التى تكون اقل مركزية او اساسية . كما ان تحسين التناغم والاتساق الاتجاهي يرجع الى تزايد الانتقائية من جانب العمليات التصورية والتى تبنى عليهـــا الاتجاهات ، وثمة تزايد فى الانتقائية يعكس اهمية اكبر للاهداف المشتملة فى تقييم الفرد لموضوع ما .

**سادسا :** يشير كل من نيوكومب وآل Newcomb et ai (١٩٥٥) ، شريف وشريف Sherif & Sherif (١٩٥٦) الى ان الاتجاهات تتسم بالثبات والاستقرار بصورة نسبية . فالاستعداد وحالة النزوع العاطفى عادة ما تتغير ببطء شديد . وكما سبق وان ذكرنا ــ حيث أن الاتجاهات الأكثر مركزية عادة ما تكون اكثر تحديدا فانها بالتالى تمنح درجة عاليـــــة من الانغلاق الادراكى . وعلى ذلك فان هذه الاتجاهات تميل الى أن تبقى وتقاوم التغير بناء على ذلك ، وبصورة عامة فكما ان الاتجاهات تتباين فى تمركزها فانها ستتباين كذلك فى السهولة التى يمكن أن تتبدل وتتغير بها .

وجدير بالذكر فان كل من عمليتى تكوين الاتجـــاه والاحتفـــاظ واستمرارية الاتجاه عادة ما يحدث فى محتوى دافعى معين : فان عملية توجيه الهدف والذى يجب ان ينجز أو يحبط عند نقطة اسثارة الاستجابة العاطفية تعكس وجود بعض الحالات الدافعية .

ولقد صنف كل من سارنوف وكيتز Sarnoff & Katz (١٩٥٤) هذه المحتويات الدافعية للاتجاهات تحت ثلاثة اقسام رئيسية :

أ ــ اللذة أو المتعة hedonic

ب ــ التعقل rational

جـ ــ دفاع الانا Ego defensive

كما ان هذه الاصناف يجب أن تشمل على نوع آخر وهو :

د ــ التواد affiliative context

وعلى الرغم من أن هذه الاقسام أو الاصناف ليست منفصلة بصورة كلية . فانها لا تمنع التبادل والاشتراك فيما بينها .. كما انها تتصف بما يلى :

ان المحتوى الاخبارى والاعلامى يلمح ضمنيا عملية دافـــع معين مثل معرفة البيئة او السعى الى الانفاق ٠٠ فمحتوى اللذة او المتعة يشير الى ان ثمة دوافع اولية مثل الجوع والهرب او الالم تكون ذات تأثير وفعالية ٠

اما محتوى دفاع الانا يبدو انه يشير الى ان اكثر الدوافع الثانوية كالسيطرة والهيمنة ، والعون والمساعدة تكون ذات تأثير وفعالية ٠ ومن ضمن هذه الدوافع الثانوية ، دافع معين ذو اهمية رئيسية وهو دافـــع التواد affiliative motive ، والذى يقود الفرد الى تكوين الروابط المتداخلة الشخصية بينه وبين الجماعة ٠ كما يؤدى بالاضــــافة الى نمو الجماعة وتطورها ، ونستطيع ان نلمح ذلك بأن الفرد كثيرا ما يعتنق اتجاهات معينة كثمن لدخوله فى جماعة معينة وشعوره بالتقبل من اعضائها ، أو ان شئت فقل ، يؤخذ كميكانزم تعزيزى لمركزه فى الجماعة ٠

## نظريات تنظيم الاتجاهات وتغييرها

نود ان نشير منذ البداية الى ان جميع التعاريف الحديثة للاتجاهات تشير الى انـــه يتسم بنوعية مكتسبة ، فعلى الرغم من عمومية الاتجاهات الا انها متعلمة عن طريق الخبرة ، وتكتسب من خلال المواقف الاجتماعية والثقافية والاتجاهات غالبا ما تبنى على اطر مرجعية معينة ، وبالتالى يجب علينا ، ان كنا نريد تفهم وجهات النظر المختلفة ، ان نكون على المام ببعض الافكار والاطر وراء التعريفات السابقة والتى نوهنا عن بعضا منها فى ثنايا الصفحات السابقة ٠

وجدير بالذكر ، فان الاتجاهات كانت الى ما قبل ثرستون Thurstone (١٩٢٨) وليكرت Likert (١٩٣٢) ٠ تدرس على انها منفردة بصرف النظر عن علاقاتها بأى شىء أخر ٠ اما بعد هذا التاريخ فقد تأكد لكل من السيكولوجيين والسوسيولوجيين ان مفهوم الاتجاه يكون اكثر فائدة وأعم نفعا عندما يدرس فى علاقته ، كمكون لشخصية الفرد ٠ وكوسيلة للتكيف النفسى والاجتماعى ، وكوسيلة مفيدة من الناحية الوظيفية والعملية، بالاضافة الى ان الاتجاه كمفهوم يتسم بالسيادة على الانماط الفكرية لاعضاء جماعة ما ، أو فى بيئة معينة ٠

وعموما ، فلقد رات لسنوات منذ الحرب العـــالمية الثانية ، نموا تدريجيا فى النظرية الملائمة لدراسة الاتجاهات فى نموها وتغيرها ، ويجب ان ننوه هنا على الرغم من اننا لا نجد حتى الآن نظرية من هذه النظريات قد نمت وتطورت واصبحت ملائمة بصورة تامة ، الا انها فى كليتها تساعد

على تكامل وترابط عديد من الدراســـات فى هذا الميدان ، والتى تبدو ظاهريا غير مرتبطة .. الا اننا ما زلنا فى حاجة الى دراسات اخرى تؤكد صدق ما جاءت به هذه النظريات وتدعمها فى المجال السيكولوجى .

وجدير بالذكر فان هذه النظريات فى جملتها ، تحاول أن تربط بين محتويات ثلاثة للاتجاه فى داخل الفرد ، بالاضافة الى محاولتها تحـديد شروط مختلفة حيث تحكم هذه العلاقات وتحدث تغيرات فيها ، والقـــاء الضوء على الظروف المتعددة التى من خلالها يحدث تعديل الاتجـــاهات وتغيرها ... وسنخصص الجزء التالى لمناقشة بعضا من هذه النظريات والقاء الضوء عليها .

### الاتساق كمبدأ منظم

مزية من اهم ميزات التفكير والسلوك الانسانى هى فى كونـــه يميل عادة الى الاتساق والتناغم ، فاذا أحببت شخصا معينا ، فانك تميل الى ان تنسب اليه وتنعته بأحلى السمات ، كما تقاوم اى راى او اقتراح فى أن يكون له سمات غير مرغوب فيها ، وغالبا ما تكون معتقداتنا فى اتســاق وتناغم مع انماط سلوكنا .. وفى ذلك يشير أسجود Osgood (١٩٦٠) ان عينـــة من المستجيبين فى مينا بولس Minneapolis سئلت عن مدى اعتقادهم من المعلومات والاخبار التى نشرت فى عـــلاقة التدخين بسرطان الرئة . واشارت النتائج الى أن ٧٪ فقط من المدخنين بكثرة يعتقدون فى هذه العلاقة ، بمقارنتهـــا بـ ٢٠٪ من قليلى التدخين ، ٢٩٪ من غيـــر المدخنين .

ولقد اعتزى المفكرون خلال الزمان واشاروا الى الاتساق فى التفكير الانسانى ، والاحاسيس ، والانماط السلوكية .. الا أن علماء السلوك أعطوا اهتماما جـــادا وانتباهـــا اكبر الى هذا المفهوم . وقـــد يكون سومنر Sumner (١٩٠٦) فى هذا القرن ، أول من اشـــار الى هذه العلاقة من العلماء السلوكيين . ويتضح استعمال عالم الاجتماع سومنر لمفهوم الاتساق عن طريق فكرته ان التراث الشعبى Folkways كموضوع محكوم نحو الاتساق . كما ان السيكولوجيين الجشطليتين مثل ماكس فرتهايمر M. Wertheimer (١٩١٢) ، وكوهلر Kohler (١٩٤٠) وكيرت كوفكا K. Koffka (١٩٣٥) ، اشاروا الى هذاالمفهوم بمعناه الواسع بتأكيداتهم على الوحدة والتنظيم ، كما أن كيرت ليفين K. Lewin (١٩٣٦) فى نظريته قد اسهم فى نمو علم النفس فى هذا الاتجاه .

وفى عام (١٩٤٥) نشر ليكى Lecky كتيبا صغيرا والذى من من خلاله حاول أن يشرح كثيراً من الافكار والانماط السلوكية عن طريق مبدأ واحد مؤداه : «ميل الفرد لكى يكون متسقا مع ذاته» • ولقد اشار الى أن هذا المبدأ الفردى سيحل محل مبادىء كثيرة للسلوك الانسانى والتى نمت وتطورت عن طريق تناولها جوانب متنوعة من المعرفة والادراك والسلوك الانسانى • فقد حاول أن يوضح كيف يمكن ان نتأمل عملية التعلم ونوضحها عن طريق مبدأ الاتساق •• كما نستطيع ذلك عن طريق الاتساق ، بالاضافة الى أن عملية النسيان وضحت كذلك عن طريق الاتساق ، فالنسيان فى جوهره ازاحة أو استبعاد العناصر غير المتسقة من الذاكرة•• حتى أن ليكى Lecky قد طور نظرية فى اللذة Pleasure مبنية على أساس أن اللذة تخبر عندما يجد الاورجانزم الطريق لجلب الاتساق لبعض الخبرات التى كانت من قبل غير كذلك •

ويعتبر هيدر Heider الاب لنظرية الاتساق الحديثة حيث نشر دراسات فى هذا الموضوع عام ( ١٩٤٦ : ١٩٥٨ ) ، كما نشر كتاب بأكمله كرس لنظريته فى الاتساق أو التعادل balance Theory • كما ان كينز من السيكولوجيين قبل هيدر قد اهتموا بمبدأ الاتساق وحاولوا أن ينظموا نظرية تكون أساسا وقاعدة لهذا المبدأ •

والتصنيف التالى يوضح بعض هذه المساهمات التى كانت منطلقا لمبدأ الاتساق • بالاضافة الى عديد من نظريات تنظيم الاتجاه فى طبيعتها العامة •

١ ــ هيدر Heider ( ١٩٤٦ : ١٩٥٨ ) :

نظرية هيدر فى التساوق أو الانسجام Theory of balance مؤداها : أن الشعور الايجابى أو السلبى نحو شخص آخر ، يميل الى أن يكون حالة من الاتزان بشعور الفرد الآخر نحو موضوع الاتجاه ، والذى يتوجه اليه الشخص الآخر • فان حالة الاتزان والتساوق تحدث عندما تكون علاقات ثلاثة جميعها ايجابية ، أو عندما يكون اثنين منهما فى حالة سلب • ان الاتساق وعدم الاتساق مرتبط بالبناء المعرفى ، العاطفى وادراك الشخص ، والتأثير ، بالاضافة الى عمليات تغيير الاتجاه •

٢ ــ نيوكومب Newcomb (١٩٥٣) ونظرية تساوق الاتصال الشخصى المتبادل symmetry in interpersonal comm. ومؤداها أن اتجاه شخص ما نحو موضوع معين قد يكون ايجابيا أو سلبيا ، كما ان الشخص

قد ينجذب لكل منهما ايجابيا او سلبيا • كما أن هذه العلاقات قد تختلف من حيث القوة والشدة • والتساوق بين فردين يحدث عندما تكون علامات وامارات الجذب متشابهة ، بالاضافة الى علامات الاتجاه تكون متشابهة، كما ان الشدة تكون متساوية • كما أن عدم التشابه ، مع وجود علاقات متممة بعضها لبعض لشخصين نحو موضوع ربما ايضا تكون متساوقة ومتماثلة • وجدير بالذكر فان تنوع العمليات الجماعية قد عولجت بمصطلحات هـــذه النظرية •

٣ ـ نظرية اسجود وتاننبوام Osgood & Tannenbaum (١٩٥٥) فى التطابق Congruity وتشير هذه النظرية ان العناصر المعرفية والادراكية ذات تكافؤ مختلف من حيث القوة والشدة ، سواء كانت ايجابية او سلبية او صفرية • كما أن العناصر وثيقة الصلة بعضها من البعض قد تكون مرتبطة بصورة ايجابية او سلبية • وتوجد حالة التطابق عندماتكون جميع العلامات صفرية ، أو علامتين سلبيتين ، وعندما تكون الشدة متساوية •• ولقد عولج موضوع البناءات المعرفية وتغيير الاتجاهات بواسطة هذه النظرية •

٤ ـ كارتريت وهارارى : Cartwright & Harary (١٩٥٦)

تأثرت وجهة نظر كل من كارتريت وهارارى ، بما جاءت به نظريـــة هيدر من مصطلحات رياضية ورسوم بيانية تخطيطية ، وأخذت فى الاعتبار اكثر من المكونات أو العناصر الثلاثة •

٥ ـ نظرية فستنجر : Festinger (١٩٥٧)

ويطلق عليها نظرية التنافر او عدم الاتساق المعرفى A theory of Cognitive dissonance وتذهب هذه النظرية ان عنصرين معرفيين يكونان فى حالة تنافر بعضها عن الآخر ، اذا كانت ملاحظة أحدهما يتبع الآخر • كما أن وجود التنافر أو عدم الاتساق يعطى أهمية للضغوط ، لكى تقلل وتخفض منها ، كما أن عمليات تخفيض وتقليل التنافر وعـــدم الاتســـاق ترتبط بالتغيرات المعرفية أو السلوكية •

٦ ـ نظرية روزنبرج وابلسن Rosenberg & Abelson (١٩٦٠) •

امتداد لنظرية هيدر فى تقديمها اشارة للعناصر الايجابية والسلبية ، بالاضافة الى العلاقات الايجابية أو السلبية ، والتى يجب أن توضع فى الاعتبار اكثر من العناصر الثلاثة •• كما ان هذه النظرية من جـــانب آخر متشابهة بصورة كبيرة مع نظام كارتريت وهارارى ، الا انها عبرت عنها بمصطلحات نظرية القوالب Matrix theory

٧ ـ نظرية ماكجيير : McGuire (١٩٦٠)

وتسمى بنظرية العاملين فى الاتساق A two process theory of consistency ومؤداها ان التفكير المبنى على المرغوبية لا على الحقيقة والواقع wishful thinking هو بمثابة الميل الى الاحتمالية الذاتية ، لافتراض الاتساق مع المرغوبية ( اى كون الشيىء مرغوبا فيه ) . والتفكير المنطقى يعتبر بمثابة الميل لمعتقدات الشخص لان يرتبط كل منها بالاخر ، لكى تتلائم مع قواعد المنطق الصورى أو الشكلى .

٨ ـ كيتز وستتلاند : Katz & Stotland (١٩٥٩)

نظرية فى تغيير الاتجاهات حيث تبنى على أساس اربعـــة مبادىء دافعية للاتجاه ، وتتمثل فى : الوظيفة التوافقية ، ووظيفة دفاع الانا ، ووظيفة القيمة المعبرة والوظيفة المعرفيـــة .. الا أن وظيفة القيمة المعبرة والوظيفة المعرفية تؤدى الى استعمال مباشر لمبدأ الاتساق .

٩ ـ كيلمان : Kelman (١٩٦١)

نظرية العوامل الثلاثة فى تغيير الاتجاهات .. ويشير الى أن الاذعان يحدث نتيجة للثواب والعقاب بواسطة وكالة مؤثرة وذو فعالية ، كما أن التماثل والتطابق يحدث من خلال تكوين العلاقة المشبعة للوكالة المؤثرة ، كما ان التقمص يحدث عندما يكون التغير منسجم ومتطابق مع قيمة معينة .. ومبدأ الاتساق نستطيع ملاحظته فقط فى عملية التقمص .

وسنناقش فى ثنايا الصفحات التالية بشيىء من التفصيل أربعـــة مداخل فقط من هذه المداخل النظرية : وهى نظرية روزنبرج فى الاتساق المعرفى العاطفى ، ونظرية فستنجر فى التباعد المعرفى ، ونظـــرية كيتز وستتلاند فى النظرية الدافعية فى تغيير الاتجاهات ، ونظرية كيلمان فى العوامل الثلاثة لتغيير الاتجاهات .

وعلى الرغم من أن نظرية روزنبرج ليست واسعة الانتشار ، كمـــا وجدنا ذلك فى باقى النظريات ، ولم ينتج عنها دراسات تجريبية واسعة ، الا اننا اخترناها للمناقشة لانها ساهمت بفهم اعمق لطبيعة المكونات المعرفية العاطفية والعلاقة بينها .. كما أن نظرية فستنجر فى التباعد المعرفى ادت الى دراسات واسعة فى مجال الاتجاهات ، كما ان لها فائدة خاصة فى تبيان العلاقة بين العناصر المعرفية والسلوك ـ كما أن منهج كيتز وستتلاند

وكيلمان سنلقى الضوء عليهما بشىء من التفصيل حتى نحصل على وجهة نظر أوسع لمداخل تغيير الاتجاهات بالاضافة الى نظرية الاتساق ٠

### أولا : نظرية روزنبرج فى الاتساق المعرفى العاطفى

### Rosenberg's theory of afective cognitive consistency

اهتم روزنبرج فى بداية الأمر فى تصور ما يحدث داخل الفرد أثناء تغير الاتجاهات ، وكان مهتما بصفة خاصة بالعلاقة بين المحتويات المعرفية والعاطفية للاتجاه ، ولقد رأينا فى تحليلنا السابق لكل من هذين المحتوين الا ان روزنبرج حاول أن يوضح الطريقة الدقيقة التى ينظم بها هذين المحتويين بالاضافة الى أنه وسع المحتوى المعرفى للاتجاه لكى يتضمن ليس فقط المعارف بالنسبة لموضوع الاتجاه ، ولكن كذلك المعتقدات والعلاقات بين هذا الموضوع والقيم الاخرى ذات الاهمية بالنسبة للفرد ٠ كما أن المحتوى العاطفى عرف بطريقة عامة كشعور ايجابى او سلبى عند الفرد نحو موضوع الاتجاه ٠ وعلى ذلك فان الفرد قد يكون ذو شعور سلبى نحو اعضاء جماعة معينة ، وذلك لمعتقداته عن هذه الجماعة المرتبطة بشروط قيمية أخرى ايجابية أو سلبية ٠

ومبدأ روزنبرج الافتراضى يشير الى ان طبيعة الاحساس نحو موضوع الاتجاه مرتبط بالمعارف Cognitions المرتبطة بموضوع الاتجاه ٠٠ هذا ولقد وضع التقرير الآتى :

« ان الشعور الايجابى الثابت نحو موضوع معين ، يجب أن يكون مرتبطا بالمعتقدات التى تؤدى الى تحقيق وبلوغ عددا من القيم المهمة ، بينما نجد أن الشعور السلبى الشديد يجب أن يكون مرتبطا بمعتقدات أن الموضوع يميل الى أن يعترض سبيل بلوغ أو تحقيق قيم مهمة ٠ ومشابه لذلك فان الشعور الوسط أو السلبى يجب أن يكون مرتبطا بمعتقدات على علاقة بموضوع الاتجاه اما الى القيم الاقل اهمية أو لقيم مهمة ٠ وموضوع الاتجاه ما هو الا العلاقة بين هذه القيم ٠٠ » (1)

وفى عام ١٩٥٣ ، ١٩٥٦ ، فلقد طور روزنبرج أداة لكى يحدد المحتويات المعرفية للاتجاهات ، حيث استعمل مجموعة من المواقف تحتوى على ٣٥ قيمة مثل : يجب أن يكون لجميع الكائنات الانسانية نفس الحقوق المتساوية ٠

---

(1) Rosenberg, M. J. : Attitude organization and change, NeNw York Nale Un. Press, 1960, P. 18.

يجب أن يعلم الناس ٠٠ لكى يستطيعوا عمل قراراتهم الخاصة ٠٠ وتحقيق الأمن الاقتصادى ٠ وعلى الحالة ان تقسم او تصنف كل موقف من حيث أهميته القيمية ، بمعنى كيف يكون اشباعهــــا بالنسبة له ٠ ولعمل ذلك ، فلقد كان يعتبر كل موقف قيمى منفصل وعلى انفــراد ، ويحسب اهميتها القيمية وذلك بوضعها فى صنف او قسم متدرج من :

« تعطينى حد اقصى للاشباع والرضى » ( + ١٠ ) ٠

« لا تعطينى الرضا او عدم الرضا » ( صـــفر )

« تعطينى حد اقصى لعدم الاشباع والرضا » ( ــ ١٠ )

فمثلا ، اذا قيم المفحوص التعليم العالى ، فانه بالتالى يعطى + ٨ للافراد ذوى التعليم العالى ٠

وفى المرحلة الثانية ، على الحالة ان ترتب هذه المواقف القيمية ، فيما يتعلق باسهام اتجاه خاص فى تحقيقها ٠ ولنفترض مثلا ، ان الاتجاه يتعلق بالمساعدات التعليمية ٠ ولنأخذ أول موقف قيمى وهو « يجب ان يتعلم الناس » ، فانه قد يرتب مساعدة التعليم على مقياس من + ٥ الى ــ ٥ ، تقديرات ايجابية والمتضمنة ان مساعدة التعليم تسهم فى تحقيق القيمة وبلوغها والتى مؤداها « ان الافراد يجب ان يكونوا متعلمين » ، كما ان الاوزان السلبية المتضمنة ان المساعدات التعليمية تتعارض مع بلوغ وتحقيق الاهداف المنشودة ٠ وجدير بالذكر فان الاوزان لمواقف القيمة التى يمكن الحصـــول عليها بهــــذه الطـــريقة يطلق عليها « الفائـــدة او النفع المــدرك » perceived instrumentality لموضوع الاتجاه ٠

ومن خلال اوزان اهميةالقيمة والفـــائدة المدركة ، فان « الدليل المعرفى » لموضوع الاتجاه « المساعدات التعليمية » يمكن الحصول عليــه ٠ وهذا الدليل أو الفهرست يقدم نمط ونموذج معتقدات الحالة عن مدى جدوى المساعدات التعليمية فى بلوغ أو اعاقة قيم الفرد ٠ بالاضافة الى انه مقياس كمى يوضح عليه الى اى مدى يكون اتجاه الفرد متسقا مع قيمه ٠

وهذا المبدأ الذى اكتشف على ايدى روزنبرج مؤداه ، ان دليل البناء المعرفى يتسق مع التأثير العاطفى للاتجاه ، كما يقاس بمقياس الاتجاه ٠ بمعنى ، اذا كانت الحالة لديها تأثر ايجابى شديد نحو موضوع الاتجاه ، فانه يميل للحصول على دليل index معرفى عال لهذا الاتجاه معتقدا فى انه ذو فائدة ونفع لبلوغ وتحقيق قيمة الايجابية ٠٠ واعتراض

سبيل القيم السلبية . كما ان الارتباط بين المكون العاطفى للاتجاه والدليل المعرفى وجدت انها اكبر لدى الشخص ذو القيم البارزة ، وعلى ذلك فان اتجاهات الفرد تكون فى حالة تمركز فى قيمة المهمة بطريقة متسقة بصورة عالية .

ان تطبيقات نظرية روزنبرج ، بالاضافة الى منهجه لتفهم كيفية تغيير الاتجاهات ذات اهمية خاصة ــ حيث نجد ان عديدا من الدراسات قد اوضحت بطريقة اقل دقة مدى الارتباط الاتساقى بين المكون العاطفى لاتجاه شخص ما ، وقيمه الخاصة .. الا ان روزنبرج يقدم اقتراح جوهرى فى ثنايا نظريته مؤداه :

« عندما تكون المكونات العاطفية والمعرفية للاتجاه فى صورة متسقة بشكل تبادلى ، فان الاتجاه بالتالى يكون فى حالة استقرار وثبات . فى حين انه عندما يكون هذين المكونين ( العاطفى والمعرفى ) فى تبادل غير مستقر وغير منسق ( لدرجة انها تتجاوز قدرة الفرد على احتمال لثمة عدم الاتساق هذا ) ، فان الاتجاه يكون فى حالة غير مستقرة وغير ثابتة ، وانه سوف يعيد تنظيم نشاطه بصورة تلقائية الى ان يتكشف اى نشاط وينتهى الى اى من الحالتين الآتيتين :

أ ــ تحقيق الاتساق العاطفى ــ المعرفى

ب ــ او وضع حالة عدم الاتساق « العنيدة » وراء حلقة النشاط الواعى (١) .

ومن هذا الافتراض لروزنبرج سابق الذكر ، فانه اذا اتت عوامل خارجية لتغير فى كل من المحتوى العرفى او العاطفى فى الاتجاه المستقر والثابت سابقا ، فان الضغوط سوف تظهر لكى تغير المحتوى المتبقى وجدير بالذكر ، فان معظم الدراسات السابقة على روزنبرج قد اشارت واكدت ان المحتويات المعرفية كسبب فى تغيير المحتويات العاطفية ، مركزه على العوامل العقلية فى تغيير الاتجاهات . ولقد قدمت توضيحات جيدة عن طريق المحاولات العديدة لتغيير الاتجاهات العنصرية . حيث استعملت طريقة الاتصالات لتغيير التعصب نحو الزنوج ، لاقناع الافراد ذوى التعصب ، ونقص رؤيتهم فيما يتعلق بالفروق بين الاجناس .. ادت هذه الطرق الى نتائج هامة وفعالة . ولكن اذا كانت تغيير معتقدات

الفرد غير متناغمة وغير متساوقة مع تعاطفه السلبى ، حينئذ ووفقا لهذه النظرية فانه سيقاوم هذه الطرق ‥ ولكى يكون التغيير على درجة من النجاح ، فان ثمة ضغوط يجب أن تكون قوية ومتواصلة نحو التغيير وذلك لخلق عدم الاتساق الواضح بين العاطفة والمعرفة ٠

وبينما نجد ان معظم الدراسات قد ركزت على المحتويات المعرفية كسبب للتغيرات فى المحتويات العاطفية ، فان روزنبرج قد ركز على الاشارة الى أن التغير فى المحتوى العاطفى سوف ينتج تغييرات معرفية روزنبرج وجاردنر (١٩٥٨) (١) ٠

وفى احدى تجارب روزنبرج ، حيث أحضر ثمانية حالات كانت تؤيد سياسة الولايات المتحدة الامريكية فى اعطاء المساعدات الاقتصادية للامم الأجنبية ، هذه الحالات الثمانية وضعت تحت حالة من حالات التنويم المغناطيسى ، ووجد روزنبرج أن أحاسيس هؤلاء ومشاعرهم الايجابية قد تحركت فى الاتجاه المضاد ‥ نحو الاحاسيس والمشاعر السلبية ٠٠٠ ويشرح روزنبرج نتائجه كما يلى :

« بعد أن تستيقظ ، وحتى موعد لقائنا القادم ، فانك ستعارض وبشدة سياسة الولايات المتحدة فى اعطاء المساعدات الاقتصادية للدول الاجنبية ٠ ان الفكرة المجردة للولايات المتحدة فى منح المساعدات الاقتصادية للدول الأجنبية سوف تجعلك تشعر بالاشمئزاز وعدم الرضا ٠ وحتى موعد لقائنا فانك ستستمر فى شعورك المعارض بشدة لسياسة الولايات المتحدة فى هذا الشأن ‥ ولن تكون متذكرا لهذا الرأى الذى كنت عليه سابقا ٠٠٠ » (٢)

وعموما ، فانه قبل وبعد استعمال التنويم المغناطيسى ، فان الحالات اشارت الى اهمية قيمة ورؤية فائدة مواقف روزنبرج الاثنين والثلاثين لاتجاهها نحو المساعدة الخارجية ، بالاضافة الى اتجاهين آخرين استعملا كوسيلة ضابطة ٠ وكما تنبأ روزنبرج ، فان الحالات قد عملت تغييرات واسعة فى كل من الفائدة المدركة وقيمة المواقف المتضمنة فى المساعدات الخارجية ٠ وحيث ان التأثير والوسيلة لم تنسحب على الاتجاهات الضابطة ، الا أن الحالات تغيرت من الموقف المدعم بشدة للمساعدات الاجنبية

---

(1) Rosenberg, M. J. & C.W. Gardner : Some dynamic aspects of post-hypnotic compliance, J. of abn. soc. psy. 1958, 57, PP. 351 : 366.
(2) Rosenberg : Ibid, P. 327.

الى الطرف الآخر والمعارض بشدة ، بالاضافة الى ان كثيرا من معتقدات الحالة قد تغيرت كذلك . فمثلا اذا كان يعتقد قبل المعالجة العاطفية

afect manipulation ان المساعدات الاجنبية ستحافظ على ثمة قيم ايجابية مثل « منع الكساد الاقتصادى » ، فانه سوف يعتقد بعد المعالجة العاطفية ( عن طريق التنويم ) ان التنازل والتخلى عن المساعدات الخارجية سوف يمنع الكساد الاقتصادى ٠

وفى بعض الاحيان . فبدلا من أن يغير العميل العلاقة النفعية بين الاتجاه والقيمة ، فان الحالة تغير وتبدل القوة او حتى (الايجابية او السلبية) لقيمه ، وذلك لكى يجعلها فى حالة تناسق واتساق مع العاطفة التجريبية المنتجة ٠ فمثلا ، فاذا كانت الحالة تميل الى الاستمرار فى الاعتقاد أن المساعدات الاجنبية الخارجية تمنع الكساد الاقتصادى ، الا أنه تغير وتبدل من التدعيم الايجابى للمساعدات الأجنبية الى الوضع المتناقض ، فانه بالتالى يجب أن يغير ويبدل من قيمة الكساد الاقتصادى من حالة السلب الى الايجاب ، حيث يجادل ان الكساد الاقتصادى له عديد من التأثيرات المفيدة والنافعة على البلاد ــ وعموما فان التأثيرات الملاحظة فى هذه التجربة تستمر وتدوم فى خلال اسبوع ، وفى نهاية المدة حيث يمحو فيها المجرب عن عميله التغير العاطفى ويشرح التجربة برمتها للحالات ٠

جملة القول ، فان روزنبرج قد ركز فى نظريته على العلاقة بين العناصر المعرفية والعاطفية واثرها فى تغيير الاتجاهات ، كما انه ربط بين العناصر المعرفية لموضوع الاتجاه . بقيم الشخص ٠ ويستطرد روزنبرج فى نظريته موضحا ان التأثير الايجابى الشديد نحو موضوع الاتجاه يجب ان يرتبط او يكون على علاقة مع المعتقدات ، حيث يقود الى تحقيق قيم هامة ٠

كما ان التأثير السلبى نجو الموضوع المقترح ، نجده يعيق الوصول الى هذه القيم ٠ هذا ولقد اوضحت دراسات روزنبرج هذه الارتباطات ٠ اما فيما يتعلق بتغيير الاتجاهات ، فنجده يشير الى انه اذا تغيرت أو تبدلت احدى المحتويات المعرفية او العاطفية بصورة ملحوظة ، فان عدم الاتساق ينتج قوة نحو تغيير المحتوى المتبقى ٠ ففى دراساته التجريبية والتى استعمل التنويم المغناطيسى ليغير المحتوى العاطفى ، فانه قد أشار الى حدوث تغييرات كبيرة فى المحتويات المعرفية والقيم المرتبطة بها ٠

## ثانيا : نظرية فستنجر فى التنافر المعرفى :

Festinger's theory of cognitive dissonance

نظرية التنافر المعرفى التى تطورت على يدى فستنجر (١٩٥٧) يتضح لنا فائدتها الكبيرة فى ربط الاتجاه بالسلوك الظاهرى ، وجدير بالذكر فان هذه العملية كانت تشكل صعوبة كبيرة خلال الدراســـات التى تناولت موضوع الاتجاهات ، لدرجة ان كثيرا من الانتقادات كانت توجه الى مفهوم الاتجاه بانه ليس له فائدة ، وبالتالى أن المناقشة فيه غير ذى معنى ، لاننا لا نستطيع ان نتاكد بأن الشخص سوف يسلك وفقا لاتجاهاته اللفظية المعبر عنها ·· وجدير بالذكر فان نظرية التنافر المعرفى قد تعرفت على هذا القصور وساعدت فى معالجته وذلك بتحديد الشروط التى يتساوق ويتماثل تحتها الاتجاهات والانماط السلوكية ·

ولقد قدم فستنجر نظريته مشيرا الى ان اتجاهات الشخص عــادة ما تكون متسقة بعضها مع البعض ، لدرجة انه يسلك بصورة مقنعة مع اتجاهاته ، وبالتالى فان أفعاله المتنوعة تكون فى حالة متسقة مع بعضها البعض ، فمثلا : اذا كان الشخص يعتقد فى الديمقراطية ، فانه بالتالى لا يؤمن بالفاشية ، كما انه اذا اعتقد ان التعليم الجامعى شىء جيد فمن ثم يحاول أن يبعث بأولاده الى الجامعة · فاذا سلك كما يملى عليه ضميرة فى واجباته المحددة نحو التلاميذ ، فانه بالتالى يسلك كما يملى عليه ضميره فى عمله · وتساؤل على درجة كبيرة من الاهمية يطرح نفسه ·· ومؤداه ·· ماذا يحدث عندما يكون هناك عدم اتساق أو لا تناغم ·· ؟ ؟

ونقصد بمصطلح العنصر المعرفى ، اى معرفة ، اراء ، معتقدات عن البيئة ، أو الذات ، أو عن سلوك الفرد · ونعنى بمصطلح التنافر او التباعد أنه بمثابة تقديم عدم التناسق بين عنصرين او اكثر من العناصر المعرفية · فان عنصرين معرفيين يكونان فى علاقة تنافرية وتباعدية ، اذا وضعنا فى الاعتبار عنصرين بمفردهما وهما : ان تناقض عنصر واحد يجب أن يتبع من الأخر · فمثلا : اذا ادرك شخص ما ، ان المبلغ الذى يستطيع دفعة لشراء سيارة جديدة هو ٣ ثلاثة الاف جنيها ، الا أنه لتوه قد اقتنع لوقع عقدا لشراء سيارة ثمنها ٤ اربعة الاف جنيها ، فان ذلك يشكل علاقة تباعد وتنافر بين عنصرين معرفيين · ومن جانب اخر ، فان عنصرين معرفيين يكونان فى حالة اتساق بعضها مع البعض ، اذا تبع واحد بالأخر · ولذلك فان المعرفة والادراك التى مؤداها بانك ستبتل ، متساوق مع المعرفة والادراك التى مؤداها أن السماء تمطر ·

كما ان العلاقات بين العناصر المعرفية قد تكون واضحة او غير واضحة ، الا ان التنافر والتناغم قد لا يوجدا الا بين العناصر الواضحة فقط · كما ان كبر وعظم التنافر ، بمثابة وظيفة التناسب لكل العناصر المعرفية الواضحة غير المتناسقة · وهذه العناصر هى بصفة عامة ذات وزن تبعا لأهميتها · وعلى ذلك فان عظم وكبر التنافر قد يعبر عنه بالمعادلة الآتية :

$$\text{التنافر} = \frac{\text{الأهمية} \times \text{عدد العناصر المتنافرة}}{\text{الأهمية} \times \text{عدد العناصر المتماثلة}}$$

فاذا كان هناك عناصر قليلة متنافرة ، وكثير من العناصر المتماثلة فان التباعد والتنافر فى هذه الحالة يكون منخفضا بصورة نسبية · كما ان العناصر المتنافرة لا يمكن أن تتجاوز عدد العناصر المتماثلة · ·ولاجل ذلك تقود الى التغير ، وتمحو بالتالى التنافر · وفى الحقيقة فان مقدار التنافر قد قدم بمصطلحات المعدلات لكى يوضح هـــذا المفهوم ، ولتقديم ادوات قياسية · والتنافر او التباعد لا يمكن قياسه بصورة مباشرة الا اننا يمكننا قياسه بصورة غير مباشرة (١) ·

**تخفيض التنافر :**

يشير فستنجر الى عديد من الاقتراحات نستطيع من خلالها تخفيض التنافر وتقليل التباعد فى الاتجاهات ·· وفى ذلك يقول :

ـ لكون التنافر والتباعد سيكولوجيا غير مريح ، فانه سيدفع الفرد لكى يحاول ان يخفض ويقلل من التنافر والتباعد ويحصل على التماثل والتقارب ·

ـ عند وجود التنافر والتباعد ، فان الشخص لا يسعى الى تخفيضه وتقليله فقط ، الا ان الشخص سوف يتحاشى بفاعلية المواقف والمعلومات التى قد تزيد من درجة التنافر لديه ·

ـ ان قوة الضغوط لتخفيض التنافر ما هى الا وظيفة لمدى أهمية وخطورة التنافر والتباعد ·

ويشير فيستنجر الى ثلاثة طرق لتقليل وتخفيض التنافر والتباعد :

---

(1) Secord, P. F. & Backman, C.W. : op. cit., P. 116.

**اولا : تغير العنصر السلوكى المعرفى :**

عندما تكون معرفة شخص بسلوكة متنافرة مع عقيدة ما ، فانه غالبا ما يغير سلوكة بسهولة • فمثلا اذا كان هذا الشخص مدخنا ، الا انه يعتقد ان التدخين ضار بصحته ، فبالتالى قد يتوقف عن التدخين •

**ثانيا : تغيير عنصر البيئة المعرفى :**

احيانا يكون سلوك الشخص متنافرا أو غير متسقامع بعض العوامل البيئية والتى يمكن ان تتغير • فمثلا ، فانه قد يقلل ويخفض التنافر بين معرفته بأن التدخين يسبب سرطان الرئة واستعماله مبسما فى التدخين مثلا ، او بتغيير نوع السيجارة ، وربما يكون الجانب الاسهل من البيئة التى يقع عليـــه التغيير هو البيئة الاجتماعية ، او بيئة التداخل الشخصى • ولذلك قد نجد المدخن ينزعج لهذا التنافر ، وربما يحتاج التدعيم والتأييد من الافراد الاخرين المدخنين ، والذين يشكون ان التدخين قد يسبب فى الاصابة بسرطان الرئة • فقد يشير مثلا الى حقيقة ان كثيرا من الاطباء يدخنون •

**ثالثا : اضافة عناصر معرفية جديدة :**

قد يكون من الصعب احيانا تغيير اى عنصر من العناصر المعرفية التى تكون محتوية فى التنافر والتباعد • وتحت هذه الظروف ، فغالبا ما يمكن اضافة عناصر جديدة لكى ترجح وتزيد من قيمة هذه العناصر التنافرية والتباعدية • فالشخص الذى يشترى سيارة لا يستطيع أن يدفع ثمنها قد يقنع نفسه بأنه محظوظ لحصوله على هذا الثمن ، حيث يستطيع أن يقترض المـال • كما أن المدخن يخشى سرطان الرئة قد يقول لنفسه أن التـدخين يساعد على الاسترخاء ولذلك فانه مفيد لصحته •

## تطبيقات نظرية التنافر

لقد فجرت كثيرا من الدراسات جوانب مختلفة لنظرية التنافر ، واكثر من ذلك فى دور التقدم والارتقاء • وسوف نصف احدى هذه الدراسات حتى نوضح فائدة هذه النظرية فى التنبؤ بتغيير الاتجاهات • ان تجـربة كل من فيستنجر وكارل سميث Festinger & Carlsmith (١٩٤٩) قد اختبرت لأغراض خاصة ، وذلك لانها تدعم التنبؤات لنظرية التنافر • وقد يشتق الافتراضات الآتية :

١ ـ فاذا استحث شخص ما ، ان يقول او يفعل شيئا متناقضا مع اتجاهه الخاص ، فانه يميل الى ان يغير اتجاهه لكى يجعله متناســـقا مع معارفة التى قالها او فعلها •

٢ ـ ان الضغوط الاكبر التى تستعمل فى استثارة السلوك المضاد لاتجاه الفرد الخاص ، فان اتجاهه سوف يكون عرضه للتغيير بصورة اقل واضعف .

كما ان استعمال المكافاة كوسيلة للضغط لكي تحقق ثمة طاعة واذعان عند الشخص ، فان من المتنبأ به أن يكون المــال الاكثر الذى يتلقى للاذعان والطاعة .. نجد حدوثا أقل فى تغيير الاتجاه .

جمله القول فان جوهر نظرية التنافر والتباعد نســتطيع ايجازها فيما يلى :

١ ـ قد توجد علاقات متنافرة « أو غير منسجمة » بين العناصر المعرفية .

٢ ـ ان وجود التنافر والتباعد يكون باعثا على الضغوط لكى تقلل وتخفض التنافر والتباعد ، ولكى يتحاشى الازدياد فى هذا التنافر .

٣ ـ ان المظاهر العملية لهذه الضغوط تتضمن ، التغيرات السلوكية التغييرات فى المعارف ، والحذر والاحتراس فى كشف معلومات أو أراء جديدة .

وعلى الرغم من ان جوهر هذه النظرية بسيطا ، الا اننا نجد ان لها استعمالات واسعة وتضمينات كثيرة ، لعديد من المواقف والتى تبدو من الناحية السطحية مختلفة الى حد كبير (١) .

**ثالثا : النظرية الوظيفية للاتجاهات :**

**"A Fuctional theory of Attitudes"**

لقد قدم كل من كيتز Katz (١٩٦٠) وستتلاند stotland (١٩٥٩) ، منحى وظيفيا لدراسة الاتجاهات . ويشــيرا الى أن الاساس الدافعى للاتجاه هو بمثابة مفتاح فهم تغير الاتجاهات ، ومقاومتها للتغير ، كما أن العوامل الموقفية والاتصالية الموجهة نحو تغيير الاتجاهات لها تأثيرات مختلفة متوقفة على الاساس الدافعى للاتجاهات ، ويمكن ايجازها فيما يلى :

**١ ـ الوظيفة الوسيلية ، التكيفية او النفعية :**

ويقصد كيتز بهذه الوظيفة ، بأن الفرد يناضل لكى يزيد من مكافآته

---

(1). Festinger, L. : Ibid. P. 31.

الى الحد الاقصى ، ويقلل فى نفس الوقت الى اقصى حد من الدرجة العقابية التى يخبرها ٠ ولذلك نجده ينمى الاتجاهات الايجابية نحو تلك الموضوعات التى ينتج عنها مكافأة ، وفى نفس الوقت ينمو اتجاهات غير ايجابية نحو تلك التى تؤدى الى العقاب ٠

### ٢ ـ وظيفة دفاع الانا :

وقد تعمل الاتجاهات لحماية الشخص من الاعتراف بالحقائق غير السارة عن ذاته ، أو عن الحقائق المؤلمة فى بيئته ٠ فمثلا الشخص الذى لا يثق فى قيمه ذاته واحترامها ، قد يكون لديه تعصب قوى ضد جماعات الاقلية ، وبالتالى فانه ينظر الى نفسه باعتبارها اعلى من الآخرين ، ومتميزة عنهم ٠

### ٣ ـ وظيفة القيمة المعبرة :

قد يستمد الفرد الاشباع من خلال تعبيره عن ذاته بالاتجاهات التى تكون متناسقة مع قيمة الشخصية ومع مفهومة عن ذاته ٠ ولذلك فان الشخص ذو القيم الديمقراطية الليبرالية القوية ، قد يحصل على اشباعات قوية عن طريق خوضة فى ثمة افعال واعمال تعزز مثل هذه القيم ٠

### ٤ ـ الوظيفة المعرفية :

من المسلم به أن للانسان دافع أساسى للفهم والادراك ، وكذلك التعبير عن احاسيسه ، وايضا لكى يبنى عالم خبرته ٠ أن عناصر الخبرة التى تكون فى البداية غير متناغمة وغير متناسقة مع ما يعرفة الفرد ، عادة ما يعاد تنظيمها أو تتغير وذلك لكى يحصل الاتساق والتناغم (١) ٠

واللاحظ ان وظيفة القيمة المعبرة والوظيفة المعرفية يرتبطان بصورة قوية مع نظرية فيستنجر للاتباعد المعرفى ، بالاضافة الى نظريات الاتساق الأخرى ٠ كما ان وظيفة القيمة المعبرة تهتم بالتناغم والاتساق بين القيم ( صورة من العنصر المعرفى ) ، العناصر المعرفية تقدم وتظهر السلوك ٠ والوظيفة المعرفية تشبه افتراض فيستنجر فى أن الشخص يدفع لكى يخفض من درجة التباعد واللاتناغم لكى يحصل على الاتساق ٠ والجدير

---

(1) Katz, D. & E. Stotland : A preliminary statement to a theory of attitude structure and change, In S. Koch (ed.) : Psychology : A study of science, Vol. 3, New York, McGraw-Hill book Co. 1959, PP. 423 : 475.

بالذكر فان كل من كيتز وستوتلاند قد طبق مبدأ الاتساق والتناغم على موضوعات الاتجاه المفردة ، ولقد اقترحا ان كل من المحتويات العاطفية والمعرفية والسلوكيـــة المتضمنة فى موضوع الاتجاه المتفرد تنحو نحـــو الاتساق .

وينوه كيتز Katz (١٩٦٠) الى أن تغيير الاتجاهات التى تؤدى وظيفة تكيفية للفرد ، يجب ان يسود احد الشرطين الآتيين حتى يتم التغيير المطلوب :

( أ ) يجب الا يمنح الاتجاه والنشاطات المرتبطة به الاشباعات التى كان يحدثها من قبل .

(ب) ان مستوى طموح الفرد يرتفع ، حيث نجد ان مالك الشيفورلية والذى لديه اتجاهات ايجابية نحو سيارته القديمة ، ربما الآن قد يريد سيارة اكثر قيمة وغلاء حتى تتساوق وتتكافىء مع مركزه الجديد (١) .

وعموما فان تبديل وتعديل الاشباعات التى يحصل عليها من الانماط السلوكية المتنوعة ، تحدث من التغييرات المرتبطة بالاتجاهات . وعنـــدما تكافىء الانماط السلوكية الجديدة والتى تكون غير متناسقة مع الاتجاهات الحالية ، حينئذ تعدل وتبدل هذه الاتجاهات الموجودة . وعلى نسق مشابه فان الخبرات المعاقبة عادة ما تقود الى اتجاهات غير ايجابية نحو الموضوعات أو الاشياء التى تحث وتحرض على العقاب .

كما ان اتجاهات دفاع الانا عادة ما تثار عن طريق اى موقف مهدد للفرد . فالتعصب نحو جماعات الاقلية يكون أحيانا بمثابة مثال لاتجاه دفاع الانا . فهذا الاتجاه قد يثار عن طريق التنافس الرائد ، أو العـــلاقات والدلالات الازدرائية والتى تحط من قدر الفرد عند الاخرين ، او من اى تخويف او تهديد اخر لمركز الشخص .

ونقطة جديرة بالذكر فى هذا المقام ، وهى أن الاتصـــالات المقنعـــة persuasive communications والمؤثرة فى الاتجاهات والتى يكون لها مبادىء دافعية اخرى ، غالبا ما تكون غير مجدية وذات فعالية مع اتجاهات دفاع الأنا . وهكذا فان الاتصالات التى تمنح كمية وافية من المعلومات فى تدعيم تغيير اتجاه معين ، قد لا تكون ذات اثر ، وذلك لان ثمة

---

(1) Katz, D. : The functional approach to the study of attitude change, pub. Opin. Chuart, 1960, 24, PP. 177.

تغيير قد يحرم الفرد من اتجاه ما يعمل كسند فى دفاعات الانا الخاص به ٠ ولنضرب لذلك مثلا ، فان الشخص الذى يكون تعصبه نحو الزنوج له جذور بشعوره بالدونية ، واحاسيسه العدائية الناتجة من الصراع الانفعالى ، سنجده مقاوما بصورة كبيرة للمعلومات أو البيانات التى تدعم وجهة النظر المتناقضة وهى انه لا توجد اختلافات او فروق فطرية بين البيض والسود ٠ وبصورة مشابهة فالوعد بالمكافات واثرها فى تغيير الاتجاهات ، أو التبديد بالعقاب لا يكون لهما تاثيرا فعالا الا اذا كانتا اقوى من بواغث دفاع الأنا ٠

ولقد اشار كيتز Katz الى شروط وانماط الاتصالات المقنعة والتى تؤثر فى اتجاهات دفاع الانا ٠ وثمه شرطين اساسين : وهما تقليل أو تخفيض التهديد ، والافصاح عن المشاعر والاحاسيس ٠ كما أن الاتصال يجب الا يتاتى من التهديد والقلق المنبعث من الفرد بل من شرط يخلق جوا من الاطمئنان والاسترخاء ، كما أن الاتصال الذى يساعد الفرد على اكتساب الاستبصار بطريقة غير مهددة لميكانزمات دفاعه له افضل الامكانية فى تغيير اتجاهات دفاع الأنا ٠

جملة القول ، ان مفتاح فهم التغير ومقاومة التغير وفقا لنظرية كيتز Katz يتمثل فى الاساس الدافعى للاتجاه ٠ فالاتجاهات قد تكون نفعية فى كونها تقود الى مكافأة معينة او تتحاشى عقاب ما ، كما أنها قد تعمل لتحمى الشخص من الاعتراف بالحقائق غير المريحة عن نفسه أو الحقائق المؤلمة فى بيئته ، كما أنها قد تمنح الاشباع فى التعبير عن الذات وعن القيم المركزية للشخص ٠ والى المدى التى تكون فيها فى اتساق فاننا نجدها تشبع حافزا رئيسيا لبناء خبره الفرد ٠

ولقد اكدت وجهة النظر هذه على الحقيقة بأن تبديل أو تغيير الاشباعات المرتبطة بأنماط سلوكية متنوعة كالحصول على مكافأت جديدة أو تلقى العقاب ، قد يؤدى الى تغييرات مرتبطة بالاتجاهات ، وهكذا فان هذه الاتجاهات تستمر فى زيادة الحد الاقصى لتكيف الفرد لبيئته ٠ كما ناقشت هذه النظرية العوامل الموقفية التى تبعث الاتجاهات الى تملك أسس متنوعة من الدافعية ، وانماط التاثير والتى تكون مؤثرة مع هذه الاتجاهات المختلفة ٠

**رابعا : نظرية كيلمان فى العوامل الثلاثة لتغيير الاتجاه :**
**Kelman's three process theory of attitude change**

والنظرية الرابعة والاخيرة التى سنتعرض لمناقشتها بشىء من الايجاز هى ما أشار اليها كليمان (١٩٦١) ٠ وينوه الى انه توجد ثلاثةعمليات مميزة للتأثير الاجتماعى تتمثل فى المطاوعة أو الأذعان ، والتقمص ، والتدريب ٠ وسنلقى الضوء على هذه العمليات فى نظرية كليمان ٠

١ ـ المطاوعة أو الاذعان : Compliance

ويمكن ان يقال أن هذه العملية تحدث عندما يتقبل الفرد التأثير من فرد آخر أو من جماعة ، لانه يأمل في ان يحصل على تفاعل ايجابي مع الاخرين (١) • والتعبير عن الراى هنا ، وحتى على الرغم من أن الفرد لا يوافق عليه بصورة سرية مع ما يعبر عنه ؛ الا انه بمثابة وسيلة لكسب او الحصول على بعض المكافآت أو لتجنب العقاب • فمثلا ، فالعامل الذى يكون على دراية بأن رئيسه مغرور بالنكات التى يقولها ، نجده يضحك عليها على الرغم من اعتقاده انها ليست بمضحكة • وبهذه الطريقة فانه يتحاشى التعرض لغضب رئيسه منه • وفى العادة ، فان هذه الآراء من هذا النوع نستطيع ملاحظتها عن طريق الوكالات او الاشخاص ذوى التأثير •

٢ ـ التقمص : Identification

ويمكن ان يقال انها تحدث وفقا لنظرية كليمان ، عندما يتبنى فرد ما السلوك الصادر من فرد اخر او جماعة ما ، لان هذا السلوك يرتبط باشباع تحديد الذات Self-defining بهذا الشخص او بهذه الجماعة (٢) •

وهذا هو مدلول اقامة العلاقة المرغوب فيها مع شخص اخر او جماعة معينة ولتدعيم تعريف الذات الذى هو جزء من العلاقة • وشكل من اشكال التقمص نجده فى محاولات الفرد أن يكون مثل الآخرين أو يتشبه بالشخص الآخر ، ويلاحظ ذلك بصفة عامة عند الاطفال حيث نجدهم ينسخون سلوك ابائهم واتجاهاتهم ، أو نماذج أخرى من السلوك • وفى شكل اخر من التقمص ، فان الفرد لا يحاول أن يتشبه بالشخص الآخر ، ولكن يكون علاقة به وتتطلب سلوكا مختلفا كلية عن سلوكه • وعادة ما يسلك الفرد بلغة توقعات ما يمتلكه الفرد الاخر فيما يتصل بسلوكه • فمثلا ، فالمريض يسلك وفقا لتوقعات طبيبة ، ويتبنى نصائحه وارشاداته •

والشكل الاخير للتقمص تحافظ على علاقة الفرد بالجماعة والتى عن طريقها يثبت تعريفة او مفهومة لذاته • ولذلك فان الطبيب يتبنى الاتجاهات والانماط السلوكية المتوقعة منه بواسطة زملائه الاطباء •

التقمص مثل المطاوعة او الاذعان لا يحدث لان السلوك أو الاتجاه

(1) Kelman, H. C. : The induction of action and attitude change In S. Coopersmith (ed.) personality research, 1962, P. 62.

(2) Ibid, P. 63.

نفسه مشبع بصورة جوهرية للفرد · الا انه يحدث للعلاقة الاشباعية للشخص الأخر أو الجماعة الأخرى ، وانه بالتالى يتطلب تنشيط العلاقة من اجل أن يحدث · فمثلا نجد الفرد يؤدى دوره كطبيب الا ان هناك بعض المواقف لهذا الدور غير مناسبة ، كالمواقف المرتبطة بزوجته أو اولاده · وبخلاف ما نجـده فى موقف المطاوعة ، ومـع ذلك فان الفـرد يعتقد فعليا فى الاتجاهات والافعال التى يتبناها نتيجة للتقمص ·

٣ ـ التذويت :

يمكن أن يحدث عندما يتقبل الفرد التأثير ، لان السلوك الاستدنى يتلائم ويتطابق مع نظام قيمة (١) ·

وهنا نجد أن محتوى السلوك أو الاتجاه الاستمالى مكافىء بصـورة حقيقية · فالسلوك أو الاتجاه يساعد على حل مشكلة ما ، أو تكون مطلوبة عن طريق قيم الفرد · ولذلك نجد الفرد ذوى الاتجاه السياسى التحررى يميل الى تدعيم برنامج الحكومة للرعاية الطبية للمسنين ، وذلك لان احـد القيم التى يؤيدها هو أن الحكومة يجب أن تعزز الرعاية العامة ·

كما أن هذه العوامل المتعددة تميل الى الحدوث معتمدة جزئيا على مصدر القوة للوكالة المؤثرة · فاذا كان لها تحكم قوى على المكافآت والعقاب التى يتلقاها الفرد ·· فان المطاوعة والاذعان تحدث بالتالى · ومثـال على ذلك ، الطفل الذى يذعن ويطيع أوامر الأباء الصارمة ، على الرغم من أنها اقد تتعارض مع أحاسيسه ومشاعرة الخاصة · واذا كانت من ناحية أخرى العلاقة المتضمنة للوكالة المؤثرة علاقة مشبعة مرضية فان التقمص عادة ما يحدث ، مثال الابنه التى تتمتع بعلاقة حانية من امها ، قد تتبنى كثيرا من انماط سلوكها واتجاهاتها · وجدير بالذكر فان عملية التذويت عادة ما تحدث عندما يكون المتصـل على درجة كبيرة من القابلية للتصـديق والمعقولية · وكذلك نجد نصائح الخبير مقبولة اذا كانت منسجمة ومتطابقة مع قيمة الشخصية ·

وبنفس الطريقة ، فان الشروط التى تؤدى الى رد فعل الفرد تختلف حسب تأثير عوامل مختلفة · فعندما تكون وسيلة التأثير فى موقف دقيق للاحظة فعل ما أو موقف أو راى معين فثمة مطاوعة واذعان تكون نتيجة لذلك ، فالطفل يسلك سلوكا حسنا عندما يكون تحت ملاحظة الاب الصارم القاسى · كما أن حالة التقمص تتطلب أن تكون العلاقة بالوكالة المؤثرة فى

(1) Ibid, P. 65.

حالة بارزه ملحوظة : فالموقف يجب أن يكون مسيطرا عليه ومحكوما بالعلاقة • فالابنه تتبنى اتجـــاهات والدتها ، مثلا عندما تلعب دور الام مع اختها الصغرى • وفى النهاية فان الاتجاهات او الافعال التي تذوت تميل الى التعبير فقط عندما تكون القيم التى تظهرها فى حالة نشطة ، ومن ثم فان القيم المرتبطة بالامانة تصبح ملحوظة بصورة بارزةحين يكون الفرد فى موقف امتحان مثلا •

وجدير بالذكر ، فان هـــذه العوامل لها بعض التضمينات المختلفة لاستمرارية تغيير الاتجـــاه • فالاتجـــاه الذى يتبنى خـــلال عمليـــة المطاوعة أو الاذعان ، يميل الى أن يكون معزولا من كل قيـــد ، اذا فقدت الوكالة القدرة على التحكم فى الفرد • وثمة اتجاهات أخرى تبدو انها تبقى فى عزلة عن باقى الاتجاهات والقيم • كما أن السلوك أو الاتجاهات التى تكون نتيجة للتقمص تستمر كلما كانت العلاقة مع الوكالة المؤثرة فى حالة مشبعة •

ونقطة اخيرة مهمة ، وهى أنه فى المواقف الخاصة ليس بالضرورة أن نرى واحدا من هذه العمليات • وغالبا ما تحدث عمليتان أو اكثر متزامنتان، وربما نجد العمليات الثلاثة تعمل معا • ولذلك فان كانت الوكالة لها سلطة قوية على الشخص ، الا أن العلاقة ، علاقة مشبعة ايضـــا ، فان كل من الاذعان والتقمص قد يحدثا • بالاضافة الى ذلك ، فاذا كانت الاتجاهات أو الاعمال المتطلبة لهذا الموقف تكون فى حالة اتساق وتناغم مع الاتجاهات المتخذة الأخرى ، فان عملية التذويت قد تحدث •

## قياس الاتجاهات

فى خلال الفترة ما بين ١٩٢٠ : ١٩٣٠ نمت وتطورت عديدا من الطرق لقياس الاتجاهات •• وهى التى شائعة فى هذا الميدان حتى الآن • وسنلقى الضوء بايجاز على هذه الوسائل القياسية الرئيسية وتوضيح صـــفاتها الاساسية ونقاط الاتفاق والاختلاف فيها ، وعلى الرغم من انها لن تؤهل القارىء بصفة كلية لكى يبنى بنفسه وسيله قياسية ،•• الا انها قد تساعده فى ذلك ، بالاضـــافة الى أنها تمده بالبيانات والمعلومات الكافية للتفهم الكامل لدلالات هذه الطرق والوسائل التى كتبت فى هذا الموضوع •

ففى عام ١٩٢٥ كان بوجاردوس Bogardus من اوائل الذين استخدموا طرق القياس الكمية فى ميدان علم النفس الاجتماعى • وجدير بالذكر أن الدراسات الكمية فى علم النفس ترجع الى مائة سنة ماضية فى

استنتاجات ونتائج ولهلهم فونت Wund (١٨٧٩) المعملية • وعلى ذلك فاننا نجد أن مصطلح الاتجاهات قد استعمل بالمعنى السيكولوجى منذ اكثر من مائة عام •• الا ان محتويات الاتجاه من معرفة وعاطفة واراده نوقشت على ايدى الفلاسفة منذ عهد افلاطون (١) • وليس بمستغرب اذا وضعنا هذا التاريخ القصير للدراسة الكمية للاتجاهات ، أن ثمة تساؤلات عديدة ما زالت باقية دون اجابة •• وتلح فى طلب ذلك •

وعموما سنلقى الضوء فى ثنايا الصفحات التالية على أهم الطرق القياسية فى مجال الاتجاهات وهى مقياس بوجاردوس ، ونرستون ، وليكرت ، وجتمان واسجود ••

## ١ ـ بوجاردوس وقياس البعد الاجتماعى :
## Bogardus social-distance Scale

اقترح بوجاردوس (١٩٢٥) قياس البعد الاجتماعى ، والذى يمكن أن يستخدم لتحديد إتجاهات الافراد نحو الاجناس أو القوميات المختلفة، وكذلك نحو جماعات معينة كثيرة نزحت وتنذاك كمهاجرين الى الولايات المتحدة الامريكية • فمثلا اتجاهات الافراد نحو الانجليز ، والالمان والاتراك يمكن مقارنتها بواسطة أحكامهم تبعا لهذه الطريقة •

ويشير مصطلح البعد الاجتماعى كما استعمله بوجاردوس الى درجة التقبل أو رفض الاشخاص فى مجال العلاقات الاجتماعية ، كما استخدم هذا المصطلح فى مجال العلاقات بين أعضاء الجماعات العنصرية •• كما حاول أن يعطى درجات على البعد الاجتماعى بحيث يمكن قياسة • وفى احدى دراساته طلب من مجموعة من الاشخاص يمثلون جماعات من عناصر وسلالات مختلفة ان يحددوا مدى تقبلهم لاجناس مختلفة وذلك بوضعهم فى قسم أو اكثر من السبع اقسام التالية :

١ ـ علاقة حميمة بالزواج •

٢ ـ فى النادى كصديق حميم •

٣ ـ جار فى الشارع •

٤ ـ زميل فى عملى فى البلده •

٥ ـ مواطن فى بلدى •

---

(١) انظر بداية هذا الفصل •

٦ ـ زائر فقط لبلدى ٠

٧ ـ يجب طرده من البلد (١) ٠

| الشعوب | علاقة حميمة زواج | فى النادى كصديق حميم | جار فى الشارع | زميل فى العمل | مواطن فى بلدى | زائر فى بلدى | يجب طرده من بلدى |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ ـ الانجليز | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ |
| ٢ ـ الزنوج | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ |
| ٣ ـ الفرنسيين | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ |
| ٤ ـ الصينين | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ |
| ٥ ـ الروس | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ |

وكما يلاحظ فان موازين المقياس تتقدم بصورة تدريجية للقبول للاعضـــاء لجماعات عنصرية او قوميـــة فى علاقـــات حميمة اسرية الى الاستبعاد الكامل من البلده ٠٠ ودرجة الفرد الاتجاهية نحو جماعة معينة عادة ما تؤخذ لدرجة العلاقة التى يرغب فى تقبلها ٠٠ وعن طريق حساب الدلالة لجماعة معينة من المستجيبين ، نستطيع أن نقارنها مع جماعات اخرى ( كالفلاحين والعمال مثلا ) ٠

كما أن التغييرات الحديثة التى أدخلت على هذه الطريقة ، سمحت لها ليس فقط بقياس الاتجاهات نحو الجماعات الاجتماعية المختلفة ، ولكن أيضا جماعات عنصرية وقومية متعددة ، كما وسعت من دائرة الاختيارات الاستجابية ٠

ولقد قام تريباندس Triandis بمساهمات كبيرة فى هـــذا الشأن مستعملا التحليل العاملى ، ونتيجة لذلك ، اتضح له خمس ابعـــاد مستقلة نسبيا للاتجاهات نحو التقسيمات الاجتماعية للاشخاص ٠ كما طور مقياسا ذو مواقف متعددة لقياس كل بعد ٠٠ وهذه الابعاد الخمسة التى اشار اليها تريباندس هى ما يلى :

(1) Stuart Oskamp : Attitudes and opinion, New York, Prentice - Hall - INC., 1977. PP. 26 : 27.

١ ـ الاحترام : ان يعجب الفرد باراء وافكار هذا الشخص ·

٢ ـ التقبل الزواجي : ان يقع الفرد فى حب هذا الشخص ·

٣ ـ التقبل الصداقى : ان ياكل مع هذا الشخص ·

٤ ـ البعد الاجتماعى : استبعاد هذا الشخص من الجيرة ·

٥ ـ الاستعباد : السيطرة والهيمنة على هذا الشخص (١) ·

والحقيقة فان تعديلات ترياندس فى مقياسه ، قد منح تقدم ملحوظ لمقاييس البعد الاجتماعى الاصلية ، حيث يعكس بعض تعقيدات وتركيبات السلوك الاجتماعى الانسانى ·· ويؤيد مينارد Minard (١٩٥٢) ذلك بقوله بانه قد يشعر باختلاف كبير فى العلاقات مع اعضاء من أجناس اخرى فى جوانب حميمة من العلاقات كالصداقة أو الزواج ، اكثر من جوانب شكلية رسمية اخرى كعلاقات العمل مثلا ·

## ٢ ـ طريقة الفترات متساوية البعد لثرستون :

Thurston's method of equal - appearing intervals

عكس مقياس بوجاردوس ، حيث نجد ان النقاط السبعة له لا يجب بالضرورة أن تعتبر متساوية البعد ، فان ثرستون (١٩٢٨) حاول أن يطور طريقة نستطيع من خلالها تبيان الكمية الدقيقة للاختلاف بين اتجاه مستجيب وآخر ·· وحقيقة طريقة ثرستون تعتبر من اعقد مقاييس الاتجاهات وادقها فى نفس الآن ·· ويمكن ايجاز خطوات طريقة ثرستون فيما يلى :

**الخطوة الأولى** : فى بناء هذا المقياس تتخلص فى أن يجمع أو يبنى الباحث عددا كبيرا من المواقف التى تظهر الوجهات المؤيدة والمحايدة والمعارضة عن الموضوع المراد قياسه · ( كدراسة ثرستون عن الاتجاهات نحو الكنيسة ، أو نحو الزنوج ) ·

**الخطوة الثانية** : يجب على الباحث ان يحصل على عدد كبير ، أو مجموعة كبيرة لاستخدامها كمحكمين ·· حيث يقيمون كل موقف من مواقف المقياس ان كان مناسبا أو غير مناسب لقياس موضوع الاتجاه ·

---

(1) Triandis, H.C. : Attitude and attitude change, New York, Wiley, 1974. P. 53.

وعلى كل حكم ان يصنف المواقف فى احد عشر قسما متساويا ٠ كما يجب على المحكم ان يتجاهل اتجاهه الذاتى ، ويقرر فقط كيف يكون كل موقف من مواقف المقياس مناسب او غير مناسب نحو موضوع الاتجاه ـ والمواقف التى يظهر عدم اتفاق الحكام عليها ، تستبعد لكونها مواقف غامضة او ملتبسة ٠٠ وقد تستبعد اخرى لعدم ارتباطها بالموضوع المراد قياسه ٠ والمواقف الباقية تحدد كقيم للمقياس وتعتمد على معدل الاتفاق للحكام ٠ والمقياس فى صورته النهائية قد يتكون من عشرين موقفا تقريبا أو يزيد فى بعض الاحيان ٠٠ والهدف من كل هذا هو اختبار المواقف التى يكون لها :

( أ ) تقدير قيمى تقريبى لفترات متساوية على بعد احدى عشر نقطة من الايجابية ٠

(ب) الاتفاق العالى فى التقديرات بين الحكام ( يعنى الانتشار البطىء ، أو المتغيرية فى تقديراتهم ) ٠

**الخطوة الثالثة :** بعد اختيار مواقف المقياس النهائى ، فانها ترتب بصورة عشوائية بدون اى اشارة الى ميزانها القيمى Scale Value وعلى المستجيب ان يضع علامة امام المواقف التى يوافق عليها ويترك الاخرى دون ذلك ٠ واتجاه فرد ما نحو موضوع الاتجاه ، يمكن أن يحدد كوسط أو متوسط لدرجات استجاباته على مواقف المقياس ٠

**مثال لمقياس ثرستون :**

مقياس ثرستون لقياس الاتجاهات نحو الكنيسة نورد بعض المواقف من مقياس ثرستون الاصلى ، ونلاحظ أن المواقف سنرتبها وفقا لميزانها القيمى ، وذلك للتوضيح فقط ، حيث انه فى المقياس الفعلى لثرستون ترتب هذه المواقف بصورة عشوائية ، كما أن القيم القياسية لا تظهر عندما نطبق المقياس ٠

| الموقف | رقم الموقف | القيمة القياسية |
|---|---|---|
| ـ اعتقد ان الكنيسة اعظم مؤسسة فى امريكا فى العصر الحديث | ٣١ | ٠ر٢ |
| ـ اعتقد ان الكنيسة وكالة قوية لتعزيز منزلة كل من الفرد والاصلاح الاجتماعى | ٤٤ | ١ر٢ |
| ـ أحب ان اذهب الى الكنيسة وذلك لاننى احصل على شىء روحى ذو قيمة خلقية يستدعى التامل ، كما أنها تحفظ عقلى مملوءا بأفكار خلقية مستقيمة | ٤٥ | ٢ر٢ |
| ـ اتمتع بذهابى الى الكنيسة حيث يوجد بها الصداقة الروحية | ٢٩ | ٣ر٣ |
| ـ اعتقد فيما تلقنه الكنيسة ، ولكن مع تحفظات عقلية لى | ٦ | ٤ر٥ |
| ـ أشعر أحيانا أن كلا من الدين والكنيسة ضروريان واحيانا اخرى اشك فى ذلك | ١٥ | ٥ر٦ |
| ـ اعتقد فى الدين والالوهية بدون اية طقوس كنائسية | ٣٢ | ٦ر٧ |
| ـ أعتقد أن اموالا كثيرة تنفق على الكنيسة للاعانة أو الفائدة ، يجب أن ترد | ١٩ | ٧ر٥ |
| ـ أعتقد أن تعاليم الكنيسة من السطحية الشديدة لكى تستحوذ على دلالة ومعنى اجتماعى | ١ | ٨ر٣ |
| ـ أعتقد ان الكنيسة تسعى جاهدة لفرض كثير من مبادىء القرون الوسطى البالية | ٤١ | ٩ر٢ |
| ـ تمنح الكنيسة السطحية والتظاهر الكاذب بالدين والعقيدة بالاضافة الى الرياء والنفاق والتعصب | ٤٠ | ١٠ر٤ |
| ـ اعتقد ان الكنيسة مؤسسة طفيلية على المجتمع | ١٧ | ١١ر٠ |

وتشير طريقة ثرستون الى افتراض ان اراء الحكام لا تؤثر فى القيم القياسية للمواقف التى يحصل عليها نتيجة احكامهم • وقد يبدو هـــذا الافتراض صادقا فى حالة وجود الحكام الذين ليس لديهم وجهات نظـــر متطرفة عن موضوع المقياس • ويشير كل من هوفلاند Hovland وشريف Sherif (١٩٥٢) الى وجود كثير من وجهات نظر الحكام المتطرفة ، وبالتالى فان قيم الاوزان على المواقف ستتأثر تبعا لذلك • فكل من الحكام المؤيدون لموضوع الاتجاه • والمعارضون له ستكون احكامهم وبالتالى قيمهم القياسية متأثرة الى حد كبير بالذاتية •

والعائق الرئيسى الاخر لطريقة ثرستون ، انهاتحتاج وقتطويلنسبياًمما يؤدى الى السأم فى التطبيق •• ولذلك لا نجد هـــذه الطريقة واسعة الانتشار فى قياس الاتجاهات مثلما نجد ذلك فى طريقة ليكرت •

## ٣ ـ طريقة ليكرت للتقديرات المتجمعة :
**Likert's method of summated ratings**

بعد وقت قصير من عرض طريقة ثرســـتون فى قياس الاتجاهات اقترح ليكرت Likert (١٩٣٢) طريقة اخرى ابســـط فى بناء مقياس للاتجاه •• وحاول فيها ان يتغلب على الصـــعوبات التى واجهتها طريقة ثرستون • وبالاضافة الى استغنائه عن الحكام فى وزن وتقدير المواقف تبعا للايجابية او السلبية ، وذلك لعدم الاتفاق فيما بينهم ، لاختلاف سماتهم الشخصية ، وايضا الاختلاف الثقافى الذى يعانونة • ويشـــير ميرفى Murphy (١٩٣٨) ماكنمار McNemar (١٩٤٦) وبلكنجتون Poppleton & Pilkington (١٩٦٤) ، أن طريقة ثرستون لم تحقق درجة الصـــدق والثبات التى حققتها طريقة ليكرت فى وضع المقاييس •

ومن ناحية اخرى فان طريقة ليكرت ، تعتبر بمثابة اول طريقة حيث يمكن عن طريقها قياس مدى درجة الموافقة او المعارضة للمستجيب على كل موقف من مواقف المقياس •• بالاضافة الى ســـهولة تطبيقها عـــلى المستجيب ، فما عليه الا أن يؤشر بموافقته او عدم موافقته ( نعم او لا ) • وفى هذه الطريقة يجمع الباحث كثير من المواقف للراى فى موضوع معين ، وتصاغ هذه المواقف بطريقة تسمح الاجابة عنها بخمس تقديرات ميزانية ⁽¹⁾ ودرجة الشخص الاجمالية ما هى الا مجموع درجاته على وحدات القياس المختلفة • ولذلك يطلق على هذا المقياس بالتقديرات او الموازين المتجمعة •

---

(1) Stuart Oskamp : op. cit., P. 28.

Summated Scale وسنضرب مثالا من مقياس ليكرت الاصلى عن الدولية internationalism وجدير بالذكر أن نشير هنا الى ان مواقف الاتجاه هذه ما زالت لها وزن الى يومنا هذا ٠

**الموقف**

يجب على المرء ان يحارب من اجل بلاده سـواء كانت على حق أو على باطل ٠

| التقدير | أوافق بشده | اوافق | محـايد | معارض | معارض بشده |
|---|---|---|---|---|---|
| درجة التقدير | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ |

من اجل سلام دائم بين الشعوب يجب ان نزيل كل الفروق بين الامم والتى نستطيع حلها بالدبلوماسية ٠

| التقدير | أوافق بشده | اوافق | محـايد | معارض | معارض بشده |
|---|---|---|---|---|---|
| درجة التقدير | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ |

وعلى المستجيب أن يضع علامة واحدة امام احدى الخيارات الخمسة ، والتى رتبت من ١ : ٥ على التوالى ٠ كما ان المواقف العكسـية يجب ان تقدر عكسيا من ٥ : ١ على التوالى ٠ وتستخدم هذه الطريقة عادة العبارات أو المواقف التى تظهر ايجابية أو سلبية واضحة نحو موضوع الاتجاه ٠٠ بينما نجد ان طريقة ثرستون تتطلب بعض المواقف المحـايدة بصـورة نسبية ٠

وطريقة التقديرات المتجمعة summated rating تشير الى أن درجة اتجاه المستجيب تحدد بجمع تقديراته على جميع المواقف وهذه الوسيلة تعتمد على ثمة افتراض أن جميع المواقف تقيس نفس الاتجاه المبطن أو التحتى underlying atitude ونتيجة لهذا الافتراض فيجب أن تكون جميع مواقف المقياس مترابطة بصورة ايجابية ، وعلى نقيض طريقة ثرستون والتى لا توفر هذا المطلب ٠ وعلى الرغم من أن الارتباطات بين المواقف ليس عادة مرتفعة ، حيث نجـد ان كل موقف يقيس محتواه المتفرد ، بالاضافة الى الاتجاه المبطن او التحتى ٠ فان هذا الافتراض يمكن ان يؤكد بواسطه الترابيع ٠ والطريقة العامة لعمل ذلك هو ان نربط تقدير كل موقف

مع التقدير العام للاتفاق الكلى للمواقف المتضمنة . ويستبعد اى موقف ذو ارتباط قريب من الصفر ، حيث انه حينئذ لا يقيس العامل العام الذى يتقاسم فيه جميع المواقف .

واكبر قوة ، واعظم فائدة لطريقة ليكرت يتمثل فى استعمالها وسائل تحليل الموقف item analysis لكي تنقى وتطهر المقياس ، وذلك عن طريق الاحتفاظ فقط بالمواقف الأحسن والاقــــوى من مجموع المواقف الأولية . والطريقة العامة لاجراء ذلك هو أن نقارن مجموع الاستجابات ذات الدرجات الاعلى بالمجموع الكلى للمواقف ( ولنقل أن القمة ٢٥٪ ) مع الدرجات الاقل ( والقاع ٢٥٪ ) ، وبالتالى تظهر وتتضح الجماعة الوسط والتى قد يكون اتجاهها اقل وضوحا ، واقل اتساقا واقل قوة وتكوينا . واذا اتضح أن هناك موقفا معينا لا يميز بدلالة بين هذه الجماعات ، فان ذلك يعنى انه ليس له معنى دلالى تمييزى لجماعتى القمة والقاع ، وقد يتضح انه يقيس بعض الابعاد الاخرى عن تلك التى يحتويها الاتجاه العام فى المقياس . ففى مقياس الاتجاهات نحو الدولية او العالمية ، فان الموقف غير المميز قد يشير الى الأمل فى السلم العالمى ، فقد نرى ان الافراد ذوى الدرجات العالية « القوميين » ، والافــــراد الذين يأخذون درجات منخفضـــــة « الانعزاليين » نجد كل من المجموعتين قد يتقاسم ويشارك فى هـــــذا الأمل .

وجدير بالذكر ، فان طريقة ليكرت فى بناء مقاييس الاتجـــاهات ، كانت وما زالت الطريقة الاعم والاشمل فى وضع مقاييس الاتجاه ، بالاضافة الى ان كثيرا من التغييرات التى طرات على هذه الوســيلة قد اكتسبت استعمالات واسعة وفوائد عريضة . واحد هذه التغييرات هو اسقاط واهمال تقسيمات « غير متأكد أو محايد » وبالتالى يجبر المستجيبين لاختيار الموقف العقلى المؤيد او المعارض فقط . فمثلا موقف من مقياس كاليفورنيا لقياس الاتجاهات التسلطية أو الفاشستية ، قد رتب كما يلى وذلك حسبما اشار ادرنو Adorno ورفاقة (١٩٥٠) .

« اية اهانة لسمعتنا ولشرفنا يجب بالضرورة أن تعاقب » .

- اؤيد بصورة ضعيفة + ١
- اؤيد بصورة متوسطة + ٢
- اؤيد بصورة شديدة + ٣

- اعارض بصورة ضعيفة - ١
- اعارض بصورة متوسطة - ٢
- اعارض بصورة شديدة - ٣

وجدير بالذكر ان احد الانحرافات المهمة عن طريقة ليكرت يتمثل فى الاستبعاد الدائم والمألوف لتحليل محتوى الموقف • وعندما يحدث ذلك ، لا يتوفر لدينا بالتالى الدليل التجريبى بأن جميع المواقف تقيس نفس الاتجاه الضمنى أو التحتى ، بالاضافة الى عدم القدرة على تمييز المواقف • وان دل هذا على شيء فانما يدل على السرعة والعجلة فى انجاز البحوث ، ويتسم بالاهمال والامبالاه فى وضع الطرق القياسية ، بالاضافة الى البعد عن الاصل وعدم الاحتفاظ بوسائل ليكرت القياسية (١) •

٤ ـ طريقة جتمان فى تحليل التجمع المتدرج :
Cuttman's Scalogram Analysis

احدى حدودية كل من طريقة ثرستون وليكرت فى قياس الاتجاهات يتمثل فى أن درجة اتجاه المستجيب ليس لها معنى متفرد • بمعنى أن أى درجة معطاه يمكن ان نحصل عليها بواسطة طــرق متنوعة كثيرة • ففى مقياس ليكرت على سبيل المثال ، فان الدرجة المتوسطة يمكن الوصول اليها باعطاء استجابات « غير متأكد » او باعطاء استجابات كثيرة « موافق جــدا » تتعادل مع كثير من المواقف المدرجة تحت « غير موافق بشدة » أو بكل من موافق وغير موافق •• الخ •

ولقد اشار جتمان Guttman (١٩٤٤) بطريقة والتى يجب ان تكون للدرجات فيها معنى متفرد • وهذه تتحقق عن طريق التأكد بأن انماط الاستجابة تكون فى صورة تراكمية Cumulative بمعنى اننا فى طريقة جتمان نجد أن المستجيب الذى يكون موافق بصورة متوسطة لموضــوع الاتجاه يجب أن يســتجيب بنعم على جميع المواقف المقبولة عن طريق الاستجابة المعتدلة بالاضافة الى موقف او اكثر من المواقف • وبصورة مماثلة فان المستجيب بالموافقة الشديدة يجب أن يصادق على جميع المواقف المقبولة بواســطة المستجيب المؤيد باعتدال بالاضــافة الى واحده او اكثر من الاستجابات المؤيدة •

وهذا الاستنتاج يمكن توضيحة بواسطة بعض الامثلة ، فاننا نلاحظ ان الخمسة خطوات الرئيسية العليا فى مقياس بوجاردوس للبعد الاجتماعى تناسب على وجه التقريب متطلبات مقياس جتمان ، فالمستجيب الذى يظهر اتجاهات غير محايدة شديدة نحو الزنوج ، قد يكون راغبا فى قبــولهم كمواطنين فى البلد ، الا انه لا يقبلهم فى تصنيفات اعلى ، كما قد يوافق

(1) Adorno, T., F. Brunswik & others : The authoritarian Personality New York, Harper & Brothers pub., 1950, P. 20.

شخص اخر على تقبلهم كمواطنين وايضا فى العمالة المتساوية ·· والاستجابة المؤيدة يجب ان تصادق على كل من هذين الموقفين · بالاضافة الى المصادقة على تقبل الاسود فى الجيرة وفى النادى الاجتماعى وهكذا ·· ويتسلسل الامر الى المستجيب الذى يوافق على جميع المواقف ·

ويشير جتمان الى انه اذا ابرز المقياس النمط الكمى كما اسلفنا توضيحه ، فاننا نكون على ثقة بأنه غير بعدى unidimensional بمعنى انه يقيس اتجاه مبطن تحتى — وعلى نقيض مقياس كل من ثرستون وليكرت قد يقيس بعدين او اكثر من الابعاد التحتية « المبطنة » ؛ وذلك كما يشير تريانديس Triands (١٩٦٤) الى اننا فى توسيع مدى مقياس البعد الاجتماعى يوضح امكانية قياس ابعاد كثيرة مترابطة ، ولكنها بمثابة ابعاد مختلفة فى قياس واحد ·

ويقترح جتمان محكات صارمة ضيقة لتحديد اللا بعدية للمقياس ؛ وكان نتيجة ذلك ان اصبحت صور مقاييس جتمان قصيرة اذا ما قورنت بغيرها من المقاييس السابقة « ما بين ٤ : ١٠ مواقف » مقصورة ومحددة ومقيدة بلب الموضوع · كما سنرى فى مثال لمقياس جتمان بعد قليل ·

ففى المثال التالى نرى نموذج لمقاييس جتمان وهو لقياس الاتجاهات نحو التكامل العنصرى ؛ ومما هو جدير بالذكر وكما نلاحظ ان جميع مواقف مقياسه تشير الى لب الموضوع وجوهره والتى تتصل بالجوانب المختلفة للتكامل العنصرى ، بينما جوانب كثيرة اخرى من التعصب والتمييز العنصرى لم يقدمها فى ثنايا مواقف مقياسه · الا ان التأمل فى مواقف جتمان يجد انها قد تتضمن على كثير من الجوانب الاخرى من التعصب او التمييز العنصرى ·

**والخطوة الاولى :** فى تكوين مقاييس جتمان اللا بعدية ؛ فعلى الباحث ان يجمع مجموعة كبيرة من المواقف وتعطى لمجموعة كبيرة من المستجيبين وعلى كل مستجيب ان يبدى استجابته بتقرير نعم او لا ؛ او موافق وغير موافق على كل موقف من مواقف المقياس ·

**والخطوة الثانية** هى ان تنظم المواقف وفقا لعدد الاستجابات الموافقة عليها · وجدير بالذكر ان الموقف الذى يتفق عليه بواسطة عدد قليل من المستجيبين ، هو بمثابة الموقف الاكثر تأييدا لموضوع الاتجاه ، كما سنرى فى المثال الاتى : وبالتالى فان درجة كل مستجيب تحدد بسهولة تامة : بصورة تقريبية تتمثل فى عدد رتب الموقف الاكثر تأييدا الذى يصادق عليه

المستجيب . كما ان استجابات كل حالة تفحص بصورة منفصلة ، وعادة ما يتم ذلك بواسطة الكومبيوتر ) . وتجرى هذه الخطوة لكى يكتشف جميع الاقتراحات أو الامثلة فى نماذج الاستجابة غير المتناغمة « المتضاربة » .

ونسبة الخطأ المسموح بها للمستجيب لا تتجاوز ١٠٪ كما ان هذه الاستجابات غير المتناغمة ؛ تتمثل فى الحالات التى صادقت على موقف معين ــ الا انها لم تصادق على موقف أقل تأييدا من الموقف السابق ــ كما ان المواقف التى يكون لها استجابات غير متناغمة كثيرة ، فمن المحتمل انها تقيس بعدا تحتيا مختلفا وبالتالى تشطب من مجموع المواقف . وبعد عدد من التقديرات والحسابات الضخمة ، واستبعاد مواقف معينة ، يكون لدينا صورة من مقياس جتمان ؛ قصير نسبيا الا انه يقابل محكات جتمان اللا بعدية . ويشير رونبسون Robinson (١٩٧٣) الى ان الاجـــراءات الوقائية والتى اشار اليها جتمان ، ضرورية لكى تتأكد من أن ثمة مقياس لا بعدى حقيقى قد تكون بالفعل .

**مثال :** توضح لنا المواقف الاتية نموذجا من مقاييس جتمان ويلاحظ فى مثالنا ، ان المواقف قد رتبت تدريجيا للايضاح ، الا اننا لا نجد ذلك فى صورة المقياس الاصلى .

| الرقم | المواقف | النسبة المئوية للاستجابات المناهضة للتكامل |
|---|---|---|
| ١ ــ | هل تعتقد ان الزنوج يجب ان يأخذوا فرصا جيدة كالاشخاص البيض ليشغلوا اى نوع من العمل ؟ أو تعتقد ان الاشخاص البيض يجب ان يأخذوا الفرصة الأولى فى اى نوع من الاعمال الجيدة ؟ «فرص جيدة» | ٨٢ |
| ٢ ــ | هل تعتقد ان الزنوج يجب أن يكون لهم اقســـام مستقلة معزولة فى الترامواى والاتوبيسات « لا » | ٧٧ |
| ٣ ــ | هل تعتقد ان الزنوج يجب ان يكون لهم حق استعمال نفس الحدائق والمطاعم والهوتيلات مثل الاشخاص البيض « نعم » | ٧١ |
| ٤ ــ | هل تعتقد ان الطلاب البيض والســـود ، يجب ان يذهبوا الى نفس المدارس ، أو الى مدارس منفصلة « نفس المدارس » | ٦٣ |
| ٥ ــ | كيف يكون اعتراضك ، اذا أراد احد افراد اسرتك استضافة صديق زنجى على الغذاء « لا اعترض على الاطـلاق » | ٤٩ |

٦ – يجب ان يكون للاشخاص البيض الحق فى ان يظل السود خارج نطاق جيرتهم ، ان ارادوا ذلك ، كما يجب على السود احترام هذا الحق « غير موافق باعتدال او غير موافق بشدة » ٤٤

٧ – هل تعتقد بانه يجب ان يكون هناك قوانين تحرم الزواج بين السود والبيض « لا » ٣٦

٨ – يجب على السود الا يزجوا بأنفسهم الى حيث لا يكون مرغوب فيهم « غير موافق باعتدال او غير موافق بشدة » (١) ٢٧

**( ٥ ) طريقة اسجود فى دلالات المعانى الفارقية « التفاضلية » :**
**Osgood's Semantic differential**

على نقيض الطرق السابقة لبناء مقاييس الاتجاه ، فان دلالات المعانى الفارقية هى فى الواقع مقياس فى حد ذاتها ، الا انها مقياس لثمة نوع عام والتى يمكن تطبيقها على اى مفهوم على الاطلاق ، وهذه بمثابة ميزة كبيرة تنفرد بها طريقة اسجود ، ولذلك نرى كل من سويسو Suci وتانبوام Tannenbaum (١٩٥٧) يشيران الى ان هذه الميزة فى هذه الطريقة هى السبب الاساسى فى تدعيم شعبية دلالات المعانى الفارقية منذ ان وضعت .

والسبب الذى يعزى له تلقيب طريقة اسجود « بدلالات المعانى الفارقية » يرجع الى ان هذه الوسيلة تحاول ان تقيس المعنى الدلالى او التضمينى Connotative meaning للمفهوم او الموضوع الذى يقيم ، اى الحصول على المعنى المتضمن أو التضمينات الفارقية للمستجيب . وعلى نقيض الطرق السابقة فى قياس الاتجاه ، فان دلالات المعانى الفارقية لا تحتوى على مواقف اراء عن موضوع الاتجاه . وبدلا من ذلك فانها تستخدم سلسلة ذات سبع نقاط قياسية ، بصفتين متناقضتين « كحسن .. ردىء » فى نهايات كل قياس . وعلى المستجيب ان يؤشر على النقطة فى كل مقياس والتى تتساوق مع انطباعه او احساسه عن الموضوع أو المفهوم الذى يقيم . وسنوضح ذلك بمثال فيما بعد .

(1) Treiman, D. J. : Status discrepencey and prejudice, Amer. Jour. of sociol. 1966, 71, P. 656.

ولقد قام كل من اسجود وتانبوام وسويسو بعديد من الدراسات للتأكد من امكانية استعمال هذا المدخل في دلالات المعانى الفارقية لقياس مجموعة متنوعة واسعة من المفاهيم ، والاعمال الأكثر حداثه قد تمكنت من تطبيق الوسيلة على ثقافات كثيرة متنوعة ( اسجود ١٩٦٥ ) . كما استطاع اسجود ورفاقة عن طريق استعمال طريقة التحليل العاملى من دراسة الابعاد الضمنية « التحتية » لدلالات المعانى الضمنية . ولقد حصلوا على نتائج متشابهة في ذلك المضمار ، واستنتجوا نتيجة ذلك أن هناك ثلاثة ابعاد رئيسية والتى من خلالها يعمل الاشخاص الاحكام الدلالية . وهذه الطريقة قابلة للتطبيق على عديد من المفاهيم المختلفة ، وعلى التقديرات النعتية « الوصفية » وعلى الثقافات المختلفة ، ويمكن ايجاز الاعاد الثلاثة فيما يلى :

(أ) البعد التقييمى : ويتضمن ثمة صفات كحسن وردىء ، جميل وقبيح ، شفوق وقاسى ، سار وغير سار عادل وظالم .

(ب) البعد الكمونى : وتتضح فى ثمة صفات مثل « قوى وضعيف ، كبير وصغير ، ثقيل وخفيف .

(جـ) بعد النشاط او الفعالية : ويتعين بثمة صفات مثل « ايجابى وسلبى ، ساخن وبارد ، وسريع وبطىء .

ومن هذه الابعاد ، فان الشخص الذى يوزن بثقل فى أحكام الناس ، فان ذلك يعتبر بمثابة تقييم له ، ولقد أشار اسجود (١٩٦٥) باستخدام هذه الطريقة كمؤشر أساسى للاتجاه نحو الموضوع . وبصورة واضحة فهى بمثابة البعد العاطفى للاتجاه ، بينما البعدين الأخرين يعتبرا اكثر معرفية فى طبيعتهما . وبطبيعة الحال فان كل بعد يمكن ان يقاس بثقة باستعمال ثلاثة فقط او اربع مقاييس نعتية وصفية ، ولذلك فان استخدام دلالات المعانى الفارقية كطريقة لقياس الاتجاه ، بسيطة ومقنعة بالنسبة للباحث ، وبصورة نسبية كذلك سهلة للمستجيب عليها .

**مثال لطريقة اسجود :**

سنورد مثالا قصيرا لتوضيح منهج اسجود فى دلالات المعانى الفارقية .

« ان الغرض من هذه الدراسة هو قياس دلالات ومعانى بعض الاشياء المعينة لافراد مختلفين ، وذلك عن طريق الحصول على احكامهم على سلسلة قياسية وصفية . وعندما تأخذ هذا الاختبار ، نرجو منك ان تعمل احكامك على أساس ما تعنيه هذه الاشياء بالنسبة اليك » .

وهنا مثال يوضح كيفية استعمال هذه المقاييس : فان كنت تشعر ان المفهوم المدون بأعلى الصفحة يرتبط بك بصورة وثيقة وكبيرة فيجب ان تضع علامة ( × ) كما يلى :

ملائم : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ غير ملائم واذا كنت تشعر أن المفهوم يرتبط بك بصورة ضعيفة فيجب عليك ان تضع علامة ( × ) كما يلى :

قوى : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ضعيف

ان الاتجاه الذى تضع فيه علامتك يعتمد بطبيعة الحال على اى من النهايتين للمقياس تبدو اكثر اتصافا للشىء الذى تحكم عليه .

فاذا اعتبرت المفهوم محايد بالنسبة اليك ، فان كل من الجانبين يرتبط بصورة متساوية مع المفهوم . واذا كان المقياس غير متصل بالموضوع كلية ، او غير وثيق الصلة بالمفهوم فيجب عليك أن تضع علامة ( × ) فى وسط المسافة .

ضع تقديرك على كل مقياس من هذه المقاييس بنظام تسلسلى ، ولا تستبعد اى منها .. لو سمحت لا تنظر الى الوراء ، واعمل فصاعدا خلال المواقف . ولا تحاول ان تتذكر كيف اشرت المواقف المتشابهة فى الاختبار ، ونرجو أن تعمل لكل موقف حكما منفصلا مستقلا . واعمل بسرعة معتدلة خلال سيرك فى الاختبار ولا تنزعج ولا تقلق ولا ترتبك امام المواقف الشخصية .. نريد الانطباعات الأولى لك واحاسيسك التلقائية نحو المواقف .

ومن فضلك لا تكن غير مهتما الا بذلك ، لاننا نريد انطباعاتك الحقيقية .

**مثـــال :**

فصل الكنيسة عن الدولة (١)

حسن : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : سيىء

ضعيف : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : شديد

ايجابى : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : ــــ : سلبى

---

(1) Osgood, C.E., Suci, G. J. & Tannenbaum, P. H. : The measurement of meaning, New York, univ. of Illinois Press, 1957. PP. 36 : 38.

كبير : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : صغير

ببطء : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : بسرعة

بعـــدل : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : بظلم

ويشير ترياندس Triandis (١٩٦٤) ، الى أن التعديل على طريقة دلالة المعانى الفارقية ، والذى جذب الانتباه يتمثل فى التفاضل او التباين السلوكى behavioral differential ، وهو بمثابة طريقة لتحليل المحتوى السلوكى للاتجاهات ، او المعانى والمقاصد السلوكية . وهى توضح المرونة الكبيرة للتفاضل السلوكى وذلك لانها تسمح بالتعديلات للاغراض النوعية المختلفة . وفيها نجد على المستجيب ان يقدم وصـــفا موجزا لاقســـام الاشخاص ، ويسؤل المفحوص أن يقدر احتمالية مشاركته على قائمة طويلة من السلوك مع هذا النموذج من الاشخاص ، فمثلا :

طبيب اسود ذو الخمسين سنة من العمر

ترغب : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : لا ترغب

فى تناول شراب مع هذا الشخص

ترغب : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : ـــ : لا ترغب

فى التصويت لصالح هذا الشخص

ويذكر ترياندس ، انه باستخدام هذا المدخل ، فانه يشير لنا الى أن هناك خمسة عوامل على الاقل رئيسية تتضمن فى المعانى او المقاصـــــد السلوكية نحو الاشخاص الآخرين . وعمل ترياندس قد أوضـــح امكانية قياس الأبعاد المتعددة للاتجاهات . وعلى الرغم من أن معظم مقاييس الاتجاه قد تمركزت على قياس عظم واهمية الاتجاهات بمعنى درجة التأييد او عدم التأييد ( وتسمى فى بعض الاحيان بتكافؤ الاتجاهات ) . فان هناك عديدا من ابعاد الاتجاهات قد اقترحت وتستأهل الدراسة ، وخصوصا هذه الابعاد التى تتضمن التعقيد والتركيب والتفصيل للاتجاهات ، بالاضـــــافة الى مركزيتها أو اهميتهـــا بالنسبة للشخص الذى يمتلكها ، وبروزهـــا بمعنى ( احكامها بالوعى او تهيؤها للتعبير ) .

ولقد قام زهران بعدد من الدراسات انشا فيها اختبارين من نوع اختبارات اسجود ، واجـــرى اربعة تحليلات عاملية عليها . وبناء عـــلى

دراسات الباحث هذه يقرر عددا من المقاييس تمثل العوامل الرئيسية المتفق عليها فى كل هذه الدراسات وهذه العوامل هى :

- عامل التقييم العام : general evaluative factor
- عامل النشاط : Activity factor
- عامل القوة : Potency factor

والجدير بالذكر ان ما توصل اليه زهران مشابه الى حد كبير الى ما شار اليه اسجود ورفاقه فى اشارتهم الى ابعاد الاتجاه الرئيسية الثلاثة التى ذكرت سابقا ٠

وفيما يلى نموذج لقياس زهران الذى سار فى تكوينه على منحى اسجود ٠

- مقاييس التقييم العام ، ومنها

١ ـ حسن ـ ردىء (٧٢ر٠) ٠
٢ ـ سعيد ـ غير سعيد (٧٤ر٠)
٣ ـ عاقل ـ احمق (٧٠ر٠)
٤ ـ عادل ـ ظالم (٧٧ر٠)
٥ ـ امين ـ غير امين (٧٣ر٠)
٦ ـ ناجح ـ فاشل (٧٠ر٠)

- مقاييس النشاط ومنها :

- نشيط ـ خامل (٧٣ر٠)

- سريع ـ بطىء (٥٧ر٠)

مقاييس القوة ومنها :

- قوى ـ ضعيف (٥٥ر٠)

- كبير ـ صغير (٥٨ر٠) ٠ (١)

---

(١) حامد زهران : علم النفس الاجتماعى : القاهرة ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٩ : ١٥٠ ٠

وجدير بالذكر . فان هناك طرق اخرى لقياس الاتجاهات اشار اليها كل من أدواردز Edwards وكليباتريك Kil Patrik (١٩٤٨) . وكومبز Coombs (١٩٥٠) . ومع ذلك فليس هناك طرقا اخرى غير الخمسة الكبار والتى وضعت فى الاعتبار سابقا التى تظهر بصورة متكررة فى دراسات الاتجاهات والآراء . ويشير كل من فيشبين Fishbein وايزن (١٩٧٤) وتيتل Tittle وهل (١٩٦٧) الى أن على الرغم من ان هذه الطرق تختلف فى بناءاتها . الا انها بصفة عامة تقدم لنا حقائق حيث ترتبط بصورة عالية بعضها مع البعض الآخر . وتشير هذه الدراسات أيضا الى أن مقياس ليكرت يرتبط بصورة عالية مع مقاييس الاتجاهات الاخرى .

ولقد قامت عديد من الدراسات المصرية محاولة التأكد من صدق وثبات هذه الوسائل القياسية ومدى ملاءمتها على البيئة المصرية ومدى نجاحها فى قياس الاتجاهات .. واظهرت فاعلية عالية (١) .

---

(١) للاستطراد فى ذلك : انظر محمود ابو النيل : علم النفس الاجتماعى ـ دراسات مصرية وعالمية ، القاهرة ـ الطبعة الثانية ، ١٩٧٨ ـ الفصل الثالث عشر .

# الفصل السابع

## القيـــادة

لعبت القيادة دورا حيويا فى حياة الانسان منذ اوائل تاريخ البشرية، فالمتأمل فى ثنايا صفحات التاريخ يرى تأكيد المؤرخين على دور الابطال فى المعارك الحربية واهمية اعمالهم ومآثرهم على مجرى الاحداث التاريخية .. كما يولون اهتماما كبيرا الى دور الحكام ورجال السياسة فى تكوين الامبراطوريات والامم والاقطار . وفى المجتمع الحديث فان كل من النشاطات التنظيمية وغير الرسمية يتسم بالاشارة الى المساهمات التى يقدمها المشتركين بها ، والانجازات التى يسهم بها اعضائها ، فالبعض يسهم بمجهودات أو مهارات أكثر من غيره وبالتالى يختلفون فى مدى تأثيرهم بعضهم على بعض . كما نرى اهتمام منظمات العمل والحكومة والاحزاب السياسية والمؤسسات الخيرية بدور القيادة ، ويتمثل ذلك عن طريق منح المكافآت غير العادية لقياداتها وعن طريق التنقيب والدراسة المستمرة عن رجالاتها ذوى القدرة القيادية ، وكذلك عن طريق تأكيد اهمية العلاقات الانسانية أو التدريب القيادى .

هذا الاهتمام الواسع لموضوع القيادة ، يدعم الفكرة بأنها مشكلة اجتماعية على درجة كبيرة من الأهمية .. الا اننا نجد ان وجهة النظر العامة تغالى فى أهمية احد القادة ، وبالاضافة الى مغالاتها فى مساهمات وانجازات القائد الفرد . وكما سنرى فان الدراسات المبكرة لعلماء السلوك فى القيادة قد عانت من مثل هذه التأكيدات . الا أن المفاهيم والصياغات الحالية لهذه المشكلة قد اخذت شكلا مختلفا تماما .. وعموما سنركز فى ثنايا الصفحات التالية ، على طبيعة السلوك القيادى وعلاقته بشخصية الفرد ، وعلاقته بتركيب ووظيفة الجماعة وكذلك علاقته بالموقف وبناء الجماعة .

ان تاريخ دراسة انعكاسات القيادة وانجازاتها . يشكل التطور التدريجي لعلم النفس الاجتماعى . ومثل كثير من الدراسات المبكرة فى العلوم السلوكية ، فلقد كان الاسلوب الأولى لدراسة القيادة يتمركز فى مقارنة الافراد . وعن طريق ذلك نستطيع أن نكتشف كيف يختلف القادة عن غيرهم من التابعين ، الا ان هذا التكنيك قد فشل فى مهمته حيث وجد أن الاختلافات الثابتة بين القادة وتابعيهم عادة ما تكون ضئيلة . والطريقة الاخرى التى اعقبت ذلك قد ركزت على السلوك القيادى ، مؤكدة على تلك الافعال التى تقود اما الى تحقيق الهدف واما الى المحافظة وتقوية الجماعة ، وفى هذا التكنيك من دراسة القيادة يظهر جميع الاعضاء داخل الجماعة على انهم يؤدون اعمالا قيادية بدرجات متفاوتة .

وعموما فان التركيز على تكنيك السلوك القيادى كان مرتبطا بالاهتمام

على التأثيرات الموقفية والتأثير على تركيب الجماعة بواسطة هذا السلوك القيادى ... الا ان الدراسات الحالية فى سيكولوجية القيادة قد حولت اهتمامها الى المحددات البنائية أو الوظيفة للقيادة . وعلى أية حال ، فان وجهة النظر المتطورة لسلوك القائد نراها تضع تأكيدا كذلك على علاقة القائد بتابعية ، مدركين ومقدرين ان سلوك القائد يعتمد على السلوك المتمم والمكمل للتابعين .

وجدير بالذكر فان هناك العديد من دارسى سيكولوجية القيادة فى الوقت الحاضر ، يعتبرون أن القيادة ما هى الا توزيعا للادوار القيادية على افراد معينة من الجماعة . ومثل هذا التحديد للدور قد القى عليه الضوء بواسطة النظرية التبادلية فى القيادة exchange theory حيث تحلل العملية القيادية بتعبيرات نتائج تكلفة المكافآت Reward-Cost outcomes القائد والاتباع . وسنرى فى ثنايا هذا الفصل تأملا للأساليب المتنوعة لدراسة القيادة ، واضعين التأكيد على البحوث والدراسات الاستراتيجية الاكثر جدة وحداثة لهذا الموضوع .

## طبيعة القيادة

ان الدراسات المبكرة عن القيادة قد ساهمت مع التفكير العامى فى خلق تحيز اساسى مؤداه : الميل لرؤية اشخاص معينة بمثابة اصول ومصادر للافعال الانسانية . فسلوك القيادة كما كان معتقدا ينشأ من خلال الصفات الشخصية للقائد . كما أن هذه الدراسات لم توجه الاهتمام الكافى لمدى مساهمة البناء الاجتماعى والموقف فى خلق هذه القيادات . ومن اشكال هذا التحيز ما نراه فى مثل هذه العبارات « الضابط قائد للرجال » والتى تتضمن أن صفاته الشخصية تؤهله على قيادة المجندين فى اى موقف او فى جميع المواقف .

ولقد قارنت عديد من الدراسات التجريبية القادة وغير القادة ، مركزه على السمات الشخصية بأمل الكشف عن اسس القيادة . ولسوء الحظ فان العلاقة بين السمات الشخصية والقيادة لم تمدنا الا بمعلومات وبيانات زائفة غير حقيقية . ولقد اشار الى ذلك جيب Gibb (١٩٥٤) نتيجه لفحصه وتأمله هذه الدراسات ، ويقول ان المحاولات لايجاد نمط ثابت من السمات تميز القادة ، قد تأكد فشله ، ويشير الى ان صفات القيادة هى أى من او جميع هذه الصفات الشخصية التى فى موقف معين يصبح ممكنا لفرد ما . اما أن يسهم فى التوصل الى هدف جماعى ، أو أن يرى انه يفعل ذلك من قبل اعضاء آخرين فى الجماعة . ويستطرد

جيب Gibb في تقديم الاسباب الآتية لفشل ايجاد انماط مميزة لشخصية القادة بقوله :

١ ــ ان وسائل التقييم لقياس الجوانب الحقيقية الهامة للشخصية القيادية لم يتكون حتى الآن ٠

٢ ــ كما ان وسائل التقييم الحالية قد لا يكون موثوفا بصدقهـــا وثباتها ٠

٣ ــ كما ان الاختلافات الواضحة بين الجماعات التى درست ، قد تحجب التشابه فى الصفات القيادية والتى يمكن ان تكتشف اذا تمكنا من دراسة السلوك القيـــادى فى موقف معين فى سلسلة من جماعات متشابهه ٠

٤ ــ ان القيادة قد تكون نمطا مركبا لادوار وظيفية ، وذلك لان القادة تأخذ فى البداية دورا واحدا ثم آخر ٠٠ وعلى ذلك فان دراسات القيادة قد اهملت العلاقات الثابتة بين الشخصية واخذ الادوار المعينة(1)

ونجد كل من كارترايت C. Wright وزاندر Zander (١٩٦٠) يشيران الى عدم الاقتناع بمنحى دراسة السمات فى القيـــادة ويركزا على تكنيك جديد يؤكد على السلوك القيادى نفسه ، وفى ذلك يقولان :

« ان عدم الاقتناع والرضا باتجاه دراســـة السمة فى سيكولوجية القيادة ، قد ادى الى تصور جديد يركز على خصائص الجماعة وخصائص الموقف التى توجد فيه ٠٠ وجدير بالذكر فان هذه الدراسات التى اجريت داخل هذا الاطار ، لم تحاول ايجاد سمات معينة ثابتة وغير متباينة لدى القادة ، ولكنها حاولت أن تعمل على اكتشاف النشاطات والأعمال المطلوب ادائها بواسطة الجماعات تحت مواقف متنوعة فى محاولتها انجاز اهدافها او اى اغراض قيمية اخرى ، والى اى مدى يختلف اعضاء الجماعة فى المشاركة والمساهمة فى هذه الاعمال الجماعية ٠ وعلى ذلك فان القيادة حينئذ ترى على انها اداء لتلك الافعال والاعمال التى تساعد الجماعـــة على انجاز النتائج والاهداف المفضلة ٠ مثل هذه الاعمال والافعال يمكن التعبير عنها « بوظائف الجماعة » group functions وبصورة ادق

---

(1) Gibb, C.A. : Leadership. IN G. Lindzey (ed.) : Handbook of social psychology, New York. Addison. Wesley pub. Co. INc. Vol. 2, 1954, PP. 877 : 920.

فان القيادة تتضمن مثل هذه الاعمال لأعضاء الجماعة ، كهؤلاء الذين يساعدون فى وضع اهداف الجماعة ، وتحريك الجماعة نحو اهدافها ، وتحسين نوعية التفاعلات الموجودة بين اعضاء الجماعة وبنـــاء روابط متماسكة بين افراد الجماعة وتوفير المساعدة لاعضاء الجماعة .. وكقاعدة، فان القيادة يمكن ان تؤدى بواسطة فرد واحـــد او اكثر من أعضـــاء الجماعة .. » (1)

ويتضح مما سبق سبق ان كارترايت وزاندر ، يشيران الى أن ثمة افعالا متنوعة بصورة واســـعة ، تعتمد على الموقف وعلى خصـــائص الجماعـــة .. يمكن أن تصنف على انها انماطا سلوكية قيادية . وجدير بالذكر فاننا نجد نقطة التقاء بين نتائج الدراسات التجريبية فى القيـــادة كدراسات هالبين Halpin ، ووانير Winer (1952) وفليشمان Fleishman وهاريس Harris وبيرت Burt (1955أ) ، والدراسات النظرية كدراسات بارسونز Parsons وبيلز Bales (1955) ، وثيوت Thibaut وكيلى Kelley (1959) ، وكارترايت Cartwright وزاندر Zander (1960) نلاحظ تقارب متزايد بين جميع هذه الدراسات سواء التجريبية منها او النظرية فى اعتبارها أن السلوك القيادى بمثابة تلك الافعـــال المرتبطة وظيفيا اما للتوصل الى انجاز هدف معين واما الى تقوية الجماعة والمحافظة عـــلى استمرارها . وجدير بالذكر أن هذه الافعال السابقة الذكر ما هى الا وسيلة للتوصل الى اهداف الجماعة ، ومنع الانشطة المعوقة لتحقيق الهدف ، واعطاء الحلول المؤثرة للتوصل الى تحقيق الهدف . كما انهـــا تتضمن الأعمال التى تستخدم للمحافظة على الجماعة عن طريق اشباع الحاجات الانفعالية والاجتماعية لاعضاء الجماعة ، متضمنة تشجيع الاعضاء وازالة التوتر الذى ينشأ بين الأعضاء ، بالاضافة الى اعطاء كل فرد فى الجماعة الفرصة للتعبير عن ذاته .

وبايجاز ، فان صفات القيادة هى اى من .. أو جميـــع تلك الصفات الشخصية التى تمكن الفرد – فى اى موقف معين – فى أن يسهم فى التوصل الى انجاز هدف الجماعة ، وتساعد على تماسك الجماعة مع بعضها البعض ، أو يرى على انه يفعل ذلك من قبل الاعضـــاء الاخرين . وعموما فان تأكيدنا قد اوضح ان السلوك القيادى ما هو الا تلك الافعال المترابطة وظيفيا اما للتوصل الى انجاز هدف ، او الى المحافظة عـــلى ديمومة الجماعة وتقويتها .. وجدير بالذكر ، فان هذا النمط السلوكى يستخدم بدرجات متفاوتة بواسطة جميع اعضاء الجماعة .

---

(1) Cartwright, D. & A. Zander : group dynamics, research and theory, New York, Harper & Row pub. 2nd ed. 1960, PP. 492 : 493.

## القيادة والسيطرة

لاحظ الباحثون حادثة القيادة لدى انواع حيوانية متنوعة جدا . ويتضح ذلك بين عضوين من قطيع من ذوات الثدى ، يختصمان على قيادة القطيع ، والظافر هو الذى يقبل كسيد للقطيع ، بصورة عامة . وفى جماعات الغوريلا فان الرئيس هو دوما الذكر الراشد ، يتبعه عدد من الاناث . وفى هذه الحالة نجد أن العلاقة الجنسية هى العامل الرئيسى ـ بلا منازع ـ الذى يعين مبدأ السيطرة . ولكن هذا ليس بالضرورة حال جماعات اخرى . فالسلوك الذى يقوم على اتباع رئيس سلوك شائع جدا ، وبغض النظر عن العامل الجنسى .

ولقد درس شجلدروب ـ اب Schjelderup-Ebbe ظاهرة السيطرة دراسة مفصلة دقيقة فى الطيور ، ولاحظ نظاما للأولوية والتمييز الاجتماعى ، حيث وجد ان بين كل فردين من ذات النوع ، فردا له حق التقدم على الآخر دوما ، وهذا الاخير يصبح فى دور التابع . ومن ملاحظة هذه الانواع المختلفة يمكننا استخلاص النتيجة العامة التالية ، وهى انه لا يوجد طائران من نوع ما . يجهلان اذا كانا يعيشان معا ، ايهما له حق التقدم ، وايهما هو التابع ، ولكل من هذين الطائرين ردود فعل مميزة له . فالطائر التابع يبدى الخشية والخوف وحتى الفزع أحيانا بحضور الطائر الآخر ، وهو يميل الى اجتناب رفيقه . ولأصواته صفة مميزة ، اما الطائر المسيطر فقد يتجاهل تماما وجود رفيقه . وفى الغالب يضربه بعض الضربات بمنقاره ويطرده . ويستقر نظام التسلسل بينهما منذ أول لقاء ، وتندر الثورة .

والقوة عامل هام فى هذا النظام بين التابع والمتبوع ، ولكنها ليست العامل الوحيد الذى يلعب دورا : يبرهن على ذلك هذا الحادث الغريب الذى نرى معه أن ضربات المناقير قد تكون ذات صفة ثلاثية ، بمعنى أن الطائر ( أ ) ينقر الطائر (ب) والاخير ينقر (جـ) ، على حين أن هذا الاخير يعود فينقر ( أ ) . وجدير بالذكر فانه قد يوجد ـ كما هو الحال لدى الكائنات البشرية،بعض العلاقات النوعية الخاصة المتصلة بالشخصية، وهى علاقات تحمل الفرد على أن يسلك بصور مختلفة بحضور أشخاص مختلفين .

وليست السيطرة ، بالدرجة الأولى ، مسألة جنس . ان الذكر لدى بعض أنواع الطيور كالديك الهندى ، هو الذى يستبد بالانثى ، على حين أن الانثى هى التى تسيطر فى بعض الانواع الاخرى كما هو الحال

فى عدد كبير من أنواع العصافير ، وفى بعض الطيور ، كما نلاحظ ذلك فى البط السويدى حيث نجد الانثى هى صاحبة السلطة فى جزء ما من السنة ، على حين ان الذكر هو المستبد فى الجزء الآخر ٠

وعموما فان الطيور الاكبر سنا تسيطر ، بصورة عامة ، على الاصغر سنا ، وقد يمتد هذا الوضع حتى الى بعد انحطاط قوى الطيور المسنة ، فان غضب الطيور المكتهلة يعطيها مظهرا فيه من العدوانية ومن بشاعة المنظر ما يعوض عن القوة الماضية ٠ ثم أن قوة العادة تساهم فى ابقاء الطيور الفتية فى وضع التابع ٠ ويشير شجلدروب بأننا لا نستطيع الا ان نفكر بهذه المناسبة ، بأن هناك كثيرا من التشابه بين وضع الكهل فى الحياة الانسانية ، ووضع الطيور الكهلة ٠

وقد وصف ماسلو Maslow (١٩٣٦) فى سلسلة ممتعة من دراساته على سلوك السيطرة والخضوع عند القردة ، فعندما يجتمع قردان من نوع « القراديح » فانهما قادران بسرعة على تعيين القرد الذى سيكون المستبد ٠ ولا تتعين هذه العلاقات بعقوبات جسدية قاسية تكال للقرد التابع بكثرة فقط ، بل تتعين كذلك بميل المستبد الى تملك الجزء الاكبر من الغذاء الموضوع فى القفص ، وبسلوك المتوسل من جانب السيطرة يمكن ان يتغير بتأثير الموقف الاجتماعي ٠ ويحكى ماسلو حالة حيوان ( أ ) كان يسيطر على الحيوانين (ب) ، (جـ) ٠ وفى يوم من الايام ، عندما وضعت هذه الحيوانات الثلاثة فى قفص واحد ، تعاون (ب) ، (جـ) وكالا عقوبة صارمة لـ ( أ ) ٠ ومنذ ذلك الحين أصبح ( أ ) تابعا للاخرين، حتى ولو كان وحيدا مع أى واحد منهما ان هذا النموذج من الخصائص الشخصية لايمكن ان يتعين بمزاج القرد وحده ، بل بجملة الموقف الاجتماعى (١) ٠

ويلاحظ فيما يتصل بالشمبانزى ، جملة مظاهر مختلفة السرعة والوضوح لمبدأ السيطرة فى كل جماعة ٠٠ ويشير يركس ويركس Yerkes & Yerkes الى العمر والجنس والقوة والمهارة وحسن الحيلة وجملة خصائص مرتبطة بالمزاج كعوامل تعين هذه العلاقات ٠ فالأمر لا يتعلق بفرد يمارس سلطته على الجماعة فحسب ، بل بجملة من العلاقات تمتد الى كل الافراد وتؤلف نظاما تسلسليا ٠

---

(1) Maslow, A. H. : The role of dominance in the social and sexual behavior of infrahuman Primates, J. Genet. psy. 1936, 48, PP. 261 : 277.

ويستطرد يركس فى توضيح كيف ان صور سلوك السيطرة والخضوع يمكن أن تتأثر بالعلاقات الجنسية : فعندما تكون الشمبانزى الاناث لهـا رغبة للذكر ، فانها تكون ذات سيطرة واضحة على الذكور ، فى حين أن العكس هو الذى يقع فى ظروف أخرى • ويبدو ان أحسن تعليل لهذه الحادثة هو أن الذكور تخضع طوعا كى تحصل على التعاون المطلوب من الاناث •• وكما ان السيطرة فى أغلب الاحيان ، تضمن للحيوان بعض الفوائد ـ كالحصول على الطعام ـ فان الخضوع فى هذه الحالة الخاصة هو الوسيلة الناجحة لتحقيق الغاية ، اى لوصال الانثى • وعلى ذلك فان كلا من السيطرة والخضوع يعتبران كوسائل لتحقيق غاية ما ، ولقد برهن على ذلك كاربنتر Carpenter (١٩٤٢) على ثمة أمر جد غريب : اذ يلاحظ لدى القرو الـ rhesus ريسوس نظاما متدرجا للسلطة متطور الى حد كبير ، حيث يلاحظ منه تملك الاناث الحصرى ، من قبل بعض الذكور ، ولا يلاحظ الا فروق صغيرة بين هذه الحيوانات من ناحية التفرد بالسلطة •

ويشير مورر Mowrer (١٩٣٢) الى وجه من وجوه القيادة عند الحيوان وذلك فى تجربة على التعلم • فقلد وضعت ثلاث فئران فى قفص مصنوع بطريقة اذا ضغط فيها على عارضة فى طرف من القفص ، ظهر الطعام من الطرف الاخر • وفى هذه الظروف عندما كان أحـد الحيوانات يضغط على العارضة كانت الحيوانات الاخرى هى التى تحصل على الطعام • وقد ادى هذا الوضع الى تقليل الضغط على العارضة الى الحد الادنى ، وظلت الحيوانات فى حيرة من امرها حتى حل احدهـا المشكلة • وذلك بالضغط بقوة وكثرة على العارضة بحيث كانت كمية الطعام الظاهرة كافية للثلاثة • وقد تتابع تقسيم العمل هذا خلال مدة طويلة •• وهكذا نجد هنا لدى الحيوانات بنية معقدة من العلاقات بين الشخصية التى لا يمكن الا أن تشبه ولو بصورة سطحية على الاقل ، ما يلاحظ بكثرة لدى الكائنات البشرية •

جملة القول •• هذا ما يلاحظ عند الحيوان •• فهل يتشابه كل من الانسان والحيوان فى ظاهرة القيادة ؟! ـ أم انهما يختلفان فى ذلك •• ؟!

وبصورة عامة فعلى الرغم من أننا قد نلمس مسحة من التشابه بين بينهما •• خاصة اذا تأملنا القيادة فى المجتمعات البدائية••الا ان الانسان ينفرد بتملكه لغة يستطيع من خلالها أن يتفاعل تفاعلا رمزيا مع الاخرين•• بالاضافة الى التراث الحضارى والثقافى للانسان الذى يميزه عن سائر الكائنات الحيوانية الأخرى •• اضف الى ذلك أوجه التمدين والتحضر

التى مما لا شك فيه أثرت على الشخصية الانسانية . وجعلتها تختلف عن سائر الكائنات الحية الاخرى ·

كما أن المجتمع بما فيه من قيم وعـــادات وتقاليد ، قد غير من سمات شخصية الكائن البشرى على مر العصور ·· وبالتالى فان القيادة فى المجتمعات الانســانية تختلف من حيث الجوهر عن القيــادة لدى الحيوانات ·

وعموما سنرى فى ثنايا الصفحات التالية تفصيلا لما نذهب اليــه هذا ·· فى ان القيادة فى المجتمعات الانســانية تختلف عن مثيلتها فى التجمعات الحيوانية ·

## تمييز الدور

يشير بيلز Bales وسلاتر Slater (١٩٥٥) ، ان المنحى السلوكى أو الوظيفى للقيادة ، يؤكد ان ســلوك القيادة يمكن ان يؤدى بواسطة اى عضو فى الجماعة ··· ومع ذلك فاننا نجد انه فى وقت مبكر نسبيا من حياة الجمـاعة ، ان اشخــاص معينيين قد يجذبون أو يساهمون فى مثل هذه الانماط السلوكية القيادية بدرجة اكبر من الاشخاص الإخرى ·· هذا التخصص يصور على انه بمثابة تمييز الدور role differentiation (١) · ونستطيع ان نلاحظ هذه العملية فى الجماعات الأولية البدائية ، الا اننا نجد ان معظم الدراسات المرتبطة بهذا الموضوع قد اجريت على جماعات معملية · وعلى الرغم من ان العديد من النتائج يمكن تطبيقها على جماعات متمدنية ، الا اننا يجب ان نكون حريصين فى التعميم على مثلهذه الجماعات ·

### طبيعة تمييز الدور :

كثيرا ما نجد فى المجتمعات البدائية ان الفرد الذى يتكلم اكثر من غيره ، عادة ما يستقبل أتصالا اكثر من الاشخاص الآخرين · اذ انــه يوجه جزءا اكبر من امكاناته وتعليقاته واقتراحاتهللجماعة ككل . بدلا من تعليقه على الاعضاء فرادى · كما أن الجماعة عادة ما تكون اكثر ميلا لاعتبار

---

(1) Bales, R.F. & P.E. Slater : Role differentiation in small decision making groups, IN, T. Parsons & R.F. Bales Family, socialization and interaction process, New York, The Free Press Glencoe, 1966 PP. 259 : 306.

الشخص ذوالقدرة على استهلال الافعال ، والذى لديه افضل الآراء ، والذى يبذل اقصى ما فى وسعه لتوجيه المناقشة بصورة فعالة ، هو بمثابة القائد • ومثل هذا التخصص السلوكى • ونمو التعرف الاجماعى على مثل هذا التخصص يعتبر مادة تمييز الدور •

ونرى كل من هينيك Heinicke وبيلز Bales (١٩٥٣) اللذين لاحظا مثل هذا الاتفاق فى الجماعات خلال سلسلة من اللقاءات ، يدفا هذه الظاهرة بمصطلحات النضال او الكفاح المبكر بين رجال لهم منزلة عالية والذى ينبثق من بينهم اخيرا الشخص المنتصر كقائد متفق عليه ، وعموما فان تمييز الدور يتضح بصـــورة جلية عن طريق انبثاق القيادة • ففى الجماعات البدائية غير القيادية ، عادة ما نجد اعضاء معينين يبداون ويتلقون الاتصالات ويوجهون جزءا كبيرا من آرائهم واقتراحاتهم للجماعة ككل اكثر من غيرهم وهذه التعليقات تأخذ صورة ابداء الاقتراحات والمعلومات والآراء ، كما ان اعضاء الجماعة الآخـــرين يدركون فى تزايد هؤلاء الاشخاص علىانهم اصحاب افضل الآراء ، واحسن من يعمل على توجيه المناقشة الجماعية • هذا التمييز للدور يحدث فى اغلب الأحيان حيثما يشاركاعضاء الجماعة بصورةمبدئية القيم المرتبطة بانشطةالجماعة• اما جماعات خارج المعمل ، فان تمييز الدور عادة ما يكون مستقرا بصورة واضحة ، اذ أن وظائف الاعضاء المختلفة كثيرا ما تكون مفروضة بدرجـة معينة من النظام والشكلية •

## المهمة والتخصص الاجتماعى ــ الانفعالى :

تمييز الدور بين القائد وغير القائد ليس هو النوع الوحيد للتمييز الذى يحدث • فالكثير من الجماعات الصغيرة لديها قائد للمهام والواجبات task leader ، وآخر قائد للمهام الاجتماعية والانفعاليـــة Social emotional leader عادة ما يختص بتقديم الآراء والمقترحـــات ، ويوجه الجماعة نحو الحل السليم اما القائد الاجتماعى ــ الانفعالى فيساعد على رفع الروح المعنوية للمجاعة ويخفف من حدة التوتر عن تابعيه عندما يجابهون امورا صـــعبة • ولقـــد اشار كل من بيلز وســـلاتر (١٩٥٥) فى دراستهما بالقاء الضوء على مثل هذا التخصص ، حيث يشيران ان مهمة قائـــد المهـــام والواجبات specialist غالبا ما يكون على درجة عالية من المباداة ، والاستقبال ، والتوجيه والارشاد ، ولكنه ليس على درجة عالية من الحب والتعاطف • كما أن القائد الاجتماعى الانفعالى عادة ما يكون محبوبا بصورة اكبر من قبل الجماعة • ويشيران الى ان

التخصيص المتزايد فى هاتين الوظيفتين قد ظهرت فى اللقاءات المتتابعة ، ففي اللقاء الاول فان الرجل الذى حصل على الرتبة الأولى فى الافكـار والآراء كان محبوبا بصورة كبيرة لدى اكثر من نصف الجماعة ، ولكن وعلى مدى اربع جلسات اصبح هذا صحيحا لدى ٩٪ فقط من الجماعة (١)٠

## تمييز الدور والتوازن :

يشير ليفن Lewin وليبت Lippitt وهوايت White (١٩٣٩) وكذلك كوخ Coch وفرنش French (١٩٥٨) ٠ الى ان عملية تمييز الدور ارتبطت نظريا وتجريبيا باتجاهات أساسية معينة نحو حالة من التوازن في الجماعات ٠ وعموما فان العمل على انجاز المهام والواجبات القيادية في الجماعات قد يحبط الحاجات ويضيف تكاليف احرى ٠ ولذلك تقوم بعض القوى وتنبعث لتوجيه انشطه الجماعة بعيدا عن المهمه القيادية ، ونحو التعامل مع هذه الحاجات وتخفيض او تعويض التكاليف ٠ هذه الانشــطة الاستهلاكية بما انها تتدخل فى انجاز المهام القياديه ، فانها بدورها تدفع القوى الموجهة الى انشطه المهام القياديه ٠ ان تاثير المجموعتين من القوى يتمركز فى حفظ التعـادل او التوازن بين مقابله كل من الوظائف الانفعاليه الأجتماعية والمهام القياديه للجماعات ٠ واحد مظاهر القوى نحو التوازن يتمثل فى نمو العداء تجاه أخصائى المهام والواجبات القياديهالذى يدفع الجماعهنحو انجاز وتحقيقالمهام والواجبات القياديه ٠ولقد وصف كل من بيلز Bales وسلاتر Slater (١٩٥٥) هذه العملية لجماعات حاصله على درجات عالية من الاتسـاق والتـوافق ولها تمييز واضح بين الادوار الاجتماعية والانفعاليه والمهام القياديه ،وتبعا لنتائجها فان المختص بالمهام والواجبات القياديه يولد المحبه والتعاطف بصوره مبدئية وذلك لانه يشبع حاجات الاعضاء فى تكملة المهام والواجبات، الا انه يثير العداء بسبب مكانته او مركزه ، ولانه يتكلم جزءا كبيرا من الوقت ، ولانه يطلب من الاعضاء الاخرين التركيز على المهام والواجبات ٠ وكلما تكلم اكثر كلما زاد العداء من قبل الاعضاء نحوه ٠ وبالتالى فانهم قد ينقلون او يحولون بعضا من ولائهم ومحبتهم له الى شخص آخر أقل نشاطا ، الا انه يعبر عن احاسيسهم ومشاعرهم السلبية ٠ وجدير بالذكر فان هذا الاخصائى بالنواحى الاجتماعية والانفعالية هو اكثر القاده محبة، اذ انه يمثل القيم والاتجاهـات التى كانت مضـطربة ، وغير المؤكدة ، والمهدده والمحبطه عن طريق مطالب المهمة والواجبات القيادية ٠

---

(1) Ibid, P. 297.

وعموما . فالى المدى الذى يحدث فيه هذا العداء . نجد أن التمييز بين الدورين يحدث .. ويوجد اساسين لهذا التوقع :

أ ـ ان مثل هذا العداء يجعل اداء كل من الدورين غير مناسب.

ب ـ كما ان شخصيات الاعضاء المتطلعين الى القيـــام بالدورين والقادرين على ذلك . قد يكونوا مختلفين ..

ويجب على قائد النواحى الاجتماعية والانفعـــالية ان يعرف كيف يحب ويحب اذا كان يريد ان يفى بالحاجات الانفعالية والاجتماعية للاخرين.. وعلى نقيض ذلك فان قائد المهام والواجبـــات يجب ان يكون منفصلا انفعاليا . واذا كان يريد قيادة الجماعة لانجاز اهدافها ، فانه لا يستطيع ان يعتمد انفعاليا (عاطفيا) على الاعضاء الآخرين الى الدرجة التى يصبح فيها غير قادر على ممارسة سلطته عليهم .. ويشير بيلز Bales وسلاتر Slater (١٩٥٥) ان البيانات عن الاختلافات بين القائد الاجتماعى الانفعالى (العاطفى) والقائد المختص بالمهام والواجبات القيادية. وبين احب انسان للجماعة ، تتسق وتؤيد هذا الافتراض ، اذ ان احب الاشخاص يجب ان يشبه باقى أعضاء الجماعة بصورة عالية ، الا ان القائد الفكرى يختلف فى مدى حبه لدرجة كبيرة ، اذ انه يحب بعض الاعضـــاء اكبر بكثير من الاعضاء الآخرين .

وتشير بعض الدراسات الاخرى الى ان القادة ذوى التأثير يختلفون ويتميزون عن الاتباع الى حد كبير ، بأنهم يرون شخصيات الاعضاء الاكثر حبا والاقل حبا على انهم مختلفون بصورة كبيرة . ويقترح كل من بيلز وسلاتر أن هذه الاختلافات تعكس الاختلافات والفروق الشخصية بين هؤلاء الذين يصبحون قادة للنواحى الاجتماعية والعاطفية وبين قادة الفكر وسلاتر أن هـــذه الاختلافات تعكس الاختلافات والفروق الشخصية بين قبل قادة النواحى الاجتماعية والانفعالية الى ان يصبح محبوبا ، وبسبب هذه الحاجة فانهم قد ينمون مهارة كبيرة فى جعل الافراد الاخرين يحبونهم. كما ان قائد المهام والواجبات من ناحية أخرى قد يكون الفرد الذى يستطيع أن يتقبل ردود الفعل السلبية من الآخرين .

**القيادة فى الجماعات المختلفة :**

أن الجماعات تختلف فيما بينها ، فى مدى تأييدها للقدرات الانفعالية والاجتماعية . والمهام والواجبات ، كمعيار للقيادة . ولقد سجل كل من

بيلز وسلاتر (١٩٥٥) التفاعلات التى تحدث فى المناقشات الجماعية لاربعة جلسات متتالية . وبعد هذه الفترة سألوا الاعضاء لكى يحددوا من يعتقدون انه اصلح الاشخاص للقيادة . ففى جماعاتهم المعملية والتى كان هدفها حل مشكلة فى العلاقات الانسانية عن طريق المناقشة قد اكدوا على وظيفة القيادة ذات المهام والواجبات ، كما قيم هذا المعيار بدقة بالغة فى تحديدهم للشخص الذى ادركوه كقائد . وهؤلاء الذين نظر اليهم كقادة هم عادة الذين كانوا يبداون الاتصال ويبادرون به ، ويقدمون الراى والنصح والتوجيه . كما أن تفاعلاتهم يندر أن يغلب عليها الطابع الاجتماعى ـ العاطفى .. كما انه لوحظ اختلافات بين الجماعات المتنوعة التى درست.. والاقتباس التالى يوضح كيف ان تقييم وظائف القيادة المتنوعة تحدد المساهمات القيادية للافراد المختلفين :

« حيث ان الجماعات المختلفة تؤكد مشاكل قيادة المهام والواجبات والمشاكل الاجتماعية والانفعالية بنسب مختلفة ، فان مساهمات القيادة لا تعتمد فقط على اختيار شخص واحد على راس الآخرين ، ولكن ايضا تعتمد على تمييز الضغوط الموضوعة على مشاكل تلك الجماعة ، بواسطتها. ان مشاكل الجماعة يجب بالتالى أن تدرك على أنها بمثابة عوامل ، بثقل وأوزان محددة لها بواسطة الجماعة وفقا لبعض أنواع العناصر من الاتفاق القيمى ، فان أحد الجماعات مثلا قد تنسب القيادة على أسس كبيرة من القدرة على المهام القيادية ، واخرى اقل فى التعاطف والمحبة .. وقد تعكس جماعة اخرى هذه الأوزان. وعموما فان الاتفاق على نسب المساهمات القيادية تبعا لهذا التصور قد يعتمد على ما يلى :

١ ـ حجم الاتفاق الجماعى على الاوزان المحددة « الاتفاق القيمى ».

٢ ـ حجم الاتفاق الجماعى على المعايير والدرجات المعطاة لكل فرد على كل عامل « معدل الاتفاق » .. وبالتالى فانه من المعتقد أن القيادة تتجه الى ربط الفراغ القائم بين الأدوار الأكثر تخصصا ، وربما ايضا تتبدل حسب الزمان .. وذلك تبعا للمشاكل الملحة او القيم الاساسية للجماعة . (١) .

## الظروف التى تساعد على اقصى حد لتمييز الدور :

التفكير فى هذه المسألة يفترض ان درجة تمييز الدور تختلف بصورة مباشرة مع المدى الذى تكون فيه وظائف المهام القيادية غير مكافئة أو مكلفة .

---

(1) Bales, R.F. & P.E. Slater : Ibid, PP. 290 : 91.

فكلما قل الاشباع الذى يخبر فى العمل نحو هدف ما ، كلما تطلب ذلك ارتفاع التكاليف وكلما تركزت وظائف مهام القيادة الاجتماعية والعاطفية فى أشخاص مختلفة . ان المكافآت تكون منخفضة عندما يكون نجاح مهمة القيادة غير مرتبطة بحاجات الجماعة . كما أن التكاليف تكون مرتفعة حين يعترض الاعضاء على كل من اهمية المهمة القيادية وكيفية انجازها . وبصورة مماثلة نجد التكاليف تميل الى الارتفاع ، الى حد ان محاولات التأثير بين اعضاء الجماعة قد تكون فى جزء كبير منها ذات صبغة شخصية . وعموما فان هذه الظروف عادة ما تسود فى جماعات حيث نجد التعاطف والمناصب والقوة وهياكل الاتصال غير متطورة ، وحيث يوجد وفاق واتفاق بسيط على القيم ، وعلى الأنشطة الملائمة والمتناسبة ، أو على حقائق الموقف ، وكيفية تقييم الحقائق .

وهذه الافتراضات يمكننا تأملها عن طريق فحص الحالات حيث يكون تمييز الدور قد تم لها الى اقصى درجة ، أو لم يتم . ولقد اثبت فيربا Verba (١٩٦١) ان المجموعات الصغيرة المؤقتة التى درسها بيلز Bales وزملائه قد اعطت ظروفا ادت بصورة خاصة الى عملية تمييز الدور . فللوصول الى حل مشترك لمشكلة افتراضية فى العلاقات الانسانية يمكن ان يتوقع اثاره خلافات فى الآراء بسبب اختلاف القيم . وفى نفس الوقت فان الجو التجريبى الابوى لا يحث على الاحتواء بدرجة عالية فى المهمة القيادية ، وبالتالى فان مجهودات مهام القيادة المبذولة من قبل القائد لن تقدر كما يجب .

وبالاضافة الى ذلك ، فان تلك الجماعات التى بدون قائد ، كانت مكونة من طلبة جامعيين ذوى توقعات ضعيفة ، وكانوا غرباء عن صفات المركز ( كالسن والجنس .. الخ ) وبالتالى اعطوا اسسا ضعيفة للتميز ، وعلى ذلك فان محاولات افتراض قيادة معينة لن يكون لها الا سندا ضعيفا ، أو مدعمة بقدر ضئيل من قبل خصائص المركز ، أو من بناء جماعى راسخ . ان الدراسات التجريبية لانبثاق القادة ، وللقادة فى الجماعات ذات البناء الراسخ ، أوضحت الى ان القادة الراسخون established leaders, عادة ما يكونون اقل مباشرة وتوجيها ، ويثيرون مقاومة أقل من جانب التابعين اذا ما قورنوا بقادة الظروف الطارئة . ويشير فيربا Verba الى النتائج الآتية :

« فى احدى تجاربة ، جمع الاشخاص الذين لا يقيمون ضبط العلاقات الشخصية المتداخلة تقييما عاليا ، جمعت فى جماعات حيث لا نجد مثل هذه الضبط ، فان الاعضاء غير معروفين لبعضهم البعض ، وليس لهم

خلافات مراكزية واضحة حتى يكون من المتوقع ان يبذل احد الاعضاء تأثير اكبر على الجماعة عن الاخرين . وتحت هذه الظروف فلا عجب ان العضو الاكثر نشاطا بين اعضاء الجماعة وحتى ولو ساهم بأفضل ما لديه نحو أداء الجماعة ، فانه قد يتعرض للرفض والنبذ من قبل الجماعة بناء على المعيار الانفعالي ــ الاجتماعي . كما ان محاولات ضبطه ومراقبته ينظر اليها على انها جائرة متسلطة وعلى انها بمثابة تحديات شخصية مباشرة . كما أن مثل هذه التوجيهات قد تثير ردود فعل سلبية . وكما يشير اليها فرانك Frank ان مقاومة نشاط ما تثار على الفور اذا تضمنت الأذعان لمطالب شخص جائر آخر ؛ وهـذا بالتالي معادل للتهر الشخصي او الهزيمة الشخصية .. » (1) .

وهذه التعليقات يجب الا تفسر لتعني ان تمييز الدور سوف لا يواجه في جماعات راسخة البناء خارج الجو المعملي . ان الخبرة اليومية وكذلك الدراسات التجريبية أوضحت أن تمييز الدور يحدث بالفعل في جماعات راسخة رسمية .. وذلك تحت ظروف واحوال مختلفة . ويشير الى ذلك زيلدتش Zelditch (١٩٥٥) ، وجروسكي Grusky (١٩٥٧) . ففي الجماعات الراسخة الرسمية ( في المواقف الطبيعية . نجد ان انقسام او تشعب الادوار قد يكون متوقعا ؛ حيث يختلف القائد واعضاء الجماعة الاخرين في التورط أو الاحتواء بمهام القيادة ، وفي وجهات نظرهم لكيفية توجية المهام القيادية . ففي الجماعات الصناعية فان القائد الرئيس بفضل وضعه في نظام الادارة الهيرارشي عادة ما يكون اكثر احتواء او تأثيرا في انجاز المهام ، وبالتالي فانه يرى موقف العمل بصورةمختلفةعمايراها العامل عليه . وتحتهذه الظروف فان القادة غير الرسميين ليس بمستغرب أن يؤدون في الاغلب الوظيفة الانفعالية الاجتماعية . وفي الحقيقة ، فان سلسلة واسعة من الظروف يمكن ان تخلق اختلافات في الاتجاهات والقيم بين مهمة القائد واتباعه ، وبالتالي تشجع ظهور قائد اجتماعي انفعالي .

ومن ناحية اخرى فان اي مجموعة من الظروف التي تخفض هـذه الاختلافات وتقلل منها ؛ تزيد من احتمال ان شخصا واحدا سيكون قادرا على تحمل هاتين الوظيفتين . وتشير عديد من الدراسات انه حيثما تضع الظروف اي من الانجازات القيادية ، أو حل المشاكل الانفعالية لجميع اعضاء الجماعة في صورة بارزة واضحة ؛ فاننا نجد الشخص الذي يقود

---

(1) Verba, S. : Small groups and Political behavior, A study of leadership, New York, Princeton Un. Press, 1961, PP. 169 : 170.

الطريق لحل هذه المشكلة الواضحة البارزة سيكون بالتالى محبوبا ، كما أن احتمال انقسام الدورين سيقل ويضعف بالتالى ، وذلك كما يشير ماركوس Marcus (١٩٦٠) وتورك Turk (١٩٦١) . كما ان العداء نحو القائد وتمييز الدور يتعرضان كذلك للانخفاض والتقليل . حيث نجد اسلوب القيادة يشجع التوزيع الواسع للاعمال القيادية حتى لا يصبح شخصا واحدا هو الهدف الوحيد للعداء ، لان عائد الانتاج او تكلفته تنخفض وتقلل عن طريق هذه الاعمال . وهكذا فان القائد الديمقراطى هو الذى يشجع توزيع المسئولية والمشاركة فى القـــرارات وحسب ما يشـــير الى ذلك كل من ثيبوت Thibaut وكيلى Kelley (١٩٥٩) حتى يستطيع القائد ان يحمل كل من الدورين الانفعالى والاجتماعى ،ودور الواجب او المهمة القيادية .

## شرعية القيادة وصحتها :

ان اهتمامنا بانماط القيادة فى الاجـــواء المعملية ، لا يؤدى بنا الى تجاهل حل مشكلة التوازن التى تنشأ فى الجماعات التى نجدها خارج المعمل وعبر فترة من الوقت . وكما أشرنا سابقا ، حيث ان التكاليف التى يتعرض لها اعضاء الجماعة تدرك على انها تعزى للافعال الشخصية لقائد المهـــام والواجبات ، فاننا نجد ان العداء غالبا ما يوجه نحـــوه . ويشير ثيبوت Thibaut وكيلى Kelley الى انه عندما يدرك اعضاء الجماعة بأن المحاولات القيادية للقائد شرعية صحيحة ، فان ردود الفعل العدوانيـــة نادرا ما تحدث .. ويضـــع فيربا Verba (١٩٦١) التعليق التالى على هذه الفكرة :

« ان احد اكثر الطرق تأثيرا والتى تكتسب من خلالها الأجهزة الادارية لقائد الجماعة الشرعية ، كما يتجنب ان يعاملوا على انها شخصية . كمـــا يوجد تحديات تحكمية لاعضاء الجماعة هو ان يدرك القائد على انه يعمل لا كشـــخص ولكن كنائب او ممثل لبعض القوة الاعتبارية مثل « مطالب الموقف » او تقاليد ومعايير الجماعة . ان استدعاء بعض السلطات الخارجية بواسطة قائد الجماعة يحرر الاتباع من عبء قبول قيادة وضبط شخص آخر . واوضح ثيبوت وكيلى فى دراستهما عن علاقات السلطة ، اشاروا الى ان معايير الجماعة لها تأثير فى خفض التوتر بين العضو الاكثر قـــوة ونفوذا ، والعضو الاقل سلطة ونفوذا . ان تجريد التوقعات السلوكية من الاعتبارات الشخصية بواسطة تبنى المعايير يجعل تأثير العلاقات بين عضو الجماعة الاكثر نفوذا والاقل نفوذا اكثر استقرارا واكثر استساغة لكليهما . وبالنسبة للعضو الاقل نفوذا . فان استخدام الضوابط بدون قاعدة معيارية ، تجعل تلك الضغوط تعسفية جائرة وتقود الى مقاومة من جانبه . فبالنسبة للعضو الاكثرنفوذافى جماعة الدايد Dyaol فان استخدام الضوابط سيكون أيضا

غير مرضي وغير سار • انه يجب عليه اما ان يقلل من سلطة الضبط المعترض عليها ( وقد يعرض الانجازات نحو هدف الجماعة للخطر ) • او يخاطر بردود الفعل السلبية للعضو الاخر • وهكذا فان ممارسة السلطة عن طريق مجموعة من المعايير التى تجعل السلطة شرعية ، اوتعطى شرعية لها •• يعتبر بمثابة مصلحة لكل من القائد والتابع » (١) •

واحد الطرق التى من خلالها تكتسب افعال القائد على الشرعية ـ يكون من خلال الاعتراف الرسمى بدوره القيادى • ولقد تأكد ذلك على ايدى كل من رافين Ravin وفرنش French (١٩٥٨) حيث قاما بتجـــربة انتخب فيها احد الروساء ، فى مجموعة ، وعين الاخر بواسطة المختبر • وتحت هذه الظروف وجد ان الرئيس المنتخب ، والذى قد عرف على انه ذو سلطة شرعية اكبر ، اتضـــح انه يؤثر على جماعة العمل اكثر من الرئيس غير المنتخب ( او المعين ) • (٢)

ولقد اشارت نتائج دراسة هورويتز Worwitz (١٩٦٣) اجريت فى موقف الفصل الدراسى الى ان اثاره العـــداء نحو المدرس كان وظيفة مباشرة الى المدى الذى خالف فيه التوقعات الشرعية لدى الطلاب وذلك باتباع وتطبيق ميوله ورغباته اكثر من ميول ورغبات الطلبة • ففى احدى الفصول اعطيت التعليمات لعمل اشكال مصنوعة من الورق بصورة سريعة ليس من السهل معرفتها جيدا • واخذت الاصوات بعد ذلك لمعرفة عما اذا كانوا يريدون اعادة الشرح أم لا • وفى حالة المدرس المركزى فقد جعل الطلبة يتوقعون ان صوت المدرس له وزن يساوى ضعف وزن ما للجماعة ، اما فى حالة الطالب المركـــزى Student-Centered condition جعل الطلبة يتوقعون أن صوت المدرس له وزن يساوى فقط ربع وزن ما للجماعة • واهمل التصويت الذى ايد الرغبة فى الاستمرار او اعادة شرح التعليمات • كما كانت الاصوات تذاع بالترتيب حتى أن المدرس فضل الانتقال الى الموضوع التالى ، ولكن الجماعة فضلت اعادة شرح التعليمات الخاصة بعمل الاشكال المصنوعة من الورق •

وعموما فان النتائج اشارت الى ان الاستمرار كان شرعيا فى جماعة المدرس المركزى ، وذلك بسبب الوزن غير العـــادى الذى اعطى فى تقييم المدرس • اما فى جماعة الطالب المركزى ، فان استمرار شرح التعليمات يعنى ان المدرس كان متعسفا بتخفيض وتقليل التقرير المعطى لرغبات الطلاب

(1) Ibid, PP. 172 : 173.

(2) Raven, B. & J. French : Group support, legitimate power, and social influence, J. person. 1958, 26, PP. 400 : 409.

بالنسبة للوزن المعطى له ، ويدرك هذا التصرف على انه تصرف غير شرعى . ونلاحظ أن عداء اكبر نحو المدرس قد عبر عنه تحت هذه الظروف ، كما حددت عن طريق تقييمات الطلبة للمدرس . والتى جمعها المختبر .

نمط اخر من المعايير الاجتماعية يحمى القائد ذوى المهام والمناصب من التاثيرات النفسية نتيجة سحب الدافع الايجابى . ومع الوقت نرى ان المعايير تتكون لتشجع درجة التباعد الاجتماعى بين القائد ومعظم تابعيه . وبالتالى يمنع نمو وتكوين الاعتماد الانفعالى للقائد على جميع تابعيه ، ويقتصر ذلك على القليل منهم . وبالتالى فان ذلك يسمح له فى تحمل مسئولياته القيادية بدون ان يخبر خبرات مؤلمة من الاستبعاد الانفعالى العاطفى التى يواجهها .

وكما يشير لنا هومانز Homans (١٩٦١) ، بانه يجب ان يقام التمييز بين الحب والتقدير . فعادة ما يكون القادة محترمين خاصة اذا ما اكتسبوا الاحترام من خلال القيادة الماهرة الحكيمة ، ولكنهم غالبا ما يكونوا محبوبين بصورة اقل . فالى الدرجة التى يكون فيها قائد المهمة أو المنصب ناجحا فى منح الجماعة مكافئات كثيرة ، بقدر ما نراه محبوبا . ومع ذلك فاننا نلاحظ على المدى الطويل ان تحكمة على المكافئات والتكاليف التى يتلقاها اعضاء الجماعة وأصحاب المنزلة الرفيعة من رجالة .. من المحتمل أن تولد مشاعر واحاسيس العداء نحوه (١) .

جملة القول فان ظاهرة تخصيص القيادة ، سواء كانت قيادة من النوع الاجتماعى والانفعالى أو قيادة مهام ومناصب معينة ، هذه الظاهرة كثيرا ما تحدث فى الجماعات وتتمثل فى الظهور الطارىء او المفاجىء لقائد المهام القيادية أو لاخصائى الراى والفكر ومن ناحية اخرى القائد المختص بالمهام الانفعالية والاجتماعية ، حيث نجد أخصائى المهام القيادية يوجه وينظم نشاطات الاعضاء لكى يكون هناك تمركز على انجاز أهداف الجماعة وبأقصى كفاءة ممكنة . اما الأخصائى العاطفى الاجتماعى عادة ما يرفع الروح المعنوية ويخفض التوتر الناشىء من انشطة أعمال الجماعة . وهذين الاخصائين يساعدان على حفظ الجماعة فى حالة من الاتزان ، كما أن التحرك نحو انجاز المهام القيادية فى الجماعات تحبط الحاجات وتفرض أو تستهدف تكاليف اخرى ، ولذلك نجد بعض القوى تنبعث لتوجيه انشطة الجماعة بعيدا عن المهام القيادية ونحو التعامل مع هذه الحاجات ونحو التخفيض او التعويض لهذه التكاليف . ونجد أن الأخصائى الانفعالى الاجتماعى من خلال الرعاية

---

(1) Horwitz, M.: Hostility and its management in clasroom group : IN, W. Charters & N. Gage (Eds.) : Readings in social psychology of education, New York, Allyn & Bacon INC, 1963, PP. 196 : 211.

والمزاح والتشجيع ، او من خلال توليد روح المرح يساعد على تبديد هذه القوى المحولة .

ومن النادر ان نجد اخصائى المهام القيادية احب عضو فى الجماعة . حيث ان دوره ينصب فى تركيز جهود الاعضاء الاخرين على الانجاز الشاق ، ويولد ذلك من حين لآخر العداء نحوه . ومن اجل الاداء المناسب نجده لا يستطيع ان يعتمد انفعاليا او عاطفيا على الاعضاء الاخرين لدرجة ان يصبح غير قادر على ممارسة السلطة عليهم . وينعكس ذلك فى محبته المنتخبة الى حد كبير لبعض الاعضاء اذا قورن مع الاخصائى الانفعالى الاجتماعى الذى يحب الآخرين بشده وبمساواة تامة .

ويختلف تمييز الدور بصورة مباشرة مع المدى الذى تكون فيه وظائف المهمة القيادية غير مجزية او باهظة التكاليف . ومن المحتمل ان تتصاعد فى جماعات حيث التكلف والتصنع والمركز والسلطة وهياكل الاتصال لم تتطور نسبيا وحيث يوجد اتفاق ضئيل على القيم وعلى تناسب الانشطة أو على حقائق الموقف وكيف يمكن تقييم هذه الحقائق . أما فى الجماعات الراسخة حيث تكون سلطة القائد ذو قواعد شرعية فى معظمها ، ومشاعر العداء وردود الفعل السلبية نحوه تكون منخفضة نوعا ما . كما ان مطالبة لا ينظر اليها على انها ناشئة من بعض الحاجات الشخصية او التعسفية التحكمية ، ولكنها من مطالب الموقف أو من معايير الجماعة .

كما أن احتمال انقسام القيادة او تفرعها تكون بصورة اقل حيث تجعل الظروف اى من انجازات المهمة القيادية ، او حل المشاكل الانفعالية البارزة لجميع اعضاء الجماعة . وفى هذه الحالة . فان الشخص الذى يساهم فى هذا العمل البارز قد يصبح محبوبا من التابعين . كما ان هناك عامل آخر يخفض من العداء ويقلل منه نحو قائد المهام والواجبات وهو توزيع المسئوليات والمشاركة فى وضع القرارات ، حتى لا يصبح ثمة شخص واحد هو الهدف الوحيد للعداء .

## تقسيم الدور والنظرية التبادلية

تشير النظرية التبادلية عما اذا كان الشخص الذى يتقلد مهام لقيادة ووظائفها ، يعتمد على نتائج المكافاة والتكلفة Reward-Cost outcomes التى تخبر بواسطته وبواسطة اتباعه . ان المكافآت والتكاليف يجب ان تكون

وظيفة متطلبات الموقف الخارجى ، مثل طبيعة مهمة القيادة التى تواجه الجماعة . وصـــــفات الشخص واتباعه ، وحاجاته وحاجاتهم ، ومهاراته ومهاراتهم ، ومركزه فى السلطة والهياكل الاتصـــالية ، وفى بعض الأحيان مركزه فى هيكل البناء العاطفى . وسنلقى الضوء فى ثنايا الصفحات التالية على هذه المكافئات والتكاليف القيادية .

**المكافات والتكاليف التى يخبرها القائد :**

مكافات القيادة لها شقين ، وذات مظهر ثنائى هما :

( أ ) الشق الأول يتمثل فى الرضا والاشباع الذى يحصل عليه نتيجة انجاز مهمة قيادية ناجحة .

(ب) والشق الاخر يتمثل فى المكافات التى يجنيها من النشـــــاط القيادى فى حد ذاته . وهذه تشتمل اشباع حاجات الانجاز والســــيادة بالاضافة الى حاجات انفعالية واجتماعية أخرى .

كما أن الاشخاص الذين يتولون القيادة عادة ما يجلبون على انفسهم عددا من التكاليف ، فبالاضافة الى الجهد الذى يبذل مباشرة فى انشطة مرتبطة بالهدف الجماعى ، فان القائد يمر بخبرات ويخبر تكاليف على شـــكل توترات تنشأ من ضرورة العمل كمنوذج وكقدوة لسلوك الجماعة .

وثمة تكاليف اخرى تتضمن القلق الذى يفـــرضه الاحتمال الدائم للفشل ، ومعارضته وصده فى محاولاته للقيام بمهام القيادة وما يترتب على ذلك من فقدان للمنصب واللوم ، بالاضافة الى الشعور بالذنب عندما تفشل قيادته ويجر على جماعته الفشل . وأخيرا وحيث أن سلوكه عرضه للتأثير بصورة عكسية لنتائج المكافأة والتكاليف للاعضاء الأخرين ، فانه يواجه تكلفة فقد صداقتهم . كما أنه يخاطر ليس فقط بمركزه ومنصبه ولكن بالاضافة بشعبيته وشهرته . اى انه مرتبط بصـــورة كبيرة بتكلفة الوحدة والتفرد . فالقائد غالبا ما يتجنب ليس فقط لانه يتعرض للعداء ولكن ايضا بسبب سلطته : فالاخرون يعتبرون التعامل معه أمر مشوب بالمخاطرة على أساس نتائج المكافئة والتكلفة المحتملة .

**ـ مكافات وتكاليف الاتباع :**

ان اتباع القائد له مكافات عديدة يمكن ايجازها فيمّا يلى :

١ ـ انجاز الهدف ، غالبا ما يريد الاتباع ان يقادوا ، لانهم يدركون انهم بدون قيـــادة ، فان أهداف الجمـــاعة لن تنجز .

٢ ـ ومثلما تشبع بعض الحاجات الشخصية عن طريق القيادة ٠٠ فان ثمة حاجات شخصية اخرى تشبع عن طريق التبعية ، فالحاجات الاعتمادية تقابل وتشبع مباشرة باتباع القائد ٠ فاذا كان القائد له صفات قيمية عالية ، فثمة حاجات اخرى تشبع بالنيابة من خلال التقمص لصفاته او التماثل والتطابق معه ٠ ويكون هذا المبدا وراء عملية تمجيد القائد والتى عادة ما تحدث فى جماعات كثيرة ٠

٣ ـ كما ان احد المكافآت التى يحصل عليها التابع تتمثل فى التكاليف المتجاوز عنها او المعفية ٠ فعن طريق تقبل دور التابع فانه يتخلص من قلق المخاطرة والفشل فى دور القيادة واللوم الذى ينصب على القائد عند وقوع الفشل ٠

كما ان تكاليف التابع يتمثل فى المنصب او المنزلة الادنى التى يشغلها ٠ ففى بعض الجماعات ـ مثلا جماعات العمل ـ فان العامل التابع يتلقى اجرا اقل ، كما ان التابع لديه تحكم وضبط اقل على انشطة الجماعة ولاعضاء معينين اخرين ٠ كما انه يمنع او يتجاوز عن الاشباع الداخلى الذى قد يحصل عليه لو كان يشغل منصبا قياديا ٠ كما انه عادة ما يوكل اليه بأعمال روتينية غير براقة ٠

## ـ المحددات الموقعية للقيادة :

ان المكافآت والاعباء المصاحبة لسلوك القادة والاتباع هى جزئيا وظيفة المتطلبات الموقفية المفروضة ٠ وتشير عدد من الدراسات انه اذا كانت تكاليف البطالة فى مقابل المتطلبات الموقفية تكون كبيرة بدرجة كافية ، فان اعضاء الجماعة سيستجيبون بالسلوك المناسب ٠ وهكذا ففى الجماعات الأولية والتى تكون بلا قائد درست فى المعمل ، او لدى جماعات دراسية فى مواقف طبيعية حيث فيها قائد راسخ يفشل فى تحمل أعباء القيادة ، فان اعضاء معينين سينهضون الى هذه الفرصة ٠ فأى من الانواع السلوكية ستحدث ومن الذى سيؤديها فهذا جزئيا سيملى بواسطة متطلبات الموقف ٠ ويشير باركر Parker (١٩٥٨) الى ان اخصائى النواحى العاطفية والاجتماعية فى جماعة مرضى مستشفى عقليا عادة ما يكون اكثر قابلية لممارسة القيادة عندما يتطور الصراع بين المرضى (١) ٠

(1) Parkers, S. : Leadership patterns in a psychiatric ward, Jour. Human relation, 1958, 11, PP. 287 : 290.

كما نجد بيلز وسترودنيك Bales & Strodtbeck (١٩٥١) يشيران الى انه عندما تبدأ الجماعة فى حل مشكلة ، فان الاعضاء يستجيبون بسلوك مناسب نحو المشكلة التى تواجهها الجماعة عند هذا الجانب المحـــدد من العملية (١) .

ومن سيستجيب فان ذلك يتوقف على المكافآت والتكاليف الناشئة من التداخل بين متطلبات الموقف وصفات الافراد . ان توزيع المهارات يؤثر على تكاليف الأعضاء : فهؤلاء الذين يتطلبون مهـــارات ندرجة اعلى يمكن ان يستجيبوا بتكاليف اقل لانفسهم اكثر منذوى المهارات الاقل . والدراسات التى أظهرت تبديل القيادة مع تغير طبيعة المهمة القيادية تؤيد هـــذه الملاحظة . فمثلا فى احدى الدراسات ، فلقد لوحظت جماعة معينة تؤدى ستة مهام مختلفة ، كما أن تقديرات القيادة وتقييمات القيادة لكل عضو فى كل موقف ووضع وظيفى قد حصل عليه .. ولقد حللت هذه البيانات احصائيا لتحديد وظائف القيادة الاساسية والتى تتضمنها مهام محددة .. واشارت البيانات الى ان هناك فصيلتين او عائلتين من الواجبات والمهـــام الضمنية الاساسية للقيادة فى الجماعة . أحدهما كان متصفا بالقدرة على القيادة فى المواقف العقلية ( العلمية ) والاخرى على القيادة فى المواقف المهنية .

كما ان المواقف التى تدعو الى اهتمامات مختلفة تعطى ايضـــا نتائج المكافة والتكلفة لاعضاء يتقلدون منصب القيادة ، فقد يظهر اشخاص اخرون غير المعينين للقيادة ليؤدوا وظائف قيادية مرتبطة بمشاكل محددة والتى لهم فيها اهتمامات خاصة (٢) .

## صفات الشخصية والسلوك القيادى :

ذكرنا فى بداية هذا الفصل ان دراسة الفروق الفردية بين القـــادة وغير القادة لم تثبت انها مثمرة بصورة عالية .. وهذه النتيجة يجب الا تفسر على انها تعنى ان توزيع القيادة بين الاعضاء ليس له علاقة بشخصياتهم . فعلى الرغم انه لا توجد سمات شخصية تضمن القيادة فى جميع المواقف ، الا ان دراسة التكرار النسبى للصفات المختلفة لكل من القادة والاتباع ،

(1) Balés, R.F. & Strodtbeck : Phases in group problem solving. J. soc. psy. 1951, 64, PP. 485 : 495.

(2) Crockett, W. H. : Emergent leadership in small decision making groups, J. abn. soc. psy. 1955, 51, PP. 378 : 383.

بالاضافة الى دراسات عمومية او محدودية القيادة من موقف الى أخر ومن جماعة الى اخرى ، تشير الى ان صفا تشخصية معينة تزيد من احتمال ان يتخذ شخصا ما دور القائد او يتخذ اخر دور التابع فى مواقف واسعة متنوعة . وهذا حقيقى ، خاصة اذا كان فى استطاعتنا مقـــارنة الانماط السلوكية القيادية .

وعموما فان هناك عديدا من الدراسات اشارت الى أن القيادة لها بعض التعميمات عبر المهام المختلفة ، كما اشار الى ذلك جيب Gibb (١٩٥٤) (١) وكيتز وال Katz et al (١٩٥٧) . كمـــا ان الكم الاكبر من التعميم عبر المهام القيادية ، يحـــدث عادة عندما يكون لهذه المهام مضمون ومحتوى مترابط ، كما اشار الى ذلك كارتر Carter وهيثورن Haythrone وهويل Howell (١٩٥٠) فى دراســـتهم على مجموعة قامت فيها نفس الجماعات بأداء ستة مهام تؤكد انشـــطة مختلفة ، كالبناءات العقلية ، والتفكير ، والمناقشـــة ، التعاون الالى الميكانيكى ، والتجميع الميكانيكى والانشطة الكتابية . ولقد اوضحت التحليلات الاحصائية لتقديرات القيادة بأن هذه المهام تتمركز فى نوعين مختلفين : احدهما كان متصفا بالنشاطات العقلية والاخر بمعالجة الامـــور والتصرف فيها يدويا ، وبداخل كل من النوعين ، فان نفس الاشخاص عادة ما كانوا يعملون كقادة .

كما أن بعض الصفات مثل الذكاء او بعض المهارات العامة مثل الطلاقة اللغوية ، قد تكون مرتبطة بالقيادة فى سلسلة واسعة من المواقف ، حيث ان الاشخاص ذوى هذه الصفات يمكنهم ان يؤدوا بنجاح الانشطة القيادية بتكاليف او اعباء اقل . كما ان دور كل من القائد والتابع قد يكون مرتبطا ، وذلك لان النشاطات التى تتطلبها هذه الادوار تؤدى الى اشباع الحاجات الرئيسية للشخصية .. وكثير من الدراسات الميدانية ايدت هذا الافتراض باشارتها ان القادة يحصلون عادة على درجات معينة فى ثمة خصائص معينة مثل : النفوذ او السيادة والسيطرة .. وهـــذا ما يذهب اليه كل من جويتزكوف Guetzkow (١٩٦٠) (٢) ، وهنتر وبوردن Hunter & (١٩٣٩) ، وريتشارد سون وهانوالت Richardson & Hanwalt (١٩٤٣) ، كما يشير فروم Fromm (١٩٤١) بان الافراد الذين لديهم استعداد لأخذ دور التابع قد يجدون فيها اشباعا لحاجات التبعية القوية لديهم .

---

(1) Gibb, C.A. : leadership, IN G. Lindzey (ed.) hand book of social psychology op. cit., PP. 877 : 920.

(2) Guetzkow, H. : Group dyramic research and theory, New York, Harper & Row pub. (2nd ed.), 1960, PP. 683 : 704.

والدراسات المتنوعة بصورة كبيرة وفى ظروف طبيعية تبين ان قادة المهام والمناصب لجماعات اكثر تأثيرا ، قادرون على ان يتميزوا عن تابعيهم اكثر من القادة فى الجماعات الاقل تأثيرا ولقد قارن كل من بيلز Bales وسلاتر Slater (١٩٥٥) مهام اخصائى المهمة والواجب مع اخصائى النواحى العاطفية والاجتماعية ، واشارت النتائج ان الاخير عادة ما يحب الجميع بصورة كبيرة ومتساوية ، والأول يحب الاخرين بصورة فيها اختيار او انتخاب اكثر . ويفسران هذا الاختلاف بان قائد النواحى العاطفية والاجتماعية يشير الى حاجة قوية الى ان يكون محبوبا بين تابعية .. وفى ذلك يقولان :

« هؤلاء الرجال الاكثر حبا ، يقول فى تأثر ، انا احب كل فرد ، وبالنسبة للدرجات العالية التى حصلوا عليها فى اختبار F. Scale فان ذلك يفترض وجود صرامة أو شده معينة فى اتجاهات اكثر الرجال محبة نحو العلاقات الشخصية المتداخلة . ان عليهم ان يكونوا محبوبين وقد يتوصلوا الى التفوق والرفعة فى هذا الشأن بسبب مهاراتهم الاستعطافية او الاستمالية ingratiating التى اكتسبوها خلال حياتهم للتوصل الى المركز المرغوب . ان تجنبهم التمييز فى التقييم قد يكون تعبيرا عن الطبيعة القهرية وغير المميزة فى هذا النضال .. » (١) .

كما يفسر كل من بيلز وسلاتر الدرجات المنخفضة فى ال F. Scale التى يحصل عليها اخصائى المهام القيادية ، والمحبة المنتخبة لبعض الاعضاء فى الجماعة ، على انها تشير الى قدرة لمواجهة قدرا معينا من المشاعر والاحاسيس السلبية .. وفى ذلك يقولان :

« يبدو أنه لأمر هام لاخصائى المهمة القيادية ان يكون قادرا على مواجهة قدرا معينا من المشاعر والاحاحاسيس السلبية نحوه . بدون التخلى عن دوره ، فان ارادته لعمل اختيارات فى الحب متميزة ، قد يكون اشارة وعلى الاقل الى الحد الادنى فى قدرته لهذا النوع . ان عدم حب كل فرد يتضمن دراية وتقبل للحقيقة بأن كل فرد قد لا يحبه .. » (٢) .

واخيرا ، فان بعض الصفات قد تكون مرتبطة بقادة ما وذلك لان امتلاكهم لها يدفع الأخرين بأن يسمحوا لهم بتولى القيادة . ان طبيعة هذه الصفات يعتمد على نتائج المكافات والتكاليف التى يمنحونها للاتباع . ولقد اوضحت دراسة سانفورد Sanford (١٩٥٢) على انواع القيادة المفضلة

(1) Bales, R. F. & Slater : op. cit., P. 294. ...

(2) Ibid., 295.

عند الاشخاص المتسلطين ، والاشخاص المعتقدين فى المساواه بين الافراد ·
واوجز جيب Gibb نتائج سانفورد فيما يلى :

« لقد وجد ان مؤيدى السلطة المطلقة المتسلطة ، ومؤيدى سلطة المساواة ، يختلفون فى نوع القيادة ، وكذلك فى استجاباتهم لسلوك القائد · ان مؤيدى السلطة المطلقة يفضلون القيادة التى تتحمل مسئوليات المركز والمنصب ، سلطة قوية وتوجية من جانب الرئيس ، ويعبرون عن عدائهم العلنى نحو القادة الضعاف · اما مؤيدى المساواة equalitarian من جانب اخر فهم قادرون على تقبل قيادة قوية اذا تطلب الموقف ذلك ، الا انهم ليسوا فى حاجة الى سلطات قوية مطلقة · ان مؤيدى السلطة المطلقة التسلطية قليلا ما يهتمون بالحرارة أو التعاطف الشخصى مع قائدهم ، ولكنهم يريدون أن يعمل على توجيههم نحو الاهداف الجماعية والشخصية · كما ان المساواتية يميلون الى تقييم القادة على اساس علاقاتهم الانسانية ، وعادة ما يكون مؤيدى التسلط غير راضين وقلقين وغير مشبعين تحت القيادة غير المباشرة · بالاضافة الى أن جماعة المساواتية قد يتوقع ان تنحرف تحت قيادة قائد موجه صارم ·· » (١) ·

جملة القول ، فان القيادة لها بعض العمومية عبر المهام المختلفة ، خاصة ان كانت المهام متشابهة فى المحتوى والمضمون · وعندما يكون تكوين الجماعات التي تؤدى نفس المهمة متنوع ومختلف ، فانه من الممكن لنفس الاشخاص ان يتولوا منصب القيادة فى الجماعات المختلفة ·

كما ان صفات شخصية معينة كالذكاء والطلاقة اللغوية قد تكون مرتبطة وذو علاقة بالقيادة فى مجموعة كبيرة متنوعة من المهام ، وذلك لان هذه المهارات والقدرات غالبا ما تكون وثيقة الصلة بالاداء الناجح · ومن الواضح ان الصفة المميزة التى يمتلكها عديد من قادة المهام والواجبات هى القدرة على الاحتفاظ بالمسافة الانفعالية ( العاطفية ) بين انفسهم والعديد من اتباعهم ، الا اننا نرى من جانب اخر القائد الانفعالى ـ العاطفى الاجتماعى عادة ما تكون لديه رغبة قوية فى ان يكون محبوبا من قبل جميع اعضاء الجماعة · واخيرا فان صفات معينة لدى الاتباع تؤيد الاشخاص الذين يستطيعون ان يحققوا نتائج عالية للمكافاة والتكلفة كقادة لهم ·

ولاحظ بيرد Bird (١٩٤٠) بعد ان استعرض ما يقرب من عشرين دراسة تمت على جماعات من الطلاب ، ان هناك ٧٩ سمه مختلفة كانت تعزى فيها الى القادة · ولم يكن هناك اى اتفاق تقريبا بين الباحثين ··

---

(1) Gibb, A. : Op. cit., P. 901.

كما يخلص جولدنجر Gouldner (١٩٥٠) ايضا فى تحليلة للكتب والدراسات التى وكزت على هذه المشكلة ، ان المحاولات التى تمت لاكتشاف السمات المقترنة عادة بالقيادة قد باءت حتى الان بالفشل ، ويجب كما تقول جينينكز Jennings (١٩٤٣) فى ابحاثها الخاصة حول موضوع القيادة عند المراهقات « يجب ان نتساءل فى اى مجال تمارس القيادة ؟ وعلى من تمارس ؟ وفى اى نوع من الجماعات ؟ .

ولا يعني هذا كله انه لا يوجد ادنى علاقة بين القيادة فى موقف وبينها فى موقف اخر أو فيجماعتين مختلفتين ، اذ يذكر كارتر ونيكسون Carter & Nixon (١٩٤٩) انهما لاحظا علاقة ترابط هى + ٦٤ . بين القيادة فى الاعمال العقلية وفى الاعمال المكتبية ، وعدا ذلك فانه كانت هناك علاقة ضئيلة جدا بين القيادة فى جملة اعمال من هذا النوع وبين القيادة الملاحظة فى انتخاب لجنة ادارة النوادى او جماعات أوقات الفراغ مثلا (١) .

اما دور القيادة فى الاحداث الجماعية ، فقد تم البرهان عليه فى الدراسة الهامة التى قام بها ليفين Lewin وليبت Lippit وهويت white (١٩٣٩) ، حول مختلف اشكال السلوك التى تظهر فى مختلف « الاجواء الاجتماعية » التى تم تدبيرها تجريبيا . وكانت هذه الاجواء التى تختلف بعضها عن بعض فى طبيعة القيادة . تشتمل على النماذج الثلاثة الآتية :

١ ــ القيادة التسلطية .

٢ ــ القيادة الديمقراطية .

٣ ــ القيادة السلبية .

ولقد انشأ الباحثون نواد من صغار الفتيان اوخى فيها بينهم منذ البداية . ثم وضعوا فى احد الجماعات التجريبية الثلاثة .

---

(1) Carter, L. F. & other : Investig ition of the relationship between four Criteria of leaderships ability for three different task, J. psy. 1949, 27, PP. 245 : 261.

ففى الجماعة ذى القيادة الاستبدادية ، فقد كان القائد هو الذى يعين اتجاهات السلوك ، بالاضافة الى تحديدة الاساليب والتفاعلات واحدة بعد اخرى . بحيث ان الاتباع كانوا دائما يجهلون طبيعة المرحلة التالية من اعمالهم .. وكان هذا القائد الديكتاتورى لا يساهم بنفسه فى نشاطات الجماعة الا عندما كان عليه ان يقول للاخرين كيف يجب ان يعملوا .

أما فى الجماعة الديمقراطية ، فان اتجاه السلوك كان يتم ويقـــرر بعد مناقشة بين اعضاء الجماعة ، وكان الاعضاء احرارا في العمل مع من يريدون من رفاقهم ، وكان تقسيم العمل يتقرر داخل الجماعة نفسها .

اما الجماعة الثالثة ، فقد كانت حرية العمل كاملة ، وكان القائد يقدم بعض المعلومات ، الا انه لا يساهم اية مساهمة فى مناقشات الجماعة . وكان الباحثون يراقبون اختلاف سمات شخصية الفتيان ، عند نقلهم بالتتابع من جو استبدادى الى جو ديمقراطى ، والعكس . وكذلك لوحظ تمثيل دورى القائد المستبد والديمقراطى مرة واحدة على الاقل .

ولوحظ ان العداء فى الجو الاستبدادى فى احدى هذه التجارب ، قد بلغ مقدارا يزيد على ثلاثين ضعف ما بلغه فى الجو الديمقراطى . وكان العدوان يتجه بصورة خاصة الى عضوين من الجماعة اعتبر كل منهما بالتتابع « كبش الفداء » ، ولم يتجه مطلقا الى القائد المستبد . أما فى التجربة الثانية ، فقد تضاءل العدوان لدى فتيان الجماعة الاستبدادية الا ان سلوكهم كان يتسم بالخمول والكسل . ولقد عزى هذا التضاءل فى العدوان الى اثر القائد المستبد القامع . غير انه لوحظ ان فتيان هذه الجماعة قد تفجروا عدوانا لدى انتقالهم الى جو اغنى بالحرية ، وكان العدوان يزداد بقوة كلما اراد القائد المستبد ان يترك الحجرة واشارت النتائج أن ١٩ فتى من ٢٠ فضل القائد الديمقراطى على القائد المستبد ، وفضل ٧ ر القائد المستبد على القائد الديمقراطى (١) .

وعموما فان هذه الدراسة لها اهمية خاصة ، لانها اخضعت للبحث التجريبى بعض الافتراضات التى اخذ بها بعض الباحثين حول كيفية تاثير نماذج القيادة على سلوك الافراد . وعادة ما يلاحظ المختصون بالدراسات السياسية ، أن المستبدين الفاشـــيين كثيرا ما يتمييزون بظهور « كبش

(1) Lewin, K. A. & Lippit, R. & White, R.K. : Patterns of aggresive behavior in experimentally created "social climates" J. soc. psy. 1939, 10, PP. 271 : 299.

الفداء » حيث يعتبر هو المسئول عن كل المآسى وكشفت هـذه الدراسة أن الميكانزمات أو الالية التى تنتج « كبش الفداء » ، تحـدث ولو كنا فى ديكتاتورية مصطنعة من هذا النوع . ومع انه ليس من اختصاص دارس علم النفس الاجتماعى ان يصدر « احكاما قيمية » فان تفـوق المجتمع الاستبدادى شىء تجدر الاشارة اليه كنتيجة من نتائج هذه الدراسة .

## تأثيرات بناء الجماعة على القيادة

ان مناقشتنا السابقة قد اكدت على عدة نقـاط ، يمكن ايجازهـا فيما يلى :

١ ـ الاشخاص الذين يمارسون سلوك القيادة ، يجب أن يكون سلوكهم القيادى يعطى نتائج مكافأة ـ التكلفة بدرجة مناسبة لكل من القائد والتابع .

٢ ـ وتبعا لمتطلبات الموقف ، فان هؤلاء الذين لهم قدرات متناسبة ، وميول وحاجات متفقة مع هذه المتطلبات ، عادة ما يتقلدون المنـاصب القيادية أكثر من الآخرين .

٣ ـ يرجع استقرار القيادة وثباتها الى ما يمتلكه القائد من صـفات ذات تضمينات مماثلة فى مجموعة جد متنوعة من المواقف .

واذا كان لنا أن نهتم بصورة شاملة بالجماعات المعملية ، وحيث ان وجودها عادة ما يدوم لفترة قصيرة ، فان هذه العوامل المتعددة تلقى الضوء وبصورة مناسبة لمـاذا نجـد بعض الشخصيات تعمل على استبقاء القيادة لفترة طويلة من الوقت . ففى الجماعات التى قامت بالعمل لفترة طويلة كافية من الوقت لتكوين بناءات مستقرة ونظم معينة ، فان الجزء الكبير من الاستقرار الذى يسود بين تابعى القائد يمكن تفسيره بصورة أخرى . وربما نتفهم ذلك بصورة اكبر اذا سألنا انفسنا : لماذا تستمر علاقة القائد والتابع التى تظهر فى احد المواقف الى مواقف اخرى جديدة .

ويوجد جزء من الاجابة فى الحقيقة ، بأن نموذج المكافأة المتبادلة فى الموقف السابق قد خلق استقرار معينا من الاتصال والسلطة والهياكل الوظيفية التى تقوى وتدعم أنماط القيادة الراسخة . ويشـير كلاين Klein (١٩٥٦) فى هذا الصدد الى أن عادات الاتصال التى تستخدم لحل سلسلة من المشاكل المتشابهة تحمل كذلك الى الموقف المتصف بالمشاكل الجديدة .. ويستطرد كلاين بقوله :

« لنفترض انه فى تاريخ جماعة معينة ، نجـــد ان نفس المشكلة تنشأ بصفة متكررة . ففى تلك الحالة فان الصورة التى تتوالى فيهـــا المساهمات القيادية تميل لان تصبح عادة او من الأمور العادية . فانه سيصبح عاديا لدى أعضاء معينين أن يتكلموا قبل أن يتكمل الآخرين ، ( نعلى جاك ان ينتظر حتى يفرغ جون من كلامه ) ، بهذه الطـــريقة تحدث القيود فى المعاملات او الاتصالات الحرة . كما ان الحاجة للترتيب والتنظيم ، والتنبؤ بالسلوك تزيد من تعميق هذا الميل نحو الاتصال والتعامل المتيد . وبمجرد ان يصبح مثل هذا النظام مستقرا راسخا ، فانه يميل الى البقاء ســواء كانت المهمة القيادية نظامية ام لا ، وعلى ذلك فقد يصبح البناء الاتصالى مستقلا عن المشكلة المطلوب حلها . (١) »

وكما يشير بعض الباحثين ان الأداء الناجح لنشاط ما ، يســهم فى انجاز هدف الجماعة ، ويعلى من منزلة الشخص «بارسونز Parsons وبيلز Bales وشيلز Shils (١٩٥٣) . وبمجرد ان يستقر البناء الوظيفى ، ذو المنصب الرفيـــع المخصص لهؤلاء الاشخاص الذين يمارسون مهام القيادة فانه يميل للاستمرار . وبسبب الرغبة فى المحافظة على الاتساق الوظيفى . فان هؤلاء الذين لهم منزلة رفيعة ناتجة عن مشاركتهم النشاط فى احدى الجماعات سيكون لديهم دافعية قوية لممارســة دورا نشطا فى نشاطات جماعة اخرى .

ان عملية الاتصال والبناءات الوظيفية تتبادل تدعيم بعضها البعض وهى بدورها مرتبطة بالقوة « السلطة » وبالأحرى بصورة او بنمط مركب ، فالمركز او المنصب غالبا ما يكون مصدرا يضاف لسلطة الرجل ذو المنصب او المنزلة العالية ، وفى نفس الآن قد يعمل المركز او المنصب كضـــابط للسلطة ، فالمنصب قد يتعرض للخطر اذا كانت السلطة مستخدمة بحرية زائدة عن اللازم . ان العلاقة بين السلطة والقيادة ومركزية الاتصال علاقة وثيقة ترتبط كل منها بالاخر .. وذلك كما أوضحنا فى بداية هذا الفصل. ولقد اثبت كلين Klein (١٩٥٦) بأن اكبر الاشخاص مركزية فى شبكة اتصالات عادة ما يكون لديه تدخل مباشر وغير مباشر بصورة كبيرة فى المعلومات التى يمتلكها الآخرين ، كما ان كثيرا من الأفراد الآخرين يزاولون تأثيراتهم على الجماعة من خلاله ، وبالتالى فانه يستطيع مراقبة وضبط وتوجيه انسياب معلومات معينة لصالحه الشخصى . وبالاضافة فـــان مركزيته العالية تجعل الجماعة معتمدة عليه الى حد كبير فى أداء الوظائف

(1) Klein, J. : The study of group, London, Routledge & Kegan Paul, Ltd. 1956, P. 25.

القيادية . وعلى ذلك فانه يميل الى اعتبار ذاته كقائد وكذلك الآخـــرين يكونون كذلك .

كما ان شغل منصب معين ، سواء كان قائدا أو تابعا ، غالبا ما يؤثر على المهارات والدوافع لكل منهما حتى يحافظ على البناء القائم . ففى مناقشة ميول القادة فى الحـــركات العمـــالية لتثبيت انفسهم يشير ميشيل Michel (١٩٤٩) بان القادة ينمون ويطورون مهارات فى ممارسة وظائف القيادة ، وهذه فرصة لا تسنح للاتباع . بالاضافة فـــان استثمارهم الاكبر فى الوقت والطاقة والمجهود ، وكذا تكامل هذا الدور مع ذواتهم ، ينتج عن ذلك دافعية قوية لدى القـــادة ليحافظوا على مراكزهم ومناصبهم . كما ان الاحتواء الاقل والمشاركة الاضعف من جانب التابع ، عادة ما تكون مرتبطة بنوع من الالتزام نحو القائد ، وبالتالى تعمق بصورة اكبر دور كل من القائد والتابع .

جملة القول ، ففى الجماعات المستقرة الراسخة ، فان تكوين هياكل مستقرة ثابتة ، له تأثير كبير فى تأكيد اشـــخاص معينين كقادة على مدى فترة طويلة من الوقت . كما ان المكافآت المتبادلة التى تخبر من قبل أعضاء جماعة ناجحة تخلق الاستقرار والثبات فى عملية الاتصال ، والسلطة ، والهياكل الوظيفية والتى تدعم بدورها انماطا قيادية ثابتة راسخة . وغالبا ما يحدث ذلك نتيجة للعادات الثابتة الراسخة فى الاتصال والربط بين الهياكل الاتصالية والمراكز والسلطة .

وجدير بالذكر فان شغل منصب مركزى فى هياكل الاتصال يعطى القائد ميزة عن الآخرين فى الاستمرار للبدء وتوجيـــه وتعميق ســـائر الانشطة المختلفة داخل الجماعة . كما أن القادة الرسميين عادة ما يكون لديهم فرصة افضل لتطوير مهاراتهم القيادية ، بالاضـــافة الى الدافعية القوية المنبثقة من رغبتهم فى تأكيد مناصبهم ومراكزهم القيادية . كما ان افتقار الاتباع للفرص لتكوين وتطوير مهاراتهم القيادية ، واحتوائهم الاقل ، واحساسهم بالمسئولية أمام القادة .. كل ذلك يعمق من استقرار وثبات البناء القيادى . (١)

---

(١) انظر دراسة سيد عبد العال فى الصفحات التالية .

# نظريات القيـادة

تتعدد نظريات القيادة بتعدد البحث فى سيكولوجية القيـــادة ، وفيما يلى سنلقى الضوء على أهم هذه النظريات ٠

## اولا : نظرية السمات : Traits Theory

ركزت البحوث المبكرة من القيادة على دراسة شخصية القائدوسماته وخصائصه الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ٠ ولقد قــامت نظرية السمات فى أول الأمر على أن القيادة سمة واحده يتميز بها القــائد اينما وجد ، بصرف النظر عن نوع القائد او الوقت او الثقافة ٠٠ الا أن هذه النظرة لم تصمد امام الواقع ، وذلك أن انواعا مختلفة من القيادة تنشأ فى الثقافات المختلفة وصحيح أن هناك سمات معينة شائعة بين القــادة ، الا ان الدلائل لا توحى بأن القيادة سمة موحدة ، وتشير نتائج البحوث والدراسات الى انه ليست هناك سمة عامة أو دلائل موحدة ، تفسر القيادة على أساس سمات معينة فى كل المجالات ٠

ولقد اسفرت نتــائج البحوث والدراســـات عن قوائم من سمات القائد الجيد ، نورد اهمها فيما يلى :

### ١ ــ السمات الجسمية :

وهنا نجد ان القادة اميل الى ان يكونوا اطول من الاتباع واثقل وزنا منهم ، خصوصا حين يشترط فى القائد ان يكون أقوى من الاعضــــاء الآخرين ، وحين يكون هدف الجماعة هو القتال مع غيرها ، وهنا نجـــد أن القائد اميل الى ان يكون اكثر حيوية واوفر نشاط من الاتباع ٠

### ٢ ــ السمات العقلية المعرفية :

وهنا نجد القادة اكثر تفوقا من ناحية الذكاء العـــام من الاتباع ، خاصة فى الجماعات التى تكون ذات طبيعة اكاديمية ، على أنه لوحظ ان القائد يميل الى أن يكون اغنى ثقافة واثرى معرفة واوسع افقا وابعد نظرا وانفذ بصيرة ، واقدر على التنبؤ بالمفاجآت والاســتعداد لها ، واحسن تصرفا واعلى مستوى فى الادراك والتفكير ، وافضل من حيث الطلاقة اللفظية ، واحكم فى الحكم على الاشياء وأسرع فى اتخاذ القرارات ٠

### ٣ ـ السمات الانفعالية :

وهنا نجد أن القادة يتصفون بالثبات الانفعالي والنضج الانفعـــالى وقوة الارادة ، والثقة فى النفس ومعرفة النفس وضبطها .

### ٤ ـ السمات الاجتماعية :

وتشير الى أن القادة يتسمون أكثر من الاتباع بالتعاون ، وتشجيعه بين الاعضاء ، والقدرة على التعامل مع الآخرين وكسب حبهم واحترامهم ، والانصاف وعدم المحاباة ، ومعرفة مشكلات الجماعة داخلها ، وأميل الى الانبساطية وروح الفكاهة والمرح بين الاتباع وكسب ثقتهم فيه وثقتهم فى انفسهم .

### ٥ ـ ســـمات عامة :

وهذه تشمل حسن المظهر المعقول والمحافظة على الوقت ومعرفـــة العمل والالمام به ، والافتخار به والامانة وحسن السمعة والتمتع بعادات شخصية حسنة ، والتمسك بالقيم الروحية والانسانية والمعايير الاجتماعية وما الى ذلك .

### ثانيا : النظرية الوظيفية : Fuction Theory

والقيادة فى ضوء هذه النظرية ، تتمثل فى القيام بالوظائف الجماعية التى تساعد الجماعة على تحقيق اهدافها ، وينظر الى القيادة هنـــا وفى جملتها على انها وظيفة تنظيمية .

ويهتم اصحاب هذه النظرية بالســـؤال عن : كيف تتوزع الوظائف القيادية فى الجماعة ؟

فقد يكون توزيع الوظائف القيادية على نطـــاق واسع ، وقد يكون ضيقا جدا لدرجة أن كل الوظائف القيادية تنحصر فى شخص واحد هو القـــائد .

وتتلخص اهم وظائف القائد فى الجماعة فيما يلى :

* التخطيط : للاهداف القريبة المدى والبعيدة المدى .

* وضع السياسة : والقائد هنا يتحرك فى اطار تحدد فيه الاهداف

من ثلاثة مصادر : مصادر فوقية من السلطات العليا للجماعة ، وذلك كما في الجماعة العسكرية ، ومصادر تحتية نابعة من قرار أعضاء الجماعة ككل ومن القائد نفسه حيث تفوضه السلطة العليا أو الجماعة نفسها - في حالة الثقة الكاملة فيه فينفرد بوضع السياسة ·

* الخبرة : وهنا ينظر الى القائد كخبير ومصدر للخبرة الفنية والادارية والمعرفة فى الجماعة ·

* الادارة والتنفيذ : وتحريك التفاعل الاجتماعى وتنسيق سياسة واهداف الجماعة ومراقبة تنفيذ السياسة وتحقيق الاهداف ·

* الحكم والوساطة : وهنا يكون القائد حكما ووسيطا فيما قد ينشب من صراعات او مشاحنات داخل الجماعة ·

* الثواب والعقاب : حيث يكون القائد هو مصدر الثواب والعقاب وهذا يمكنه من المحافظة على الضبط والربط فى الجماعة ·

* نموذج يحتذى : ومثل أعلى للسلوك بالنسبة لاعضاء الجماعة

* رمز الجماعة : واستمرارها لأداء مهمتها ·

* صورة الأب : ورمز مثالى للتوحد والتقمص ·

**ثالثا : النظرية الموقفية :** Interactional Theory

وتنظر الى وظائف القيادة والسلوك الذى يعبر عنها والذى يقدم به الفرد فى موقف معين على انها القيادة · وتشير هذه النظرية الى ان أى عضو فى الجماعة قد يصبح قائدها فى موقف يمكنه من القيام بالوظائف القيادية المناسبة لهذا الموقف · ومعروف ان الفرد الذى يكون قائدا فى موقف قد لا يكون بالضرورة قائدا فى موقف آخر · فقد يصلح الفرد لقيادة الجماعة وقت الحرب ، بينما لا يصلح لقيادتها فى وقت السلم ( ستوجدل Stogdill ١٩٤٨ ) ·

وتقول هذه النظرية ان القائد لا يمكن ان يظهر الا اذا تهيأت الظروف او المواقف الاجتماعية لاستخدام امكانياته القيادية ويضرب أصحاب هذه النظرية الأمثال ، بأن قادة الفكر والعباقرة المخترعين من امثال

اديسون ( مخترع الفوتوغراف ) وفورد ( مخترع السيارة ) لو كانا قد ظهرا فى القرن السابع عشر حيث لم يكن التقدم العلمى ينجزهما ويمهد الطريق لظهور عبقريتهما ، لما تيسر لهما تبوؤ المكان الذى احتلاه حين مهد التقدم العلمى لظهور هذه العبقرية ٠

**٣ ـ النظرية التفاعلية :** Interactional Theory

وتقوم هذه النظرية على أساس التكامل والتفاعل بين كـــل المتغيرات الرئيسية فى القيادة وهى :

القائد وشخصيته ونشاطه فى الجماعة ٠

الاتباع : ( اتجاهاتهم وحاجاتهم ومشكلاتهم )

الجماعة نفسها : بناؤها والعلاقات بين افرادها وخصائصها وأهدافها وديناميات‌ها ) ٠

المواقف : كما تحددها العوامل المادية وطبيعة العمل وظروفه وتركز هذه النظرية على تفاعل القائد مع الاتباع وادراك القـــائد لنفسه وادراك الاتباع له ٠٠ وعلى ذلك فان هذه النظرية من أساسها تقوم على ان القيادة عملية تفاعل اجتماعى ، فالقائد يجب أن يكون عضوا فى الجماعة يشاركها معاييرها وقيمها واتجاهاتها واهدافها واملها ومشكلاتها وسلوكها الاجتماعى٠ وحسب هذه النظرية اذن يمكن التعرف على شخصية القائد وعلى الموقف الاجتماعى وعلى التفاعل بينهما ٠

**نظرية الرجل العظيم :** Great Man Theory

يؤكد اصحاب هذه النظرية ان بعض الرجال العظام يبرزون فى المجتمع لما يتسمون به من قدرات ومواهب عظيمة وخصائص عبقرية غير عـــادية تجعل منهم قادة ايا كانت المواقف الاجتماعية التى يواجهونها ، ومن أوائل الدعاه الى هذه النظرية فرانسيس جالتون F. Galton ومن امثلة الرجال العظـــام الذى تردد ذكـــرهم كثيرا تشرشل ، ايزنهـــاور ، غاندى وهكذا (١)

---

(١) حامد زهان مرجع سابق ص ٢٥

## انواع القيادة

تحدد تجارب رونالد ليبيت R. Lippit ، ورالف هوايت R. White ( ١٩٤٠ ـ ١٩٤٣ ) المشهورة عن « الاجواء الاجتماعية » التى تعكس انواع او انماط القيادة وسلوك القائد واثره على اعضاء الجماعة ٠

ولقد حددت هذه التجارب القيادة وفقا لانواع ثلاثة :

١ ـ القيادة الاستبدادية Authoritarian

٢ ـ القيادة الديمقراطية Democratic

٣ ـ القيادة الفوضوية Laissez-Faire

ويتميز سلوك القائد فى علاقته بأعضاء الجماعة وفقا لنمط القيادة وما يشيعه من جو اجتماعى معين ، ويتضح ذلك فى الجدول التالى ٠

| القيادة الاستبدادية | القيادة الديمقراطية | القيادة الفوضوية |
| --- | --- | --- |
| ١ ـ يتم تحديد كل سياسة الجماعة بواسطة القائد ٠ | ـ كل السياسات موضوع للمناقشة والقرار يشجعها ويعضدها القائد | ـ الحرية الكاملة للقرار الجماعى او الفردى مع تضاؤل تدخل واسهام القائد الى اقصى حد ٠ |
| ٢ ـ الوسائل وخطوات النشاط تمليها السلطة واحدة واحدة بحيث ان الخطوات المقبلة كانت دائما موضع شك ومحاطة بالغموض الى حد كبير ٠ | يتحقق وضوح النشاط وآفاقه خلال فترة المناقشة ٠ وتتحدد خطوات عامة لتحقيق اهداف الجماعة، وحينما تظهر الحاجة الى مشورة فنية فان القائد يقترح اجرائين بديلين او اكثر يمكن الاختيار من بينهم ٠ | ـ تتوفر المواد المختلفة بواسطة القائد الذى يظهر انه سوف يمد الجماعة بالمعلومات حينما يطلب منه ذلك، ولا يسهم القائد بأى دور اخر فى المناقشات المتعلقة بالعمل والنشاط ٠ |
| ٣ ـ يملى القائد عادة المهمات المحددة للعمل ومهام كل عضو ومع من يعمل ٠ | ـ الاعضاء يكونون احرارا فى العمل مع من يختارونه ويترك تقسيم مهام العمل والادوار المختلفة للجماعة ٠ | ـ عدم المشاركة التامة من قبل القائد ٠ |
| ٤ ـ دائم التقييم والنقد للعمل الذى يقوم به اى عضو ٠ ويبقى بعيدا عن المشاركة الاجتماعية الفعالة باستثناء الحالات التى يصدر فيها اوامره ونواهيه ٠ | ـ يميل الى الحقائق فى نقده وتقييمه ويحاول ان يكون عضوا منظما من اعضاء الجماعة فى الروح بدون ان يقوم بعمل الكثير من النشاط ٠ | ـ لا يعير الجماعة الانتباه الا اذا وجهت الاسئلة الى القائد ولا توجد اى محاولة لتقييم او تنظيم الاحداث والوقائع ٠ |

وهذه الانماط الثلاثة من القيادة قد ادت الى خلق ثلاث نماذج من الاجواء الاجتماعية ، تميزت فيها استجابات اعضاء الجماعة بالخصائص التالية :

**١ ــ لا تتشابه القيادة الفوضوية مع القيادة الديمقراطية :**

فالقيادة الفوضوية تتسم بانها اقل تنظيما ، واقل فاعلية واقل اشباعا لحاجات اعضائها ، ويختلف سلوك الاعضاء فى ظل القيادة الفوضوية عن القيادة الديمقراطية على النحو التالى :

( أ ) انجاز العمل يكون اقل وارداً :

ففى الجو الديمقراطى ، يمثل مقدار الوقت الذى يبذله اعضاء الجماعة فى النشاط الانشائى او الاحتواء النفسى فى موقف العمل حوالى ٥٥/ من الوقت الكلى ، فى حين يمثل ٣٣٪ فى الجماعة الفوضوية ٠ ان نوعية العمل اقل فى الجماعة الفوضوية ، عدم وجود الاقتراحات الموجهة فى الجو الفوضوى يؤدى الى سوء التنظيم والاختلال فى العمل بما يبعث على عدم التشجيع ، والتعرض لخبرات الاخفاق ، الامر الذى قد يؤدى الى وجود بعض مظاهر العدوان المرتبطة بخبرات الفشل وكذلك الى فقدان الاهتمام فى العمل ٠

(ب) قضاء فترة فى العمل واللهو ، وظهور بعض الاستجابات المرتبطة بالتراخى وعدم الاهتمام ٠

(ب) تكون الدافعية الى العمل اقوى فى ظل القيادة الديمقراطية ، المقابلات التى نظمها الباحثون ٠

**٢ ــ كما ان الديمقراطية يمكن ان تكون فعاله ومؤثره :**

( أ ) حيث نجد زيادة الى حد ما فى مقدار العمل الذى ينجز فى ظل القيادة الاستبدادية ٠ الا ان الجو الديمقراطى يفوقه بعد فترة من الوقت ٠

(ب) تكون الدافعية الى العمل اقوى فى ظل القيادة الديمقراطية ، ويتضح ذلك اكثر اذا ترك القائد العمل لبعض الوقت ٠

(جـ) تكون الاصاله اكثر فى الجماعة الديمقراطية ٠

**٣ ـ ان القيادة الاستبدادية يمكن ان تخلق عداوة وعدوانا اكثر :**

( أ ) ميل الجماعة الى العدوان .

(ب) تزايد ظاهر لـ « كبش الفداء » .

(جـ) تزايد الفاقد فى العمل والانتاج ، وكثرة التسيب وتوقف دوران العمل فى حالة غياب القائد .

**٤ ـ يمكن أن تخلق القيادية الاستبدادية مشاعر عدم الرضا التى لا تظهر على السطح :**

ويظهر ذلك فى مشاعر التمرد والتذمر من الاوضاع ومن الأوامر المفروضة « من فوق » وفى « التشطيب » غير السليم وفى المظهرية ، والمسايرة السلبية .

**٥ ـ يسود فى الجو الاستبدادى اعتماد اكبر وفردية اقل :**

( أ ) تزايد السلوك « الخانع » او المعتمد .

(ب) تكون المحادثة اقل تنوعا ـ واكثر التصاقا وتحددا بالموقف الراهن .

(جـ) الغاء فردية العضو الى حد ما . وتمركز النشاط فى شخص القائد .

**٦ ـ يسود فى الديمقراطى عقلية جماعية اكثر وصداقة اكبر :**

ويتضح ذلك فى ان اتخاذ القرارات يتم عن طرق الاسهام الجماعى . والمناقشة يشترك فيها كل اعضاء الجماعة ، فهى نتاج فكرة الجماعة واهتماماتها ورؤيتها .

واذا كان النشاط يتحقق فى ظل القيادة الديمقراطية على اساس توزيع الادوار . والاخذ والعطاء المتبادلين ، والحرية فى مباشرة مهامهم ، فان هناك فرصة اكبر لمزيد من الصداقات وشيوع روح الزمالة والتفاهم .

# اخلاقيات القيادة

يمكن تناول اخلاقيات القيادة من منظورين محددين . يسبع كل منهما من القضية التي تذهب الى ان الديمقراطية – اذا فسرت تفسيرا صحيحا – هي دائما نظرية للاخلاق على الرغم من أن نظـــريات الاخلاق تكون دائما ذيمقراطية فى طبيعتها . والمنظور أو البعد الاول الذى نتناول منه اخلاقيات القيادة هو ما يسمى ببعد الاتجاهات ، والثانى بالبعد العملى ، وان كانا يرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا من الناحية الواقعية .

## – الاخلاقيات كالاتجاهات :

ويعنى هذا البعد او المنظور الاول – أساسا – اتجاهات المســاواة واللامســاواة التى يمتلكها القائد حينما يرتبط باعضاء الجماعة ، وهـــذه الاتجاهات ليست دائما سهلة يسيرة ، وبالنسبة له لكى يقوم بتحـــديدها لانها – كما يعلم كل دارس لعلم النفس الاكلينيكى – متوغله بعمق فى الخلفية الكلية لحياته ، وبالتالى تؤلف جزءا متكاملا فى تركيب شخصيته ، وعلى الرغم من ذلك فليس هناك من شيء يمنعه من أن يسأل نفسه بحده وبقدر ما يستطيع : كيف يستجيب حيال كل عضو من اعضاء جماعته .

فاذا كان القائد صريحا مع نفسه ، فهل يشعر – مثلا – ببعض من الازدراء الخفى والتحامل نحو عضو من الاعضاء ؟ واذا استطاع ان يشعر بذلك ، فهل يستطيع ان يستبين الاسباب فى نفسه ؟ ، هل لان ذلك العضـــو وليكن (أ) من لون أخر مخالف ؟ او لان العضو (ب) ينتمى الى دين اخر أو مذهب اخر ؟ فى هذه الحالة يســــتطيع القائد ان يتبين فى ذاته بعض الاتجاهات المرضية التى تاخذ مظاهر التعصب ، والتى ترتبط بالخبرات الطفلية المختلفة التى يتشربها الطفل خـــلال عملية التطبيع الاجتماعى ، وخاصة من خلال الاتجاهات الخاطئة لدى بعض الوالدين . فمن المعروف – مثلا – فى دراسات التفرقة العنصرية فى امريكا والتى ذكرنا بعضا منها فى الفصل الرابع أن الوالدين يغرسون فى الاطفال بطريقة شـــعورية أو لا شعورية – بذور هذا التعصب ، بأن الاطفال الزنوج قل تحضرا ، قذرون يحملون الامراض ، عدوانيون . وهكذا . ) وقد ترجع الاتجاهات المتحاملة لدى القائد الى أن العضو او اجموعة من بعض الاعضاء ينتمون الى بعض الطبقات الفقيرة ، أو انهم من أصول اجتماعية اقل من حيث المستوى ، وهكذا فيجب ان يتبين القائد فى نفسه كل من العوامل الذاتية اللاشعورية – أو المرضية فى بعض الاحيان – حتى يستطيع ان يشيع جوا اجتماعيا بين أعضاء جماعته تسوده العدالة والاخاء .

وفى مثل هذه الحالات يحسن أن يتبين القائد عدم الاتســاق بين معتقداتنا المجردة عن مساواة اعضاء الجماعة ومشاعرنا الكامنة نحو بعض او كل هؤلاء الاعضاء ، ومن المجدى فى مثل هذه الحالات أن يحقق القائد وعيا بعدم الاتساق هذا بدلا من ان يعمدالى تغطيته ، لان الموارة والتغطية فى مثل هذه الحالات تستبدل هذا الوعى بالذات الى خداع للذات ، وطالمـا ان الوعى بالذات فى هذه الحالات قد لا يكون فى حد ذاته معيارا اخلاقيا ، فانه يمهد السبيل الى خلق اتجــاهات موضوعية فى اطار العــدالة والمساواه ٠

ومن اخلاقيات القيادة ان يكون القائد على وعى بأن المساواة كقيمة لا تعنى التوحيد بين كل الافراد ، ولا تعنى تعميم التشابهات وتذيب عدم التشابة ، ولكنها تعنى ان الناس من كل الجماعات والاجنــاس والثقافات متشابهين ، وبالتالى تكون المساواة أحد العوامل لزيادة تشابهات معينة بينهم ( وخاصة اشباع الرغبات الاساسية مثل الغــذاء الملائم والصحة والفرص المتساوية فى الحركة والترقى استنادا الى الاخلاص والجهد ) من ناحية ، كما ان المساواة هى ايضا أحد العوامل لزيادة بعض المتشابهات ( اى تفرد امكانات ومقــدرات كل فرد ) من ناحية اخرى ٠ ومن هنا تخلق الديمقراطية مفارقة غاية فى الاهمية ، فبقدر ما تتحقق الديمقراطية بقــدر ما تزود الناس بفرص متساوية بطريقة ثرية لكى يصيروا غير متشابهين ٠

اذن فالاتجاه السليم للقائد نحو جماعته ونحو نفسه لا يقتصر على مجرد التشابه بين أعضائه ، ولكن هذا الاتجاه يسمح بأن كل عضو يستطيع وينبغى ان يختبر ميوله وقدراته وخبراته الخاصة بالنسبة لصالح الجماعة من ناحية ، ثم ان تحقيق صالح الجماعة ينعكس بمصادرة المختلفة على كل عضو ٠

ويترتب على ذلك ايضا ان اتجاه المساواة Equalitarian attitude ليس كثيرا موضوع احترام « عزة الشخصية » بقدر ما هــو الاعتراف بالانجازات صغيرة كانت ام كبيرة التى يحققها الاعضاء بتعدد انماطهم والتى يستطيعون تقديمها ، اذا استثيرت لديهم الحالات الدافعية للقيام بذلك ــ للجماعة ككل وكذلك لانفسهم ايضا ٠

والمساواة ــ بالاضافة الى ذلك ــ ليست موضوع (حب) اى فرد : فالقادة ذوى هذه الاستعدادات ليسوا دائما افضــل من اولئك الذين لا يتصفون بهذه الخاصية ، وعلى العكس قد يكونوا ببساطة اكثر روماتيكية

---

(١) أنظر الفصل الثامن ٠

واكثر حساسية ، ومن الطبيعي انه بقدر ما نستطيع ان نتطهر من رجس العداوات والتعصبات والتمييزات ، بقــدر ما تكون قادة اكثر قدرة وكفاءة انسانيا وعمليا .

ففي الجو الاجتماعي الديمقراطي نحتاج الى ان ننمي في انفسنا اتجاهات تقبل مقدرات وامكانات كل عضو من اعضاء الجماعة ، ويستطيع كل فــرد ان يختار موارده ويسهم في مصادرة وان تساعده الجماعة على ذلك . وهذا الاسهام لا يقتصر على تقديم الاثابة للاخرين فحسب ، ولكن ايضا ان نسبهم في المزيد من اشباع حاجاته من خلال استثارة وتأييد الاخرين . وفي الجماعة الديمقراطية الخـــلاقة لا يوجد ثمة صراع بين الاهتمام بالذات والاهتمام بالجماعة : فكل جانب من هذين الجانبين يطلب من الاخر ويعود ناتجة على الاخر ، وبالتالي يتدعم كلاهما . وهنا يكون القائد الناجح . هــو ذلك الشخص الذي يدرك انفعاليا وكذلك عقليا ان هذه التبادلية حاجة لا تتوقف ويعتبر اى شخص يشترك في هذه العلاقة المتبادلة مسهما في اشباع هذه الحاجة .

**المحكات العملية الدالة على اخلاقيات القيادة :**

تظهر في خلال العملية القيادية مشكلات اخلاقية في سياق عملية التوجيه الفعال الذي يباشرة القائد لجماعته ، فاتجاهات القائد تؤثر في سلوكة القيادى ، كما ان هذا السلوك يؤثر في اتجاهاته ، وتوضح ذلك أحدى المشكلات : كيف تعمل اقتناعات وتفضيلات القائد الخاصـــة في تحديد النواتج والقرارات النهائية للجهود التي تبذلها الجماعة لكي تتفق مع هذه الاقتناعات والتفضيلات ؟ .

فمن أخلاقيات القيادة الديمقراطية الا يعمد القائد الى تجنيـــد جماعته بطريقة متعمدة مقصودة نحو تبني احكامه القبلية وتسيير دفة العملية الادارية في اطار شخصه لبناء مجده حتى ولو على جماجم الاخرين وهو في ذلك يلجأ الى استخدام وسائل معينة ، مثل عدم اتاحة الفرصة لظهور او سماع اصوات المعارضين لآرائه ، وتشجيع المداهنين والمنافقين الذين يوزعون له ، ويجيدون توزيع عوامل التقدير والمدح لشخصه ولكفاءه مقترحاته وارائه ، ويعـــزل مالا يتفق مع ارائه من بيانات لا تدعمها او اشخاص لا يرى فيهم مسايره لقيادته ، وهذا النمط الميكيافيلي من القادة لا يمثل الا مدرسة تجتذبه اليها ، وتقوم على ، مجموعة من الانتهازيين والوصوليين والفهلويين الذين قد يســـتخدموا القائد او يستخدمهم القائد كوسائل لتحقيق مقاصـــدهم . او كحطام يبنى منه مجده لمن يستطيع ان يصل اولا .

والسؤال الذى يلح الآن فى طلب الاجابة هو : كيف يستطيع القائد ان يقوم بوظائفه على اساس اطار مرجعى اخلاقى ؟ • والجواب يتجسد فى الا تخفى او يتستر ولكن يجب ان تكشف وتوضح • فالقائد أولا ينبغى ان يربط نشاطه ودوره بالجماعة ، فيقوم بتوضيح تفصيلاته الخاصة بصراحة وجلاء • وكذلك يجعل طريقته التى يعمل بها ، ان هذه التفصيلات باستمرار موضوع للمواجعة أو التعديل او حتى عدم الاستحسان • ويتوقف تقديم هذا الوضوح وتلك الرؤية ابتداء فى بداية المشاورات والمشروعات او من خلال تفاعل ونمو الجماعة على نمط القضية موضوع الاعتبار • فالجماعة التى يعرف اعضاؤها بعضهم البعض معرفة طيبة ، والتى تعرف قائدها ، ويتوفر فيها درجة ملائمة من النضج ـ يتوفر فيها جو افضل للعملية القيادية ومهما تباين خلق الجماعة فان المبدأ الأساسى الذى ينبغى ان يلتزم به القائد هو الاعتدال والاستقامة ، لأنه من القيم الثمينة لهذا المبدأ هو ان الاعضاء يقظون لأى جهد قد يباشرة القائد لتوجية العملية الى الوجهة التى يفضلها هو شخصيا •

**ثانيا :** ان القائد الذى يتمتع بأرضية طيبة من الخلق يبذل قصارى جهده لتهيئة الفرصة التى يعبر بها مخالفوه ومعارضوه عن آرائهم وانطباعاتهم ومشاعرهم • وتنبع هذه من ناحية منظورية الاتجاهات التى عرضنا لها من قبل : فالقائد الذى تكون قيمة المساواة عنده قوية بدرجة كافية يشجع ويحترم الاسهامات التى يكون فى مقدور كل الاعضاء انجازها • ومن ناحية أخرى تنبع من الاعتراف من قبل القائد بأن اقتناعاته الذاتية يحتمل أن تكون خاطئة تماما • فالاقتناع السليم يختلف اختلافا جذريا عن الدوجما أو التعصب ، فهو حكم نابع من التعقل Reasoned out judgement ، يقوم على البينة والاتصال ، وبالتالى يكون موضوعا للتصحيح والمراجعة بنفس العملية التى كونته فى الاصل ، والشخص الذى يعتبر احكامه معصومة ونهائية لا يمكن ولا يستحق فى أن يكون قائدا للجماعة الديمقراطية •

**ثالثا :** ان الجماعات المهتمة بالقضايا والوسائل والتى تتضمن الحاجة الى بيانات يمكن الوثوق بها ينبغى أن تتوفر لها فى كل فرصة تلك البيانات • وهنا تقاس اخلاقيات القائد بالمدى الذى يكون متأكدا عنده بان الحقائق الوافية « الدليل والبرهان الكافى » والسلطة الكافية التى تكون فى اتفاق وكذلك فى اختلاف مع ما يذهب اليه ، بحيث يقدم كل ذلك للدراسة والتحليل اللازمين •

وينتج الكثير من اللبس والابهام فى فهم طبيعة القيادة وتفسيرها من الاخفاق فى التمييز بين ثلاث ادوار مختلفة للقيادة :

١ ــ دور المشجع Encourager :

ويرتبط باتجاه المساواة ، وفى ذلك يولى اعتبار وتقدير كافيين للاسهامات المختلفة التى يقوم بها كل الاعضاء المساهمون ، وهذا الاعتبار والتقدير يعتبر قيمة أساسية .

٢ ــ دور المثير او المقترح Poineer & suggester :

ويرتبط بعملية قيادة الجماعة نجو اتخاذ القرارات وفى هذا الدور لا يتطلب من القائد فحسب أن يكشف عن وجهات نظره الخاصة ، أو يشير الى المقترحات التى ربما يكون الاعضاء الآخرون قد امعنوا فيها النظر وكانت موضع فحصهم وتمحيصهم ، ولكن ايضا ان يكفل الضمانات اللازمة بان كل ذلك سوف يتعرض للمقارنة الممكنة الترية مع وجهات النظر البديلة .

٣ ــ دور المنجز Implementer :

وهو الدور العملى الانجازى ، حيث يتم فيه تحويل وترجمة الاهداف من خلال القرارات او السياسات التى اتفقت عليها الجماعة الى اعمال ومناشط معينة تتحدد فيها مهام الاعضاء بطريقة واضحة .

وهكذا توجد أخلاقيات الانجاز وكذلك أخلاقيات التشجيع والمشورة كأدوار لازمة لكل من يضلع بالعملية القيادية والقيمة التى تتطلبها هذه الاخلاقيات هى المسئولية الواضحة ــ المسئولة حيال أولئك الذين وضعوا ثقتهم فى القائد ، فى اى موقع يحتله ، لكى يضع تفويضاتهم موضع العمل الفعلى ، ومن الأمور الخطرة التى ينبغى الانتباه اليها أن يعمد القائد الى اتخاذ خطوات عنيفة او استبدادية « كحركة التفاف » وراء ما اتفقت عليه الجماعة .

ولا يتبع هذا بالطبع أن القائد ذاته ينبغى فى مختلف الأوقات ان يلعب هذه الأدوار الثلاثة ، وفى الحقيقة ، انه بقدر ما تكون الجماعة ديمقراطية يتعاظم احتمال ان الجماعة تدعو الاعضاء المختلفين الى أن يلعبوا أو يتناوبوا تحقيق هذه الادوار ، فدور المشجع قد يكون او لا يكون مثيرا فعالا ، وقد يكون المنجز اكثر مهارة فى تحويل سياسة مستحبة

وموضع تقدير واستحسان الى ممارسة فعلية حية ، من ان يضطلع بالدورين الآخرين • ومن الواضح انه ليس هناك من شيء لا اخلاقى فى نفس القائد الذى يمارس كل الادوار الثلاثة داخل حدود طاقاته ومقدراته وهو الدور العملى الانجازى حيث يتم فيه تحويل وترجمة الأهداف من الآخرين الذين يظهرون مقدرة فى الاضطلاع ببعض الأدوار ، فالقيادة التى توزع فى سياق الأخلاقيات الديمقراطية هى اكفاء القيادات قوة واعظمها فاعلية • (١)

## دراسات مصرية فى القيادة

اجريت على البيئة المصرية عديدا من الدراسات السيكولوجية التى تناولت فى موضوعاتها القيادة وكيفية تشخيصها ، والعلاقة بين القائد والاتباع ، والمحددات الاجتماعية والسيكولوجية للقيادة ، وعلاقة القيادة بالاضطرابات السيكوسوماتية وما الى ذلك من الدراسات •• وسنلقى الضوء فى ثنايا الصفحات التالية على بعض هذه الدراسات •

### ١ ــ دراسة فى تشخيص القيادة فى القرية المصرية : (٢)

قام بهذه الدراسة محمود عودة بهدف وصف ظاهرة القوة او السلطة وتشخيصها كما ينظر اليها أهل القرية •• كما هدفت الدراسة كذلك الى الكشف عن نواحى اخرى قيادية اهمها قيادة الراى والتمثيل • وكانت عينة هذه الدراسة اهالى من القرويين •

واشار الباحث فى نتائجه أن اسلوب الشهوة Reputational approach والذى عرف على يد هنيتر ، لا يميز بدقة بين القادة المشهورين والقادة الحقيقيين ، اذ انالشخص المشهور يتمتع بمكانة اجتماعية ولا يتمتع بقوة او بنفوذ • بالاضافة الى أن الباحث قد اشار الى أن اسلوب الاختبار السوسيومترى اسلوب غير اقتصادى لانه يستغرق وقتا طويلا • ونظرا للعيوب الموجودة فى هاتين الوسيلتين ، فلقد قام الباحث باجراء تعديل فيها بحيث يجمع بين مزاياهما • فقام باختيار عينة تمثل ٢٠٪ من الذكور

---

(١) عادل عز الدين الاشول ، وطلعت منصور : مذكرات فى علم النفس الاجتماعى مودعة بمكتبة كلية التربية جامعة عين شمس ــ القاهرة ١٩٧٦ ص ١٤٧ •

(٢) محمود عودة : القرية المصرية بين التاريخ وعلم الاجتماع ، القاهرة ، مكتبة سعيد رافت ــ ص ٢٢

الراشدين بطريقة عشوائية ، ثم طبق عليهم اختبـــارا سوسيومتريا . اما بالنسبة للنتائج المتعلقة بوصف ظاهرة القوة ، اى خصائص الافـــراد ذوى القوة والنفوذ فى القرية .

ووجد الباحث انــه من حيث السن لا يوجد فرق بين القادة وغير القادة ، اى أن العمر الزمنى لا علاقة له بالقيادة ، الا ان اهالى القرية لم يختاروا قائد يقل عمره عن ٢٥ عاما .

ومن حيث المستوى التعليمى فقد ارتفع المستوى التعليمى للقادة عن غير القادة ، وهذا يشير الى ما يلقيه التعليم من دور فى تحديد القـــادة بالقرية . كذلك الأمر بالنسبة لمستوى الاقتصادى ، فقد وجدالباحث ان القادة عادة ما يكونون من ذوى المستوى الاقتصادى المرتفع . أما من حيث عضوية الجماعات المختلفة . فقد اشارت النتائج بناء على التحـــليل الكيفى للاسئلة أن عضوية الجماعة لاحقة لمكانة القوة وليست سابقة عليها. ولقد ظهر ذلك فى تعليل أحد أهالى القرية لاختياره أحـــد الافـــراد اذ يقول « ده راجل ، ووارث الرياسة عن ابوه وجده »

**٢ ـ دراسة عن دور السن والجنس فى البناء الاجتماعى لقـــرية ساوا باسوان .**

واستخدم فى هذه الدراسة ادوات كالملاحظة وجمع البيـــانات عن عن اطفال القرية وعن الكبار وذلك للتوصل لهدف الدراسة . وقد وجـــد عمار أن السن فى سلوا من المحددات الهامة التى تتدخل فى تحديد السلوك الفرد . فالأولاد لا تسمح لهم المعايير الموجودة فى القرية بالجلوس مـــع الكبار الا اذا كانوا يؤدون لهم خدمة او ينقلون رسائل او يحضرون بعض المشروبات . كذلك يبدو الاحترام فى طريقة كلامهم مع الكبار كأن يسبق اسمه بكلمة « عمى فلان » أو « الشيخ فلان » . ويتضح من ذلك عنصر القرابة السوسيولوجية فى مقابل القرابة البيولوجية التى تخص الافراد الذين تربطهم علاقات الدم . هذا بالنسبة للاولاد ، أما بالنسبة للفتيان وهم الذين فى مرحلة الزواج نجدهم يسهرون خارج المنزل ، لكن الفتيات داخل المنزل . كما تختلف العاب الذكور عن العاب الاناث .

وبالنسبة لكل من الرجل والمرأة فان دورهم يختلف فى العمل وفى مجال العلاقات الاجتماعية . وعادة ما ينظر الى الفتاة على انها اقل من الفتى ، فالطفل الذى يبكى يقال له من اقرانه « يا بنوته » . كما أن الرجل الذى لا يخرج للعمل يقال له انه « بتاع فرن » Man of oven

( أى نائم طوال النهار فى فرن القاعة ويخـــرج لعمله ) • وتحمل المـــراة الاشياء على رأسها ، ويحمل الرجل على كتفه ، كما يمشى الرجـــال فى منتصف الطريق فى حين أن النساء يمشـين على جانب الطريق •

وفى المجال الاسرى يتمثل دور الاب فى أنه الحاكم المطلق ، لا يتكلم امامه العيال ، والزوجة ليس لها حقوق امام زوجها • واقارب الأب يمثلونه فى شدته ، اما اقارب الأم فهم مصدر العطف ، وبالنسبة للدور الجنسى Sexual فان المراهقين لا يمكنهم التحدث عن الجنس الآخـــر والاختلاط • وكل ما هو متعلق بالحب او بالاعضاء التناسلية فهو عيب ، ومخجل ، كما يظهر الخجل على المراهقين فى خفض رؤوسهم عند رؤية الجنس الآخر •• (١) •

**٣ ـ دراسة عن العلاقة بين القيادة غير الرسمية واتجاهات العمال نحو تنظيم المصنع وادارته •**

وتهدف هذه الدراسة الى اختبار طبيعة العلاقة بين اتجاهات القائد غير الرسمى للجماعة Informal leader ، كما تكشفت عنه اختيارات الاعضاء سوسيومتريا ، فاذا اتضح وجود علاقة مرتفعة بين درجة اتجاه القائد غير الرسمى ودرجات اتجاه الاعضاء الملتفين حوله فان ذلك يدل على صحة ما ذهب اليه نيوكمب Newcomb وغيره من علماء النفس الاجتماعى من ان هناك توحدا بين شخصية القائد والجماعة المقـــودة • وكذلك وضع الباحث افتراضا يتوقع فيه اختلاف بين اتجاهات القـــائد غير الرسمى واتجاهات المنبوذين فى الجماعة • ووجود اختلاف أيضا بين اتجاهاته واتجاهات الهامشيين • بالاضافة الى اختـــلاف بين الاشخاص الملتفين حول القائد والهامشيين من ناحية ، وبينهم وبين المنبوذين من ناحية أخرى •

وكانت عينة هذه الدراسة عبارة عن ثمانية جماعات صغيرة بأربـــع شركات ، ثلاثة جماعات بشركة النصر للزجـــاج والبلور مجموع عمالها ٤٧ عاملا ، واخرى بشركة بسكو مصر وعدد عمالها ٢٠ عاملا ، وثـــلاث جماعات اخرى بشركة فرتا لتصنيع الورق مجـــموع عمالها ٤٠ عاملا ، وجماعة بشركة النصر للغزل والنسيج عدد عمالها ١٢ عاملا • ويبلغ مجموع

(1) Ammar, H. : The role of age and sex in Silwa, provience of Aswan, International library of sociology and social reconstruction. Routledge & Kegan, London, 1954.

افراد عينة الدراسة ب ١١٩ عاملا . وقصد الباحث بالعينة الصغيرة تلك التى لا يزيد الافراد فيها عن عشرين ولا يقل عن اثنين بشرط أن يكونوا قد أمضوا فى الشركة مدة لا تقل عن خمس سنوات فى العمل معـــا لضمان التفاعل بينهم للتوصل الى قياس سليم .

ولقد تضمنت الأدوات :

أ ـ مقياس للاتجاهات

ب ـ مقياس سوسيومترى مكون من ست أسئلة ، سؤالين للعلاقات الخارجية وسؤالين لمواقف القيادة والسؤالين الآخرين للعلاقات الداخلية .

ولقد قام الباحث بتحديد الذرات الاجتماعية Social Atoms ( اى علاقات التجاذب والتنافر بين الشخص والاشـــخاص الآخرين ) على النحو التالى :

١ ـ القائد غير الرسمى هو الذى يحصـــل على أعلى الدرجـــات السوسيومترية .

٢ ـ الهامشيون : هم الاشخاص الحاصلون على الدرجات الصفرية اى الذين لم يختارهم أحد .

٣ ـ المنبوذين : وهم الذين تجاهلتهم الجماعة تماما ، فلم توجـــه اليهم اختيارات مطلقا ، كما انهم توجهوا باختياراتهم الى خارج حـــدود الجماعة الاصلية التى ينتمون اليها .

٤ ـ الاشخاص الملتفون حول القائد وهم الأفـــراد الذين توجهوا باختيارهم الاول نحو شخص القائد مباشرة .

ولقد اوضحت النتائج وجود علاقة موجبة ومرتفعة بين درجـــة اتجاه القائد غير الرسمى للجماعة ودرجات اتجاه الاشخاص الملتفين من حوله ، ولقد وجدت هذه العلاقة فى اربع جماعات فقط ، كما وجد أيضا اختلافا بين اتجاه القائد غير الرسمى للجماعة ودرجات اتجاه المنبوذين فى جماعتين فقط . كما وجد أيضا اختلافا بين اتجاهات الهامشين فى الجماعة ودرجة اتجاه القائد غير الرسمى فى ست جماعات واخيرا وجد

اختلافا بين اتجاهات الاشخاص المتفين حول القائد كمجموعة ، وبين الاشخاص الهامشيين كمجموعة وذلك فى خمس جماعات (١) ٠

**٤ ـ دراسة العلاقة بين الاضطرابات السيكوسوماتية فى الصناعة بالقيادة بين العمال :**

فى دراسة الاضطرابات السيكوسوماتية والتوافق المهنى فى المجال الصناعى ، كانت احد الفروض المختبرة فى هذه الدراسة هو علاقة هذه الاضطرابات بالقيادة ، على أساس اننا نتوقع أن يكون المرضى السيكوسوماتيين ( المرض الجسمى النفسى المنشأ كقرحة المعدة والربو ٠٠ الخ ) اقل اختيار من جانب زملائهم فى مواقف القيادة عن الاسوياء ، وذلك نظرا لقلة فاعليتهم وخاصة أن آدائهم فى العمل اقل بدرجة دالة احصائيا عن الاسوياء ٠

وكانت عينة هذه الدراسة مجموعة من المرضى السيكوسوماتيين موزعين على فئات الاضطرابات السيكوسوماتية ، كالاضطرابات المعدية والمعوية ، وكاضطرابات القلب ، والضغط والبول السكرى ، بواسطة اطباء شركة الحديد والصلب التى اجرى عليها البحث باستخدام الاشعات والاختبارات الطبية المعروفة ٠ وباستخدام اختبار كورنل تم عزل الحالات التى سببها نفسى وترجع لسبب جسمى كبعض حالات ارتفاع الضغط والتى قد ترجع لالتهاب فى الكلى ٠

ولقد طبق الباحث اختبارا سوسيومتريا للكشف عن متغيرات البحث والتأكد من الافتراضات التى ذهب اليها الباحث ، وطبق هذا الاختبار على جماعات افراد المجموعة الضابطة وجماعات افراد المجموعة التجريبية ٠

واشارت النتائج الى ان متوسط درجات المجموعة التجريبية على اسئلة مواقف القيادة بالاختبار السوسيومترى ١٤ر٧ والانحراف المعيارى ٨ر١٠ ومتوسط درجات المجموعة الضابطة ٣٠ر٤٢ والانحراف المعيارى ٤٠ر٢٦ ٠ وكان الفرق جوهريا وله دلالة احصائية ٠ ولقد أوضحت الرسوم أيضا عزلة أفراد المجموعة التجريبية من جانب افراد الجماعة ،

---

(١) سيد عبد العال : دراسة تجريبية فى العلاقة بين القيادة غير الرسمية واتجاهات العمال ــ رسالة ماجستير غير منشورة ،مكتبة كلية آداب عين شمس ــ ١٩٧٢ ٠

بينما حصل افراد المجموعة الضابطة على اختيارات أعلى على وذلك لاتسامهم فى نظر افراد الجماعة بالقدرة على اتخاذ القـرار والتنسيق والتخطيط ووضع السياسة والممثل الخارجي للجماعة وما الى ذلك ٠٠ (١) ٠

**٥ ـ دراســة العلاقة بين اسلوب القيادة والتكيف النفسى للعمال وزيادة الانتاجية « دراسة مقارنة » ٠**

ولقد قام المؤلف باجراء دراسة فى العوامل التى تؤثر على التكيف النفسى وزيادة الانتاجية لعمال الصناعة ، وكانت عينة هذه الدراسة مكونة من مجموعتين من العمال والمهندسين « مصرية وبولندية » واخذت العينة المصرية من عمال ومهندسى شركة غزل ونسيج المحلة الكبرى ، وكـانت العينة مكونة من بعض عمال ومهندسى شركة صناعة السيارات البولندية

وصمم الباحث مقياسين لقياس درجة التكيف النفسى للعامل فى كل من الشركتين ، بالاضافة الى مقياس يوضح اهم العوامل التى تؤثر فى درجة التكيف النفسى والاجتماعى لعينة البحث ٠

واشارت النتائج الى ان القيادة لها دور ايجـابى ليس فى زيادة الانتاج فحسب بل كذلك فى الرضا النفسى والتكيف الاجتماعى للعاملين واوضحت البيانات ان كلا افراد العينتين المصرية والبولندية قد فضلت القيادة الديمقراطية عن الديكتاتورية أو الفوضوية ٠٠ وجدير بالذكر انه كانت توجد اختلافات ذات دلالة احصائية بين تقديرات كل من المجموعتين لأهمية القيادة واشكالها ٠٠ وبالاضافة الى ذلك فان المجموعـة الواحدة كانت استجاباتها لمواقف المقياس الخاص بالقيادة تشـير الى فروق ذات دلالة ، فالمهندسين المصريين كانوا يختلفون فى تقديراتهم لأهمية القيـادة وانماطها عن العمال المصريين ، واتضـح نفس ذلك بالنسبة للمهندسين والعمال البولنديين ٠ (١)

---

(١) محمود ابو النيل : علم النفس الاجتماعى ، مرجـع سابق ، ص ٦٤٩ : ص ٦٥٠

(1) Adel EZZ EL DIN : Th efactors affecting Worker's adjus·ment in Egypt & Poland, Doctoral Dess. Warsaw Un. 1973. P. 204.

مودعة بمكتبة كلية التربية بجامعة عين شمس ٠

# الفصل الثامن

## التطبيع الاجتماعى

من العمليات الرئيسية التي تحدث في حيـــاة الوليد البشري هي تحوله من طفل عاجز عديم الحيلة الى انسان ناضج ، ولا توجد أي نوع من الكائنات الحية تمر بعملية مكثفة طويلة في النمو مثلما نجد ذلك في حياة الكائن البشري ، كما اننا لا نستطيع أن نلاحظ في نمو الفصائل الحيوانية الأخرى ذلك التعدد والتناقض الذي نلاحظه في نمو الانسان ، فعندما ينمو الطفل يتعلم لغة أو أكثر من اللغات ويكتسب ثروة من الحقائق حول بيئته البيولوجية والاجتماعية بالاضافة الى مهارات خاصة وأنواع متنوعة من المعرفة فهو يكتسب اتجاهات وقيم بعضمنها يتصل بالمعايير الاجتماعية والبعض الآخر يتعلق بأساليب العلاقات والتفاعل بين الافـــراد كالحب والكراهية ، المساعدة والايذاء .. هذا التحول الذي نراه في حياة الوليد البشري يحدث نتيجة لما يسمى بعملية التطبيع الاجتماعي .

ولقد اشار شريف وشريف Sherif & Sherif الى عملية التطبيع الاجتماعي ما هي الا عملية تحويل الكائن البيولوجي الى كائن اجتمـــاعي . أي ان الوليد البشري يتحول من كائن تغلب عليه حاجات بيولوجية biogenic الى كائن تغلب عليـــه حاجـــات ودوافـــع من نوع جديد ذات اصل اجتماعي Sociogenic واشار كل من سيكورد Secord وباكمان Backman الى ان عملية التطبيع الاجتماعي ما هي الا عملية تعلم تمكن المتعلم من اداء ادوار اجتماعية معينة . كما انها عملية تفاعـــل تتعدل عن طريقها سلوك الفرد بحيث يتطابق مع توقعات اعضاء الجماعة التي ينتمي اليها . وسار في نفس هذا الاتجاه جون كلوزين Clausen اذ يشير : « الى ان عملية التطبيع الاجتماعي هي العملية التي عن طريقها يوجه الطفل لكي يسير على نهج حياة أسرته والجماعات الاجتماعية الاخرى التي يجب أن ينتمي اليها ، ويسلك في غمارها بصورة ملائمة وذلك لكي يصبح في النهاية مؤهلا وجديرا بدور الراشد الناضج .. » (1) .

كما يشير بعض علماء النفس الاجتماعي الى ان هذه العملية ما هي الا عملية انسنة الانسان ، اي ان الانسان لا يكتسب سـمته الانسانية عن طريق خصائصه البيولوجية وحدها! ولكن بفضل عملية التطبيع الاجتماعي . ويحكى لنا تاريخ علم النفس عن « الطفل المتوحش » الذي عثر عليه في

---

(1) Clausen, J. : Family structure socialization and Personality, Rev. of Child develop. 11, 1966, P. 4.

غابة افيرون بجنوب فرنسا سنة ١٧٩٨ وكان يعيش حتى بلغ من العمر ١٢ عاما كحيوان غير اجتماعى ، ولقد نجح ايتارد Itard عن طريق وضع برنامج يهدف الى تنمية الناحية الاجتماعية عند هذا الطفل والتدريب العقلى عن طريق المؤثرات الحية وخلق الحاجات الانسانية لديه وتدريبه على الكلام وترويضه سلوكيا بصفة عامة ، ولقد نجح ايتارد فى تعليمة الاتصال عن طريق الكلام والقراءة لبعض الكلمات الا أنه فشل فى تدريبه على ضبط النفس والتوافق الاجتماعى والتوافق الانفعالى ، فقد كان الطفل ضعيف العقل اذا قورن بالاطفال فى مثل عمره الزمنى .

والجدير بالذكر ان مصطلح التطبيع الاجتماعى لم يكن يستخدم لينطبق على الخبرات التعليمية لدى الكبار والبالغين ، ولكن كان يقتصر على الاطفال فقط ، حيث كان هذا الاستخدام التقليدى مرادفا تقريبا للتعبير الدارج بنمو الطفل Growing up ، الا اننا نجد ان نطاق هذا المفهوم قد اتسع ليتضمن المظاهر السلوكية للبالغين كذلك ، وعلى ذلك يعرف التطبيع الاجتماعى بأنه يتمثل فى العملية التفاعلية التى عن طريقها يتعدل سلوك فرد ما ليتساوق مع توقعات أعضاء الجماعات التى ينتمى اليها .

ونلاحظ فى هذا التعريف السابق انه يشير الى ان عملية التطبيع الاجتماعى لا تقف عند عمر زمنى معين ، فهى تستمر مدى حياة الكائن الآدمى ، حيث نجدها نشطة كلما شغل الفرد موقفا او مركزا جديدا ، فعند انضمام الفرد الى احدى الجمعيات ، او عندما يرقى فى عمل ، او يصبح والدا ، أو يجند فى الخدمة العسكرية ، فالكائن البشرى فى انتقاله من مركز الى آخر ومن موقف الى آخر ومن مرحلة زمنية الى أخرى ، كل ذلك يتطلب منه تعلم بعض الانماط السلوكية التى تتفق مع هذا الموقف الجديد وفى نفس الوقت اتخلى عن بعض الانماط السلوكية التى كان يؤتيها سابقا والتى لا تتفق مع مقتضيات الموقف الجديد او المركز الذى يشغله .. وعلى ذلك فان عملية التطبيع الاجتماعى فى جوهرها عملية تعلم .

ويجدر بنا فى هذا المقام ان نميز بين جانبين من التطبيع الاجتماعى عن بعض العمليات الأخرى من التغير :

أ ـ التغيرات السلوكية التى تحدث عن طريق **عملية التعلم** هى فقط التى تدخل فى نطاق التعريف السابق لعملية التطبيع الاجتماعى ، اما تلك التغيرات التى تحدث نتيجة للنمو لا تشكل جزءا من عملية التطبيع الاجتماعى .

ب ـ التغيرات السلوكية التى لها أساس من **التفاعل مع الأفــراد** الآخرين تعتبر بمثابة نتاج لعملية التطبيع الاجتماعى ، ويجدر الاشــارة ان مصطلح التفاعل يعرف هنا بصورة واسعة بحيث يتضمن الاتصال عن طريق وسائل الاعلام الجماعية ، فتعلم المهارات الحركية بدون رعاية من قبل الاشخاص الآخرين مثل الجرى أو القفز لا تعتبر عمليات تندرج فى عملية التطبيع الاجتماعى ـ الا اننا نجد ان تعلم الكلام باللغة الدارجة فى منطقة اقامة فرد ما ، نتيجة عملية التطبيع الاجتماعى وذلك لان هــذا التعلم يعتمد بصورة اساسية على التفاعل مع الافراد المحيطين بالطفل النامى .

كما ان هناك تفسيرات أخرى لعملية التطبيع الاجتماعى تشير الى تعلم فرد ما للعادات والعرف السائد فى مجتمعه ، وكذلك ادراكه وتفهمه للمعتقدات الدينية والقيم الأخلاقية فى مجتمع ما ـ ومع ذلك فيجب الا تعتبر عملية التطبيع الاجتماعى على انها صياغة للفرد وفقا لنمط اجتماعى معيارى ، وذلك لان الافراد فى حياتهم معرضون لتاثير وكالات اخرى وتركيبات مختلفة من ضغوط عملية التطبيع ، وتختلف ردود فعلهم ازاء هذه الوكالات والتركيبات ، ونتيجة لذلك فان عملية التطبيع الاجتماعى يمكن ان تنتج فوارق مميزة بين الافراد ، بالاضافة الى التشابهات فيما بينهم .

ومما هو جدير بالذكر ، فعملية التطبيع الاجتماعى تلقى اهتماما كبيرا داخل مجالات عديدة مثل علم النفس النمو ، وعلم اجتماع الطفل ، وبعض الاجزاء من علم النفس الاكلينيكى ، وجوانب معينة من علم النفس الجماعة والثقافة والشخصية ، والمتأمل فى تاريخ تطور هذه العلوم يجد ان كل علم اخذ ما يخصه حتى يمنع التداخل بينه وبين ســائر العلوم الاخرى . فاخصائيوا علم النفس الاجتماعى يحددون عادة مجال اهتماماتهم فى عملية التطبيع الاجتماعى فى اربعة جوانب رئيسية :

١ ـ عمليات التعلم الاجتماعى مثــل التقليد والمحاكاة والتقمص وتعلم الدور .

٢ ـ ترسيخ وتدعيم التعلم الاجتماعى للضوابط الداخلية او الضمير ومفهوم الذات والادوار الاجتماعية .

٣ ـ تكوين انمــاط سلوكية متنوعة مثل التبعية والعدوانيــة والانضمام وتشكيل استراتيجيات متنوعة لانجاز الاهداف والدفاع عنها .

٤ ـ علاقة البناء الاجتماعى بهذه العمليات وبتاثيراتها .

وعموما فان عملية التطبيع الاجتماعى على جـانب كبير من التعقيد والتشعب ولا غرو فهى تستهدف مهام كبيرة وتتوسل بأساليب ووسائل متعددة لتحقق ما تهدف اليه · ومع هذا فمن الســـــهل ان نستخلص الوصف التالى لهذه العملية حيث يتوفر فيه شمول لابعاد وحدود هـــذه العملية :

« فالتطبيع الاجتماعى فى جوهره عملية تعلم ، قائم عـــلى التفاعل الاجتماعى بقصد اكساب الفرد طفلا او راشدا سلوكا ومعايير وقيما تجعل من الممكن له مسـايرة جماعته ، كما تكسبه السلوك المناسب لادوار اجتماعية معينة ولتوقعات أعضاء جماعته ، كما تقصد الى ايجاد ضوابط داخلية للسلوك واستعداد لمطاوعة الضوابط الاجتماعية الخارجية ·· »

وعموما فان عمليـــــة التطبيع الاجتماعى والتى سبق تعريفها على أساس عمليات التعلم المرتبطة بالتفاعل الاجتماعى بين الافراد ·· فكيف يؤثر سلوك شخص ما على سلوك آخر ؟؟ قد نجيب ان هذا التأثير يحدث نتيجة المكافاة أو العقاب لانماط معينة من الاستجابات ، اذ قد يمتدح احد الوالدين طفله لفعل ما قام به ، أو قد يعاقبه لكى يستبعد تكرار فعل آخر ·· وسنلقى الضوء فى ثنايا الصفحات التالية على بعض أنواع التعلم الاجتماعى ، وذلك باعتبار أن جوهر عملية التطبيع الاجتماعى هى عملية تعلم ·· وما هى المبادىء التى تتضمن المكافاة والعقاب فى التعلم الاجتماعى؟ سنرى اجابة عن هذه التساؤلات فى شرحنا القادم · كما سنلقى بعض الضوء اولا على ميكانزمات عملية التطبيع الاجتماعى ،

## ميكانزمات التطبيع الاجتماعى

عملية التطبيع الاجتماعى يسفر عنها نتـــــائج مختلفة نتيجة تباين الثقافات فالامريكى اللاتينى يميل الى ان يكون مختلفا عن جـاره الامريكى الشمالى ، كما أن الفرد الأوربى يختلف من بلد الى آخر ، وكذلك الانسان العربى على الرغم من وجود سمات عامة للشخصية العربية نتيجة العوامل الثقافية والتاريخية والدينية للوطن العربى الا اننا نجد أن سمات الشخصية مختلفة من بلد عربى الى آخر · وعلى ذلك فان ميكانزمات التطبيع الاجتماعى موجودة فى جميع الثقافات ، ويلخص جيروم كاجان J. Kegan ميكانزمات التطبيع الاجتماعى هذه فيما يلى :

١ ـ الرغبة فى الحصـــــول على التعاطف والتواد والاحترام وتقبل الآخرين ·

٢ ـ السعى لتجنب الاحاسيس والمشاعر غير السارة ، الناتجة من عقاب او رفض الآخرين له ٠

٣ ـ الرغبة فى ان يكون مماثلا لافراد معينة ، طبع الطفل على احترامهم ومحبتهم والاعجاب بهم « عملية التقمص » ٠

٤ ـ الميل العام لتقليد افعال الاخرين ٠

والمتأمل فى تحليل كاجان يلاحظ انه يصور الطفل على أنه كائن حى يبحث عن مشاعر السرور وتقليل مشاعر الألم ، كما يراه ودودا بالفطرة والأسرة بدورها تعتبر مصدر السرور والألم للطفل وذلك بتوفيرها النماذج التى سيتطابق معها ويقلدها كجزء من عملية التطبيع الاجتماعى٠

ويشير كل من هويتنج وتشيلد Whiting & Child (١٩٥٣) الى ذلك بقولهما :

ان تدريب الطفل من ارجاء المعمورة متطابق ومتشابه ، ذلك لان جوهر عملية التطبيع الاجتماعى تتمركز حول مسائل عامة من السلوك الانسانى ، فالآباء والأمهات فى كل مكان لديهم مسائل ومشاكل مماثلة فى تربية الاطفال وتنشئتهم ، ففى سائر المجتمعات نرى الوليد ضعيفا لا حول له ولا قوة ، يحصل على غذائه من ثدى امه وعند هضمه يستخلص من فضلاته بحرية ٠٠ وبنمو الطفل يجب عليه أن يتغير الى شخص ناضج مسئول ، يطيع قواعد مجتمعه ، ويستطرد كل من هويتنج وتشيلد الى انه لا توجد اية دلائل واضحة تشير الى عدم وجود هذه المسائل السابقة فى حياة اى شعب من الشعوب ، كما ان تطبيع الطفل يتمركز حول عدة مسائل غالبا ما تكون منبعثة من خصائص عامة للوليد البشرى بالاضافة الى الخصائص الثقافية فى كل مجتمع من المجتمعات ٠٠ (١)

من ذلك يتضح لنا ان ميكانزمات التطبيع الاجتماعى يبدو انهاجوهريا متطابقة ومتماثلة فى اغلب الثقافات ، وذلك عن طريق اعطاء المكافآت او توقيع العقاب ، وتوفير النماذج الوالدية التى يمكن أن يتطابق ويتماثل

---

(1) Whiting, J. & I. L. Child : Child training and personality : York, Harcourt Prace, Jovanovich, 1969, PP. 444 : 445.

( م ـ ١٨ علم النفس )

معها الطفل .. وسنذكر ذلك تفصيلا حين نتعرض الى تفصيل العلاقة بين عملية التطبيع الاجتماعى ونظريات التعلم المختلفة .

ويستطرد كل من هو ينج Whiting وتشيلد Child الى انه على الرغم من ان ميكانزمات عملية التطبيع الاجتماعى قد تكون فى جوهرها متشابهة ، الا اننا نلاحظ اختلافا كبيرا فيمـــا تعتبره او تراه الثقافات المختلفة على انه ممارسات مقبولة أو غير مقبولة . ولقد اشار الى هذه النماذج الآتية لاثبات ذلك :

**التغذية :**

لقد اشار كل من ديفيز وهافجهرست Davis & Havighurst (١٩٤٦) الى أن الامهات فى المجتمعات البدائية غالبا ما يكن اكثر تساهلا فى سلوك تغذية أطفالهن عن الامهات فى المجتمعات المتقدمة . حيث لا نجد فى معظم المجتمعات البدائية أن عملية الفطام لا تحدث الا فى سن الثانية والنصف او الثالثة ، فى حين أن هذه العملية تحدث فى المجتمعات المتقدمة خلال السنة الأولى من حياة الطفل . كما أن بعض العمليـــات المرتبطة بعملية الرضاعة مثل « المص » تقابل باستهجان فى المجتمعـــات المتقدمة بعكس ما نجدها فى المجتمعات البدائية .

ويشير هويتنج وتشليد الى أن تدريب الاخراج والتواليت فى جزيرة مدغشقر يحدث لدى الاطفال حين يصلوا قرابة الشهرين أو الثلاثة اشهر الأولى من الحياة ، كما أن أهالى هذه الجزيرة يتوقعون من الطفل أن يكون مدربا بصورة كاملة عندما يصل الى الستة أشهر الاولى من حياته والا فانه يعاقب بشدة . فى حين نجد اغلب المجتمعات تبدأ فى تدريب الطفل على عملية الاخراج عند نهاية السنة الثانية من العمر وقد يتأخر البعض الى سن الخامسة وجدير بالذكر أن كثيرا من الآباء فى هذه المجتمعات البدائية لم يبدو عليهم اى قلق أو اهتمام حين آثار الباحثان مســـــألة التدريب الاخراجي « التواليت » . لانهم لم يخبروا مثل هذه المشكلة فى تطبيع اطفالهم والتى نجدها واضحة فى المجتمعات المتقدمة .

**العدوان :**

يجدر الاشارة الى انه لا يوجد مجتمع خال من الانمـــاط السلوكية العدوانية الا اننا نجد ان المجتمعات تختلف بصورة ملحوظة فى كم وكيف العدوان الذى يسمح به للاطفـــال .. ويشير الى ذلك هويتنج وتشيلد بقولهما :

« اذا كان الاخـــوة والاقارب يتنازعون فيما بينهم فان الغلبة تكون للاكبر سنا ، واذا اعتدى الطفل على والديه يضربانه ردا على ذلك ، ويقال لهم أن قطة شرسة ستأذيهم ان لم يطيعوا والديهما ، كما يقال لهم يجب ان يحبوا والديهم واخوتهم واقاربهم ولا يتشاجروا ولايتنازعوا ٠٠الخ»(١)٠

وعموما فان السلوك العدواني يختلف التعبير عنه في كمه وكيفه وفقا للحالة الاقتصادية والثقافية للاسرة . فالطبقة المتوسطة كثيرا ماتسمح بهذا النمط السلوكي ، عكس ما نجده في الطبقات العالية ٠

### الاستقـــلال :

يجب أن يتعلم الاطفال في اى مجتمع ان يصبحوا اكثر اعتمادا على انفسهم كلما تقدم بهم العمر الزمني ، وعموما فهناك علاقة بين التعقيدات الثقافية والفترة الزمنية التي يسمح بها للطفل أو يشجع في الاعتماد على اسرته ٠ والجدير بالذكر أن بعض المجتمعات التي تتسامح في السلوك التبعي خلال السنوات الأولى من حياة الطفل ، فانها لا تستمر على هذا الاتجاه حين يرون أن الطفل في مقدوره الاستقلال والاعتماد على نفسه ، ويشير هويتنج وتشيلد الى أن الاختلافات الثقافية والحضرية تؤثر في نمو هذا السلوك لدى الاطفال فالمجتمعات القبلية والبدائية غالبا ما تتوقع الاستقلالية والاعتماد على النفس من ناشئيها قبل المجتمعات المتحضرة ، وكذلك يختلف هذا نتيجة للطبقات الاجتماعية ، فغالبا ما نجد الاستقلالية والاعتماد على الذات يظهر بصورة جلية في الطبقات الدنيا قبل ما نرى ذلك في الطبقات العالية ٠

## انواع التعلم الاجتماعي

ان مبادىء التعلم الاساسية التي درست في معامل علم النفس ، ذات فائدة في القاء الضوء على عملية التطبيع الاجتماعي ٠٠ وذلك لان الاخيرة لا تخرج كما فرغنا من تعريفها عن عملية تعلم اجتماعي ، وعموما سنركز حديثنا في ثنايا الصفحات القـــادمة على بعض اشـــكال التعلم الاجتماعي وعلاقتها بعملية التطبيع الاجتماعي ٠

(1) Ibid, P. 68.

## لا : التعلم المؤثر او الفعال : Operant learning

لقد اشار كل من سكينر Skinner (١٩٥٣) وفرستر Ferester وسكينر (١٩٥٧) ، بان التجارب المكثفة على الحيوان والانسان فى معامل علم النفس قد ركزت على هـذا النوع من التعلم ، والمبدا الاساسى الذى يقوم عليه التعلم المؤثر او الفعال ان النمط السلوكى المتعلم الذى يكون متبوعا بتدعيم ، فان حدوثه فيما بعد يصبح اكثر احتمالا . ولقد استعملت مبادىء هذا النوع من التعلم كثيرا لتوضيح سلوك الانسان ، فقد يعرف عن الطفل انه يأتى استجابات عديدة بعضها يكافأ من قبل الوالدين أو عن طريق ظروف البيئة ، وبالتالى نجـد أن الافعال التى دعمت بصورة مناسبة تصبح نتيجة ذلك « عـادة » . وقد يتساءل احدنا فى بادىء الأمر كيف يمكن للنمط السلوكى الجديد أن يعلم عن طريق الاشتراط الفعال operant conditioning ولقد اشـار سكينر الى ذلك بان الاستجابات الجديدة غير المألوفة يمكن ان تكتسب عن طريق تشكيل السلوك بطريقة التقريب المتعاقب او المتتالى ، فالافعال التى فى ذخيرة او مستودع الكائن التى تمثل الاستجابات المرغوب فيهـا يحدث لها تدعيم فى بداية الأمر ، وما يلى التدعيمات هى تلك الاستجابات المماثلة والتى تشبه السلوك المرغوب فيه وتحدث بتقارب أكبر مع تزايد التكرار ، بينما الاستجابات غير المتشابهة تنبعث بتكرار اقل ، ومن هذه المجموعة الجديدة من الاستجابات المتشابهة فـان المختبر يختـار تلك الاستجابات التى تشبه الى حد كبير الفعل المرغوب فيه وتكون موضوعا التدعيم ، وبهذا الاسلوب فاننا نستطيع أن نوجه الكـائن لكى يصدر عنه انماطا سلوكية تتقارب اكثر واكثر من المعيـار او من الاشياء المرغوب تعلمها .

## ثانيا : التعلم المباشر : Direct tuition

ان السمات الجوهرية لهذا النوع من التعلم هو التوجيه المقصـود والمخطط للسلوك وممارسة التدعيم ، ومع أن التعلم المباشر يحدث بين الفصائل الادنى من الكائنات الآدمية ، الا ان الانسـان فقط هو الذى يستخدم هذا النوع من التعلم بصورة مكثفة اكثر من الحيوانات الاخرى ، ويرجع فعالية هـذا النوع من التعلم الانسانى بسبب اتقـان اللغة ، وبالتالى فان التعلم المباشر يكون متميزا عن التعلم المؤثر او الفعال من الحقيقة فى ان الأول يستخدم اللغة لتوضيح الانماط السلوكية المرغوب فيما ، فى حين ان الثانى يتطلب صـدور الاستجابة عن الكائن الحى ،

وبالتالى فاننا نستطيع أن نلاحظ فى التعلم المباشر أن السلوك الملائم والمرغوب فيه لا يمكن توضيحه فقط ولكن ايضا يمكن توجيهه وتدعيمه عن طريق الرموز ، فالطفل يخبر بما ينبغى ان يفعله ويوجه عن طريق التعليمات الشفوية وبعدئذ اما ان يكافأ بالاستحسان او يوبخ لفشله فى فى اداء الفعل المرغوب فيه ٠

وفى اشكال عديدة من التعلم المدرسى tutored learning فان التغذية الرجعية للمعلومات من البيئة أمر هام مثل معلومات المدرس ، فمثلا المهارات الرياضية المتعلمة هى فى جزء منها متعلم عن طريق التدريب الذى يوفر أو يمنح التغذية الرجعية فى النجاح أو الفشل ٠

**ثالثا : التعلم التصادفى او العرضى :** Incidental learning

ان الاشتراط المؤثر أو الفعال كأحد اشكال التعلم الاجتماعى له حدود الا اذا كانت الوكالة الاجتماعية هى التى تشكل سلوك الطفل عن عمد وقصد ٠ وعموما فان انماطا سلوكية عديدة غير مرغوب فيها قد يتم تعلمها عن طريق وكالات التطبيع الاجتماعى وعلى شاكل ذلك نجد التعلم العرضى او التصادفى يحدث لدى الانسان ، فمثلا قد ينطق الطفل الصغير بكلمة غير لائقة او غير مهذبة ،وعدم تناسب هذه الكلمة وتنافرها مع كلام الطفل قد يثير ضحك الكبار وقد يدعم ذلك استخدامه لهذه الكلمة ، ومع ان التدعيم هنا غير مقصود ، الا أن ذلك يزيد احتمالات تكرار الطفل لهذه الكلمة غير اللائقة ، وبالتالى نجد الطفل فى تكراره لها قد يثير الانتباه او قد يجعله مركز الاهتمام لدى والديه ومن ثم فانها تدعم فى اقواله ٠

وعموما فقد يكون الكثير من المظاهر السلوكية والخبرة التى لم يقصد الآباء تعليمها لاطفالهم قد حدثت عن طريق هذا النوع من التعلم ٠

**رابعا : آثار العقاب :**

كثير من المجتمعات لديها ثقة كبيرة فى تأثير العقاب ، فالطفل يعنف او يزجر ، والموظف يوقف او يحاكم والمجرمون يسجنون ، والمقصود من استخدام العقاب بهذه الطريقة هو استبعاد السلوك غير المرغوب فيه وليس لتكوين انماط سلوكية معينة ٠ وعموما فان الموقف العام لدى علماء النفس عبر عشرات السنون الماضية يمكن ان نوجزه فى هذه المسألة فيما يلى :

« مع ان العقاب قد يكبت بصفة مؤقتة سلوكا معينا ، فانه يضعف بالتـــالى الدافعية لأداء الفعل . ونجـــد ان نتائج الدراســـات التى اجراها كل من تشرش Church (١٩٦٣) وسولمان Solomon (١٩٦٤) تفسر بوضوح على الرغم من أن هذا الموقف اذا كان صحيحا ، الا انه يجب أن يكون تحت ظروف محدودة جدا .

وعموما فان نتائج العقاب تختلف بصورة ملحوظة مع الظروف التى يقع فيها . فمثلا فى تجارب الفئران والقطط والكلاب فان صدمة كهربائية متدرجة فى شدتها من الضعف الى الشـــدة قد أظهرت نتائج تعلميه افضل ، فالصدمة الضعيفة تقوى السـلوك ، والمتوسطة تكبت السلوك بصورة مؤقتة ، والعالية بصورة متوسطة قد احدثت كبتا جزئيا ، والشدة العالية احدثت كبتا كاملا . ومع أن العقاب غالبا ما يحدث كبت مؤقت ، الا انه قد يكون مؤثرا بصورة دراماتيكية .. ولقد اجمـــل سولمان بعض الظروف التى تؤثر على نتائج العقاب يمكن اجمالها فيما يلى : (١)

١ ــ ما اذا كان السلوك الذى عوقب عليه مشبع داخليا ، أو كـــان وسيلة للحصول على الاشباع .

٢ ــ ما اذا كان السلوك الذى عوقب قد تم تعلمه أصلا عن طريق المكافاة او العقاب .

٣ ــ ما اذا كان العقاب مرتبط عن قرب حدوث السلوك المعـــاقب عليه .

٤ ــ ما اذا كان العقاب يسبق او يتبع المكافاة .

٥ ــ قوة السلوك المطلوب معاقبته .

٦ ــ الى اى مدى يكون هذا العقاب مالوفا او غير مالوف .

٧ ــ ما اذا كان استبعاد العقاب يؤدى الى تقويـــة سلوك مناقض للسلوك المعاقب عليه .

---

(1) Solomon, R. L. : Punishmen, Amer. psych. 1964. I9, PP. 239 : 253.

ان العقاب كثيرا ما يؤدى الى تعلم غير مقصود ، فمثلا قد يتعلم الطفل ان ينكر القيام بفعل معين ، وقد يصبح هذا الانكار امرا عـــاديا « عـــادة » اذا كان ذلك سيؤدى به باستمرار الى التهرب من العقاب . كما أن للعقاب ايضا نتائج اخرى سنشير اليها عندما نناقش تكوين الضمير . وعموما فان المعلومات العلمية عن اثر العقاب ما زالت تحتاج الى دراسات اخرى ، فالكثير من البحوث قد اجريت على الحيوان بسبب الاحجـــام المفهوم للختبرين فى توقيع العقاب على الانسان ، كما أن التعميم من الحيوان الى الانسان غالبا ما يكون مخاطرة . ومن بين الاسباب لهذا هو اننا فى المواقف اليومية نرى ان المثيرات المؤلمة تدرك على التو على انهـــا ناتجة من عامل انسانى آخر بينما الحيوانات تدرك النتائج المؤلمة لافعالها على انها من الخصائص المنظورة لموقف أو ظرف بيئى معين . هذه حقيقة تجعل موقف الانسان اكثر تعقيدا الى حد كبير والحقيقة انه لأمر يبعث على التساؤل عما اذا كانت المواقف كما تدركها الحيوانات تستحق أن تسمى عقابا ، وهو مصطلح بين البشر يستأهل على الاقل ويتضمن فعـــلا مقصودا متعمدا .

وعموما فانه من المفيد ان نتصور عملية التطبيع الاجتماعى بمصطلحات التعلم سابقة الذكر ، كما ان عملية التطبيع قد نوقشت على مستوى اكثر تعقيدا نوعا وذلك عن طـــريق التعلم من النمـــاذج ؛ ومفهوم التقـــليد والتقمص تندرج تحت هذا المصطلح ، وسنتكلم عنها فى الصفحات التالية بشىء من الايجـــاز .

## التعلم من النماذج : Learning from models

لقد وجه كثير من علماء النفس انظارنا الطبيعة التقليدية لكثير من الانماط السلوكية البشرية وعلى الأخص سلوك الاطفال ، فعادة ما تشغل الاطفال ببعض الافعال التى تشبه الى حد كبير افعال آبائهم والاقرباء لهم وأبطال السينما والتليفزيون واشياء اخـــرى كثيرة . وفى الحقيقة فان السلوك التقليدى امر شائع الى حد كبير ولقد اشار كل من تارد Tarde (١٩٠٣) وماكدوجل Mc Dougall (١٩٠٨) الى انها غريزية ، وفى عهد عهد قريب فقد افترضت عمليات التعلم المختلفة كتفسير لعملية التقليد والمحاكاة . انها تتضمن التقمص والتطابق ، وممارسة الدور وتعلم الدور ، كما أن هذه العمليات التعلمية تختلف عن الاشتراط ، حيث نجد فيهـــا النموذج الرمزى أو العينى هو امر واقع فى هذا النوع من التعلم .

## التعلم الشهودى المبنى على النماذج :
Observational learning based on models

لقد اشار دونالد كامبل D. Campbell (١٩٦١) الى نوعين من التعلم المبنى على ملاحظة النماذج اذ يقول :

« فى أحد هذين النوعين يلاحظ المتعلم نتائج السلوك النموذج ، انه يتعلم انه نتيجة لسلوك معين يكافأ النموذج او يعاقب ، فمثلا فان الطفل الصغير الذى يصاحب اخاه الاكبر لدكان الحلوى قد يتعلم أن اخاه يأخذ الحلوى مقابل مبلغ من المال ، وبالتالى نجده يفسر القدرة على الكسب من خبرة اخيه الاكبر . وفى النوع الثانى للتعلم الشهودى نرى المتعلم يركز على ملاحظة افعال النموذج اكثر من نتائجها ونجد فى هـــذا النوع أن النموذج لا يكافأ على افعاله ولكن المتعلم هو الذى يكافأ اذا قلد السلوك الذى عرض أمامه على التو من قبل النموذج .. وجدير بالذكر أن هذا النوع من المواقف تتضمن ما يسميه ميلر ودرلارد Miller & Dollard (١٩٤١) بالسلوك المقلد أو التابع matched-dependent behavior وامثلة كثيرة يمكن أن تقدم لهذا النوع من التعلم .. (١) فالطفل الذى يكرر فعلا مؤدى بواسطة والده غالبا ما يكافأ مثل قولنا له بانه ذكى أو شاطر وما الى ذلك . كما نجد أن الطفل يكافأ بتقدير معين او منزلة عند والده حين يقلد بعض حركات أخيه الاكبر ،كما نجد الطفل يتعلم بواســطة الاستحسان الاجتماعى كلمات جديدة وذلك عن طريق تكــرار هذه الكلمــات التى استخدمت عن طريق والديه ؛ وعموما فان كل من النوعين السابقين كثيرا ما يطلق عليه التقليد والمحاكاه .

## التقمص : Identification

هذا المصطلح شائع منذ زمن بعيد فى نظريات التطبيع الاجتمـــاعى حيث يعطى تفسيرا نفسيا اجتماعيا عن كيفية تعلم الطفل لانماط سلوكية جديدة وادوار اجتماعية معينة ؛ وتكوين ضبطا داخليـــا أو ضميرا . وعموما فلقد عرف التقمص بعدة طرق على ايدى كتـــاب مختلفين ، فقلد اشار ونش winch (١٩٦٢) على سبيل المثال بأن هذا المفهوم ذو علاقة وثيقة بالتقليد وفى اوقات كثيرة يعـــامل المفهومين بصـــورة

(1) Campbell, D. T. : Conformity in psychology's theories of acquired behavior dispositions, In L. A. Berg & B. M. Bass (ed.) Conformity and deviation, New York, Harper & Row pub. INC. 1961, P. 80.

تبادلية (٢) ٠ كما نرى بعض علماء النفس الاجتماعى يشيرون الى هـــذا المصطلح كمرداف لعملية التطبيع الاجتماعى وفى احيان اخرى يحددونه بعملية معينة كالتعلم المقلد التابع الذى تكلمنا عنه منذ قليل ٠

وماد منا نتكلم عن عملية التطبيع الاجتماعى كعملية تعلم ، فسوف يكون استخدامنا لهذا المفهوم ضيقا ؛ اذ سينصب اهتمامنا لهذا مصطلح كعملية تعلل وتوضح اسباب اختيار نموذج ما بدلا من غيره ٠ ولقـــد عرض كثير من الباحثين مجموعة من المبادىء لكى يبينوا اسباب اختيار نموذج معين للتقمص والجدير بالذكر ان هذه المبادىء ليست مانعه من التبادل او التداخل ، كما قد يستخدم اكثر من مبدأ لالقاء الضوء على عملية التقمص هذه ٠٠ ويمكن ايجاز اهم هذه المبادىء فيما يلى :

**١ ـ التدعيم القانوى :**

حيث يختار شخص ما كنموذج لانه غالبا ما يكافىء المتعلم فى كثير من الاحيان ٠

**٢ ـ التدعيم البديلى :**

يختار شخص كنموذج وذلك لانه غالبا ما يتلقى مكافات والتى تخبر بصورة بديلية عن طريق المتعلم ٠

**٣ ـ منع الحب :**

يختار شـــخص ما كنموذج لان المتعلم يخشى لو انه لم يفعل ذلك ، فسيمنع ذلك الشخص حبه عنه ٠

**٤ ـ تجنب العقاب :**

يختار شخص ما كنموذج لان المتعلم يخشى ان يؤذية ذلك الشخص ان لم يفعل ذلك ٠

**٥ ـ غيره او حسد المنصب :**

يختار شخص ما كنموذج بسبب غيره الاخر منه ، وذلك لانه يتلقى المكافأت من الاخرين ٠

(1) Winch, R. . Identification and its familial determinants, New York, Bobbs - Merrill Co. INÇ. 1962, PP. 34 : 36.

### ٦ ـ السلطة الاجتماعية :

قد يختار شخص ما كنموذج وذلك لان لديه السلطة لكى يكافىء الاخرين ( ولكن ليس بالضرورة مكافأة المتعلم ) .

### ٧ ـ التشبه بالمتعلم :

يختار شخص ما كنموذج لان المتعلم يدرك بأن لديه سمه مماثلة لاحد سمات ذلك الشخص (١) .

وسنناقش فى ثنايا الصفحات التالية بعض المناهج ووجهات النظر الشاملة عن التطابق والتماثل ، والتى سنراها توحد العديد من تلك المبادىء السابقة .

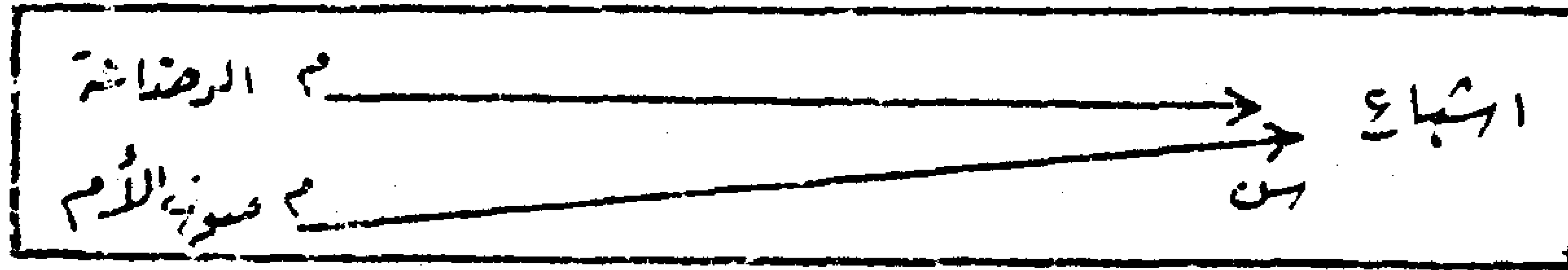
### ـ التقمص عن طريق التدعيم الثانوى :

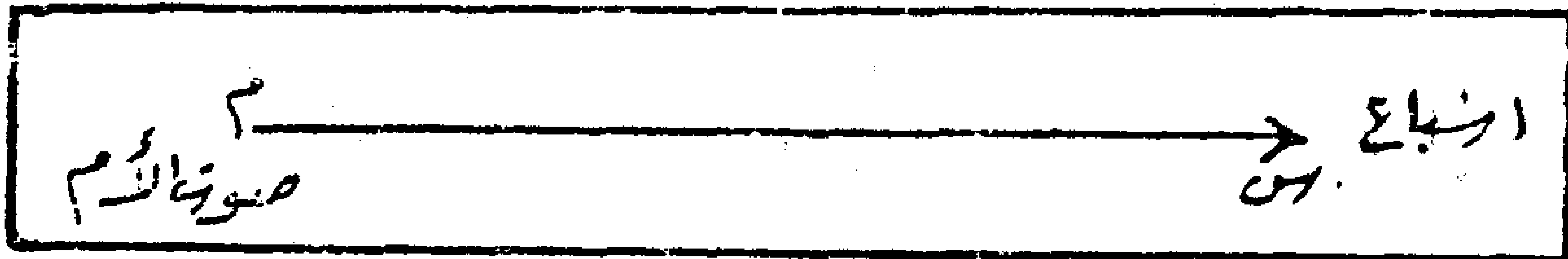
ان التحليل المشهور لعملية التقمص فى نظرية العاملين فى التقليد لمورر Mowrer (١٩٥٠) يتمركز على مبدأ التدعيم الثانوى لنظرية التعلم الكلاسيكية . ويشير هذا المبدأ الى ان المثيرات المرتبطة بصورة متكررة بمثير اخر متبوع بالتدعيم ، فانها بالتالى تصبح مدعمة ، فمثلا الشمبانزى التى تعلمت استخدام سيخ الحديد لتحريك شرائح البطاطس والحصول على الطعام ، من الممكن ان نجعلها تؤدى أعمالا اخرى باعطائها شرائحمن البطاطس كمكافأة لها . ولف Wolfe (١٩٣٦) وبعمل النماذج يحدث التعلم نتيجة الارتباط المتكرر لسلوك النموذج عن طريق المكافآت التى يعطيها النموذج للطفل . ان هذا الارتباط بسلوك النموذج بموقف مدعم يؤدى بسلوك النموذج الى ان يكتسب صفات التدعيم الثانوى ، وهكذا عندما يقلد الطفل سلوك النموذج فانه بالتالى يخبر التدعيم ذاتيا . فمثلا اذا كانت الام تتحدث للطفل اثناء اطعامه ، فان سلوكها اللفظى يكتسب بالتدريج الخصائص الاشباعية . ونجد الطفل يصدر اصواتا معينة وذلك لاكتسابها خصائص التدعيم ، الا ان الفاظ الام غالبا ما تكون أبعد من قدرته وبالتالى نجد ان الفاظ الطفل تعتبر بمثابة بعد للتشبه بالفاظ الام . واخيرا فان السلوك الذى يدوم يرجع الى حدوث التدعيم الثانوى وذلك لارتباطه بالمكافآت الايجابية من الاشخاص الاخرين او من البيئة المحيطة بالطفل .

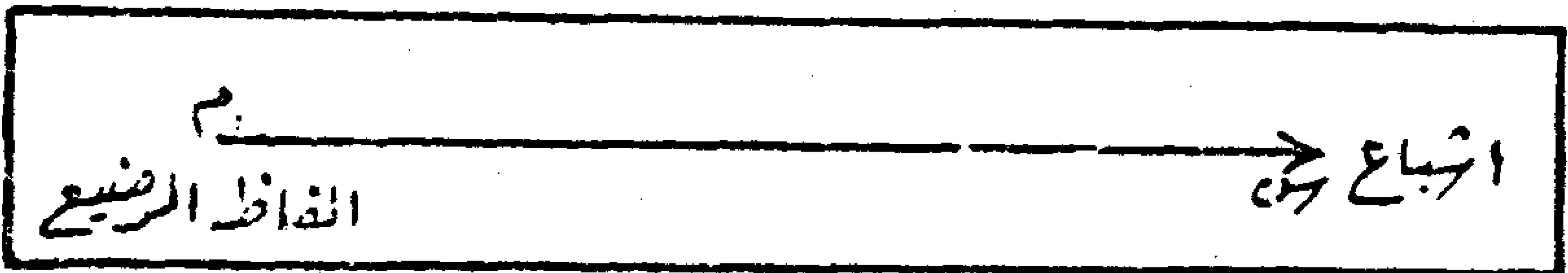
---

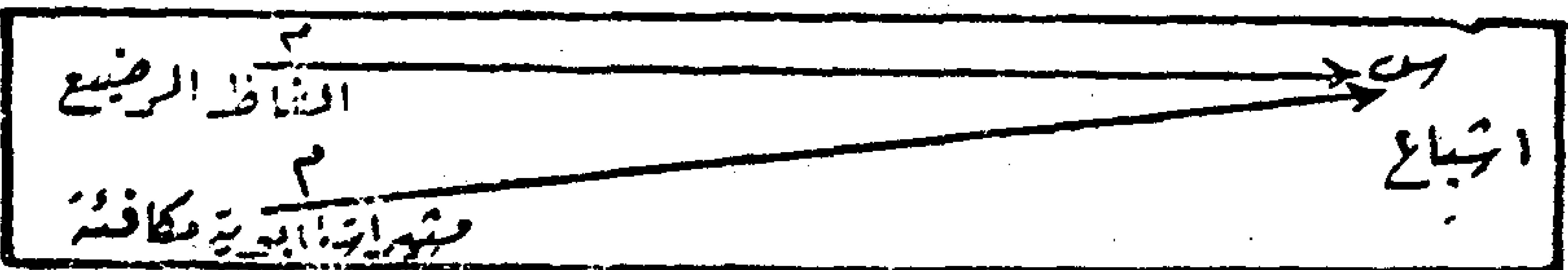
(1) Secord, P. F. & Backman, C.W. : op. cit., PP. 532 : 533.

ولقد اوضح موورر Mowrer (١٩٥٠) هـــذه العملية على النحـــو التـــالى (١) •




تتابع عملية التعلم فى نظرية العاملين للتقليد عند موورر •

ومن خـــلال دراسة اجراها كل من باندورا Bandura وهســـتن Huston (١٩٦١) (٢) القت الضوء على عملية التدعيم الثانوى المفسر لعملية التقمص ، فلقد احضرت احـــدى الفتيات والتى تعمل كنموذج طفـــلا الى غرفة التجريب ، وبعد أن اخبرته بأن يلعب باللعب الموجودة على الارض أخذت فى شغل نفسها بالعمل فى بعض الاوراق على مكتب فى ركن بعيد من الغرفة ـ حاله أو ظرف غير مكافىء ، وفى الحالة الاخـــرى المكافئة فلقد

(1) Mowrer, O. H. : Learning theory and personality dynamics, New York, Ronald Press Co., 1950, PP. 531 : 561.

(2) Bandura, A. & A.C. Huston : Identification as a process of incidental learning, J. abn. soc. psy. 1961, 63, PP. 311 : 318.

جلست النموذج على الارض بالقرب من الطفل واخذت فى توضيح اللعبة اليه بصورة ايجابية . كما قامت بمكافأته خلال لعبه · وبعد جلستين فقد أجرت اختبار للتعلم التقليدى ، حيث النموذج والطفل لعبا « لعبة بسيطة » وخلالها اظهرت النموذج سلوكا عدوانيا ، وبعض الالفاظ ، غير المتصلة كلية باللعبة وعندما جاء دور الطفل فى اللعب ، فان الاطفال الذين كانوا فى ظروف المكافأة اظهروا سلوكا اكثر تقليدا الى حد كبير من هؤلاء الاطفال الذين كانوا تحت ظروف غير مكافئة ·وعموما فان الاطفال فى الظروف المكافئة لم يؤدوا السلوك الضرورى للعبة فقط ، ولكن ايضا قلدوا الافعال غير المناسبة للنموذج. ، كما أن بعض هذه الانماط السلوكية قد استمرت بعد اللعبة أى بعد أن ترك الطفل غرفة الاختبار · وهذا يشير الى أن الاطفال قد اكتسبوا خواص التدعيم الثانوى ، وبالتالى تؤدى هذه الفكرة السابقة من التعلم ·

## ـ التدعيم البديلى فى عملية التقمص :

لقد أشارت باندورا Bandura (١٩٦٢) للدليل بانه عندما تلاحظ النماذج كمدعمات لانماط سلوكية معينة ، فان الملاحظ غالبا ما يؤدى هذه الانماط السلوكية · ان احد تفسيرات تلك النتائج التجريبية هو ان الملاحظ يخبر تدعيمات النموذج بصورة بديلية · وتشير باندورا الى تجربتين مصممتين لاختبار الافتراض بأن مكافأة النموذج تزيد من الاحتمال بأن الملاحظ سيحاكى أو سيتبنى بعض انماطه السلوكية ·

ففى احدى التجارب احضرت ثلاثة مجموعات من اطفال مدرسة الحضانة لاحظوا نموذج طفل تحت ثلاثة ظروف مختلفة :

( أ ) نموذج عدوانى مكافىء ·

(ب) نموذج عدوانى معاقب ·

(جـ) نموذج غير عدوانى لم يعاقب ولم يكافىء ·

كما أحضرت مجموعة رابعة من الاطفال لم تعرض عليها نماذج قط · ولقد أشارت نتائجها الى ان النموذج الذى لوحظ من قبل الاطفال انه كوفىء أو قد تلقى مكافأة فلقد حاكاه وقلده الاطفال الى أقصى حد · كما أشارت الى استنتاج جانبى اخر مؤداه ، بأنه على الرغم من محاكاه النموذج العدوانى

(1) Bandura, A. : Social learning through imitation, New York, Nebraska Un. Press, 1962, P. 234.

فى بعض الاحيان ، الا أن صفاته قد قيمت عن طريق الاطفال بصورة سلبية ، ولقد استخدم الاطفال الفاظ مثل روكى عنيف وقاس ٠٠ وساكون قاسيا مثلما كان ٠٠ ، كما وصف بانه خشن متسلط شرير ٠٠ الخ ٠ وهكذا فانه ليس من الضرورى ان يكون النموذج جذابا أو محبوبا لكى تحدث معه عملية التقمص ٠٠ ، كما اكدت المقـــابلات التى اجـــريت بعد التجربة مع الاطفال بان نجاح النموذج فى التحكم وتنظيم اللعب فى المواقف كان بمثابة الاساس الأولى للجاذبية نحو سلوكه ٠

## النظرية الاعتمادية للتقمص أو التوحد :

هذه النظرية تستخدم المفهوم الخاص بالتدعيم الثانوى ومنع الحب ،

فيشير سيرز Sears (١٩٥٧) الى ان التقمص يحدث عندما يصبح الملاحظ معتمد أو تابعا للنموذج ، فلان الام تشـــبع حاجات الطفل البيولوجية ، فاننا نجد افعالها تصبح مدعمة فى حد ذاتها ، جاعلة طفلها معتمدا عليها ، وبالتالى نجده يتبنى الكثير من أفعالها لانها مدعمة ذاتيا ٠ وتقوى التبعية عن طريق منع حب الام عن الطفل من حين لآخر وفى اثنـــاء غيابها فانه يحتاج الى اداء تلك الافعال ليحصل على الاشباع ٠ ويستطرد سيرز بقوله ، انه اذا كانت الام دائما موجودة وتمارس عملية اطعام وليدها وتوفر له الغذاء والراحة ، فان الطفل سيكون لديه فرصة ضعيفة لكى ينسخ افعالها لكى يحصل على تدعيم ذاتيا ، كما أن الطفل فى حالة المربية او المرضعة النابذة لن يدفع الى نسخ افعالها وسلوكها ، ان قمة قـــوة الدافع لعملية التقمص يمكن التوصـــل اليها عندما نعطى الطفل الحب والغذاء والذى يمنع بصورة مؤقتة او دوريا ، فان ذلك يخلق الموقف الذى سيكافىء منه الطفل عند التشبه بسلوك الوالدين (١) ٠

## نظرية حسد المركز فى التقمص أو التوحد :

لقد قدم هوينتج Whiting (١٩٦٠) نظرية التقمص أو التوحد والتى يشير الى ما فيها من دافعية على انها تتمثل فى حســـد المركز أو الموقف ، وكما هو موضح عن طريق الاقتباس التالى ، فان الطفل يدفع نحو التقمص والتماثل مع والديه أو الاخرين بسبب حسده لسلطتهم على المصادر أو الوسائل ، فانه يدفع هكذا اذا كان لشخص المتحكم فى المصادر قادرا على أن يمنعها عنه ، ويشير هوينتج إلى ذلك بقوله :

---

(1) Sears, R.R. : Identi ication as a form of behavioral development, IN, O. B. Harris, (Ed.) : The concept of development, New York, Minnesota Un. Press, 1957, PP. 154 : 155.

« اذا كان طفل ما يدرك أن شخص آحر لديه سلطه كافيه او تحكما اقوى على المصادر اكثر مما لديه . فاذا راى شحص أخر يتمتع ويستهلك مصادر ذات قيمة عالية عنده . فى حين أنه يحرم منها ، فانه سيحسد مثل هذا الشخص ويحاول أن يحاكيه فى تصرفته ويضاهيه فى مسلكه ، وتبعا لذلك فان الطفل لا يحسد مركز الشخص الذى يعطيه أو يقــدم اليــه المصادر ؛ لانه فى هذه الحالة ( الطفل هو المستهلك للمورد أو المصدر ويحتل بالتالى المركز المحسود انه على عكس ذلك سيحسد مركــز هؤلاء الوسطاء أو الدخلاء الذين يمنعون الموارد عنه . ويجردوه من الموارد التى كانت فى بادىء الامر له . ولقد أطلق هوينتج على هــذه العملية بحســد وسيط المورد ...vy resource mediator (١) .

كما ان دافعية التقمص أو التوحد مع شخص آخر . ينتج عن طريق حسد المركز . ان التعلم الفعلى للتقمص يتضمن القيام بدور الحالة المحسودة وبمركزها . ويشير هوينتج الى ذلك بقوله .

« كلما حسد طفل مركز طفلا آخرا وذلك بالنسبة لتحكمه فى مورد معين ، كلما زادت ممارسته لدوره بصورة خفية أو مقنعة ، ونعنى بالممارسة المقنعة ، على أنه سوف ينهمك فى خيالات حيث يرى فيها نفسه على أنه الشخص المحسود الذى لديه سلطة الضبط والاستهلاك للموارد القيمة والتى قد حرم منها . ان هذه الخيالات والتى تتمثل فى كونه شخص أخر غير نفسه هى فى جوهرها عملية تقمص أو توحد .. (٢) .

ولا يعتبر هوينتج السلطة الاجتماعيه ذاتها كمصـــــدر للتقمص او التوحد ، ومن وجهه نظره أن سلطة التحكم والضبط لا تنتج عملية توحد . الا اذا كان الوسيط على المصادر يمنعها عن الطفل ، ويؤدى ذلك الى الحسد، كما أن الوسيط الذى يكافىء الطفل بحريه ، لا يتوحد معه وفقا لوجهة نظر هوينتج على الرغم من انه صاحب سلطه بفضل المصادر المتاحة والمتوفره لديه . وبالاضافة الى انه اذا كان وسيط المصدر يمنعه عن الطفل ويعطيها لطفل آخر ، فان هذا الأخير سيشغل مركز المحسود (٣) .

وهكذا فان حسد المركز ينتج عنه تقمص وتوحد مع متلقى المكافآت

(1) Whiting, J.W. : Resource mediation and learning by identification, IN, I. Scoe & H. W. Stevenson, (eds.) Personality development in children, Un. of Texas Press, 1960, P. 118.

(2) Ibid., P. 119.

(3) Ibid., P. 118.

وليس صاحب سلطة التحكم بالمكافآت ، وذلك الا اذا كان المتحكم هـــذا يكافىء نفسه ويحرم الملاحظ . فى هذه الحالة فقط يكون موضوع للحسد

## نظرية التشابه فى التقمص أو التوحد :

لقد اشار ستتلاند Stotland (١٩٦١) الى نوع من التطابق والتقمص مختلف الاسس كلية عن الانواع التى فرغنا من مناقشتها حتى الان . اذ نجده يشير الى نوع من التقمص يرتكز على العملية الادراكية المعرفية perceptual — Cognitive ، كما انها تتعارض مع عملية التعلم التى تتضمن الدافعية . ويعتقد أن التقمص أو التوحد بهذه الكيفية قد يكون مفيدا فى القاء الضوء على بعض اشكال التعلم العرضى غير المقصود . كما ان التقمص الذى جوهره التشابه يحدث عندما يدرك شخص ذاته ، أو يتصور فرد ما نفسه ، وشخص آخر بأن لها بعض السمات المشتركـــة . ويدرك بصورة أكثر من ذلك بان الشخص الآخر لديه بعض الســـــمات الاضافية . وعندئذ يعتقد بأن لديه السمة الثانية وغالبا ما يسلك تبعا لذلك . وجدير بالذكر ان النموذج فى هذا الشكل من التقمص والتماثل لا يحتاج الى ان يكون موضوع للتعاطف او الخوف وذلك كما هو الحال فى بعض النظريات التى سبق الاشارة اليها ، اذ نلاحظ أن أحد الظروف التى تحدد عما اذا كان التقمص سيحدث أو لا ، هو بمثابة انسجام سمة النموذج مع مفهوم الشخص لذاته .

ولقد اجريت سلسلة من الدراسات على ايدى ستوتلاند Stotland ومعاونيه تعاملت مع سمات مختلفة كأساس للتشابه . وكذلك بالمتغيرات الموقفية المختلفة التى قد تؤثر فى عملية التقمص ، ولقد قدمت هـــذه الدراسات تدعيما قويا لنظرية التشابه المرتبطة بعملية التقمص (١) .

## تعلم التطـــابق :

التعــــلم عن طريق التوحد او التقمص يحـــدث كثيرا وذلك لان الافراد تتعلم من خلال خبرة تقليدهم نماذج ناجحة ، خاصة عندما يكونون فى حاجة الى حل مشكلة ما . ففى مواقف اجتماعية كثيرة قد يجد الفـــرد احد وسائل حل المشكلة هو تقليد سلوك شخص آخر . الا ان الفرد لايختار

---

Stotland, E.S. & others : the effects of group expectations and self esteem upon self evaluation, J. of abn. soc. psy., 1957, 54, PP. 55 : 63.

غير متأكد من حل معين . او لا يعرف كيف يسلك في موقف ما . ويكون ببساطة النموذج بصورة عشوائية . فقد تعلم من خلال خبرته ان بعض النماذج تمتلك امكانية اكبر على اداء افعال صحيحة اكثر من غيرها . وهكذا فان الفرد قد يختار شخصا كان يبدو من قبل كنموذج ناجح . او قد يقع اختياره على آخر لانه كان يتلقى مكافآت في احيان عديدة . فقد يتعلم الملاحظ أي نوع من النماذج يتخذها بصورة عامة لكي يحصل على ما يريد . ولذلك فانه يبدو من الحكمة تقليد ذلك النوع من النماذج . وغالبا ما نرى الاطفال يتعلمون بسرعة كيفية تقليد اخوتهم او اقاربهم الاكبر سنا .

وعموما فان الاشخاص غالبا ما يتخذون الافراد الاكبر سنا ، والاكثر ذكاء او ذوى مهارات ومراكز خاصة كنماذج مختارة لهم . ولقد ناقش دونالد كومبل D. Compell (١٩٦١) هذ الموضوع باستفاضة اطول . واشار الى النقاط سالفة الذكر . (١) .

وربما يتحقق التقمص السلبى اشـــارة موجزة ، فلقـــد اشار ونش Winch (١٩٦٢) ، انه عند الحاجة أو في مناسبة معينة قد يعمل الفرد كنموذج لكيفية السلوك الخاطىء . ويحدث ذلك عندما يكون النموذج غير محبوب ، فمن المتوقع ان الملاحظ سوف يتبنى سلوك مناقض لذلك الذى يعرضه النموذج ، فمثلا قد نجد احد الابناء يظهر استيائه من اصرار والده أو والدته على النظام والترتيب الصارم ونجده بالتالى قـــد يتبنى العادات المناقضة للترتيب والنظام على نطاق واسع في حياته ، ففى هذه الحالة فان الام او الأب ليست مكروهة كشخص ولكن بعض من انماط سلوكها قد أصبح مرفوضا . وهذا التفاعل السلبى قد يوضح عن طريق التعلم المؤثر او الفعال بدون استحضار التقمص او التماثل . حيث نجد الأم تضع معايير مستحيلة التنفيذ ، الا ان اى محاولات للتراخى في ان يطيع مطالبها ويذعن لأوامرها في هذا الشأن تقابل باستنكار من جانبها ، فان هذا الاسلوب يدعم سلبيا الافعال النظامية أو المرتبة ، وبالتالى يقلل من احتمال وقوع مثل هذه الافعال .

### النماذج الرمزية :

لا تحتاج نماذج التقمص او التوحد الى أشخاص عيانيين ، فالانماط

(1) Compell, D. T. : Conformity in psycholog's theories of accquired behavior disposition, IN, I.A. Berg & B.M. Bass, (Eds.) Conformity and deviation, op. cit., 1961, P. 70.

السلوكية يمكن ان توجد على صورة رمزية وتقلد وتنسخ لسبب او لآخر. وهذه الاشكال ربما تكون او تبتكر فى خيال الشخص نفسه ويستخدمها كمناذج له . ان فكرة « النمط المثالى » Ideal type للشخص وثيقة الصلة بهذا الموضوع .. كما انه لا داعى لتقليد النموذج فى كليته اذ يمكن أن تتبنى عناصر معينة من سلوك النموذج . وعن طريق اختيار عناصر من السلوك لنماذج مختلفة فان الشخص قد ينتج انماطا سلوكية أصيلة او مبتكرة .

وجدير بالذكر ومع انه يوجد اتفاق عام بأن الاطفال يتعلمون عن طريق نسخ وتقليد سلوك النماذج ، الا أن هذا المجال ما زال فى حاجة الى دراسات اخرى حتى نستطيع أن نقيم النظريات المختلفة فى التقليد والتقمص ، كما أن هناك تدعيم كبير للاتجاه بأن التدعيم الثانوى يؤدى الى التقمص والتوحد ، كما ان البينة من مصادر عديدة تدعم هذه الفكرة ، فان منع الحب يدعم التبعية وبالتالى التطابق الناتج عنه .. الا أن بقية الافكار ما زالت فى حاجة الى سند تجريبى يدعمها .

ومن الممكن ان يكون العديد من العمليات او جميع الميكانزمات المشار اليها قد تعمل فى نفس الآن أو فى اوقات مختلفة لتنتج تقليداً وتطابقا . كما نستطيع ان نحدد التطابق والتماثل وعلى وجهة التقريب عن طريق جميع مواقف حياتنا اليومية المتعددة .

## تعلم الدور

لقد قدمت المناقشة السابقة مبادىء متعددة تؤكد الظروف المختلفة لعملية التعلم الاجتماعى . الا أن الصفات الاوسع انتشارا لعملية التطبيع الاجتماعى سنركز عيلها هنا تحت موضوع « تعلم الدور » وسيغطى هذا الموضوع ثلاثة موضوعات اخرى فرعية مرتبطة به وهى :

أ - محتوى الدور .

ب - عمليات تعلم الدور .

ج - العوامل المسهلة او المعوقة لتعلم الدور .

كما أن هناك عديد من المفاهيم مرتبطة بعملية تعلم الدور وهى المركز، وتوقعات الدور ، وسلوك الدور ، وشريك الدور ، ولنجمل ذلك بقولنا ان

المركز يتمثل فى فئة من الافراد تشغل مكانا معينا في علاقة اجتماعية ما ، وهكذا فان الانظمة الاسرية لها مركــز يشغل عن طريق شخص ما ، وقد يشار اليه بالأم – أما توقعات الدور فتتمثل فى الافكـــار والاحاسيس والمشاعر والانماط السلوكية التى تعتبر ملائمة او غير ملائمة لشاغل مركز معين ، أما سلوك الدور فيتمثل فى سلوك شاغل المركز والتى تعتبر وثيقة الصلة بالتوقعات المرتبطة بالمركز ، وكل مركز مرتبط بعدد من المراكـــز المضادة ، وعادة ما يسمون الافراد الذين يشغلون الوضع أو المركز المضاد « بشركاء أو زملاء الدور » role parteners ، فمثلا ، رفيق دور الام هو الطفل .

### أ – محتوى تعلم الدور :

تحتوى عملية تعلم الدور ، تعلم كيفية السلوك والاحســـاس ورؤية العالم بأسلوب مماثل لاشخاص أخرين يشغلون نفس المركز . فعمليـــة التفاعل بصورة مؤثرة مع الاشخاص الاخرين عند القيام بالدور . وأنماط السلوك والاحساسيس ، وتوجيهات رفقاء الدور .. جميعها متعلمة . فالام لطفل مولود حديثا لا تتعـــلم فقط كيف تشعر بأحاسيس الأمومة ، ولكنها تكتسب أيضا وبالتدريج الاستبصار بمشاعر وأحاسيس وليدها ، كما أن عملية تعلم الدور أمر هام فى نمو هـــذه الاستجابات الادراكية – المعرفية ، حيث جميعها تعـــزى على أنها « الذات » . والمظهرين الأول والثانى لتعلم الدور سوف نلقى الضوء عليها فى ثنايا الصفحات التالية .

#### ١ – معايير وقيم التعلم المرتبطة بالدور :

رفقاء شاغل المركز عـــادة ما يتقاسمون ايديولوجية معينة . فيما يختص برفقاء الدور ، حيث يوافقون على الاتجاهات والانماط السلوكية المناسبة لشاغلى المركز المضاد ، فالطبيب تحت التمرين مثلا نراه يطمح فى دور الطبيب ، اذ نجده يتعلم مراعاة شعور المرضى ، والممرضات والنظـــام فى المستشفى وذلك كما يفعل الاطباء الآخرون فى مراعاة زملاء الدور .

كما أن شاغل الدور الطموح عادة ما يكتسب اتجاهات وقيم تشارك بواسطة الشاغلين الاكبر خبره فىذلك الوضع أو المركز ، فالفتاة تريد ان تكون جميلة ومحبوبة لدى الأولاد ، كما أن المراهق قد يحلم أن يصـــبح بطلا رياضيا ، كما أن طالب الطب يتعلم اتجاهات الاطباء نحو الحـــياة والموت . وعدم الاطمئنان والتأكد الكلى للمعرفة الطبية .

كما أن دور المتعلم كثيرا ما يكتسب استجابات انفعالية تتناسب مع انفعاله . او عدد الانفعال لدى الاخرين الذين ينفمون او ينحرفون عن القيم والمعايير التى قد اكتسبها . انه يتعلم تطبيق العقوبات على نفسه وعلى الاخرين عندما ينحرف السلوك عن المعايير المقبوله . ردود الفعل هذه المرتبطة بالتفاخر او الموافقه او الاستحسان والاشمئزاز والغضب والذنب والخجل تشكل بصورة فعاله انماط سلوكه وحركته فى المناحى المرغوبة .

وغالبا ما تتطلب توقعات الدور من شاغلها ان يميز انفعالات أو احاسيس مختلفه تماما عن هؤلاء الاشخاص الذين هم فى مواقف مماثله ولكنهم لا يشغلون نفس الدور . فالاولاد الصغار مثلا يتعلمون بالتدريج الا يبكون فى مواقف قد تكون مناسبه للبكاء عند البنات الصغار ، كما أن تعلم دور الطبيب يعطى مثلا اكثر ترتيبا نوعا ما ، فطالب الطب يجب أن يتعلم كف او منع استجابات الاستثارة الجنسيه للمراة المتجردة من ملابسها ، وثمه انفعال أخر عاده ما يمنع عنه الأطباء وهو حب او بغض المريض . ولقد اشار كل من مارتن Martin (١٩٥٧) ودانيلز Daniels (١٩٦٦) . كل من هذين الدراستين وصفتا كيف يتعلم الاطباء منع هذه المشاعر والاحاسيس . كما لوحظ ان مثل هذه الانفعالات قد تتدخل فى النز مات المهنيه وذلك عن طريق اعطاء اهتمام وعنايه غير متساوية للمرضى ، ان لم يستطع الطبيب فى منع وكبت هذه المشاعر والاحاسيس (1) .

## مهارات الدور ووسائله :

غالبا ما تكون للأدوار مهارات ووسائل فنية معينة ، ترتبط بها عادة ، ويجب أن يكتسبها شاغل هذا الدور ويتعلمها ، وتقع هذه الوسائل الفنيه فى نوعين :

١ ــ تلك التى ترتبط بصوره مباشرة بانجاز المهام المتضمنة او المصاحبة للدور .

٢ ــ تلك التى تتعامل مع مشاكل متكررة معينة ، والتى يواجهها شاغلوا المركز او الوظيفة ، والمشكلات غير المباشرة خاصة اذا كانت مرتبطة بوظيفة الدور الظاهر : فمثلا يجب أن يتعلم النشال ليس فقط استخراج الاشياء الثمينة من شخص ما بدون اكتشاف امره ، ولكن ايضا كيف يتجنب القبض عليه فى حالة اكتشافه . واضف الى ذلك اذا قبض عليه فيجب ان

---

(1) Martin, W. : Preferences for types of Patients, IN P. Merton & others, New York, Harvard Un. Press. 1957, PP. 189 : 205.

يعرف كيف يتجنب الادانة اثناء محـــاكمته ، وكما اشـــار الى ذلك سوثرلاند (١٩٣٧) ، يجب ان يكون على دراية كافية باستعمال الاساليب الفنية للرشوة والتلفيق والتزوير وما الى ذلك ٠٠ (١)

وهناك صنف آخر من الوسائل الفنية ليس مرتبط ارتباطا مباشرا بالدور ، حيث يتضمن استعمال القوة والضغط ، فالافراد الذين يشغلون مراكز اعمال متنافسة وتحتاج الى اهلية وجداره ، عليهم ان يتعلموا كيف يؤدى أحد الأدوار عن طريق وكالة معينة ضد اخرى لكى تحتفظ الأولى بالتحكم على بعض انشطتها ٠٠ ويعلق هجهز Hughes (١٩٥٨) على مثل هذه الوسائل بما يلى :

« يعتقد العامل أنه يعرف من خبرته الطويلة بأن الناس تبالغ فى متاعبها ، ولذلك فانه يضع حيلا لحماية نفسه ويبعد الناس عنه ٠ ويتضح ذلك مثلا فى وظيفة زوجة راعى المنزل ، عندما يتصل احد المستأجرين تليفونيا طالبا الاهتمام بصنبور المياه الذى ينضح ، وكما نـرى ذلك فى زوجة الطبيب ، واحيانا زوجة الاستاذ الجامعى ٠٠ (١) »

### ادراك الشخص لدوره :

وفى النهاية ٠٠ ونتيجة لخبرات الفرد فى عملية التطبيع الاجتماعى يتعلم المبتدأ أن يرى نفسه بطريقة جديدة ، وجدير بالذكـــر فان كل دور جديد يسلكه الفرد يرى نفسه بطرق مختلفة تجعله يتصور ان زملاء الدور يرونه ، وهكذا نراه يضيف عناصر جديدة لمفهومه عن ذاته ، ولكى نوضح ذلك ، فكلما تقدم طالب الطب فى دراسته الطبية ، فانـــه يرى من قبل الآخرين كطبيب ، حينئذ يبدأ بأن يرى نفسه كطبيبا ٠

### ب ـ عملية تعلم الدور :

تشتمل عملية تعلم الدور جميع مبادىء التعلم الاجتماعى التى سبق مناقشتها ٠ الا اننا نرى ان أحد المفـــاهيم المبسطة عن عمليـــة التطبيع الاجتماعى والذى مؤداه : ان شاغل المركز ذوى الخبرة يعلم الدور الجديد للفرد المرشح لهذا المركز ٠٠ مثل هذا المفهوم عادة ما يكون ناقصا من عدة أوجهه ، خاصة اذا تأملنا علاقة الأستاذ والطالب :

---

Hughes, E. C. : Men and their Work, New York, The Free Press of Glencoe, 1958, P. 25.

١ ـ نرى ان هذا المفهوم يركز على عملية التعلم ويتجاهل عمليات اخرى عن التعلم الاجتماعى ، فمثلا يحدث الكثير من تعلم الدور عن طريق التدريب فى غياب الاستاذ ، وبالتالى فان تعلم الدور سيتغير تبعا للفرص المتاحة للتدريب والممارسة العملية . كما يحدث التعلم ايضا نتيجة لعملية المواجهة والتوصل الى حلول للمشاكل المرتبطة بالدور ، حيث نرى ان تكوين صفة الانفصال العاطفى لطالب الطب فى مهنته ، يتعلم بصورة جزئية عن طريق التدريب على الدور .. ويشير الى ذلك دانيل Daniels (١٩٦٠) فى تحليله لاحد كتابات طلبة كلية الطب بقوله :

« انا كطالب طب ، كنت اتجه لكى اصبح اكثر ارتباطا مع المريض ، او على الاقل بهؤلاء الذين كانوا محبوبين من المرضى . كان على أن اتعلم ان اضبط نفسى لكى ارى ان هذه الحالة ستستمر ولن تنتهى تماما طالما توجد حياة وموت للانسان » (١) .

٢ ـ ان مفهوم الاستاذ والطالب عن تعلم الدور يشير كذلك الى ان المتعلم يكون فى حالة سلبية بصورة نسبية ، وفى الحقيقة انه نشيط حيث يختار وسائل واساليب للقيام بدور معين من سلسلة توقعات محتملة ، حيث يعمل طالب الطب اختيارات لنقاط متعددة ، فقد يختار بين الطب العام والطب النفسى ، او بين البحوث والاعمال الاكلينيكية وبين الجراحة والطب الباطنى ، كما انه قد يختار تخصص دقيق فى بعض الظروف ، مثل جراحة القنب ، او الامراض الجلدية من سلسلة واسعة من التخصصات .

٣ ـ كما ان مفهوم الطالب ـ والاستاذ ـ يضع تاكيدا ضعيفا على زملاء الدور ، فسلوك افراد معينين يشغلون مراكز مضادة فى موقف دور المتعلم ، تسهم بالكثير فى تعلم الدور . فان افكار طالب الطب ومشاعره وافعاله ومفهومه عن ذاته ، تعدل ليس فقط عن طريق التعلم المباشر ، ولكن ايضا نتيجة للطرق التى يسلك بها المرضى ، وزملائه فى المهنة ، والممرضات ، والاخرين فى مجموعة هذا الدور نحوه . وبالتالى فان التاكيد على دور المعلم مما لا شك فيه يخفى عنا اهمية الدور الذى يؤديه الرفاق فى عملية التطبيع الاجتماعى .

٤ ـ كما ان مثال الطالب ـ والاستاذ ، يفترض ان عملية التطبيع الاجتماعى ما هى الا سلسلة من الدروس ذات بدايات ونهايات وفى الحقيقة

(1) Daniels, M. J. : Affect and its control in the medical intern. Amer. J. sociol., 1960, 66, P. 260.

فاننا نجد أن العديد من عناصر الــدور قد تعلمت قبل بدايات الدروس الطبية بفترة طويلة ، فقد تكتسب عناصر معينة لدور الطبيب بصـــورة بسيطة فى حالة مرض هذا الطالب ، وقبل التحاقه بكلية الطب مثلا ٠

## ج ـ العوامل الميسرة والمعوقة لتعلم الدور :

ان تفهما اعمق لتعلم الدور يمكن القاء الضـــوء عليه عن طريق تأمل العوامل الميسرة والمعوقة لهذه العملية ٠٠ ومن اجــل ذلك سنقسم هذه العوامل الى ثلاث فئات :

١ ـ العوامل المرتبطة بخصائص النظام الاجتماعى والتى من خلالها يتحرك المتعلم ٠

٢ ـ العوامل المرتبطة بصفات موقف تعلم الدور ٠

٣ ـ العوامل التى تنشأ من الصفات الخاصة بالفرد ٠

## تعلم الدور والنظام الاجتماعى

ان نفس العوامل التى تيسر او تعيق عملية التعلم ، هى ذاتها التى تفعل ذلك فى عملية تعلم الدور ٠٠ ويمكن ايجاز ذلك فى النقاط الآتية :

### * الوضوح والاتفاق :

ان وضوح التوقعات المرتبطة بموقف معين ، يؤثر على سهولة تعلم هذا الموقف ، فمثلا غالبا ما نتوقع من الفتاة ان تجد صعوبة اكبر من الفتى فى تعلم دور جنسها ، ويرجع ذلك الى عدم وضوح هذا الدور فى كثير من المجتمعات ٠ ان درجة الاتفاق الجماعى على سلوك ملائم لشاغل المركز يمكن ايضا ان يتوقع تأثيرها على عملية التعلم ٠٠ فعندما يكون هنـــاك اتفاق ووفاق جماعى ، فان مكافآت السلوك المـــلائم غالبا ما تكون مطبقة بصورة ملائمة وبالتالى تسهل عملية التعلم ٠ وما يقال بالنسبة لوضوح واتفاق التوقعات ينطبق بصورة مماثلة على المراكز او المناصب ، فاذا كان زميل الدور لأحد الاشخاص غير مدرك للمركز الذى يشغله ، او اذا كـــان رفيق الدور لشخص ما لا يوافق على مركزه ، فان التعلم فى هذه الحالة يكون اكثر صعوبة ٠ مثل ذلك عندما نجد الام تعامل ابنتها المراهقة احيانا على انها كبيرة ناضجة واحيانا اخرى كطفلة ؛ او المراهق الذى يعامل من قبل والده كرجل ومن قبل والدته كطفل او العكس ٠ وعموما فانه حينما

تكون أدوار المركز واضحة فان الفوضى والخلط عادة ما تكون أقل احتمالا • فمثلا تعلم دور الجنس يسهل بدون شك عن طريق وضوح الادوار المرتبطة بكل من الجنسين • فالتضارب والتناقض الذى كثيرا ما نراه فى معاملة المراهقين كاطفال غالبا ما يؤثر فى طريقه تعلم المراهق والانماط السلوكية المناسبة للراشدين •

## * تساوق التوقعات وتناغمها :

التناغم بين الأدوار التى تشغل فى وقت واحد ، وبين الأدوار التالية، يعطى تأثيرا اعمق على عملية تعلم الدور • فتعلم الدور عملية مستمرة لتعلم استجابات جديدة وطرح استجابات قديمة ، ونرى ذلك فى انتقال الطفل من مرحلة نمائية معينة الى مرحلة أخرى متقدمة ، كما نلاحظ ذلك فى طلاب الكليات العسكرية او طلاب الطب • ويوضح هذه الفكرة سمبسون Simpson (١٩٦٠) حين وصف هذه العملية عند طالبات معهد التمريض ، فطالبة السنة النهائية تنظر الى دور التمريض الى حد كبير على أساس العلاقة الانسانية ، والنفسية نحو المريض ، وبعد سنة أو اثنين من التدريب ترى الدور على انه ذات مهارات فنية نوعية •• كما تفعل الممرضات المحترفات •

وعموما فانه كلما كان الاختلاف اكبر بين المفهوم المتصور عن الدور لدى المتطلع الى المركز • وبين توقعات الدور عند هؤلاء الاشخاص الذى سبق لهم أن طبعوا عليه • كلما كان دور المتطلع اصعب فى تعلم الدور الجديد •

ان عناصر كثيرة غالبا ما تكتسب عن طريق الفرد قبل أن يتولى هذا المنصب •

١ – فممكن تعلم هذه العناصر أو الجوانب عن طريق تبنى واتخاذ موقف دور فى اللعب على الطبيعة ، أو فى الخيال • فقبل دخول الفتاة مدرسة التمريض مثلا،نجدها قد تعلمت بالفعل بعض جوانب دور التمريض، وقد يكون ذلك عن طريق القيام بتمثيل دور المرضة عندما كانت طفله مثلا ، أو فيما بعد عن طريق اعادة تمثيل هذا الدور فى أحلام اليقظة أو خيالها •

٢ – ان تعلم أدوار مماثلة قد يسهل تعلم دورا جديدا ، ففى دور الفتاة فى فرق الكشافة مثلا ، فانها قد تتعلم الاساليب الفنية للاسعافات الأولية • والتى ستكون فيما بعد جزءا من مقرراتها فى كلية أو معهد التمريض •

٣ ـ ان شغل المراكز المرتبطة بدور معين ، تعطى الفرد اهلية وفرصة لاكتساب بعض اوجه المعرفة بأدوار زملائه . فمثلا ، فان المتدربة على التمريض قد تكون قد شغلت الوضع المضاد للمريض وبالتالى تعلمت عناصر معينة لدور المرضة .

ولقد وفرت هذه الدراسة الدليل الذى يدعم المبدأ ، بأنه من خلال عملية التفاعل مع زملاء الدور ، فان الفرد قد يتعلم عناصر في الدور مرتبطة بالمركز المضاد ( برم Brim (١٩٥٨) ) ـ كما أن المتأمل فى القاعدة التى اشار اليها كوتريل Cottrell (١٩٤٢) ، بأن الاشخاص تدمج عناصر دور شخص آخر فى ادوارها ، حيث افترض ان الاطفال الذين لهم اقران من الجنس المقابل ، عادة ما يكونون أكثر احتواء لهذا المبدأ من الذين لهم أقران من نفس الجنس . هذا ولقد وصفت خصائص الشخصية لـ ١٩٢ زوج من الاقارب وضعت لهم تقديرات بواسطة المدرسين ، وقد صنفوا على اساس مدى انتمائهم لدور الذكورة أو الانوثة ، وكانت بعض ازواج من الاقارب مكونة من اخ واخت ، بينما الاخرين كانوا اما كليهما اخوة ذكور ، او اخوة اناث .

ولقد اختبر فى هـــذه الدراسة افتراضين بالنسبة لخصائص دور الجنس ، هما :

١ ـ ان الأقران بجنس متعارض كان المتوقع ان يكون لهم خصائص اكثر ما تكون مناسبة لدور الجنس المقابل .

٢ ـ هذا التشابه فى السمات المرتبطة بدور الجنس المقابل ، كان متوقعا ايضا ان يكون ملحوظا بصورة اكبر عند الاقران ذوىالاعمار الزمنيةالصغيرة، واسباب هذا الافتراض ، هو أن هناك احتمال اكبر لكى يصبح القرين الاكبر سنا هو نموذج التطابق والتقمص ، ولكونه اكبر فانه بالتالى اقدر على تمييز دوره من دور اقرانه ، وهكذا يقاوم الشبه بخصائص الجنس المقابل .

ولقد رتبت البيانات فى صورة جداول لكل جنس على حدة حيث تتضمن التكرار لعدد خصائص الذكورة والانوثة التى يمتلكها الاقــران فى كل من الانواع الأربعة لازواج الاقران . كما أن كلا الافتراضين قد دعمت بالأدلة ، فلقد اتضح أن البنت الاكبر مع الأخ الاصغر كـــان لديها سمات ذكورة عالية ، وسمات ذكورة اقل عن المجموعة المقابلة والتى تحتوى على البنت الاكبر مع اخت اصغر .

وما هو ملفت للنظر بصورة كبيرة هو عدد السمات الذكرية التى تميز البنت الاصغر مع الاخ الاكبر ، كما انه قد تم التوصل الى نتائج مماثلة

بالنسبة للاولاد الذكور • ومع ان الاختلافات لم تكن صريحة بصورة قاطعة ، وكاستنتاج يوضح نتائج هذه التجربة ، انه تحت ظروف معينة فان التفاعل المتكرر مع رفيق او زميل الدور يعطى بعض التشابه لمميزات دور الشريك أو الرفيق •

ان تعلم الدور سيكون ميسرا حيث الانظمة الاجتماعية المنظمة ، الى حد ان الافراد عادة ما تشغل مراكز تكون مضادة لتلك التى تشغلها فيما بعد • حيث نجد ان المركز المضاد يتضمن أنماطا سلوكية مناقضة لتلك المتوقعة فى المركز الذى سيشغل فيما بعد ، ومع ذلك فان هذا التأثير المسهل والميسر قد يكون فى جزء منه متوازنا مع حتمية السلوك غير المتعلم وغير المتفق مع الدور الجديد •

ان التأثير المسهل قد يكون متوقعا أيضا ، حيث نجد ان الأفراد فى الطور الاخير لمركز ما ، يعطون الفرصة للتدريب على الانماط السلوكية للدور أو المركز الذى سيشغلونه فيما بعد • وهكذا تكون حالة طالب الطب الذى يجتاز سنة تدريبه الاكلينيكى ، يسمح له بأداء جوانب متنوعة لدور الطبيب ، ومع ذلك فان المبتدىء قد لا يتعلم ثمة استجابات كمثيلتها عندما يشغل المركز بالفعل •

## * شمول الدور :

ان الادوار تختلف فيما بينها فى عدد الانماط السلوكية وتنوعها التى يتضمنها كل منها • فبعض الادوار يتضمن جزءا صغيرا نسبيا من السلوك الكلى للشخص ، واخرى قد تتضمن السلوك بكليته • وبلا شك ان النوع الأخير يأخذ وقتا ومجهودا اكبر فى التعلم • فاننا نرى دور الشيخ الوظيفى يكون على نقيض دور النجار ، حيث يتضمن دور الشيخ جميع جوانب حياة الشيخ كما يتطلب ذلك فترة طويلة وشاقة من عملية التطبيع الاجتماعى ؛ الا اننا نجد أن دور النجار يمكن ان يتعلمها ويتقنها فى فترة وجيزة من الوقت •

## * مكافآت وتكاليف الادوار :

واخيرا ، فمن الممكن ان تتعاض الادوار مع المكافآت وتكاليف شغل المركز • فالافراد من الممكن ان يكونوا مدفوعين الى حد كبير الى تعلم دورا واحدا دون غيره ، وذلك يرجع الى الاختلافات فى قيمة مكافآتهم •• ويتضح ذلك فى الادوار التى يسير فيها الكائن الآدمى • فالطفل قد يكون مدفوعا الى حد كبير فى تقليد وتبنى دور الشاب ، وكذا الشاب نراه

مدفوعا فى تبنى دور الرجل الناضج . الا اننا مع ذلك ، نرى أن الافراد لا يدفعون الى تبنى الانماط السلوكية لكبار السن أو حتى دور الاعمار المتوسطة .

**تعلم الدور والظروف الموقفية :**

ان التطبيع الاجتماعى لبعض الجماعات قد نراه مؤثرا فى شخصية الفرد ، فى حين أن جماعات أخرى لا تمارس الا تأثيرا سطحيا . فالنظام الدينى ، والنظام الاكاديمى العسكرى او المنظمات الدينية ونوادى الخدمة العامة وما شابه ذلك من الجماعات التى تعمل تحت ظروف تصعد عملية التطبيع الاجتماعى لاعضائها .

والحقيقة ، حيث يجب على التغيرات الواسعة أن تصاحب شغل المركز فان الجماعة عادة ما تمتلك الظروف المثلى لعملية التطبيع الاجتماعى . وجدير بالذكر انه فى حالات التطبيع الاجتماعى المؤثر مثل تلك التى تحدث فى الكليات العسكرية ، وفى الاكاديميات العسكرية وفى المدارس المهنية ، فان عددا من الصفات التى تسهل تبنى السلوك الجديد والهوية الجديدة تكون عادة واضحة جلية .

*** الظروف التى تؤدى الى عدم التطبيع الاجتماعى :**

هناك عديد من العوامل التى تعمل على تجريد الشخص المبتدىء من ادواره الاجتماعية السابقة وتجعله ميالا للاخلاص والولاء لجماعته الجديدة. ففى بعض الاحوال يكون المتعلم معزولا جسميا عن الاشخاص الذين اشبعوا حاجاته والذين قد دعموا مراكزه السابقة .. ويشير دورنبوش Dornbusch (١٩٥٥) الى ذلك ففى الاكاديمية العسكرية حيث لا يسمح للطالب الجديد ان يترك القاعدة ، أو أن يتصل بأى وسيلة او اخرى من غير رفاقه التلاميذ ، وبالتالى فان جميع مراكزه الاجتماعية السابقة تمنع لكى يحبط التفاعل بالنسبة للمراكز أو المواقف السابقة وكما هو ظاهر من الاقتباس التالى :

« لقد وزعت الأزياء الرسمية من اليوم الأول ، كما أن مناقشة موضوعات عن الاسرة أو الثروة محرمة ، ومع أن مرتب الطالب ضئيل جدا ، فانه غير مسموح له أن يتلقى اى نقود من اسرته ، كما ان دور الطالب يجب أن يسود جميع الادوار الاخرى التى تعود الشخص أن يؤديها ، ويوجد منافذ قليلة مع ذلك والتى من خلالها يتعرف الطالب على الحالة الاجتماعية خارج كليته أو معهده » (١) .

---

Dornbusch, S.M. : The military academy as an assimilating instuition, Jour. of soc. Force, 1955, 33, PP. 316 : 321.

## * الظروف التى تقوى التطبيع الاجتماعى :

ان اكثر المواقف التى تساعد على تطبيع الفرد اجتماعيا ، لا تتضمن عزلا فيزيقيا حازما ، حيث يمكننا انجاز نفس التأثيرات عن طريق احتكار او شغل اوقات اليقظة للمتعلم عن طريق المطالب الكثيرة التى يراد منه انجازها • فالطالب فى المدرسة الفنية العالية مثلا ، لا يجد عموما وقتا لأى شىء سوى الانشطة الدراسية والتى تحدد تفاعله تقريبا فيما عدا التى ترتبط بالمدرسة والطلبة الآخرين • وجدير بالذكر أن مثل هذاالاحتكار فى هذه المجالات المهنية يقوى سلوك الدور الجديد ويضعف من القديم • فالتفاعلات المانعة بصورة نسبية داخل الجماعة الجديدة ، فانها بالتالى تنمى ازدياد التبعية عند الفرد نحو الجماعة وذلك من أجل اشباع حاجاته ومطالبه والتى بدورها تزيد من التماسك والتأثير الناشىء على أفراد جماعتها • فكلما زادت عملية الضبط والتحكم التى تمارسه الجماعة فى عملية التطبيع الاجتماعى على مجالات التعايش بصفة عامة ، كلما زاد تأثير الجماعة على الفرد •

ان التناقض الحاد بين المركز الادنى للعضو الطموح ، ومركز العضو المقبول كليا فى الجماعة غالبا ما يصعد حسد المركز الذى يخبره العضو الذى تحت الاختبار ( أو العضو المقبول ) ، ويدفعه للتقمص والتماثل مع العضو المقبول • ان قيمة المركز قد تزداد بواسطة الخبرات غير الرسمية التى يجابهها المتعلم اثناء تكليفه بالاعمال المرهقة والمنهكة • وعلى اساس نظرية التباعد ، فان الفرد يتوقع أن يرى المركز ذو قيمة متزايدة ، وذلك لكى يوازن بين ما يلقاه من انهاك وارهاق وبين قيمة المركز الذى يطمح اليه •

ويشير كل من ارنسون وميلز Aronson & Mills (١٩٥٩) أن الانهاك والارهاق الذى يسود بين الاعضاء الطموحين ، يزيد من التماسك والتعاضد فيما بينهم ، بحيث نراهم كمجموعة يرفضون ما تنادى به وكالات التطبيع الاجتماعى الاخرى • ومثل هذا التماسك سيسهل عملية التعلم ، شريطة أن جماعة المتخرجين الجدد يشكلون معايير معارضة لتلك التى تحاول وكالات التطبيع الاجتماعى الاخرى تلقينها للطلاب (١) •

---

(1) Aronson, E. & J. Mills : The efects of severity of initiation on liking for a group, J. abn. soc. psy. 1959, 59, PP. 177 : 181.

## * الظروف الميسرة لتعلم الدور خلال عملية التقمص :

ان تعلم الدور الجديد يتأثر بالظروف التى تسهل او تعيق عملية التقمص أو التماثل . ولقد استعملت بعض الدراسات النفسية فى التطبيع الاجتماعى فى كلية الطب وفى المدارس العليا اعضاء الكلية أو الاقران كمناذج واثرهم فى عملية التطبيع الاجتماعى ، ومن امثال هذه الدراسات دراسات Merton & Kendall (١٩٥٧) ، Kendall (١٩٦٠) Gottlieb (١٩٦٠)

وعموما فهناك شرطان يؤثران فى اختيار النماذج يمكن ايجازهما فيما يلى :

١ ـ عادة ما يمتلك النموذج الشىء الذى يرغب المتشبه فى أن يحاكيه، كالحب أو الامتيازات وما شابه ذلك .

٢ ـ تشابه النموذج للمتشبه يشجع عملية التماثل والتقمص .

ومع أن أعضاء الجماعة الراسخة قد تستخدم كمناذج وذلك بسبب تحكمها فى الموارد ، فقد يتوقع من الاقران ان يعملوا كنماذج بسبب تشابههم للمتعلم . والحقيقة فان الفرد الذى يكون فعالا بصفة خاصة كنموذج غالبا ما يتخذ عاملا من عوامل التطبيع الاجتماعى ، فقد يتوقع من الطفل أن يقلد سلوك طفل آخر اكبر منه ، والطالب قد يتخذ طالبا متخرجا كنموذج له ، كما نرى أن طالب السنة الاولى فى كلية الطب قد يتخذ طالب فى السنة الثانية أو الثالثة كمنوذج له .

كما أن دور الذات فى عملية التعلم ، وبالتالى عملية التطبيع الاجتماعى ذو اهمية .. وسنلقى الضوء عليه فى ثنايا الصفحات التالية .

## التطبيع الاجتماعى

## الذات .. والشخصية

لقد ناقشنا عمليات التعلم الاجتماعى ، مثل التقمص او التماثل ، وتعلم الدور ، كعمليات للتطبيع الاجتماعى ، وسنناقش فى ثنايا الصفحات التالية موضوع اكثر اهمية وربما اكثر صعوبة فى عملية التطبيع الاجتماعى ، ففى اى موقف معين ، او سلسلة من المواقف المعينة ، كما هى العوامل التى تحدد كيفية سلوك الفرد ؟ وما هى الاهمية النسبية لتلك المحددات المختلفة؟ ستدور مناقشتنا فى ثنايا هـذا الفصل فى الاجـابة على التساؤلين السابقين .. ومدى اهميتها عملية التطبيع الاجتماعى .

## محددات السلوك الانسانى

لقد بحث هذا الموضوع بصورة واسعة على ايدى السيكولوجيين ، ويمكننا ايجاز ما قدم .. بعرض وجهتى نظر متناقضين الا وهما :

ا ـ احد وجهتى النظر يتمثل فى أن السـلوك الانسـانى ينبثق بالكامل نتيجة استعدادات مركبة داخل الفرد .

ب ـ ووجهة النظر الثانية تتمركز حول أن السلوك الانسانى يحدد عن طريق الموقف الذى يمر فيه الفرد .

وسنعرض لكل من وجهتى النظر السابقتين بشىء من التفصيل ، ومما هو جديد بالذكر فان نظرة علماء النفس المعاصرة تتمركز حـول ضرورة تفهم الفروق الفردية بين الافراد .

### * السلوك كنزعة فردية :

يشير هايدر Heider (١٩٥٨) الى أن الاشخاص ترى على انها أصول للافعال ، وبالتالى فانه ايسر أن نفسر الفعل العدوانى على انه بمثابة تعبير عاطفى لشخص حاقد ، اكثر من تفهم العوامل الموقفية والظروف التى أدت بهذا الفرد الى اقتراف مثل هذا السلوك العدوانى . وهكذا نجد النظرة السطحية تبالغ فى تقدير دور لفرد كعامل محرك ومسبب للانماط السلوكية ، متجاهلة القوى الاجتماعية التى تجعل الافراد يسـلكون على نمط معين فى المواقف المختلفة .

ولقد جمع مورفى Murphy (١٩٤٧) وجهات نظر كـــــل من الاكلينيكيين وعلماء نظرية الشخصية فى تعليقه البليغ التالى :

« ان كل من السيكولوجى العملى والاكلينيكى تصور الفرد كنظام من الاحداث والميول تعمل داخل جسد الفرد . لقد افترض كـــــل منهما ان انحرافات الانسان ونجاحاته وانتصاراته واهتماماته وميوله واضطراباته ، ما هى الا بمثابة من ميول مركبة بداخل هذا الكائن » (١)

وجدير بالذكر فان هذا المفهوم عن سلوك الفرد يشير الى ان النماذج السلوكيه التى تميز شخصا ما . سحس بناءات او ميكانزمات داخل الشخص مثل العادات والحاجات والبناءات المعرفية او فى اغلب الاحيان سمات شخصيته . ولقد وضح ميلر Miller (١٩٦٣) هذا المنحى بطريقه اخرى بقوله :

« لقد حدد السيكولوجيين أنفسهم تقليديا بالســرد . ملتزمين فى ساؤلاتهم عن السمات الموروثه والتى تعطى الاساس العام للتنبؤ بسلوك الحاله عند انواع عديدة من البشر فى كثير من المواقف ، فمثلا استعداد القلق قد اعتبر كسمة عامه . كما ان نتائج اختبارات القلق قد استخدمت للتنبؤ عن قدرات الانجاز والتحصيل المدرسى ، والتوافق الاجتماعى . وفى التحكم على الحركات الجسمية وما الى ذلك » (٢) .

## ※ السلوك كوظيفة للموقف :

لقد كون علماء الاجتماع والانثروبولوجيا والعديد من علمـــاء النفس الاجتماعى وجهة نظر مختلفه تماما . لقد اثبتوا أن سلوك شخص مـــا . ما هو الا انعكاس للموقف الذى يمر فيه . ان القوى الاجتماعية التى تلازم الموقف وترتبط به هى التى تشكل وتحدد سلوك الانسان فى اى لحظة معينه . مع انه من المعروف ان خبرة الفرد السابقه بمثل هده المواقف تعدة قبليا

(1) Murphy, G. : Personality : A pidogical approach to origins and structure, New York, Harper & Row Pub. 1947, P. 877.
(2) Miller, D. R. : The study of social relationships situation, identity and social interaction, IN S. Koch, psychology, A study of science, New York Mc-Graw Hill book Co. 1963, Vol. 5. 641.

وتجعله يميل الى أن يتفاعل بطرق معينة فى حالات خاصـــــة ٠ ويشير بريم Brim (١٩٦٠) الى هذا المنحى فى دراسة السلوك الانسانى بقوله :

« عندما ينظر الفرد لما يحدث فى الواقع من حوله ، يدهش لوجود تمايزا شديدا فى سلوكه على مدار يومه من موقف لآخر : فكلما تنقل الفرد مثلا من دوره المهنى لدوره الاسرى ، لدوره مــــع جيرانه وهكذا ، فهذا الشخص الوديع الخاضع لرؤسائه فى دوره المهنى ٠ ينتقل الى أسرته كأب متحكم عدوانى فى منزله ، وهذا المدير العصرى فى العمل المبتكر الحــــازم الصارم ، ولكنه فى انتقاله الى منزله يأخذ موقف الزوج الوديع الرقيق الجانب والتابع فى الامور العائلية ٠ وما يجـــذب انتباه دارسى سيكولوجية الشخصية هنا ليس فقط اتساق الفروق الفردية عند ملاحظة السلوك ، ولكنه بالاحرى تحقيق التوافق العال ، هذا التعدد والتمايز فى الاستجابة الانسانية لمتطلبات المواقف المختلفة والتى تميز الانسان عندما ينتقل من موقف الى آخر ٠٠ » (١) ٠

*** المنحى المتداخل للسلوك الانسانى :**

منذ الوهلة الأولى يبدو طبيعيا ان كلا من الموقفين السابقين لا يمكن أن يكون صادقا بصفة كلية ٠٠ هذا على الرغم من أننا نجد أن مؤيدى كل جانب كثيرا ما يسوقون من الادلة والبراهين لتدعيم وجهـــة نظرهم ٠ والمتأمل فى كل من وجهتى النظر السابقة يجد فوائد فى كليهما ٠ وجدير بالذكر فان المنحى المتداخل لدراسة السلوك الانسانى عادة ما يلقى تأييدا كبيرا ، ويشير الى ذلك ميلر Miller موضحا الفرق بين الاتجاهين السابقين بقوله :

« ان بعض الفروق الاساسية بين مفهومى خارج الفرد intrapersonal وداخله interpersonal يبدو فى ثمة تساؤلات ــ ففى دراسة الصداقة ــ فمثلا الباحث يتمسك بمفهوم خارج الفرد حيث يدرس عادة الســـمات أو خصائص الحالة التى قد تؤثر فى قدرته على تكوين الاصـــدقاء واحتمال وقوعه فى الاحباط ، ايجابيته ، حساسيته نحو مشاعر الاخرين ، وعدائه ـ كما أنه من المتوقع انه كلما تقاربت سمات الحالة من نمط مثالى كلما كـــــان

(1) Brim, O. G. : Personality development as a role - learning, IN I. ISCOE & Stevenson, H. W. (Eds.) Personality development in children, Texas Un. Press, 1960, P. 137.

متسامحا ، ذو سلبية ضعيفة ، وعداء اضعف ، وحساسية ، كلما كـــان اقدر على تكوين الاصدقاء بسهولة . كما أن المقاييس السوسيوميترية غالبا ما تشير الى وجود الارتباط بين مثل هذه المتغيرات وبين متغيرات الشعبية او الشـــهرة اما اســـلوب او تعـــريف المتمركز حـــــول العلاقات الشخصية الداخلية Interpersonal فانـــه يتطلب معلومات حول استعدادات وميول الفرد ، ولكن هذه المعلومات تستخدم لتلقى الضـــوء على العلاقات بين انماط معينة من الناس فى انواع خاصة من المواقف . وعلى ذلك فان التساؤلات تتغير من « كيف يقبل شخص ما بتلك السمات لدى اقرانه » الى « لأى مدى يتحد الافـــراد فى صـــفات معينة » . ان الباحث يدرس صداقة خاصة ، وليست توافقات احد الاشخاص نحو اصدقائه عموما .. (1) »

وعموما فان خطتنا فى هذا المؤلف ، ويتضـــح ذلك فى كثير من فصوله .. هو اهتمامنا بالمنحى التداخلى interpersonal approach فى دراسة السلوك الانسانى ، فالتركيز ليس على الافـــراد ولكن على أنماط تفاعلاتهم وما يستدعى الانتباه ان أخصائى علم النفس الاجتماعى لم يكرسوا الجهد بصورة مستمرة لالقاء الضوء على الاستمرارية والاتساقية فى السلوك عبر المراحل الزمنية المختلفة وفى المواقف المتنوعة .. ويرجع ذلك الى ندرة الدراسات الطولية .. ولكن على الرغم من عدم وجود دراسات واسعة تلقى الضوء على مثل هذا الاتساق الا اننا نجد أن كثيرا من علمـــاء السلوك يقبلونها كحقيقة واقعة .

## طبيعة مفهوم الذات

أحد نتائج انسانية الانسان هو أن يصبح الفرد موضوعا لذاته ، او غاية فى حد ذاته . ولامتلاكه للغة وتفوق ذكائه عن الكائنات الاخرى فان الانسان يمتلك قدرة متفردة للتفكير حول جسده ، سلوكه ، ومظهره امام الاشخاص الآخرين . لكل منا لديه مجموعة المعارف والاحاسيس نحـــو ذواتنا . والمصطلح الشائع اكثر من غيره والذى يطبق على هذا النوع مر العناصر هو الذات Self او مفهوم الذات Self Concept

انه لمن المناسب أن نتأمل اتجاهات الفرد نحو ذاته بجوانبها الثلاثة الجانب المعرفى .. الجانب العاطفى .. والجانب السلوكى ، ان المحتوى المعرفى يقدم محتوى الذات ومضمونها والتى توضح بثمة أفكـــار مثل :

(1) Miler, D. R. : Op. Cit., 1963, P. 737.

« انا ذكى ٠٠ امين ٠٠ مخلص ٠٠ طموح ٠٠ طويل ٠٠ قوى ٠٠ وزنى اكثر من اللازم ٠٠ الخ » والمحتوى العاطفى يقدم احاسيس الفرد ومشاعره عن ذاته ٠٠ ويكون عادة من الصعب توضيحها لان احاسيس الفرد نحو ذاته عادة لا يعبر عنها بكلمات ، حيث تتضمن احاسيس ومشاعر عامة عن قيمة الذات ، بالاضافة الى تقييم لجوانب معرفية محددة او مظاهر اخـــرى عن الذات ، فمثلا قد تكره فتاة انفها لكونه منحنى او معقوف قليلا ٠ اما المحتوى السلوكى يتمثل فى ميل الفرد لكى يسلك نحـــو ذاته بطـــرق متعددة ، فالشخص قد يسلك بطريقة فيها تقليل لذاته ، او تساهل وتسامح نحـــو ذاته ، أو قد يظهر حساسية زائدة لبعض من سماته وهكذا ٠

**الطبيعة الاجتماعية للذات :**

مفهوم يرجع الى اقدم صياغة عن الذات وهو تأكيده على طبيعتهـــا الاجتماعية حيث ان جميع الاتجاهات تكون جذورها فى الخبرة الاجتماعية، وان اتجاهات الذات ما هى الا نتاج التفاعل بمعنى معين ٠ وتتلخص هـــذه النظرة فيما يلى :

١ ــ ان نظريات نمو الذات تؤكد على ادراك الفرد فى كيفية رؤيـــة الاخرين لـــه ٠

٢ ــ وكذلك يركزون اهتمامهم على العملية التى عن طريقها يقـــارن الفرد أفكاره حول ذاته مع المعايير الاجتماعية ، ومع التوقعات التى يعتقد بأن الآخرين لديهم اهتمام بما يجب أن يكون عليه ٠

ولقد أوضح كولى Cooley (١٩٠٢) هذه التأكيدات فى واحدة من أقدم الدراسات عن الذات ، والذى شبه ادراكنا عن كيفية رؤية الاخرين لنا بمثابة انعكاسات المراة ، ويشير فى احدى دراساته الى مراة الذات بقوله :

«كما نرى فى المراة وجهنا وشكلنا وصورتنا ، ونلقى الاهتمام على هذه الاشياء لانها تخصنا ، ونغتبط بها ٠٠ او العكس وذلك تبعا لاجابتها أو عدم اجابتها لما يجب أن يكون عليه ٠ وهكذا فى خيالنا ندرك فى عقـــل الاخـــر بعض الأفكار والأراء عن مظهرنا ، احوالنا ، اهدافنا ، اعمالنا وخصائصنا ٠٠ وبالتالى فانها تتأثر بصورة مختلفة بها ٠

والذات المثالية يبدو أن لها ثلاثة عناصر رئيسية :

تصور أو تخيل مظهرنا عند شخص اخر ٠٠ تخيل ( تصور ) حكمة عن

ذلك المظهر ، وبعض أنواع الشعور بالذات ، مثل الشعور بالفخر أو الشعور بالخزى أو العار . ان المقارنة فى المرآة من الصعب ان نشير الى العنصر الثانى وهو الحكم المتخيل والذى هو جوهرى تماما . ان الشيء الذى يدفعنا الى الفخر او الخجل ليس مجرد انعكاس آلى لذواتنا ، ولكنه شعور أو أحساس منسوب اليها ، والتأثير المتخيل لهذا الانعكاس على عقل الآخر (١) .

ولقد طبق ميللر Miller (١٩٦٣) مصطلح الهوية الذاتية العامة subjective public identity لادراك الفرد لمظهره عند مجموعة معينة — ويشير الى مماثلة ذلك لافتراض كولى عن النظر فى مرآه الذات فان الفرد لديه عديدا من مثل هذه الهويات بقدر ما يوجد من الجماعات والتى يعتقد أنها تراه بطريقة مميزة . ومع ذلك فانه فى النهاية يكون ذاتا داخلية خارج نطاق خبرته مع الاشخاص الآخرين ، وهى بمثابة القلب أو جوهر ذاته وتتضمن اتجاهاته نحو ذاته وتتكون من عمليات التعلم الاجتماعى ، خاصة تعلم الدور والتقمص والتماثل .

ان عملية التقمص والتماثل لها أهمية خاصة فى تفهم نمو الذات فلقد أشرنا فى الفصل السابق وفى تحليل عملية التطابق والتماثل الى أسباب متعددة فى كيفية اختيار شخص آخر كنموذج . فمنذ ان تختار نماذج . فان الفرد يتعلم فى أن يرى ذاته كما يتصور انه يرى من قبلها . انه لا يصيغ سلوكه العلنى تبعا لنماذجه ، ولكنه أيضا يأخذ عنهم المعارف والمشاعر . وبايجاز يأخذ اتجاه الآخر الى الدرجة التى يكون هو نفسه موضوع لهذه الاتجاهات ، انها تشكل مجموعة تمثل مفهومة عن ذاته . وهكذا فان الحب والتعاطف من قبل الوالدين نحو طفلهما واتجاهاتهما نحوه طوال فترة نموه لها أهمية كبيرة فى تكوين مفهومة عن ذاته . فخلال السنوات الأولى من الطفولة فان أشخاص كثيرون آخرون خارج نطاق الاسرة عادة ما يأخذون دورا هاما فى نمو الذات ، مثل المدرسين ، وزملاء الفصل ، وزملاء اللعب ، والاصدقاء وفى سنوات المراهقة والنضوج عادة ما نرى رفاق العمل ، واحبائه ، وزوجته وأطفاله يسهمون كذلك فى هذه العملية .

**الذات والدور :**

ان العملية التى يتكون فيها مفهوم الذات خلال عملية التفاعل الاجتماعى

---

(1) Miller D. R. : op. cit., PP. 641 : 642.

قد ســرى فى جزء منها على انها مهمة الشـــخص لسلسلة من الادوار الاجتماعيه • فكلما ينتقل الفرد عبر البناء الاجتماعى • فانه يشغل فئات دور متنوعة • فانه فى بادىء الامر كان طفلا • وبعد ذلك اصبح ولدا صغيرا • انه الاخ الاصغر لاحمد • واقرب صديق لفؤاد •• وعندما يؤدى هذه الادوار يتعلم التوقعات التى يربطها الافراد الاخرين بالفئة ، وهو يكون هوية ذاتية عامه متساوقه مع كل منها • بمعنى ان صورته عن نفسه هى صورة واحدة لها عده مظاهر او اوجه • كل واحده منها تضاهي وتتســـاوق مع هوية خاصة • وكما سنرى فيما بعد • انهم على الرغم من ذلك لا يبقون فى حالة مستقلة بصورة كلية • فان عمليات معينة تعدل هذه الجوانب من الذات • ولقد وصف جوفمان Goffman (١٩٦١) بصورة واضـــحة جلية تأثير توقعات الدور على الشخص اذ يقول :

« انه لمن الأهمية ان نشير الى انه فى اداء دور ما ، فان الفرد يجب أن ينظر اليه • حتى أن الانطباعات عنه والتى تنقل فى الموقف عادة ما تكون متفقة مع الصفات الشخصية الملائمة للدور والمنسوبة اليه : فالمفروض فى القاضي أن يكون حازما ورزينا ، والطيار على مقعد الطائرة يجب أن يتسم برباطة الجأش والاتزان ، والمحاسب ان يكـــون دقيقا امينا وكذلك امين المكتبة • هذه الصفات الشخصية المنسوبة الى كل منهم والمطالب بها تتحد مع اسم الوضع او المنصب • وبالتالى وفى الحقيقة تنتظر من الشخص دخول أو شـــغل وضع ما ، انه يحتاج فقط الى التوافق مع الضغوط الواقعة عليه • وسيجد الذات اصبحت غاية فى ذاتها ••» (١) •

كما اننا عندما نطلب من الأطفال أن يصفوا ذواتهم ، فاننا غالبا ما نرى تأثير تعريف ابائهم فى ثنايا تعبيراتهم • لقد كونوا ذاتا أولية من التصورات التى يكونها اشخاص ذو اهمية بالنسبة لهم • كما ان الراشدين كذلك غالبا ما يستفيدون بصورة اكبر من الفئات المتنوعة المحددة اجتماعيا •

ولقد اوضح هذه الاختلافات كوهن ورفاقة Kuhn (١٩٦٠) حيث استخدموا اختبارا مكونا من عشرين موقفا ، وهو اداه لقياس الذات •• وطلب من الحالات ان تقـــوم بعمل عشرون اجابه عن السؤال : من انا "who am I" ولقد وجد نتيجة لهذه التجربة استخداما متزايدا للطبقات أو الفئات الاجتماعية كلما تقدم العمر الزمنى للحالة ، فلقد أوضحت الاجابات فى سن الســــابعة أن ربع العشرين اجابة كانت تتعلق بالطبقة

(1) Coffman, E. : Two studies in the sociology of interaction, New York, Merrill Co. INC 1961, 87 : 88.

الاجتماعية ، فى حين انه فى الرابعة والعشرين وجدوا حوالى نصف الاجابات كان مرتبطا بالفئة الاجتماعية .. وهذا يتساوق مع ازدياد عدد الادوار والتى تشغل كلما نمى الطفل وفيما يلى بعض الاستجابات التى جاءت على لسان بعض الحالات التى طبقت فى دراسة كوهن السابقة :

**استجابات فتاة بالصف الرابع :**

- انا افرض رئاستى كثيرا .
- انا اغضب كثيرا من اخواتى .
- انا محبة للتظاهر .
- انا اقاطع كثيرا .
- انا اتكلم كثيرا .
- انا اضيع الوقت .
- احيانا اكون رياضية سيئة .
- انا عازفة كمان .
- انا لا أهتم بالوقت .
- احيانا لا افعل ما تأمرنى به امى .
- اقاطع اخواتى فى الكلام .
- احيانا اكون عديمة الشفقة .

**استجابات فتاة فى السنة النهائية من المرحلة الجامعية :**

- انا من جنس الاناث .
- عمرى عشرون عاما .
- انا من مدينه .. ولايه ..
- لدى والدين .
- بيتى سعيد .
- انا سعيدة .
- انا فى السنة الرابعة .
- سأتخرج فى شهر ( ــــــــ ) .
- لدى أخ .
- انا منتمية الى جمعية ( ــــــــ ) .
- انا فى مدرسة الضباط اللاسلكية .
- اذهب الى الكنيسة .
- اعيش حياة عادية .
- انا مهتمة بالرياضة .

- انا الأولى فى القسم ٠
- انا جذابه ٠
- عندى معايير اخلاقية عالية ٠
- انا شخصية متكيفة ٠
- انا من طبقة متوسطة ٠ (١)

كما يحدث نوعا من انواع التعلم اكثر دقه من ذلك الذى سبق ايضاحه ، يحدث ايضا عندما يتولى الشخص أدوارا مختلفة متنوعة ٠ حيث نجد ان تقديره واحترامه لذاته Self regard عادة ما يشكل عن طريق المشاعر والاحاسيس التى يعبر الأخرين بها نحوه ، مثال ذلك الطفل الصغير فلكونة محبوبا ٠ فان ذلك بمثابة خبرة تزرع مبادىء ايجابية فى تقديرة لذاته ، كما أن الاتجاهات المعبر بها نحوه بواسطة رفقاء الدور المتتابعين كلما ينتقل من مرحلة زمنية الى أخرى ، يضيف اليه وينمى لديه عناصر مؤثرة اكثر فى تصورة لذاته ٠

**- ثبات الذات والسلوك الفردى :**

ان مناقشة الذات كمجموعة من الهويات الذاتية العامة تتساوق مع الادوار التى تصور الشخص على انه وجود كامن بصورة نسبية ، صيغت وشكلت عن طريق الاشخاص حوله الذين اكبر منه واقوى واكثر خبرة ٠ ان الملاحظة العرضية للاطفال الصغار - مع ذلك - يتضح لنا بانه ليس من السهل ان يصاغ الطفل ويشكل فى صورة معينة - حيث نرى - بصفة جزئية - المقاومة التى يبديها الطفل ، وغالبا ما ترجع الى سمات بيولوجية للكائن ٠ كمستوى تتضمن ثمة عوامل مثل مستوى الطاقة والمزاج ٠ هذا بالاضافة فاننا نرى أنه بمجرد ان يبنى مفهوم الذات ، وتبنت انماطا سلوكية معينة ، فقد تظهر ظروف تجعل الفرد ان يكون اقل استعدادا للتأثير ، ولمقاومة التغير بفاعلية ٠

وسنحاول فى الصفحات التالية أن نوضح كيف يغمر الفرد فى بيئه اجتماعية من القوى المتفاعله ، ويظل يسلك بطريقة مميزة ، على أننا نجد انه عند نقاط أو مواقع معينة يتعارض مع تلك القوى ٠

ووجهة النظر هذه تعترف بالاستقرار والثبات بمرور الوقت فى سلوك الفرد ، ولكنها تحاول أن توضح ذلك عن طريق تعبيرات استقرارات

(1) Paul, Secord, & C Backman · Social psychology. Op. Cit., P. 582.

علاقاته مع الاشخاص الاخرين . وبصورة جزئية فان تساوق سلوك الفرد ينتج من مشاركته فى انظمة اجتماعية مختلفة . ومع ذلك ــ وبصورة جزئية ايضا ــ فانها تعزى الى ميكانزمات الفرد والتى تثبت بيئه تداخلة الشخصى . وسنحاول ان نتعامل مع هذه الميكانزمات فى ثنايا الصفحات التالية ، بالاضافة الى مناقشة القوى المتضمنة فى النظام الاجتماعى التى تخلق الاستقرار والثبات ــ والقوى الاخرى التى تؤدى الى تغيير الذات .

## ــ نظرية التداخل الشخصى للذات :

ان الفرد لا يكون فى حالة سلبية ، بل هو بمثابة عامل نشط فى الحصول على بيئة التداخل الشخصى المستقرة . وسنحاول ان نظهر كيف ان الظروف قد تضع وتزاول ضغطا على الفرد فى سبيل تحقيق تغير معين ، الا اننا نرى ان جهودا نشطه من جانب الفرد تبذل للحصول على استقرار للذات وللسلوك . كما ان بعض صفات الشخص تسهم فى هذه العملية ، كمفهومة عن ذاته ، واساليبه وطرقه الذاتية فى ادراك الاشخاص الآخرين ، بالاضافة الى انماط سلوكة المتعلم .

**ان وحده التحليل هنا ذات ثلاثة مكونات تشتمل على ما يلى :**

١ ــ مظهر أو جانب من جوانب الذات لـ ( أ ) .

٢ ــ تفسيرات (أ) لسلوكة الذى يظهر ذلك الجانب .

٣ ــ أرائه ومعتقداته عن كيفية سلوك (ب) نحوه . وكيف تكون مشاعرة واحاسيسه بالنسبة لذلك الجانب او المظهر .

والافتراض الذى نسوقه هو ان (أ) يحاول ان يحدث حالة من الاتساق بين تلك المكونات الثلاثة . كما ان حالة الاتساق توجد عندما يكون سلوك (أ) ، (ب) متضمنا تعاريف للاتساق الذاتى مع الجوانب المناسبة لمفهومة عن ذاته .

ويمكن أن نوضح هنا شكلين من التطابق : التطابق بالمضمون والتطابق بالصدق . والنوع الأول يمكن الاشارة اليه بأن (أ) قد يدرك ان (ب) يراه على انه يمتلك صفة خاصة تتساوق مع جانب معين من مفهومة لذاته . فالفتاة التى تعتبر نفسها جميلة قد تدرك أن شخصا آخر ايضا يعتقد انها جميلة . والتطابق بواسطة الصدق فان سلوك او الصفات الاخرى لـ (ب)

تسمح او تستدعى سلوكا من جانب (أ) والذى يؤكد مكون الذات • فمثلا الشخص الذى يعتبر نفسه قوى وشجاع ، فانه قادر بصفة خاصة على السلوك بهـــذه الطريقة عندما يتفاعل مع شخص اخـر تابع له • وهذه الأمثلة توضح التطابق او الاتساق الادارکى المعرفى Cognitive Congruency وفيما بعد سنناقش التطابق العاطفى affective Congruency ويحدث ذلك عندما يدرك (أ) ان (ب) يملك نفس الاحاسيس والمشاعر التى لدى (أ) بصورة كلية ، أو نحو بعض الصفات لـ (أ) والتى يعتقد ويتمسك بها (أ) نحو ذاته •

## ميكانزمات حفظ التوازن فى عملية التفاعل الاجتماعى

تشير نظرية التداخل الشخصى فى التطابق ، الى ان الفـــرد عادة ما يستخدم وسائل او ميكانزمات للمحافظة على بيئة تداخلة الشخصى من اجل تصعيد التطابق • وتتضمن هذه الوسائل ، سوء الادراك ، التفاعل الانتقائى ، التقييم الانتقائى للأخـــر ، التقييم الانتقائى للذات ، وكذلك استدعاء الاستجابات المتطابقة من الشخص الاخر •

### ١ ـ ســوء الادراك :

ان بيئة التداخل الشخصى تدخل فى عملية التطابق وذلك كما ترى بواسطة الفرد فقط • فمثلا عندما تكون التوقعات الفعلية للاخرين غير متطابقة لمفهوم الفرد عن ذاته او لانماط سلوكة الشخصى •• فانه احيانا قد يسىء ادراك كيفية رؤية الاخرين له من أجل التوصل الى هذا التطابق • ولقد اشارت مجموعة من الدراسات الارتباطية ان الاتساق بين مفهوم الذات كما يرى بواسطة الفرد ، وكما يعتقد ان الأخرين ينظرون اليه ، عـــادة ما تكون اكبر من الاتســـــاق الفعلى بين مفهوم الذات ووجهات النظر التى يتمسك بها الافراد الاخرين ، ومن بين هذه الدراسات التى اشارت الى ذلك دراسة ميياموتو Miyamoto ودورنبوش Dirnbusch (١٩٥٦) وريدر Reeder وبيلارز Biblarz (١٩٦٠) ( وباكمان Backman وسيكورد Secord (١٩٦٢) ومور Moore (١٩٦٣) •

ولقد أوضحت بعض الدراسات التجريبية السابقة ، واخـــرى كدراسات هارفى Harvey وكيلى Kelley وشابيرو Shapiro (١٩٥٧) أوضحت بعض الاشكال التى يتخذها سوء الادراك • حيث وضعت مجموعة من طلاب الجامعة تقييما لذواتهم ، وللافراد الاخرين فى سمات معينة ، ولقد تعرضوا فى جزء من التجربة لتقديرات زائفة عن ذواتهم حيث تضمنت تقييمات غير مناسبة • ولقد وجد ان هذه التقديرات جاءت من

مصدر غريب ، او مصدر ذو سلطة . وبالتالى وجد بعض التغييرات فى تقييم الذات بصورة اكثر سلبية . بالاضافة الى انه وجد بعض الحالات قد حرفت تقديراتها باتخاه مفضل عندما طلب منهم ذكرها مرة اخرى فى فرصة اخرى ، حيث استبعدوا الدونية من تقييمهم لذواتهم . وذلك عن طريق انكار أن تلك التقييمات قد تمت بالفعل بواسطة الاشخاص الأخرين . وعموما فان ردود فعلهم كانت اوضح عندما كانت درجة التقييم اعلى ، وعندما كانت التقديرات تدرك على انها تقييمات صديق .. اكثر من غريب .

٢ ـ التفاعل الانتقائى :

وسائل اخرى على درجة من الاهمية الكبيرة عن طريقها يحافظ الفرد على تطابق تداخلة الشخصى من خلال عملية التفاعل الانتقائى ـ مع بعض الاشخاص المعينين دون عداهم . وبتحديد اكبر ـ فان الشخص يختار أو ينتقى تفاعل مع هؤلاء الافراد الذى يستطيع ان يكون معهم وبسرعة حالة من حالات التطابق . فمثلا اذا اعتبر الفرد نفسه ذكيا ، فانه عادة ما يتفاعل مع افراد يقدرون ذكائه او يسمحون له بممارسته ، وجدير بالذكر فهو عن طريق هذا الاسلوب يتجنب قدرا كبيرا من الضغط أو التوتر على مفهومة عن ذاته ان كان تفاعله بدون تمييز . وعن طريق اختيار مثل هؤلاء الافراد كاصدقاء فانه يخلق مصدرا دائما وهاما مدعم للتفاعلات المتطابقة المتوافقة ، ولقد أشار باكمان Backman (١٩٦٢) وسيكورد Secord (١٩٦٢) فى دراسة لهما بنادى للفتيات ، ان الفتيات تفاعلن بتكرار اوسع واكبر مع هؤلاء اللاتى ادركن انهن يؤكدن مفهومهن لذواتهن الى اكبر مدى .

كما ان هناك عديدا من الدراسات التى اوضحت ان التفاعل الانتقائى Selective interaction او المنتخب يسهم فى عملية التطابق . وتبين احدى هذه الدراسات ان المدرسين الذين مارسوا مهنة التدريس لمدة سنوات طويلة وجد أن لديهم تباين أصغر بين مفهومهم لذواتهم ، وادراكهم لدور المدرس .. وذلك اكبر بصورة ملحوظة عن المدرسين الذين بدون خبرة فى مجال التدريس (هو Hoe ١٩٦٢ ) . أن هذا لا يبدو انه وظيفة التغير فى الذات او فى ادراك دور المدرس . ولكن يرجع فى المقام الاول الى ميل هؤلاء ذوى التباين الاكبر بين ذواتهم وبين دور المدرس . ليصبح بالتالى غير مشبع لهم

كما ان دراسات التطبيع الاجتماعى المهنى التى سنناقشها فيما بعد تدعم ايضا مفهوم التفاعل الانتقائى . اذ انها تشير ان اختيار وظيفة معينة يتأثر بمفهوم الفرد عن ذاته وارتباطها او علاقتها بصفات هذه الادوار

المهنية . فلقد اوضحت احدى الدراسات المتعلقة باختيار المهنة بين طلاب كلية الطب ، أن الطلاب يختلفون فى صفاتهم الشـــخصية كما يبين ذلك دليل ستيرن Stern Activities Index لاختيار النشاطات المختلفة ، اذ وجد ان شخصية الطالب الذى يختار خاصية معينة او نادرة كان مشابها لشخصية الطبيب فى ذلك التخصص ، وللايضـــاح فمن بين التخصصات التى درست ، فلقد حصل اطباء الاطفال Pediatricians على تقديرات عالية فى العدوان الاجتماعى ، والميل الى التوكيد والجزم ، والميـــول العاطفية . فى حين ان اطباء الولادة obstetricians والامراض التناسلية gynecologists كانوا اكثر تقيدا او كبحا ، واكثر وعيا ذاتيا ، واكثر حياء . واذا افترضنا أن هذه الادوار المهنية تخلق ظروفا متجانسة لسمات الشخصية السائدة لدى الاشخاص الموجودين بالدور ، عندئذ فان اختيار الدور عن طريق هؤلاء الذين لهم شخصيات متشابهة يخلق بالتالى شروطا تتطلب التغيير الطفيف فى الذات .. (١) .

## ٣ ـ التقييم الانتقائى لشخص اخر :

ان عملية التطابق ـ فى جزء منها ـ بمثابة وظيفة ذات اهمية للشخص الأخر . فان سلوك واتجاهات الاشخاص عديمى الأهمية بالنسبة للشخص لا تشكل اهمية فى عملية التطابق ، حتى ولو كانوا على تباين مع مفهومة لذاته او سلوكة . وهكذا فان الفرد قد يصعد عملية التطابق عن طريق التقييم المناسب لهؤلاء الذين يسلكون نحوه بصورة متطابقة ، ويقلل من الأخرين الذين يسلكون بطريقة غير متطابقة .

ولقد أشارت بعض الدراسات التجريبية فى هذا المجال الى ذلك كدراسة هارفى وكيلى وشـــابيرو Harvey & Kelley & Shapiro (١٩٥٧) ، وهيورد وبركوفتز Howard & Berkowitz (١٩٥٨) . اشارت هـــذه الدراسات الى انه عندما يقيم الشخص بصورة سلبية عن طريق الأخر ، فانه بالتالى يخفض ويقلل من محبته لذلك الشخص (٢) .

## ٤ ـ التقييم الانتقائى للذات :

التطابق هو ايضا وظيفة ذات اهمية لجانب من جوانب الذات المرتبط

(1) Stern, G. E. & J. C. Scanlon : Pediatric lions and gynecological lambs, J. med. educ., 1958, 33, PP. 2 : 18.

(2) Howard, R.C. & L. Berkowitz : Reactions to the evaluations of one's performance, J. of person. 1958, 26, PP. 494 : 507

بالسلوك او بالتفاعل مع شخص اخر . فاذا كان جانب أو مظهر الذات تافة insignificant في حالة تباين مع ادراك الفرد لسلوكة او لسلوك الاخر ، يقلل عدم التطابق ـ وبالتالى فان الفرد قد يصعد التطابق عن طريق تبديل القيم المرتبطة بأوجه معينة من الذات ، حتى ان الجوانب التى فى توافق مع ادراكه لسلوكة وسلوك الاخرين تقيم بصورة عالية وبالمثل فانه قد يقلل من جوانب الذات والتى ليست متطابقة مع مكونات سلوكه وسلوك الأخرين . ولقد اشارت دراسة McCandless ماكندلس (١٩٦١) الى هذه العملية بالنسبة للذات والسلوك اذ يقول :

« لنأخذ مثالا ، طالب فى المدرسة المتوسطة ، فعندما يجب ان يقوم باختيار واضح للانشطة لأول مرة ، نجد انه قد يضحى من اجل ان يقتفى أثر الاخرين . ان لديه مفاهيم قيمة عن ذاته كطالب نشيط ، الا انه يجب عليه أن يختار بين نوعين من انواع النشاط ، النشاط الفكرى او لعب كرة السلة . انه يختار الأول . وقد يكون من المتوقع ان يقلل من اهمية كرة السلة ، وربما جميع انواع الرياضة ، الا اننا نجده يرفع بشده من اهمية النشاط العقلى ويعلى من قيمته . ان الاتجاه الفعلى لمفهومة عن ذاته كعقلانى مفكر قد لا يتحول ، ولكن القيمة عنده عن هذه الواجهة من مفهومة لذاته ستتحول فى اتجاه سلبى ، وعلى العكس فان قيمة النشاطات العقلية ستصبح اعظم ، وبالتالى نجد ان الجانب العقلى او الثقافى عن مفهومة لذاته سيزيد ويقوى .. (١) .

**٥ ـ استدعاء الاستجابة :**

ان الفرد شعوريا أو لا شعوريا ، عن قصد أو بدون قصد ، قد يسلك بطريقة ما تجعل الاخرين يسلكون نحوه بأسلوب مماثل . وجدير بالذكر أن دراسة مثل هذه الاستراتيجيات التفاعلية مازال الى حد كبير فى مرحلته الوصفية ، الا اننا يمكننا ان نشير الى دراستين فى هذا المجال قد يلقيا الضوء على هذا الميدان : فدراسة كل من جوفمان Goffman (١٩٥٩) وستون Stone (١٩٦٢) اشارا الى ان الفرد من خلال عملية التفاعل يتحكم او يضبط فى الادلة التى يقدمها للاخرين ليتأكد فى انه سيصنفه من قبلهم بطريقة معينة وليس بأخرى . فالفتاة مثلا يمكنها عن طريق سلوكها وكلامها وملبسها ان تخلق الانطباع بانه على الرغم من جاذبيتها الجنسية وافقها الواسع الا انها ليست امراة منحلة ـ واذا افترضنا

(1) McCandless, B. R. : Children and adolescents, New York, Holt, Rinehart & Winston, INC 1961, P. 201.

ان هذا الانطبـــاع يتطـــابق مع جوانب من ذاتها وســـلوكها وينقل بفاعلية . فان ذلك يستدعى سلوكا منسجما ومتطابقا من الرجال ، وبالتالى فان معاملتهم لها ستتسم بالاحترام .

ومع أن الاستراتيجيات المختلفة التى تدور حول تقديم الذات بصورة غير مباشرة تؤثر فى الشخص الاخر بجعله يعرف الموقف بطريقة معينة . ونجد أن الفرد الذى يستخدم هذه الاستراتيجية يحاول أن يضع الشخص الاخر فى الدور الذى يعطى فيه الاستجابة المرغوبة .

**٦ ـ التطابق العاطفى :**

وكما سبق ان ذكرنا ان مفهوم التطابق يمكن أن يطبق على المشـــاعر والاحاسيس بالاضافة الى العناصر المعرفية . ان حالة التطابق المعـرفى توجد عندما يعتقد (أ) أن (ب) يشعر نحوه كما يشعر (أ) نحو ذاته ، أما بالنسبة لذاته ككل أو بالنسبة لبعض جوانب الذات . ان التطابق العاطفى كثيرا ما نحصل عليه عن طريق نفس الميكانزمات التى سبق ذكرها للتطابق المعرفى . فقد يسيىء الافراد ادراك كيف أن الاخرين يشعرون ويحسون تجاههم . انهم قد يرتبطون انتقائيا ، ويقيمون انتقائيا الاشخاص الاخرين . كما يحاولون استدعاء مشاعر أو احاسيس متطابقة من الاشخاص الاخرين .

وتشير الدلائل أن الاشخاص يقدمون انفسهم بطريقة معينة من اجل استدعاء تقييم ايجابى من الأخرين . وبسبب انتشار هذا النمط من السلوك فان بعض السيكلولوجيين يشيرون الى أن الاشخاص لديهم حاجة قوية لزيادة قيمة ذواتهم أو تعزيزها Self enhancement ولذلك فانهم يعملون جاهدين دائما من اجل ان يأخذ الاخرين عنهم صورة حسنة ، روجرز Rogers (١٩٥١) كومب وسنج Comb & Snygg (١٩٥٩) ، ورشيل Worchel (١٩٦١) . كما ان هناك نمط وكثيرا ما نواجهه وهو الشخص المنتقص لذاته ، والذى يرفض باستمرار وجهات النظر المناسبة عن ذاته من قبل الاخرين . والشكل المتطرف لذلك هو بعض المرضى العصابيين الذين لديهم احساس عميق بالدونية وعدم القيمة والجداره والتى تتخلل وتنتشر فى معظم انماط سلوكهم ولقد وصـــفت كارن هورنى Horney (١٩٥٠) طمس الذات Self effacing هذه وصفا دقيقا بقولها :

« يجب الا يشعر بوعى انه متفوق أو أعلى من الاخرين ، ولا يبدى أو يظهر اية مشاعر أو احاسيس فى سلوكة . وعلى العكس من ذلك فانه يميل الى أن يضع نفسه فى منزلة التبعية للاخرين ، والاعتمادية عليهم »

ويسترضيهم ۰۰۰ فى اى شىء وفى اتجـــاه الاخرين ۰ مثل الاعجاب او العرفان ، والذى يضعه فى مركز متفوق يجعله يشعر بالقلق ۰ وما يتوق اليه هو المساعدة والحماية والحب المستسلم ۰

كما أن التجنب القلق من الفخر والنصر ، او التفوق تظهر بطـــرق عديدة ــ والشىء السهل ملاحظته هو الخوف من الفـــوز فى المباريات ۰ فالمريض يستطيع احيانا ان يلعب مباراة ممتازة فى التنس او الشطرنج مثلا ، وطالمـــا انه غير واع بمركزه الحسن فكل شىء يسير على ما يرام ۰ ولكن بمجرد أن يصبح على وعى بأمتيازه وتفوقه على منافسة ، فانه يخطىء الكرة فجأه ، ( او فى لعب الشطرنج ) يتغاضى عن معظم النقلات الواضحة والتى تؤكد فوزه ۰

ويحدث نفس هذا الاتجاه فىمواقف اخرى ۰ والشيىء المميز لهذا النوع هو عدم ادراكه بأنه فى المركز الاقوى او الافضـــــل ، وعدم قدرته على الاستفادة من ذلك ۰ فالامتيازات فى تصورة تتحول الى مسئوليات جثام ومخاطرة كبيرة ، وغالبا ما يكون على دراية بمعلوماته ومعرفته المتفوقة ، الا اننا نراه فى اللحظة الحاسمة والفاصلة غير قادر على أظهارها ۰ انه ضائع تائه فى اى موقف تكون حقوقه غير محددة بوضوح ۰ وحتى عندما يكون له مطالب شرعية تماما فانه يشعر بانه يأخذ مزية لا يستحقها ، فاما أن يكف عن مطلبه او يفعل ذلك مع الاعتذار وبتأنيب قاس من الضمير ، أو بضمير مذنب ۰۰ (١) ۰

ان مبدأ التطابق العاطفى يجعل الافتراض ــ فى الحاجة الى تعزيز الذات او زيادة قيمتها ــ غير ضرورية ۰ ان عملية التطابق العاطفى هـــذه تغطى او تشتمل على كل من سمو الذات والانتقاص من قيمة الذات ۰ ان انتشار سلوك السمو فى قيمة الذات ما هو الا مجرد انعكاس للحقيقة ، بأن معظم الأشخاص كانوا يلقون الحب والاهتمام اكثر من اللازم ، فالاطفال الرضع ، والصغار عادة ما يكونون مشاعر وأحاسيس ايجابية نحو ذواتهم تعكس المشاعر الايجابية الموجهة نحوهم من قبل افراد أخرين ذوى دلالة ومعنى لديهم ۰ فعندما يتعرض الاطفال لاتجاهات سلبية مكثفة من قبل الافراد الأخرين المهمين لديهم ، فانه من المحتمل أن يكتسبوا احساسا عميقا بعدم الامن والجدارة والقيمة ۰ هذه المشاعر سواء كانت ايجابية او سلبية تميل الى الاستمرار ، وذلك لان الشخص عادة ما يعدل من خبراته اللاحقة

(1) Horney, K. : Neurosis and human growth. New York, Norton & Co. INC. 1950. PP 215 : 216.

ليحصل على التطابق بين الذات والسلوك ، والســـلوك والاتجاهات لدى الافراد الآخرين تجاهه . وهكذا فاذا كانت الذات الداخلية او لب الذات Core self تتضمن احساسا قويا له قيمته ، فانه بالتالى سيعمل على التوصل الى سلوك متطابق مع ذلك الشعور . انه يفضل أن يرتبط بالافراد الآخرين الذين يقيمونه بصورة مشابهة ، وبالتالى سيتجنب هؤلاء الذين لا يفعلون ذلك . ومن ناحية اخرى ، فان كان لديه مشاعر او احاسيس سلبيه نحو ذاته ، فسيجذب نحو الآخرين الذين لديهم مشـــاعر سلبية نحوه . وسيستمر فى اتيان الانماط السلوكية التى تقيم بالسلبية .

ولقد اشارت نتائج دراسة كل من هارفى Harvey وكيلى Kelley وشابيرو Shapiro (١٩٥٧) ، ودراسة ورشيل Worchel (١٩٦١) ، اشارت هـــذه الدراسات الى ان تعزيز الذات ، او زيادة قيمة الذات sey enhancement متناسقة مع مبدأ التطابق العاطفى ، حيث وجدوا الحالات قد استخدمت عديدا من الميكانزمات لحماية ذواتهم من الشخص الذى قيمهم بصورة سلبية أو بصورة غير مرضية (١) .

كما اشـــار جيرارد Gerard (١٩٦١) كذلك ، انه عندما علمت الافراد أن تقييمهم فى الاختبارات سيكون علنيا ، أصبح لديهم قابلية فى تحريف تقييمهم للذات باتجاهات مناسبة كوسيلة وقائية (٢) .

وجدير بالذكر فان هناك سببا جوهريا فى استمراريه ودوام مفاهيم الذات الاولى والمبكرة ، سواء كانت ايجابية او سلبية ، حيث أن الاساس الفسيولوجى للانفعالات عادة ما يجعلها وثيقة مع وظائف فسيولوجية متنوعة والتى يبدو انها تعمل كدعامة للتعبير عنها . وعموما فان هذا التعرف على انفصال المعارف عن الاحاسيس فى داخل فئات مختلفة ، امر قديم يرجع الى فلاسفة اليونان القدامى ، وقد عبر عنه بطرق مختلفة . الى حد قولهم أن الانسان كائن غير عاقل يعوزه التفكير السليم ، محكوم عن طـــريق انفعالات معينة ليست بكليتها تحت ارادته وتحكمه . فمثلا . قد لا يوجد منطق خاص فى حب أحد الافراد ، لفرد اخر معين ، كما لا توجد اسباب يشعر انها قد تفسر حبه . وقد يغضب فرد من اخر . وحتى عند غضبة فان ذلك ليس بمثابة فعل معقول بدرجة كبيرة .. هـــذه الجوانب من

(1) Harvey, O. & others : Reactions to unfavorable evaluations of self made by other persons, J. of person. 1957, 25, PP. 398 :411.

(2) Gerard, H.B. : Some determinants of self evaluation, J. abn. soc. psy. 1961, 62, PP 288 : 293.

شخصية الانسان هى اكثر صعوبة فى التعديل والتغيير من معارفه ومدركاته المحـــايده ٠

## ٧ ـ الاتساق والتناغم العاطفى المعرفى :

لقد اشار روزنبرج Rosenberg (١٩٦٠) الى نظرية عن الاتســــاق المعرفى العاطفى حيث طبقها على الاتجاهات وتكوينها ٠ وحيث ان الذات هى مجموعة مؤلفة من الاتجاهات نحو الشخص كموضوع ٠٠ فان هـــذه النظرية يمكن تطبيقها فى هذا المجال ٠ ان الاتســــاق والتناغم المعرفى ـ العاطفى للذات يجب ان يأخذ شكل تساوق وتناغم بين الجوانب المعرفية والعاطفية ٠ ومن الطرق الاجرائية لتعريف ذلك هو ان القيم المرتبطة بالنواحي المعرفية للذات يجب ان تكون متساوقة مع العاطفة الاجتماعية نحو الذات ٠ وهكذا فان الشخص ذوى المشاعر الايجابية نحو ذاته يجب أن ينسب مثل هذه السمات المقيمة ايجابيا لذاته ، مثل الذكاء والتقدير والمسئولية ٠٠ الخ ٠ وفى دراسة ادواردز Edwards (١٩٥٧) عن ميل الافراد على مواقف اختبار المرغوبية الاجتماعية قد يبين ان معظم الافراد الذين لديهم ميلا قويا ليعزوا لذواتهم سمات الشخصية المقيمة ايجابيا ٠٠ وجد انهم قيموا سمات شخصيتهم بصورة ايجابية ٠ وهذا يتساوق مع الافتراض السابق بأن معظم الافراد لديها مشاعر واحاسيس ايجابية نحو ذواتهم ٠

وبالنسبة لنظرية الاتساق والتناغم المعرفى ـ العاطفى فاننا نتوقع بأنه اذا بقى المكون العاطفى للذات بدون تغيير ٠ فان المكون المعرفى سيظل ثابتا ، حتى يستمر فى حالة متناسقة متناغمة مع المكون العاطفى ٠ ومع ذلك فان الفرد فى شغل أدوار جديدة ٠ وحيث توحد توقعات الدور عنـــد الافراد الأخرين ، فان ذلك يخلق قوة نحو تغيير فى ذات الفرد ٠ واذا كانت القوة نحو التطبيع الاجتماعى فى الدور الجديد شديدة بصورة كافية ٠ فان المعارف الجديدة نتيجة لذلك ستكون متحده ، بينما تتضـــارب المعارف المكتسبة مع العاطفة الموجودة ، وبالتالى يخلق الصراع ٠ وجدير بالذكر فان عمليات التطابق المتعددة التى ناقشناها ، ستقود الى بعض اشكال من الثبات أو الحل والتى يعدل فيها اما الجوانب المعرفية او الجوانب العاطفية لاستعادة وتجديد عملية التوازن لدى الانسان ٠

## مظاهر الاستقرار والثبات للبناء الاجتماعى

انتهيب فى الجزء السابق من تبيان عملية ثبات سلوك الفرد وثبات ذاته ٠٠ وعبر الوقت ، يعتمد على مدى اتساق بيئة العلاقات بين الاشخاص interpersonal environment واشرنا الى أهم الوسائل التى عن طريقها

يسهم الفرد في مثل هذا الاتساق • مصدر اخر للثبات والاستقرار يقع في البناء الاجتماعي • حيث يسهم في الحفاظ على اتساق بيئة التداخل الشخصي •• وذلك بطريقتين •

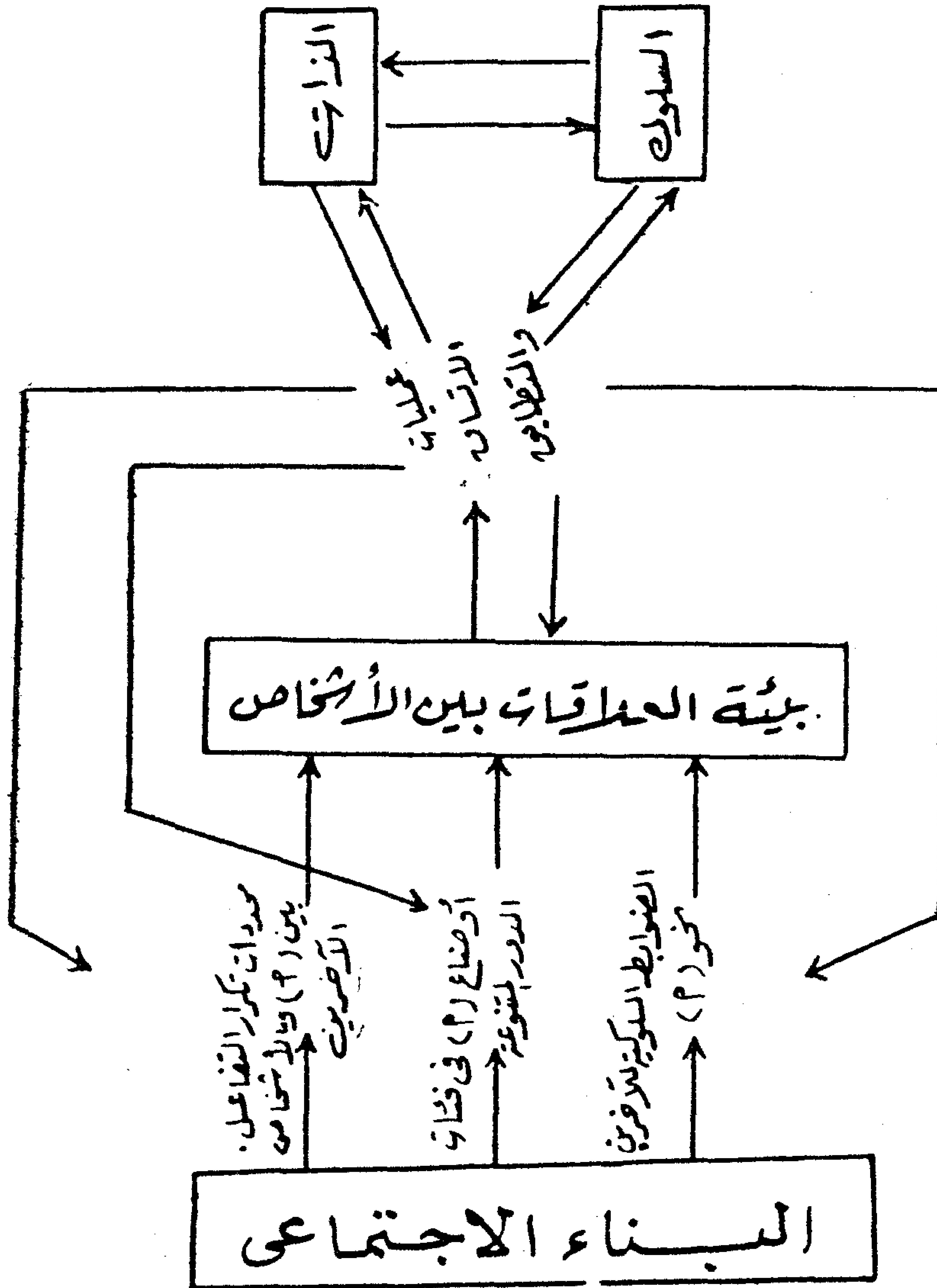
**أولا** : عن طريق شغل الفرد لمركز معين في النظام الاجتماعي ، فانه يرى بواسطة الآخرين ، ويرى ذاته بطرق تملي عليه عن طريق الدور الذي يشغله • وبهـــــذه الوســـــائل فان العلاقات المستقرة تأخذ في الظهور والاستمرار •

**ثانيا** : كما أن عضوية الفرد في جماعات متنوعة ، تؤكد اســـــتمرار عملية التفاعل مع الافراد الذين قد كون معهم علاقات متناسقة متطابقة • انهم يقللون من فرص مواجهة أفراد تحتاج أنماط سلوكهم واتجاهاتهم الى تعديلات فعالة لمفهومة لذاته ولسلوكة لكي يتوصـــــل معهم الى التطابق والاتساق •

كل من هذين المصدرين البنائية للثبات والاستقرار يمكن القاء الضوء عليها بصورة جلية • فبالنسبة للمشاركة في نظام اجتماعي ، فقد يرى شص ما بواسطة الاخرين ، كما يرى ذاته بطرق تملي عليه بواسطة نوعية دوره • والجدير بالذكر فان الافراد لا تتعلم فقط توقعات السلوك المرتبطة بمركز أو بفئة دور معين ، ولكن أيضا فان صفات الفرد ترتبط بها • وعن طريق شغل مراكز معينة فانها تحدد وتعرف باتساق عن طريق الآخرين ، ونتيجة لذلك يعرفوا ذواتهم على أساس السمات المرتبطة بفئة الدور ، وربما تكون أدوار الجنس الزمنية هي أوضح مثال لذلك • فالصفات الشخصية المتنوعة المرتبطة بالذكورة والانوثة في جماعة معينة تعلم ويحافظ عليها لان الذكور والاناث تعرف بصفة ثابتة على انها تمتلكها •

وبالنسبة لافراد الجماعة ، فان المناقشة السابقة عن الطرق والوسائل التي تسهم في تثبيت بيئة العلاقات بين الاشخاص تتضمن الفكرة بانه من المحتمل ان يدخل في جماعات ويتقاسم في انظمة اجتماعية ، ان كان احتمال تحقيق علاقات متناسقة متطابقة كبير • وبمجرد دخولة في مثل هـــــذه الجماعات ، فان تقاسمه واشتراكه في علاقات متطابقة يكون محددا بصورة جزئية بالشروط والعوامل التي تضبط الجماعات • فمنذ فترات طويلة من حياته ، نراه محاطا بنفس الافراد الاخرين ، وعادة ما يشتملون على أفراد الاسرة وزملاء اللعب والاصدقاء •

والعمليات المتنوعة التى تسهم فى استقرار وثبات سلوك الفـــرد نستطيع توضيحها بالرسم التالى :




« شكل يوضح العلاقات بين البناء الاجتماعى وبيئة العلاقات بين الاشخاص والذات والسلوك » (١) .

---

(1) Secord, P. & C. Backman : op. cit., 1964, PP. 593 : 596.

والمتأمل فى الشكل السابق يرى من اليسار مساهمات البناء الاجتماعى وتتضمن :

(١) تحديد تكرارات التفاعل بين الشخص (أ) وبين مختلف الاشخاص الاخرين ٠

(٢) توضح وضع الشخص ( أ ) فى فئات دور متنوعة ٠

(٣) توضح ضبط الانماط السلوكية للاخرين نحو (أ) ٠

وكل عملية بدورها تعمل على تحقيق بيئة معينة من العلاقات بين الاشخاص والتى يتحرك (أ) بداخلها ٠ وفى عملية التفاعل مع هذه البيئة فان (أ) يعمل على تحقيق علاقات متناسقة ومتطابقة مع الذات والسلوك ٠ كما أن عمليات التطابق المتنوعة والتى تحدثنا عنها فى سياق هذا الفصل قد استخدمت بواسطة (أ) لكى يحقق الاتساق والتطابق ٠ ومع ذلك فاننا نلاحظ ان هذه العمليات بدورها تعمل وتؤثر على بيئة العلاقات بين الاشخاص ، حيث نجد ان الشخص (أ) قادر على تحديد التكرار الذى يتفاعل به مع الاشخاص الاخرين على مختلف أنواعهم ؛ كما أن فئات الدور التى يشغلها ، والانماط السلوكية التى يظهرها الاخرين نحوه ، وهكذا فاننا نجده يشكل بيئة العلاقات الشخصية الى مدى معين ٠

## التغير فى الذات والسلوك

ان البناء الاجتماعى ليس فقط مصدر الثبات ، ولكنه تحت ظروف معينة يؤثر ايضا فى عمل تغييرات فى بيئة العلاقات الشخصية ٠ فكلما تنقل الفرد عبر البناء الاجتماعى ، فثمه تغييرات منتظمة تحدث فى الطرق التى يصنف فيها ، والطرق التى يسلك بها الاشخاص الاخرين نحوه ، أن ملامح البناء الاجتماعى ايضا تسبب تغييرات فى أفراد بيئته ٠ وبالاضافة الى ذلك فان الاحداث العرضية المختلفة يمكنها ان تحدث تغييرات كذلك ٠ ولكى نوضح التغييرات الناشئة من البناء الاجتماعى ، فان المناقشة التالية سوف تتعامل مع التغييرات الوظيفية التى تحدث مع تزايد العمر الزمنى ، ومع التطبيع الاجتماعى المهنى ٠

### * الوظائف والاوضاع المرتبطة بالعمر الزمنى :

كل مجتمع قد وضع او خطط للفرد سلسلة من فئات الدور التى سوف يشغلها على مراحل متنوعة من حياته ، وهكذا فان كل طفل سيشغل اوضاع مثل الرضيع ، الطفل الصغير ، الطفل الكبير ، المراهق ، الشاب ،

ورجل فى متوسط العمر ، وكبير السن وهكذا . بالاضافة فان كل شخص سيكون له مركز معين فى اسرته ، معتمدا على بنائها وتكوينها . كما سيكون له ترتيب ميلادى معين ، كأن يكون الاصغر أو الاكبر او المتوسط ، او قد يكون له اخوه ، واحد او اكثر ، او لا يكون له أخوه . كما أن انشطة الاسرة قد تتضمن اتصـــــالات كثيرة أو قليلة مع الاقارب مثل الاجداد والاعمام والعمات والخالات وابناء العم وابناء الخال وهكذا .

وفى خارج نطاق الاسرة ، سيشغل هذا الطفل ايضا ادوارا معينة فى جماعات الاقران ، وفى سن البلوغ فربما يلتحق بالخدمة العسكرية .. وعادة ما يتزوج آخذا بذلك دور الزوج والاب .. الخ . كما أن دوره المهنى سيعلب دورا هاما فى حياته . وجدير بالذكر أن جميع هذه الادوار تسهم فى مفهومة عن ذاته . وان كانت هذه الادوار فى صورة متتابعة او متقطعة ، بانها بالانتقال من مركز الى اخر او من وضع الى اخر تحتاج الى تنييرات سلوكية وبالتالى فانها أداه وظيفية لاحداث تغييرات معينة فى الذات . ولقد اعطانا كافان Cavan (١٩٦٢) وصفا دقيقا لعــــدم الاستمرارية فى فئة الدور التى تفرض على الانسان الى بلوغة سن التقاعد ، مشيرا كيف نرى عند هذه النفطة الاخيرة من الحياة ، تصورا جديدا واقل تقييما للذات يسيطر على الفرد فى هذه المرحلة الاخيرة من حياته .. وفى ذلك يقــــول كافـــــان :

« عند مرحلة التقاعد ، يمكننا أن نضع صورة عامة عن الرجل ، ان لديه تصور عن ذاته مطبوع جيدا بأنه كفوء ناجح لمستوى معين من الاعمال . منتج بصورة مفيدة ، معتمد على ذاته وقادر على اعاله اسرته ... هـــــذا التصور قد تكون عبر سنوات طويلة بواسطة ردود فعل مناسبة او تفاعلات مرضية فى اسرته واصدقائه ومساعديه ، وتلك القطاعات من المجتمع التى يقدر رايهم . هذا بالاضافة ، فلقد وجد نوعا من العمل ــ ودورا اجتماعيا ــ يسمح له بالتعبير عن تصوره لذاته بصورة مرضية ، وانه منضم بصورة كبيرة الى بيئة طبيعية وجماعة من شركاء الدور مما تمكنه من اداء دوره .. ويستطرد كافان بقوله :

وعن طريق استخدام المفاهيم التى ذكرت سابقا : لنضع فى الاعتبار ما يحدث عند مرحلة التقاعد الاجبارى :

**اولا :** وسائل تنفيذ الدور الاجتماعى تختفى وتزول ، فالرجل محام بدون قضايا ، أو امين مكتبه بلا كتب ، أو كاتب حسابات بلا سجلات ، أو ميكانيكى بدون ادوات .

**ثانيا :** لقد استبعد من جماعة رفقاء الدور السابقة ، وكفرد معزول قد يكون غير قادر تماما على العمل فى دوره السابق ·

**ثالثا :** وكفرد متقاعد يبدأ فى ايجاد تقييم مختلف عن ذاته فى عقول الافراد الآخرين ، يختلف بطبيعة الحال عن التقييم الذى كان لذاته وهو فرد عامل · انه لم يعد يرى الاحترام فى عيون تابعيه السابقين ·· مرآه الرؤية المكونة من الجماعات الهامة السابقة من رفاقه تعكس تصور مغاير ·· لقد انتهى الى شخص رجعى · متخلف ، وعلى الرف » · (1) ·

*** الذات والتطبيع الاجتماعى المهنى :**

دراسات عديدة تناولت عمليـــة التطبيع الاجتمـــاعى المهنى تدعم التاثيرات المشكلة لمفهوم الذات كلما مر الفرد عبر البناء الاجتماعى · ولقد اشار كوهن Kuhn (١٩٦٠) الى ان تقييمات الطالبات يختلف من عام الى آخر ·· فقلد طبق دليل الذات المهنى عـــنى مجموعـــة من طالبات مدرسة التمريض فى المراحل المختلفه من دراستهن ·· وأشار الى ان ثلث الطالبات عند نهاية السنة الدراسية الاولى قد عرفن انفسهن كممرضات ·· الا ان ذلك قد حدث بالنسبة لسبعة اعشار الطالبات عندما وصلن الى السنة الثالثة فى المعهد ·· وهذا يوضح تجسيد صورة الممرضة فى الذات ·

كما ان دراسة هنتجتن Huntington (١٩٥٧) دعمت نتائج دراسة كوهن السابقة ، هذا ولقد اشارت نتائج هذه الدراسة الى ان ما يقرب من ٣١٪ من طلاب كلية الطب فى نهاية السنة الأولى قد قرروا انهم يشعرون بانهم أقرب الى الطبيب منه الى الطالب وذلك حين يتعاملون مع مرضاهم · وجدير بالذكر فان هذه النسبة ارتفعت الى ٨٣٪ عندما قارب الطلاب مرحلة التخرج فى نهاية السنة الرابعة من التدريب · وعموما فان رؤية الطالب لذاتـــه كطبيب اعتمد بصـــــورة جوهرية على مــــــدى التفاعل الذى كان يحدث بينهم وبين شركاء او زملاء الدور · فعندما كانوا يتفاعلون مـــع الزملاء الطلبة أو اعضاء هيئة التدريس أو الممرضات ، فان نسبة الذين

---

(1) Cavan, R.S. : Self and role in adjustment during old age, IN A. M. Rose (ed.) : Human behavior and social processes ; An interactionist approach, New York, Mifflin Co. 1962, P. 527.

رأوا ذواتهم كأطباء كان قليلا جداً اذا قورن ذلك عندما يتعاملون مع المرضى (١) .

وجدير بالذكر فان هذه النتائج تتفق مع الموقف النظرى ، بأن توقعات شاغلى المراكز المضادة بمثابة محدد هام فى كيفية رؤية شاغل المركز لدوره. مما يؤكد ان كثيرا من الطلاب يرون ذواتهم كأطباء عندما يتفاعلون مع مرضاهم اكثر مما يرون ذلك مع زميل الدور . وتأييد آخر لذلك من نتائج دراسة هنتجتن اذ اتضح أن ٣٩٪ من ١١٧ طالب فى السنة الأولى والذين اعتقدوا ان مرضاهم يعتبرونهم كأطباء عرفوا ذواتهم هكذا . فى حين أن ٦٪ فقط من ٣٥ طالب الذين اعتقدوا ان مرضاهم عرفوهم على انهم طلبة ادركوا ذواتهم كأطباء .

ان تعلم رؤية الشخص لذاته بطريقة جديدة يتضمن اكثر من تطبيق دليل جديد لذات الشخص . فقد يتعلم الفرد رؤية ذاته على أساس من الصفات الشخصية والاجتماعية والجسمية والتى يتسم بها شاغل الوضع المماثل ، وحتى التى تتضمن على تلك الصفات التى ترتبط بصورة غير مباشرة بأداء الدور . ولقد أشارت الدراسات فى هذا الميدان الى اختلافات بين الجماعات الوظيفية فى وصف الذات تعطى سندا قويا لهذه النقطة الأخيرة ، وعلى سبيل المثال نتائج كل من سكانلن Ccanlon ، وهنتر Hunter ، وسن Sun (٩٦١) ، وبصورة مماثلة فان عديدا من دراسات التطبيع الاجتماعى المهنى اظهرت تغيرا تدريجيا فى صفات الشخصية فى اتجاه التصور المهنى المناسب وذلك كلما تقدم المبتدىء فى تدريبه .

ان شغل مركز جديد فى البناء الاجتماعى قد يتضمن ايضا تغييرات جذرية فى الاشخاص فى بيئة الفرد ، فان أفرادا جدد يصبحون ذوى دلالة ، وشركاء قدامى يسقطون أو تقل اهميتهم . فالشخص الذى عين فى الخدمة ، أو الذى يأخذ مركزا فى مجتمع اجنبى فجأة يكون محاطا برفاق جدد . والى الدرجة ان هؤلاء الافراد يعرفونه بطريقة غير مألوفة ، والى المدى التى تكون فيه تأثيرات التعريفات الجديدة لا تعارض بواسطة الوسائل المتنوعة للحفاظ على الاتساق والتطابق ، والتى نوقشت فيما سبق ، نجد بالتالى أن قوى أخرى قد خلقت نحو تغيير الذات والسلوك .

---

(1) Huntington, Marry : The development of self image, IN, R. K. Merton & others : The student physician, New York, Harvard Un. Press, 1957, PP. 179 : 187.

## * دلالة العلاقات الشخصية المتداخلة :

ان الافتراض الذى يمكن التسليم به والذى يشكل مفهوم الذات ـ هو تأثير شخص آخر ذو دلالة على الشخص . وغالبا ما يشكل أو يكون الفرد رابطة قوية بفرد آخر والذى بدوره يؤثر على سلوكه الى حد كبير ، هذا الشخص الاخر قد يكون صديقا حميما . او صديقا اكبر سنا وحائز على الاعجاب . او قد يكون شخصا له علاقة خاصة جدا مع الفرد كالزوجة او الزوج أو المحبوب ، المعالج النفسى . هؤلاء الافراد لدلالتهم الكبيرة بالنسبة للشخص ولعلاقتهم الخاصة به ، قد يحدثوا تغييرا فى الذات والسلوك .

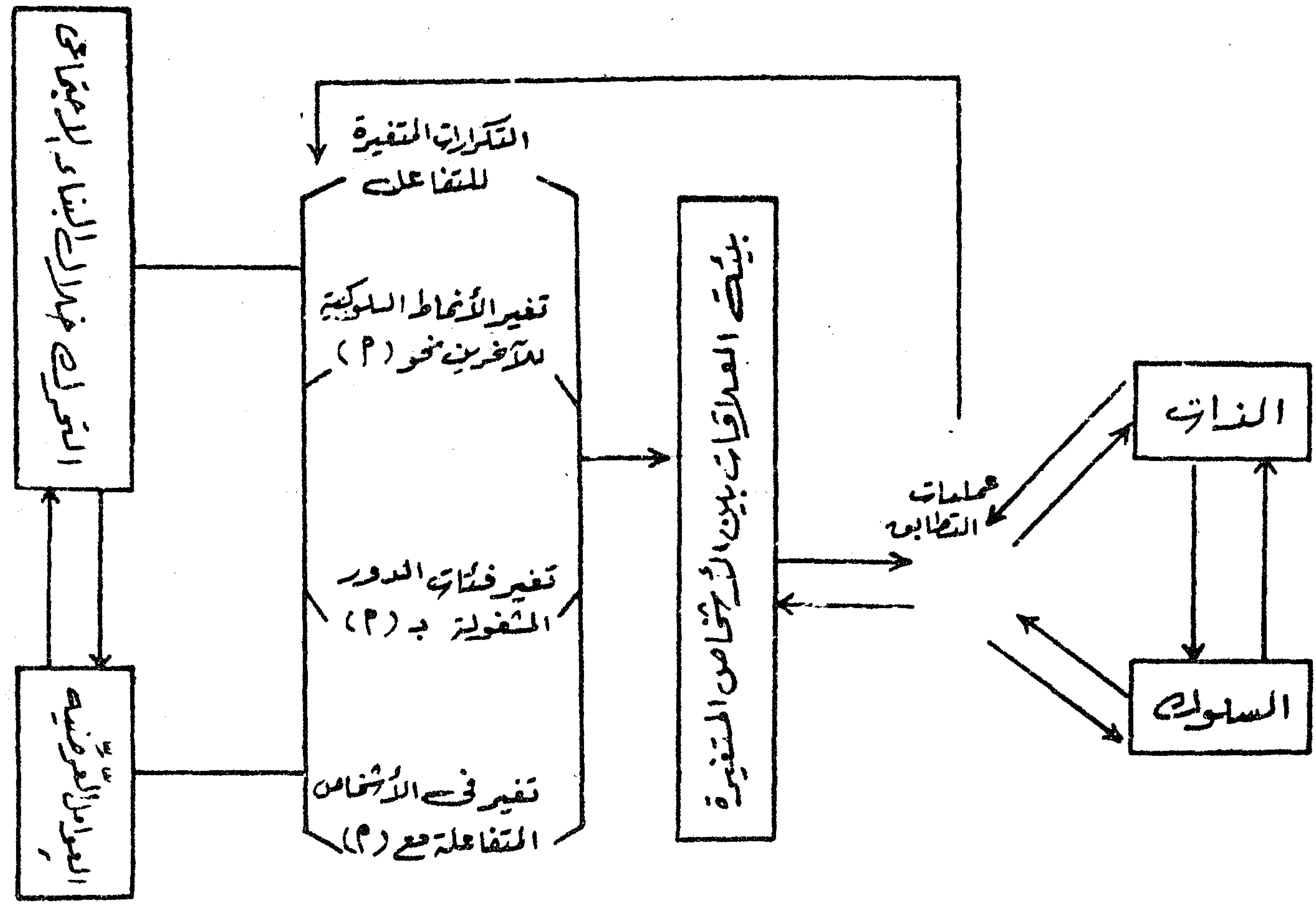
وهذه التغييرات قد تعمل على المحتويات المعرفية أو العاطفية او كليهما . فاذا تغير احد المحتويين فقد يعدل الآخر وذلك لاعادة بناء الاتساق المعرفى ـ العاطفى . وجدير بالذكر فان التغيرات المعرفية فى الذات والتى كثيرا ما يلاحظ حدوثها بعد فترة من العلاج النفسى تعطينا مثلا أن العلاج النفسى ما هو الا خبرة عاطفية قوية ومكثفة روجرز وديموند Rogers & Dymond (١٩٥٤أ) (١) ، وكذلك فى العلاج المتمركز حول العميل ، حيث أن التغييرات المعرفية تأيدت ودعمت بوضوح ، فالمعالج غالبا ما يكون دافئا ومتقبلا من قبل العميل . ان اتجاه المعالج قد يؤدى بالمريض تدريجيا الى زيادة حجم التأثيرات الايجابية نحو ذاته والتى بدورها تتبع بتبنى مدركات معرفية للذات أكثر ايجابية .. وذلك من أجل التوصل الى حالة من حالات الاتساق .

وعموما فان نظرة شاملة للعمليات التى تؤدى للتغير فى الذات والسلوك يوضحه فى الشكل الآتى . فكل من العوامل الاتفاقية أوالعرضية. والتحرك خلال البناء الاجتماعى او كليهما قد يغير تكرارات التفاعل مع أفراد آخرين ، كما قد يغير من سلوكهم نحو الفرد ، بالاضافة الى انه قد يغير من الافراد الذين يتفاعل معهم الشخص ، كما قد يغير من فئات الدور التى يشغلها الفرد . ان بيئة العلاقات الشخصية هذه المتغيرة قد تكون غير متطابقة أو غير متناسقة مع بعض جوانب الذات او السلوك . ان عمليات التطابق والتناسق تأتى بعدئذ لتأخذ دورها فى استعادة التوازن . فاذا كانت التغيرات فى بيئة العلاقات بين الاشخاص لم تكن كبيرة ، فاننا نجد الفرد قد يعمل على استعادة التطابق مع تغييرات بسيطة فى الذات والسلوك . ومع التغيرات الكبيرة فى بيئة العلاقات بين الاشخاص ، نجد ان الاتساق قد يستعاد فقط من خلال التغيرات التى تحدث فى الذات والسلوك .

---

(1) Rogers, C.R. & others : Psychotherapy and personality change. Coordinated studies in client-centered approach. New York, Chicago Un. Press, 1954. PP. 25 : 34.

والرسم التالى يلقى نظرة على العمليـــات المؤدية للتغير فى الذات والسلوك .



## وكالات التطبيع الاجتماعى

بعد ان انتهينا من عرض مفهوم التطبيع الاجتماعى . واشرنا الى أن جوهر هذه العملية ـ لا تخرج عن كونها عملية تعلم اجتماعى . واستعرضنا بعض نظريات التعلم الاجتماعى .. واثرها فى تطبيع الوليد الانسانى .

بالاضافة الى ان شخصية الفرد وخصائصه ومقوماته تنمو وتتشكل من خلال عملية التطبيع الاجتماعى ـ كما أن مفهوم الذات يتكون كذلك فى هذه العملية . ورأينا فى ثنايا ذلك محددات السلوك الانسانى وطبيعة مفهوم الذات ، واستقرار وثبات هذا المفهوم ، ومدى ما تخلفه عملية التطبيع الاجتماعى من آثار فى تغيير الذات وثباتها .

وان نظرنا الى الانسان فسنجده هو العنصر النشط الفعال الذى يحمل مقومات عملية التطبيع هذه .. يحمل ثقافة مجتمعة من جيل الى آخر .. فكأن الفرد الانسان هو العنصر الاول من عناصر عملية التطبيع .. الا أن الفرد لا ينشأ فى فراغ فلابد من الاخرين الذين يتفاعل معهم .. كما ان نمو الكائن الانسانى لا يتحقق الا فى وسط مجال بيئى معين ، والاسرة فى كل زمان ومكان تعتبر بمثابة النواة الأولى والقالب الاجتماعى الأولى التى تؤصل وتعضد وتوجه عملية التطبيع الاجتماعى للوليد البشرى . كما أنها لا تحدد ما سوف يفعله الوليد البشرى فى مقتبل حياته ولكن بالاضافة ما يستطيع ان يفعله كذلك .

وعموما فان هناك عديدا من الوكالات الاجتماعيه التى تأخذ على عاتقها نقل التراث الثقافى الى الوليد الانسانى .. وليس معنى ذلك ان الطفل يكون دوما فى حالة سلبية ، اى مجرد متلق لانماط تراثه وثقافته ، ولكن له دور ايجابى ، وهذا ما أشرنا اليه فى ثنايا عرضنا لنظرية التعلم ، ونظرية الدور الاجتماعى فى عملية التطبيع الاجتماعى ، حيث أن ايجابية الطفل فى هذه العملية يختلف من عمر زمنى الى عمر زمنى آخر ، وكذلك من ممارسته وشغله لدور نفسى ـ اجتماعى ، الى آخره .

### (١) الأسرة وعملية التطبيع الاجتماعى :

قد تكون مناقشتنا لمثل هذه العملية نوعا من البحث فى البديهيات والمسلمات ، لانه مما هو معروف ان الطفل منذ بداية حياته لا يكون أمامه مصدرا من مصادر الخبرة والمعرفة سوى أعضاء اسرته التى نشأ فيها ودرج بين افرادها .

ولكن فى الحقيقة ما قصدنا اليه من هذه المناقشة ، ليس هل يتأثر الطفل باسرته أم لا ؟ ولكن لبيان مدى هذا التأثير ونوعيته ، هذا بالاضافة الى العوامل التى تساعد على عملية التطبيع فى داخل نطـــاق الاسرة . وعموما فلقد ذكرنا فى صدر هذا الموضوع ، أن هناك عديد من الميكانزمات التى تتمركز حولها عملية التطبيع الاجتماعى الاسرى ، ولقد اشار كل من هويتنج وتشيلد Whiting & Child الى اهم النماذج السلوكية فى عملية التطبيع حيث نجد أن جميع الثقافات تقوم بتدريب صغارها ـ وهذه النماذج تتلخص فى عمليات التغذية والاخراج وسلوك دور الجنس ، والاستقلالية وكذا انماط السلوك العدوانية (١) .

## * دور الأم فى عملية التطبيع الاجتماعى :

لقد محت العديد من الدراسات النفسية اى ظلال شك قد تنتابنا حول اهمية سلوك الأم فى تشكيل وتطوير سلوك وليدها .. فلقد أشـــار كل من جولدفارب Gold Farb (١٩٤٣) وبولبى Bowlby (١٩٥٢) الى أنه عندما تلقى الحاجات الفسيولوجية للطفل الاشباع ، دون أن يلقى علاقة ود وتعاطف مع الشخصية التى تقدم بدور الام ، فاننا نلاحظ تأخرا فى نمو الطفل ، وانتهيا الى ان حرمان الطفل الصغير لفترة طويلة من عناية الأم قد يكون له آثار خطيرة وعميقة على خصائصه النفسية وبالتالى على مستقبل حياته ، وفى ذلك يشير بولبى :

« لقد أصبح واضحا مدى التأثير الذى يكون نتيجة الحرمان من الأم بصفة عامة ، كما انه بات من الجلى ان التـــأثير يكون أعظم اذا حدث فى النصف الثانى من السنة الأولى من حياة الطفل .. كما أن الفترة الزمنية لهذا الحرمان لها تاثيرها .. ويذهب بولبى بقوله بأنه حتى ما قد يسميه غالبية الناس بالأم السيئة ، هى فى الحقيقة أفضل من عدم وجود أم على الاطـــلاق » (٢) .

ويشير الى ذلك ليون يارو Leon Yarrow (١٩٦٤) الى الاضرار التى تلحق بالطفل من جراء ايداعه احدى المؤسسات الاجتماعية ، وعموما فدور الأم فى عملية التطبيع الاجتماعى قد لاقى دراسات موسعة وكثيرة على عكس دور الأب فى ذلك .

---

(١) انظر للمؤلف : سيكولوجية الشخصية : مرجع سابق ص ٢٠٠ : ص ٢٠٤ .

(2) Bowlby, J. : Maternal care and mental health, 2nd (ed.) Geneva. World Health Organization Monograph, 1952, P. 46.

## * دور الأب فى عملية التطبيع الاجتماعى :

حقيقة ، فانه توجـــد تأثيرات غير متساوية بين كـل من الام والأب ، فالمسئولية ابتداء تقع على الام خاصة فى شهور الطفل الأولى ، الا أن دور الأب لا يمكن تجاهله ، ولقد أشـارت عديد من الدراسـات التجريبية مثل دراسـة بيترسون Peterson وآخـرين (١٩٦١) وبيكر Becker وآخرين (١٩٥٩) ولين وساورى Lynn & Sawrey (١٩٥٩) الى أن أهمية دور الاب يمكن أن تتمركز حول ثلاثة تساؤلات :

١ ــ كيف يتأثر الطفل فى نموه فى منزل بدون اب ، او فى منزل يكون الأب فيه متغيبا معظم الوقت ؟

٢ ــ كيف يؤثر الاب على سلوك دور جنس الطفل ؟

٣ ــ عندما يكون للطفل مشاكل سلوكية ، فهل هناك احتمـال بأن الأب قد ساهم فى خلقها ؟

ولقد قام كل من لين وساورى (١٩٥٩) بدراسة بالنرويج على أبنـاء بحارة السفن ، حيث أن الكثير من هؤلاء البحارة يكونون في أغلب الوقت بعيدون عن منازلهم لمدة قد تصل الى تسعة أشهر من العام ، والبعض كان يظل متغيبا قرابة العامين ، وقام كل من لين وساورى بمقارنة اطفال هؤلاء البحارة (٤٢ طفلا) ، بأطفال آخرون كانت آبائهم اغلب الوقت متواجدة بالمنزل .

ولقد اظهرت النتائج ، أن البنات اللاتى كانت ابائهن متغيبة عن المنزل كن اكثر اعتمادا على الآخرين من البنات اللاتى كانت ابائهن فى حالة تواجد بالمنزل ــ كما أن الأولاد الذكور كانوا اكثر تأثرا من البنات لعدم المصـاحبة المنتظمة لأبائهم ، فلم يكونوا متوافقون فى علاقاتهم الاجتماعية مثل الأولاد فى الأسر الأخرى ذوى الاباء الحاضرة، كما ان انماطهم السلوكية لم تكن ناضجة الى حد كبير كما يبدو انهم كانوا اقل تأكدا حول ادوارهم الجنسية ، حيث انهم كثيرا ما كانوا يتصرفون بطريقة ذكرية مفتعلة مبالغ فيها ، وفى أحايين يتشبهون لبنات فى انماط سلوكهم . (١)

---

(1) Lynn, D. B. & W. L. Sawrey : "The effect of father absence on Norwegian boys and girls",Jour. of abn. and soc. psy. vol. 59, 1959, PP. 258 : 262.

جملة القول ان وجود الاب فى الأسرة . يوفر بطبيعة الحال النموذج الذكرى لأولاده . كما انه فى مركز المكافىء او المعاتب لهم ، وبالتالى تسير عملية التطابق بين الطفل ووالده سيرا عاديا .

## * دور الأخوة فى عملية التطبيع الاجتماعى :

لقد اوضحت الدراسات الكلاسيكية التى اجراها ديفيد ليفى D. Levy (١٩٣٧ . وايضا دراسات هيلين كوخ H. Koch (١٩٦٥) تأثير الاخوة فى عملية التطبيع الاجتماعى ، خاصة الوضع الترتيبى لكل من الاخوة فى الاطار الاسرى .

وفى دراسة أجراها هارلو على قردة رضيعة ، مروا بخبرة الارتباط المستمر بأقرانه بدون أمهات ، اشار الى ما يلى :

« حقيقة لقد تأثرنا كثيرا خلال دراستنا لهذه القردة ، ولقد اندهشنا بالطرق التى تتخذها القردة للوصول الى سلوك اجتماعى ملائم ، والتى يمكن الحكم عليها عن طريق معاييرنا بالتعاطف والتواد نحو الاقران . كما أن ضبط الخوف والعدوان ، والسلوك الجنسى الطبيعى ، كما أنه عن طريق تفاعل القرد مع أقرانه امكنه ان يتغلب على تأثيرات غياب الام . وعموما فلقد دلت النتائج الى أن بعض القردة التى تربت بعيدا عن الام ولكنها وسط رفاقها فى مثل عمرها الزمنى ، هؤلاء الرفاق عوضوا القردة بصورة ملحوظة عن نقص الام وفقدانها ، مع ان هذه القردة كمجموعة ستكون فى موقف سيىء اذا ووجهت بقردة كانت لها ام وخبرات مبكرة مع آخرين فى مثل عمرها الزمنى (١) .

ونختتم مناقشتنا بدراسة قامت بها مجموعة من الباحثين من جامعات امريكية مختلفة ، وقد تركزت هذه الدراسة حول معرفة نوعية الضغوط التى تبذلها كل اسرة من أجل تنشئة اطفالها وتطبيعهم اجتماعيا .

وكان ميدان هذه الدراسة ستة مجتمعات محلية مختلفة فى شمال الهند واوكيناوا والمكسيك وافريقيا والفلبين وشمال شرق الولايات المتحدة الامريكية . وكان منهج الباحثين هو اجراء المقابلة الشخصية مع مجموعات كبيرة من الامهات والاطفال فى كل بيئة من هذه البيئات . وكان هدف

---

(1) Engel, L. : "The troubled monkeys of Madison, New York, Times Mag. January, 29, 1961, P. 62.

هذه المقابلات الشخصية هو اكتشاف وسـائل التلقين والتدريب الذى تمارسة كل اسرة فى تطبيع اولادها وكذلك الضغوط التى تبذلها من أجل ذلك سواء كان مصدر هذه الضغوط الام نفسها او أى عضو آخر من اعضاء الأسرة ٠

وكانت النتائج التى توصل اليها هؤلاء الباحثون تؤكد ان الاسر تختلف عن بعضها البعض فى عديد من النواحى ذات الأثر الواضح فى عمليـة التطبيع الاجتماعى ٠

ويمكن تلخيص هذه النواحى فيما يلى :

١ ـ متطلبات المسئولية الشخصية والاجتماعية التى تفرضها الأسرة على ابنائها وبناتها وما تتوقعه منهم استجابة لهذه المسئوليات ٠

٢ ـ الجو العاطفى والانفعالى الذى يحيط بالطفل مثل حنـان الأم ورعاية الاب والتشجيع بالاثابة او الكف والكبت والاحبـاط والعقوبات وخاصة البدنى منها ٠

٣ ـ درجة ضبط وتهذيب عدوانية الطفل تجاه أقرانه واترابه سواء كان داخل الاسرة كالاخوة والاقارب او خارج الاسرة كاطفال الجوار والمجتمع المحلى ٠

٤ ـ درجة ضبط وتهذيب عدوانية الطفل نحو الوالدين او عصيانه لأوامرهما وخروجه عن قواعد الأسرة وتقاليدها ٠

٥ ـ درجة العناية والرعاية التى تبذلها الأم فى تربيـة اطفالهـا الرضع ٠ وهذه تختلف من اسرة الى اخرى ومن مجتمع الى آخر متأثرة فى ذلك بما هو سائد فى هذا المجتمع أو ذاك من تقاليد وعـادات وطقوس وخاصة اذا ارتبطت هذه الرعاية بكون الرضيع ذكرا أم انثى ٠

٦ ـ درجة العناية والرعاية التى تبذلها الام فى تربية الاطفال الكبار وهذا ايضا تختلف من اسرة الى اخرى حيث يكون من المحتمل أن ترتبط هذه الرعاية بترتيب الطفل بين أخوته وكذلك ترتبط بنوعه ذكـرا كان أم انثى ٠

٧ ـ درجة الثبات الانفعالى والاتزان العاطفى للأم ، وهذه خاصـة ربما تختلف من أم الى اخرى كصورة من صور الفروق الفردية الا أن هذه الخاصية تتأثر بجو الاسرة عموما وتؤثر فيه ٠

ومن نتائج هذه الدراسة ايضا ان هذه العوامل السبعة السابق الاشارة اليها تتعلق بالاختلاف بين الاسر والامهات اكثر من تعلقها بالاختلاف فى بيئة وبيئة اخرى (١) ٠

والجدير بالذكر أن هذه النتائج تتفق مع النتائج التى توصل اليها كل من يارو Yarrow (١٩٦٤) ، وبولبى Bowlby (١٩٥٢) وسيرز Sears (١٩٥٧) وليفين Levin (١٩٦٨) ٠ وهويتنج وتشليد Whiting & Child وكلوزين Clausen (١٩٦٦) ٠ وكاجان Kagan (١٩٦٩) ٠ (٢) ٠

جملة القول فان الوليد البشرى تشكل شخصيته عن طريق خبراته ، والسنوات الأولى من حياته تكون ذات دلالة كبيرة فى هذا الشأن ، فخلال هذه السنوات تحدث معظم خبراته داخل اطار الاسرة ٠ وبالتالى فان الاسرة يقع عليها العبىء الاكبر فى عملية تطبيعة اجتماعيا ، فبداخلها يحصل على مكافآت وعقوبات ، ويجد نماذج يحاكيها واشخاص يمكن أن يتطابق معهم أنه نتيجة لخبراته داخل الاسرة فانه يتعلم كيف يستطيع ان يمارس عملية الضبط على ميولة ورغباته الفطرية ، وينمى بالتالى أنماطا سلوكية اخرى لم تكن بادىء ذى بدء جزءا من ذخيرته أو ميراثه السلوكى ٠

ويجب الا يحجب عن ناظرنا حقيقة انه توجد اختلافات كبيرة داخل المجتمع الواحد ، بعض هذا يرتبط بعضوية الاسرة داخل المجتمع ، هذا بالاضافة فيجب أن نتعرف أنه داخل الاطار الاسرى الواحد فان الاطفال يخبرون نظما تدريبية مختلفة ، حيث ان الموقف الجنسى والترتيبى للطفل يبدو انهما محددان هامان فى كيفية تدريبه وتطبيعه اجتماعيا ٠

ولكى نتفهم عملية تدريب الطفل ، فانه من المفيد ان نتأمل بعض جوانب التدريب المحددة ، وعادة ما يستخدم الوالدين تجاه هذه الجوانب وسيلتى الثواب والعقاب فى محاولة منهم لخلق النماذج السلوكية التى يعتقدون انها مرغوب فيها لاطفالهم ٠ كما ان الدراسات الميدانية اوضحت مدى اهمية سلوك الام سواء كان حبا أو قسوة ، تحكما أو استقلالية ، فى عملية التطبيع الاجتماعى ٠٠ كما أن الام ليست وحدها ذات الأهمية ولكن كذلك الاب

---

(١) سعد عبد الرحمن : السلوك الانسانى ( تحليل وقياس المتغيرات ) : الكويت مكتبة الفلاح ، ١٩٧٧ ، ص ٤٦٩ : ص ٤٧٠ ٠

(٢) انظر للمؤلف : سيكولوجية الشخصية مرجع سابق ، الفصل الأول من الباب الثانى ٠

والاخـــــوة يؤثرون فى مجرى تكوين الطفل ونمـــوه وتطبيعه اجتماعيا بصفة عامة ٠

## ٢ ـ المدرسة وعملية التطبيع الاجتماعى :

الوظيفة الاجتماعية الرئيسية للمدرسة او للمؤثرات التربوية بصفة عامة هى استمرار ثقافة المجتمع ودوامها ٠ وذلك بأن تيسر لاطفال المجتمع وناشئته امتصاص وتمثل قيم ذلك المجتمع واتجاهاته ومعايير الســـلوك فيه ، كما تدربهم على اساليب السلوك التى يرتضيها هذا المجتمع فى المواقف والمناسبات الاجتماعية المختلفة ٠٠ وعلى ذلك فانها تعتبر بمثابة مؤسسة هامة من مؤسسات التطبيع الاجتماعى ٠

ويمكن ان نعتبر المدرسة امتدادا للاسرة ، فهى بمثابة المؤسسة الأولية التى انشئت لتوجية نمو الطفل ، ونمو مهاراته المعرفية ، وقدرته على القراءة والكتابة ٠ كما انها تؤثر فى نمو الطفل وذلك عن طريق نمو الدوافع والميول والاتجاهات والقيم والمهارات الاجتماعية بالاضافة الى تقدير الطفل لذاته ٠

وتشير عديد من الدراسات النفسية ان المدرس غالبا ما يعمل كنموذج للطفل ، ولقد دلت نتائج دراســـــة مارى اماتورا M. Amatora (١٩٥٤) بعد قياس السمات الشخصية لكل من التلميذ والمدرس ، ان هنالك معاملات ارتباط عالية بين سمات المدرسين وسمات تلاميذهم ٠ كما أشارت برندا R. Brenda (١٩٥٠) الى ان الاطفال يغيرون بالفعل أنماط سلوكهم لتتطابق وتتماثل مع انماط سلوك مدرسيهم ، حيث طلبت من التلاميذ مقارنة ثلاثة خطوط ذات أطوال مختلفة ، مع خط معيارى معين ، وخط واحـــــد من الثلاثة يكون متطابقا تماما لطول الخط المعيارى وبدات تجربتها ب ١٧٣ طفلا يتراوح أعمارهم فيما بين السابعة والثالثة عشر من العمر ، واخذ هؤلاء الاطفال الى غرفة الاختبار حيث وجد مدرسته جالسة ، حينئذ أشار له المختبر بأنه ومدرسته سيقومان بالحكم على هذه الخطوط ، وعلى المدرســـــة أن تصدر حكمها أولا ، ثم يلى حكم التلميذ ٠

وبترتيب سابق مع المختبر كان على المدرسات أن يعطوا اجابات غير صحيحة فى سبعة مواقف من الاثنتى عشر موقف ، فاذا اعطى الطفل هذه الاجابات السبعة الخاطئة ، فانها تكون دليلا على انه كان يتبع مدرسته . ولقد رصدت اجابات الطفل الصحيحة فى جلسات منفردة بدون وجـــود المدرسة ( فى الجزء الأول من التجربة ) ٠

ولقد دلت النتائج ان ٤٢٪من التلاميذ قد اتبعوا أحـــكام مدرستهم بصورة عمياء ، كما أن صغار السن قدتأثروا بصورة اكبر بما قالته المدرسة اكثر من الاطفال الكبار • وهذا ليس بمستغرب ان يتجه التلاميذ الى تقليد ومحاكاة سلوك مدرساتهم في هذه المواقف المدبرة ، وبالاضافة الى ذلك فان دراسة كل من يوندو Yondo وكاجان Kagan (١٩٦٨) امدتنا بالدليل بأن التلاميذ لا يقلدون مدرساتهم فى السمات العامة لشخصياتهم فقط ، بل كذلك فى السمات الانفعالية والاجتماعية،حيث اتضح ان الاطفال الذين كانت لهم مدرسة متزنة متاده الفكر ، وجـــد ان اغلب الاطفال قد قلدوها فى نمطها والعكس وجد أن الاطفال الذين كانوا يدرسون تحت أيدى مدرسة مندفعة متهورة اظهرت نتائج الدراسة السابقة بأن التلاميذ قلدوها فى التهور والاندفاع ، الا ان ذلك كان اكثر وضوحا عند البنين عنه عن البنات •

وعموما فان المدرســـة تمارس ميكانزمات مختلفة لتحقيق وظيفتها الاجتماعية فى التطبيع الاجتماعى لتلاميذها ، ويمكننا ايجاز هذه الميكانيات فيما يلى :

١ ـ قد تستعمل المدرسة طرقا مباشرة ومقصودة وواعية لتدعيم القيم التى يغلب الاتفاق عليها من جانب المجتمع ، وذلك بتناول هـــذه القيم صراحة فى مواد الدراسة وشرحها وتأكيد ضرورة التمسك بها ، كما ان ذلك يمكن الوصول اليه عن طريق غير مباشر كما هو فى مسائل الحساب مثلا ، او قطع المطالعات وما الى ذلك •

٢ ـ كما أن دور المدرسة لا يقتصر بطبيعة الحسال على المـــواد الدراسية ، بل أن النشاط المدرسى نجد منه ما هو منظم وموجه بحيث يتعلم منه قيما معينة ، مثل المواظبة وحسن الاستماع الى المدرس عندما يتحدث والنظام وهكذا •

٣ ـ كما ان فى استعمال وسيلتى الثواب والعقاب فى تدعيم القيم وفى تعلم التلاميذ •• بمثابة امتداد لمـا قد تعلمه الطفل ابتداءا فى الاسرة اى أن المدرسة تستعمل الثواب والعقاب فى دورها فى التطبيع الاجتماعى مثلها كمثل الاسرة •• وان اختلف جوهر ومغزى الثواب والعقاب فى كل من المؤسستين •

٤ـ كما أن المدرسة فى استعمالها نماذج للسلوك اما بالحديث عنها وشرحها ومناقشة خصائصها • او بمجرد عرضها دون ترغيب او ترهيب •• كما ان هناك نماذج حية تتحرك بين التلاميذ فى حياتهم اليومية فى المدرسه

وهم المدرسون ، وهم يؤثرون فى تطبيع تلاميذهم الاجتماعى بمجرد كونهم نماذج سلوك امامهم .. وعموما فان تأثر التلميذ بالنماذج المعروضة واقع فى الحالتين ، سواء فى حالة الترغيب أو حالة المحايدة أو بالمحاكاه العملية لمدرسيهم . وجدير بالذكر فان المدرس يعكس عديدا من القيم لتلاميذه سـواء كانت قيم النظام والمعرفة والمسـايرة الاجتماعية والقـدوة وما الى ذلك (١) .

**٣ ـ جماعة الأقران عملية التطبيع الاجتماعى :**

لجماعة الاقران دور ايجابيا فى عملية التطبيع الاجتماعى فهى تؤثر فى معايير الفرد الاجتماعية ، كما تمكن افرادها من القيام بأدوار اجتماعية معينة ، بالاضافة الى وجود الرفاق الذين يشتركون فى مرحلة نمائية معينة بمطالبها وحاجاتها ومظاهرها .. وينعم الفرد فى وسطها بالمساواة التى غالبا ما يكون مفتقد لها فى مجـالات اخرى . ويمكننا ايجاز تأثير جماعة الاقران فى عملية التطبيع الاجتماعى فيما يلى :

**ا ـ الامتثال والتطابق :**

كثيرا ما يحزع الكبار عندما يرون تأثيرهم على الطفل يكون أقل من جماعة اقرانه . حيث نجد فى اغلب الاحيان عند تضارب معايير الآباء وجماعة الاقران ، فان الطفل غالبا ما يتمشى مع معايير جماعة رفاقة .. قد يكون ذلك لتأكيد الطفل استقلاليته عن والديه ، بالاضـافة الى حاجة الطفل الى تجنب نبذ الجماعة التى يحاول ان يتطابق ويتماثل معها .

ولقد اشارت برندا Brenda (١٩٥٠) فى دراستها الى ان تطابق الطفل مع جماعة اقرانه فى المواقف المختلفة ، غالبا ما يكون بصورة اكبر من تطابق الراشـد مع جماعة أقرانه ، حيث لاحظت ان اغلب الاطفال فى دراستها « ٧٦ » سايروا الاحكام الخاطئة التى صدرت من اقرانهم ، فى حين أن ١٦ طفلا فقط قد امتثل للتمييز الخاطىء الذى صدر من مدرسيهم .. وتستطرد بقولها أن الاطفال الصغار كانوا اكثر تأثرا براى الغالبية الخاطىء من الأطفال الاكبر سنا .

وجدير بالذكر فانه توجد مجموعة من الاسباب لهذا السلوك الامتثالى

---

(١) سـيد عثمان : علم النفس الاجتماعى التربوى ، مكتبة الانجلو ، الجزء الاول ، ١٩٧٠ ص ٨٨ .

فقلد اشار أحد التلاميذ فى تفسيره لسلوكه فى تجربة برندا سابقة الذكر وهو ٠٠ ان الاطفال لا تحب ان تكون مرفوضة ، او تبدو مختلفة عن الأخرين ولذلك كانت المسايرة اسهل وواضحة عندما كانت الاحكام او الاستجابات المطلوبة من الاطفال صعبة ونرى قول احدهم :

« عندما كنت غير متاكد من نفسي ، كنت أميل لاحكام الأخرين » (١) ٠

وعموما فان هذا الدليل التجريبي يؤكد قدره جماعة الاقران على الضبط والتحكم فى سلوك افرادها ، هذا بالاضافة وتحت ظروف معينة فان البيانات تؤكد قدرة جماعة الاقران على التأثير فى سلوك اعضائها اكثر من الوكالات الاخرى سواء المنزلية او المدرسية ٠

## ب - القبـــول :

ان التطابق والامتثال غالبا ما يمنع النبذ أو العزل من الجماعة ولكنه لا يؤدى بالضروره الى احتلال العضو مركز ذات قيمة فى وسط جماعته ٠ ولذلك فاننا نرى الفرد احيانا يحاول كسب قبول جماعته عن طريق ادائه للاعمال التى يرى ان الجماعه فى حاجة اليها وذلك لكى يشعر أنه متقبل منها ٠ وكثيرا ما يواجه المراهق أو حتى الراشـــد بمثل هذه الاختيارات ، بين ان يسلك باستقلالية عن الجماعة ، أو ان يسلك مسلكا متطابقا معها ، وغالبا ما تكون هذه الاختيارات صعبة خاصة ان كانت ترتبط بقيم أو اتجاهات معينة ٠

ولقد اجرت لافلن Frances Laughlin (١٩٥٤) عدة تجـــارب اوضحت فيها اثر التقبل الاجتماعى للرفاق على الطفل ، ففى احدى تجاربها كانت تحاول التحقق من سمات الطفل والتى تكون لها علاقة بالطريقة التى يقبل أو يرفض من قبل جماعة الاقران ٠ ولقد بدات دراستها بـ ٦٠٠ تلميذ فى المرحلة الســادســـة ، ودرست اكثر من ٥٠٠ اخرون فى المرحلة السابعة وذلك لتحديد الاتجاه السائد للجماعة بالنسبة لكل طفل ٠٠ وصممت مقياسا لقياس البعد الاجتماعى للفصل الدراسى ، وكان ذلك عن طريق كتابة اسماء جميع الاطفال فى كل فصـــل على ورقة وكتب فى اعلاها المواقف التـــالية :

١ - أحب ان يكون كأحد اصدقائى ٠

(1) Brenda, R. : The influence of the group on the judgments of Children, New York, King's Crown Press, 1950, P. 20.

٢ ـ احب ان يكون فى جماعتى ، ولكن ليس كصديق مقرب لى ٠

٣ ـ احب ان اكون معه ذات مرة ، ولكن ليس مرارا ٠

٤ ـ لا اهتم بوجوده فى الفصل الدراسى ، ولكن لا اريد ان اتعامل معه ٠

٥ ـ كنت اتمنى الا يكون فى فصلى الدراسى ٠

وكل طفل عليه ان يضع علامة امام واحدة من هذه المواقف الخمسة لكل طالب داخل فصله الدراسى ، ولقد حددت اوزان لكل موقف من المواقف الخمسة السابقة حيث اعطت درجة (٥) للموقف الاول يليه (٤) للموقف الثانى هكذا ٠ وعن طريق قسمة العدد الاجمالى للدرجات التى حصل عليها الطفل على عدد التلاميذ فى الفصل الدراسى الواحد امكن تحديد درجة التقبل داخل الجماعة لكل تلميذ ، فكلما كان معدل درجة الطفل مرتفعا، كلما كان تقبله أكبر لدى الاطفال الاخرين ٠

وبالاضافة الى تحديد درجة التقبل الاجتماعى لكل طفل داخل الجماعة من سنة الى اخرى ، فلقد جمعت بيانات اخرى عن كل طفل مثل قياس قدرته العقلية وتحصيلة الدراسى وسمات شخصيته ٠ واظهرت تحليل هذه البيانات انه يوجد ارتباط ذو دلالة فى الطريقة التى قيم بها الاطفال سنة بعد اخرى ٠ وكان هذا حقيقيا ليس فقط بالنسبة لتقييم سمات شخصياتهم ، بل كذلك بالنسبة لدرجة تقبلهم الاجتماعى لدى الجماعة ٠

ولقد اتضحت من هذه الدراسة دلالة السمات الشخصية كمحددات للتقبل الاجتماعى داخل الجماعة ، وكانت أهم هذه السمات والتى قد تم دراستها هى : الصداقة ، المحبة ، المظهر الحسن ، الانشراح والسرور والحماس ٠ فقلد كان الاطفال الذين يوصفون بأنهم كثيرى الكلام قلقين قد حصلوا على درجات منخفضة فى التقبل الاجتماعى لدى الجماعة ، على نقيض الاطفال الذين لم يوصفوا بهذه السمات (١) ٠

## جـ ـ الاستقلالية :

كجزء من النمو الطبيعى ، يحتاج الطفل الى ان يحرر نفسه من الاعتماد الكامل على أسرته ، وكما ذكرنا سابقا ان المدرسة تيسر نمو الطفل الاستقلالى ، الا اننا فى جماعة الرفاق تستطيع أن تعطى الاحتمالات البديلة

(1) Laughlin, F. : The peer status of sixth and seventh grade children, New York, Columbia Un. Press, 1954, PP. 71 : 72.

لتلك الموجودة داخل الاسرة ، كما ان جماعة الرفاق كثيرا ما تكافىءاوتعاقب الطفل ، وقد تشجعه على نمو بعض الانماط السلوكية التى تتعارض مع تلك السائدة داخل المجال الاسرى ، وغالبا ما يكون الاباء سريعوا التأثر لقـوة سلطة جماعة الرفاق على اطفالهم ، وهذه هى احد الاسباب فى قلقهم تجاه جماعات الأقران لذويهم ، حيث نجدهم يحددون علاقة اطفالهم بمن يختلطون بهم من حيث المستوى الاجتماعى والطبقى والعنصرى ٠٠ كما ان ذلك غالبا ما يكون محدداً فى اختيارهم المناطق السكنية والمدارس التى يلتحق بها ذويهم ٠

وعموما فان جماعة الاقران تؤثر فى عملية التطبيع الاجتماعى لأعضائها عن طريق الوسائل الاتية :

١ ـ تعطى جماعة الاقران الطفل فرصة للتعامل مع أفراد متساوين ومتشابهين معه ، وبذلك يخبر أنماطا من العلاقات والتعاملات المتساوية ، الامر الذى لا تتيحة له الاسرة ولا المدرسة ٠

٢ ـ تساعد الطفل على الوصول الى مستوى الاستقلال الشخصى عن الوالدين وعن سائر ممثلى السلطة ٠

٣ ـ قد تتناول الموضوعات المحرمة اجتماعيا ، عكس وكالاتا لتطبيع الاجتماعى الاخرى ، وبالتالى تسد وتكمل جماعة الاقران ما فى وكالات التطبيع الاخرى من هذه الناحية ، أى ناحية المحرمات الاجتماعية ٠

٤ ـ كما ان وكالات التطبيع الاخرى قد لا تستطيع ملاحقة التغيرات والمودات والالعاب الجديدة واخر النزعات والاتجاهات الفنية والادبية ، فتتولى جماعةالاقران ذلك،مماتتيحلاعضائها فرصا لتوسيعافاقهمالاجتماعية وانماء خبراتهم واهتماماتهم كما تمثل جماعة الاقران ميدانا يجرب فيـه اعضاؤها ما تحملة اليهم مما هو جديد مستحدث دون خشية سـطو الراشدين او استهجانهم ٠

٥ ـ تساعد هـذه الجماعات فى اكتسـاب الاتجاهات والادوار الاجتماعية المناسبة والتى لا تهيؤ لها وكالات التطبيع الاخرى الفرصـة لاكتسابها ففى أثناء مشاركة الطفل النشاط فى الجماعة يكتسب ويتعلم مكانات وادوار اجتماعية مثل القيادة والتبعية او أدوار معينة ٠٠ وهكذا ٠

٦ ـ تساعد جماعة الاقران فى تنمية الاعتراف بحقوق الاخـرين ومراعاتها حيث تتكون من نظراء متسـاويين وبنوع العلاقات والروابط

العاطفية فيها التى هى اقل فى عمقها واخف فى حدتها من تلك التى تسود بين اعضاء الاسرة . فانها تعتبر مجالا اكثر مناسبة للتعامل الموضوعى المتوازن الذى تظهر فيه الحدود وتنمو قواعد مشتركة على الجميع احترامها واتباعها .

٧ ـ تقوم جماعة الاقران بتصحيح التطرف او الانحراف فى السلوك بين اعضائها ، وهى تحقق هذا بما لها من ضغط على اعضائها هو فى الواقع اقوى من ضغط اى فرد خارج الجماعة .

جملة القول ان جماعة الاقران بما لها من سلطة ضبط سلوك اعضائها ، وتوجيههم ، سواء كان عن طريق التطابق والتماثل أو الثواب والعقاب أو التقبل والاستقلالية . فانها بدون شك تعتبر من وكالات التطبيع الاجتماعى للوليد البشرى ، الا اننا يجب ان نراقب الجماعات التى ينتمى اليها أولادنا ومراهقونا حتى نطمئن على هذه الجماعات هل هى سائره فى الاتجاه المرغوب لعملية التطبيع ام لا .. وليس معنى ذلك ان نضع أولادنا تحت المراقبة .. بقدر ما نحاول معرفة جماعة اقرانه واتجاهاتها وقيمها السائدة .. حتى تكون وكالات التطبيع الاجتماعى على الوليد البشرى بكيفية متماثلة متطابقة فى اهدافها وقيمها لكى نتحاشى جنوح أولادنا .

## ٤ ـ وسائل الاعلام :

اشار ماكونى E. Maccoby (١٩٦٤) الى ان محاولتنا لفصل التأثيرات المختلفة لوسائل الاعلام عن تأثيرات البيئة الاخرى لهو امر صعب للغاية . وعموما فسنحاول أن نضع فى الاعتبار الآثار التى يحتمل وقوعها لوسائل الاعلام كوكالة من وكالات التطبيع الاجتماعى .. ذلك لانها فى حقيقة الامر تطوق مجالات حياتنا الاجتماعية والثقافية .

### (أ) الكتيب والصحف والمجلات :

ان القراءةتساعدعلىتعريف الطفل بعالم اكبرمنذلكالموجود فى خبرته الحالية ، اذ تقترح له دورا سلوكيا ، وغالبا ما تجرى هذه الادوار الجديدة فى الالعاب التى يؤديها بمفردة أو مع زملائه . كما انها تقترح ايضا المراكز التى قد يتطلع الى شغلها كشخص بالغ ، وربما يبدأ فى التحضير لهما بالفعل . اذ ان مادة القراءة عن طريق اشارتها الى الابطال والاشرار يساعد الفرد على التعرف على ما هو جيد وما هو ردىء ، وهكذا تسهم بصورة مباشرة فى نمو نظام القيم للفرد . وبمعنى اوسع فان ما يقراه الفرد يؤثر فى ادراكه للعالم ، وتسهم فى اشباع الحياة التخيلية لديه .

وكثيرا ما يختار الوالدين مجلات وصحف معينة لاطفالهم وغالبـــا ما يتاثر اختيارهم بعـــوامل متعددة كالطبقة الاجتماعية للاسرة والجنس والعنصر وما الى ذلك . ولقد اشار كل من هولنجشيد Hollingshead وردلش Redlich (١٩٥٨) الى ان الصحف والمجلات المثيرة للعواطف والتى تصور الجنس والعنف لا يروج توزيعها بين الطبقات الدنيا . وعموما فان الاباء باختيارهم لصحف ومجلات معينة يحيطون اطفالهم برموز لمركز طبقتهم واحيانا الى المركز الاجتماعى الذى يتوقون للوصول اليه . واحيانا اخرى الى عضويتهم السلالية او العنصرية .. (١) .

وجدير بالذكر فان الاباء يقـــع عليهم العبء فى توجية ذويهم الى ما يقراوه ، اذ يجب عليهم قراءة المجلات والكتب وذلك لارشاد اطفالهم فى هذا الفن ، فان من احد النتائج لهذه الممارسة ان الاباء والامهات يتحدثون مع اطفالهم حول موضوعات اثيرت فى هذه المجلات او الكتب سواء التى وجدت هوى لديهم أو البعض الذى لا يجد هوى فى نفوسهم . وبالتالى يساهمون فى تطبيع شخصية ابنائهم فى الاتجاه المرغوب فيه .

**(ب) الراديو والسينما والتليفزيون :**

يبدو ان الراديو فى الوقت الحاضر يروق الى كثير من المراهـــقين بالاضافة الى أن تأثيره بين الكبار واقع ومؤثر . وهذا يدحض تنبؤ البعض فى زوال تاثير هذه الوسيلة فى عملية التطبيع الاجتماعى . الا ان تأثير الراديو على عملية التطبيع الاجتماعى لم تحظى بالدراسات التجريبية التى يمكن الاستشهاد بها . كما ان البيانات التجريبية حول تاثير السينما اكثر بكثير خاصة فى التأثير على اتجاهات الناشئة ففى عام (١٩٣٣) نشر بيترســون Peterson وثرستون Thurstone نتائج دراسة لهما اظهــرت ان الاتجاهات الاجتماعية للاطفال امكن تغييرها قن طريق فيلم شاهدوه .. اذ اشاروا ان الاتجاهات العنصرية قد تغيرت الى اتجاهات متعاطفة بعـــد رؤية فيلم سينمائى .

كما ان دراسة ماكوبى Maccoby (١٩٦٤) ايدت ما جاء به كل من بيترسون وثارستون فى تاثير الافلام الســـــينمائية على تغيير اتجاهات الناشئة ، بالاضـــافة الى ان دراسة كل من باندورا Bandora وروس

(1) Hollingshead, A.B. & F. C. Redlich : Social Class and mental illness ; A community study, New York, John Wiley, 1958, P. 15.

Ross (١) (١٩٦١) اشارت الى تأثير الافلام السينمائية على السلوك الانساني . اذ يقولان الى انه يوجد دليل مبنى على التجربة على أن العدوان يمكن اثارته لدى الاطفال عن طريق مشـــاهدة الافلام التي تمثل فيها الشخصيات العدوانية . كما أن السينما ربما تفوق في تأثيرها على الاطفال اكثر من التليفزيون ، ويرجع ذلك اصلا الى الموقف الذى يشاهد فيه الطفل كل من الوســيلتين . حيث ان الفيلم غالبا ما يراه الطفل وحيدا بعيدا عن أبوية في اغلب الاحايين . في حين أن مشاهدة التليفزيون داخل المنزل قد تمتص صدمةالسينما خاصة اذا كان الطفل بين والديه ٠٠ وفيمحاولتهم لتوصيل المعاني والاتجاهات المرغوب فيها من الفيلم الى طفلهم .

وهناك عديد من الدراسات التى القت الضوء على تأثير وسائل الاعلام على عملية التطبيع الاجتماعى وعلى تكوين شخصية الاطفال ٠٠ (٢) .

كما اشارت نتائج دراسة ولبرشرام W. Schramm (١٩٦١) الى اهمية التليفزيون كوسيلة اعلامية مساعدة في عملية التطبيع الاجتماعي ؛ واوجزت هـــذه الدراسة عدة نقاط للتاثيرات العامة للتليفزيون نستطيع ايجازها فيما يلى :

١ ــ مع أن بعض الاطفال يأتى الى المدرسة وهو متعب بعد سهرة مع البرامج التليفزيونية ، الا اننا لا نستطيع ان نلقى اللوم بالضرورة على هذا الوسيط الاعلامى . حيث توجد دلالات تشير الى أن رقابة الوالدين غالبا ما تكون متراخية ونتيجة لذلك يسهر الاطفال الى وقت متاخر من الليل حتى وان لم يكونوا يشاهدون البرامج التليفزيونية .

٢ ــ ان العنف الطقسى ( مثل اطلاق النار ) لا تخيف بالضرورة الاطفال الا اننا نجد ان ما يخيف الاطفال حقيقة هو التهديد بالأذى للشخص الذى تطابقوا معـــه في الافلام السينمائية والتليفزيونية او شيء مذكر لبعض المخاوف فى حياتهم الواقعية .

٣ــ أما بالنسبة للقدرات العقلية والذكاء . فان التليفزيون لا يحبط النشاط الخلاق او التحصيل المدرسى . كما انه لا يحط من ميول الطفل

---

(1) Bandura, A. & others : Transmission of aggression through imitation of aggressive models, Jour. of abn. & soc. psy. vol. 63, 1961, PP. 575 : 582.

(٢) عادل عز الدين الاشول : سيكولوجية الشخصية : مرجع سابق ص ٢٥٧ ، ٢٧٠ .

وذوقه ولا يعوق نمو ذكاء الطفل . واخطر تهمة يمكن ان توجهه الى مقدمى البرامج التليفزيونية فى هذا المضمار هو فشلهم حقيقة فى اكتشاف كيف يمكنهم المساهمة بصورة فعالة فى تنمية القدرات العقلية وذكاء الاطفال المستمعين بدلا من تسليتهم .[٢]

٤ ـ ومع ان التهمة الموجهة الى التليفزيون بانه يجعل الاطفال غير نشطين وايجابيين ، فان الباحثين يشيرون الى انهم لم يروا دليلا أيا كان نوعه فى ان التليفزيون قد يجعل الطفل منسحبا او سلبيا منطويا .. غير انه بالاحرى يشجع ويدعم نقيض هذه السمات . أما بالنسبة للعنف الطقسى فلا توجد علاقة ارتباطية بين ما يسرى الطفل فى البرامج التليفزيونية وما يسلك ويفعل فى واقع حياته .

وجملة القول فان الدراسات على وسائل الاعلام المختلفة قد اكدت الحاجة الى التربة الخصبة لكى تكون لوسائل الاعلام تأثيرات محددة مرغوب فيها على عملية التطبيع الاجتماعى للوليد الانسانى .

**٥ ـ دور العبادة :**

تقوم دور العبادة بدور جوهرى فى عملية التطبيع الاجتماعى، ويرجع ذلك الى ما تتسم به من خصائص فريدة اهمها احاطتها بهالة من التقديس ، وفعالية المعايير السلوكية التى تعلمها للافراد والاجماع على تدعيمها . وما احوجنا الان الى زيادة فعالية هذه الوسيلة .. فعن طريق السيرة النبوية نستطيع ان نطبع اولادنا على الاخلاق الحميدة .. كما نستطيع من خلال سردنا لبعض الاحاديث النبوية الشريفة ان نعمق فهم الدين لدى الناشئة ، قولا وسلوكا . وعن طريق تفهم القرآن الكريم نستطيع ان نربى جيلا مؤمنا .. يسير فى ضوء القيم الدينية الاسلامية . كما نستطيع من خلال سرد قصص الصحابة ان نوضح لاولادنا سيكولوجية القيادة الاسلامية .. وكيف يكون القائد الاسلامى فى اى مجال من مجالات الحياة .. هذا وسنفرد فصلا لمساهمات علماء الإسلام فى مجالات علم الاجتماعى خاصة عملية التطبيع الاجتماعى .

## دراسات مصرية فى عملية التطبيع الاجتماعى

من اهم الدراسات التى اجريت فى مجال عملية التطبيع الاجتماعى للمجتمع المصرى نستطيع ان ننوه الى الدراسات الآتية :

ـ دراسة **محمود عبد القادر** عن اساليب الرضاعة والفطام الشائعة

فى الاسرة المصرية واثرها على شخصية الطفل · ولقد استخدم الباحث فى هذه الدراسه الادوات الاتية : استبيان اساليب الرضاعة والفطام وطبقة على عينه مكونة من ٢٣ اسرة ذات مستوى اقتصادى واجتماعى منخفض ، ٩٣ اسرة ذات مستوى اجتماعى واقتصادى متوسط · كما طبق اختبار الشخصية المتعدد الاوجه على ١٨٠ طفلا من اطفال هذه الاسر تقع اعمارهم ما بين ١١ ــ ١٤ سنة ·

**ــ دراســـة حامد عمار عن التنشـــئة الاجتماعية فى قرية مصرية ( سلوا بأسوان ) :**

وتهدف هذه الدراسة الى معرفة نوع التكوين النفسى والفكرى الذى يغلب على الشخصية المتكونة فى مثل هذه الثقافة الريفية بظروفها الاقتصادية القائمة على العلاقات المتبادلة بين وحدات القرابة والجنس والسن · ومنظور الباحث فى هذه الدراسة للشخصية لا على انها تلك الخصائص الفردية الذاتية ، لكنها عبارة عن مجموعة الاستجابات التى تكونت لدى الفرد نتيجة لخبرته · فالثقافة تطبـــع شخصية الافـــراد بطابع معين وتكون لديهم استجابات وردود فعل معينة · كما استخدم الباحث فى هذه الدراســـة ثلاثة مناهج : المنهج الوظيفى للتعرف على وظيفة الاسرة ، والمنهج التاريخى لتتبع الجذور التاريخية لظواهر الدراســـة ، والمنهج النفسى للكشـــف عن الظواهر الخفية من افكار ومشاعر ·

وتشير نتائج هذه الدراسة الى أن القرية يوجد بها عالمـان عالم الرجل وعالم المراة حيث لا يختلطان ابدا الا قبل البلوغ وفى الشيخوخة والمراة لا تشارك الرجل فى عمله فى الحقل كما يظهر معيار القرابة واضـــحا فى مسائل الثواب والعقاب بالنسبة للطفل ، فكل العائلة من مهامها زجر الطفل او توبيخة او تشجيعة فى اى مجال · كما أن معيار العمر الزمنى هـــو المحدد للنضج الاجتماعى وما يتوقع من الطفل القيام به ·

**ــ دراسة فرج أحمد فرج عن « الشخصية القروية المصرية » :**

تشير هذه الدراسة الى اهمية الوسط والمجال الاجتماعى فى تكوين الشخصية ·· ويستنتج الباحث بأن هناك خطوط عريضة ينظر للشخصية القروية المصرية من خلالها وهى :

١ ــ الواقع المادى الذى يظهر فى الزراعةالتى يستخدم فيها أدوات بدائية يغير بها من الواقع المادى ، وينعكس ذلك على وعية · فحيث انه

يستخدم أدوات بدائية فان مقدار التعبير الذي يحدثه في عالمة المادى « الحقل » يكون ضئيلا ايضا مما يجعله غير قادر على التحكم في هذا العالم المادى او التنبؤ بأحواله تنبؤا علميا .

٢ ـ الشخصية والنظام الاجتماعى فالانسان يحقق حاجاته الفسيولوجية ( من طعام وشراب وجنس ) بالعمل الذى يقتضى تنظيما اجتماعيا . والمجتمع نظام يتم من خلاله الانتاج . بالتالى فالملكية الزراعية هي المحددة للادوار الاجتماعية ، فمن يملك قيراط غير من يملك فدان ومن يملك فدان غير الذى يملك عشرة وهكذا .

٣ ـ الشخصية والتاريخ : ويشير الباحث الى انه لا يمكن فهم الشخصية القروية الا بمعرفة تاريخ المجتمع والطبقة التى تركت اثارها الواضحة على الفلاح المصرى من عصر الى عصر .

**ـ دراسة محمود ابو النيل فى العلاقة بين المستوى الاقتصادى للطالب الجامعي والنواحي العصابية والسيكولوجية :**

وتهدف هذه الدراسة الى دراسة العامل الاقتصادى ودوره فى عملية التوافق النفسى . ولقد طبق الباحث قائمة كورنل على مجموعة من الطلبة والطالبات (١٠٣) وذلك لمعرفة النواحي الانفعالية والسيكوسوماتية لدى الطلبة والطالبات ذوى الدخل المرتفع والمنخفض .

**واشارت الدراسة الى النتائج التالية :**

١ ـ بالنسبة للمجموعة الكلية وجد فرقا ذو دلالة بالنسبة لمقياس الاعراض السيكوسوماتية والاعراض المعدية المعوية وكان الاول فى صالح ذوى الدخل المنخفض والثانى فى صالح ذوى الدخل المرتفع .

٢ ـ كما ان الباحث يشير الى ضرورة اجراءدراساتاخرى على طلبة وطالبات سنوات مختلفة حتى يتسنى تعميم النتائج التى يمكن أن يتوصل اليها .

٣ ـ كما ان نتائج هذه الدراسة تتفق مع دراسة سميز Smis عن العلاقة بين الطبقة الاجتماعية والتوافق الشخصى لدى طلبة الجامعات حيث وجد ان الطلبة منخفضى الدخل فى هذه الدراسة أكثر اضطرابا على معظم المقاييس من الطلبة ذوى الدخل المرتفع (١) .

---

(١) محمود السيد أبو النيل : مرجع سابق . الفصل ٢٥ .

# الفصل التاسع

## مساهمات بعض علماء الاسلام فى موضوعات علم النفس الاجتماعى

لا يستطيع احد من المربين والمؤرخين . ان ينكر ان التربيه الاسلامية هى الاساس فى حضارة المسلمين . وان المثل العليا فى تلك التربية تتفق والاتجاهات الحديثة فى علم النفس والتربية فى العصر الحديث .

واننا لا نفخر ان قلنا ان مبادىء وقوانين علم النفس الحديث والتى نودى بها فى منتصف القــرن العشرين . ولم تستطع كثيرا من الدول المتمدينة تنفيذها قد روعيت ونفذت فى التربية الاسلامية فى عصــورها الذهبية وقبل ان يخلق علم النفس بمئات السنون . ومن تلك المبادىء التى نادى بها علماء الاسلام فى ميدان علم النفس ما يسمى بالتربية الاستقلالية والاعتماد على النفس ، ونظام التعليم الفردى ، ومراعاة الفروق الفردية بين الاطفال فى تعلمهم وتنشئتهم ، وملاحظة ميول الاطفال واستعداداتهم الفطرية واختبار ذكائهم ومخاطبتهم على قدر عقولهم . بالاضافة الى الاشارة الى أنماط التفاعل الاجتماعى بين الانسان واخيه الانسان من جانب وبين الدول بعضها ببعض من جانب اخر .. الخ هذه المبادىء والقوانين التى تطــرق اليها علماء النفس المحدثين بصفة عامة . وعلماء النفس الاجتماعى بصــفة خاصـــة .

ولكن يؤسفنا ان نقول ان علماء الاسلام لم يعنوا بالكتابة والتأليف فى علم النفس العناية الذى يستحقه هذا الفرع من فروع المعرفة ولم يكن ذلك فى رأى قصورا فى كتاباتهم . حيث ان الفلسفة حينئذ كانت أم المواد ، وكان الفيلسوف يتكلم فى شتى صنوف العلم والمعرفة ولهذا يجد الباحث صعوبة كبيرة اذا اراد ان يكتب فى ميدان علم النفس الاســلامى مبادؤه وقوانينه . فقد يقرا كثيرا من الكتب والمجلدات فلا يجد فيها الا فصــولا متفرقة ، وابوابا محدودة ونصائح مبعثرة ورســائل معينة تتعلق بالعلم والمتعلم ، أو تتصل من قريب أو بعيد بميدان علم النفس بصفة عامة وعلم النفس الاجتماعى بصفة خاصة . وقد يحتاج المرء الى كثير من المراجــع لكتابة اى موضوع من موضوعات علم النفس الاسلامى .

وهذا واجب دارسى علم النفس فى تجميع تراثنا الاسلامى ، وبيان فضل مفكرى الاسلام والحضارة الاسلامية على الحضارة الغربية . بالاضافة الى القاء الضوء على بعض الجوانب المعرفية عند مفكرى الاسلام والتى تتفق مع النظريات العلمية الحديثة فى علم النفس . حيث لا يستطيع احد ان

ينكر ما للعرب وللمسلمين من فضل على الغـــرب . كما ان للعلوم العربية والحضارة الاسلامية فضلا كبيرا على الحضـــارة والمدنية والعلم فى العصر الحديث .

وأن نظرة خاطفة الى آراء ابن سينا والغزالى والفارابى وابن خلدون وابن رشد وابن مسكوية واخوان الصفا ، تدلنا على ما كان لمفكرى الاسلام من فضل عظيم فى ميدان علم النفس الحديث ، ويكفى ان نرى اوجه الاتفاق على سبيل المثال بين تفكير الغـــزالى وكل من ديكارت Decartes (١٥٩٦) وهوبز Hobbes (١٥٨٨) - وبسكال Pascal (١٦٢٣) وبتلر Butler (١٦٩٢) وكارليل Karlyle (١٧٩٥) - او ان ينظر الى آراء ابن سينا وآراء أصحاب نظريات علم النفس الحديثة التحليلية أو السلوكية .. او ان تقارن بين آراء ابن مسكوية وابن خلدون فى التنشئة الاجتماعية ونظريات التطبيـــع الاجتماعى التى ذكرت فى الفصل الثامن . وكثير وكثير من القضايا والمسائل التى تكلم فيها مفكروا الاسلام : حيث نرى ما يضاهيها فى علم النفس الحديث . ويكفينا فى هـــذا المقام ان نتأمل ما اشـــار اليه مونرو Monorow فى مؤلفة تاريخ التربية History of Education حيث يقول ان مفكرى الاسلام قد وصلوا الى اختراعات وابتكارات هامة ومبادىء حديثة فى ميدان الطب والفلك والجراحة والعقاقير ، وعلم وظائف الاعضـــاء . وعلوم التربية .

جملة القول : ان مفكرى الاسلام كانوا سباقين فى نشر العلم والمعرفة فى سائر انحاء المعمورة ، فقد نقل الاغريق القدماء العلوم والثقافة الاسلامية بعد ان ازدهرت الى أوربا فى عصورها المظلمة فى القرون الوسطى - واعتقد أن علم النفس الاسلامى سينال ما يستحقه من عناية . وهذه محاولة متواضعة من المؤلف لالقاء الضوء على بعض كتابات مفكرى الاسلام ، وتوضيح بعض الموضوعات التى تتفق مع علم النفس الاجتماعى ، وذلك سعيا الى تجميع تراثنا الاسلامى الفكرى .. والقاء الضـــوء على بعض جوانب تفكير علماء الاسلام فى موضوعات علم النفس الاجتماعى لنرى هل تطرقوا فى كتاباتهم الى نظريات ومبادىء علم النفس ؟؟

وتساؤل يطرح نفسه .. ويلح فى طلب الاجابة .. وهو هل يحتاج علم النفس منا - نحن دارسوه - أن نعيد كتابته مرة اخرى ، وبمنظار جديد يلقى الضوء على الثقافة الاسلامية ، ومدى مساهمات علماء الاســـلام فى مبادىء وقوانين علم النفس .

وبطبيعة الحال لا استطيع فى وريقات معدودات ان اســـوق جميع

اراء وفلسفات مفكرى الاسلام ٠٠ ولكننى سأتخير البعض منهم لنتأمل سويا افكارهم ومبادئهم ونقارنها بما فى علم النفس الحديث ٠ وقد يساق اعتراض أن اراء علماء الاسلام ليست الا بمثابة توجيهات وتوصيات ولم تصل الى درجة النظرية المتكاملة فى علم النفس ٠٠ الا ان جوهر هذا التساؤل يحمل بين طياته مدى اصاله تفكير علماء الاسلام ، فعلى الرغم من عدم استخدامهم للمناهج والوسائل التجريبية فى علم النفس الحديث ، الا انهم توصلوا الى نتائج مشابهة وتتفق مع ما جاء به العلم الحديث ، فالا يبرهن هذا على اصاله تفكيرهم وجودة استنتاجاتهم ٠٠ !؟

وقد يساق اعتراض اخر ، اننا لا نجد ما يسمى بعلم النفس كمادة او منهج قائم بذاته ٠٠ عند علماء الاسلام ؟ والرد على ذلك أن علم النفس بأكمله مادة جديدة فى عالم العلوم ، فبداية نشأته كانت فى اواخر القرن التاسع عشر على يد ولهلهم فونت Wundt ( ١٨٣٢ – ١٩٢١ ) ٠ وبالاضافة فاننا لم نجد فى كتابات فلاسفة اليونان سقراط وافلاطون وارسطو مؤلفات متخصصة فى علم النفس ، حيث كانت الفلسفة وقتذاك هى أم العلوم ينضوى تحتها جميع العلوم النظرية والعلمية والتأملية ، وكان الفيلسوف يتكلم فى شتى صنوف العلم وفروعة ٠٠ تحت ما يسمى بالفلسفة ، وكذلك كان مفكروا الاسلام يتكلمون فى عديد من انواع العلم والمعرفة ولم يكن هناك تخصيص لعلم النفس ، حيث لم يكن هناك ما يسمى بهذا الاسم ٠٠ وعلى الرغم من ذلك نجد ان كثيرا فى الكتاب يستشهدون بأراء فلاسفة اليونان سواء كان فى الاجتماع أو علم النفس متجاهلين او متناسين ما كان لمفكرى الاسلام من فضل فى هذا المضمار ٠

فهل آن لنا ان نتعرف على بعض من الجوانب الفكرية والعلمية لعلماء الاسلام والتى تتفق مع نظريات علم النفس الحديث ، وعلى كل فهذه محاولة متواضعة اردت منها التنقيب على ما كتب عند بعض مفكري الاسلام ، يتفق مع النظريات الحديثة فى علم النفس بصفة عامة ، ونتائج تجارب علم النفس الاجتماعى بصفة خاصة ، هذا بالاضافة الى القاء بعض الضوء على بعض جوانب تفكير علماء الاسلام فى موضوعات علم النفس الاجتماعى ٠ فهيا بنا نتأمل فى ثنايا الصفحات التالية ما جاء فى كتابات كل من الفارابى ، وابن مسكوية ، وابن سينا ، والغزالى ، وابن خلدون ٠

وابتداءا اعترف بأننى لن استطيع ان أوفى هؤ ء العلماء المسلمين حقهم فى الفحص والتنقيب ، لان ذلك يحتاج الى مجلدات مخصصة لكل واحد منهم ، الا ان ما اردته هو خطوة على طريق جد شاق وطويل يحتاج

الى خطوات أخــرى . بالاضـــافة الى اننى اعتقد ان واجب دارسى علم النفس ، حيث الامانة تقتضى أن نزيل الغبار الذى لحـــق بتراث مفكرى الاســـلام ، ونظهر ارائهم ونوضــح نظرياتهم ، ونــستشهد بها فى كتاباتنا ولطلابنا ، ولا نقصر ذلك فقط على ما جاء من الغرب أو الشرق . حتى نكون جديرون بحمل الامانة ورسالة العلم .. ولتكن هـــذه المحاولة كما اشرت بداية على الطريق .. وامل ان أوفق فيما سعيت فيه :

## أولا : آراء للفارابى فى موضوعات علم النفس الاجتماعى

## ( ٢٥٧ هـ : ٨٧٠ م )

### ١ ـ التفاعل الاجتماعى :

وضحنا فى الفصل الثالث مفهوم التفاعل الاجتماعى وكيف يعتبرضرورة للكائن البشرى لبناء شخصيته من جانب ، ولبناء مجتمعه من جانب أخر .. فماذا قال الفارابى فى ذلك :

فى كتابة المدينة الفاضلة : يشير الى ذلك . موضحا اهمية التفاعل الاجتماعى فى المجتمع الانسانى ، فيقول :

« وكل واحد من الناس مفطور على انه محتاج فى قوامه ، وفى أن يبلغ افضل كمالاته الى اشياء كثيرة لا يمكنه ان يقوم بها كلها وحده . بل يحتاج الى قوم يقدم له كل واحد منهم بشىء مما يحتاج اليه . وكل واحد من كل واحد بهذه الحال . فلذلك لا يمكن ان ينال الانسان الكمال ، والذى لاجله جعلت له الفطرة الطبيعية ، الا باجتماع جماعة كثيرة متعاونين ، يقوم كل واحد ببعض ما يحتاج اليه فى قوامه ، فيجمع مما يقوم به جملة الجماعة لكل واحد جميع ما يحتاج اليه فى قوامه ، وفى أن يبلغ الكمال ، ولهذا كثرت أشخاص الناس فحصـــــلوا فى المعمورة من الارض فحدثت منها الاجتماعات الانسانية .. » (١) .

فالاجتماع الانسانى ضرورى لانه لا بقاء للانســـان الا به وقد قال أرسطو منذ القدم ان الانسان حيوان اجتماعى او سياسى ، وقال أفلاطون بلسان سقراط : أرى ان الدولة تنشأ عن عجز الفرد فى سد حاجته بنفسه ،

---

(١) جميل صليبا : تاريخ الفلسفة العربية ، لبنان ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٧٣ ، الطبعة الثانية ص ١٧٠ .

وافتقاره الى معونة الاخرين ، ولما كــان كل انسان محتاج الى معونـــة اخيه ، وكان لكل منا حاجات كثيرة ، لزم ان يتألب عدد كبير منا من صحب ومساعدين فى مســـتقر واحد ، فنطلق على ذلك المجتمع اسم مدينة او دولة ، فيتبادل أولئك الاشخاص سائر الحاجات .

كما يتفق الفارابى مع رأى ابن خلدون والذى سيجىء ذكره فيما بعد ، ويستطرد الفارابى فى توضيح مفهوم التفاعل الاجتماعى فيقول أن هناك اقواما يزعمون أن الاجتماع الانسانى ينشأ عن القهر فان القاهر يحتاج الى مؤازرين ، فيسخرهم لارادته ، ويقهر بهم أقواما اخرين يستعبدهم لمنافعه وأهوائه .

وهناك أيضا أقوام راوا ان الاشتراك فى الولادة من والد واحد هــو سبب الارتباط ، وأن الاجتماع والتالف والائتلاف لا يكونان الا به .

وهناك ايضا من يظن أن الارتباط انما يكون بالتصاهر أو بالاشتراك فى رئيس واحد ، او بالايمان والتحالف والتعاهد على ما يعطيه كل انسان من نفســه .

وهناك أخيرا من اعتقد أن الارتباط انما ينشأ عن التشابه بالخلق والشيم الطبيعية والاشتراك فى اللسان واللغة والاشتراك فى المنزل ، ثم الاشتراك فى المساكن والمدن . ولكن جميع هـــــذه الانواع من الارتباط لا تصدق الا على المدن الضاله ، أما الارتباط الصحيح فهو الارتباط الناشىء من الحاجة الى التعاون بالعدل ، وأعلى الروابط كلها رابطة العدالة .

واذا كانت السعادة ممكنة فى نظر الفارابى على وجه الارض عنـــد تعاون الافراد على نيلها بأعمالهم الفاضله ، فان اكمل اجتماع انسانى يحقق السعادة هو الاجتماع الذى يشمل جميع امم الارض وأحسن دولة ينال بها الكمال هى الدولة الكبرى .

هذه جملة أراء الفارابى فى التفاعل الاجتماعى ويلاحظ انه يتفق مع أرسطو فى ذلك ، بالاضـــافة الى انه يتســـاوق فى ما قيل عن التفاعل الاجتماعى بواسطة علماء النفس فى العصر الحديث ( انظر الفصل الثالث ).

## ٢ ـ القيادة :

تطرق الفارابى فى مدينته الفاضله الى موضوع القيادة ، وأوضح أن

رئيس هذه المدينة يجب ان تتوفر فيه خصال معينة وصفات حتى يستطيع ان يقود مدينته .. وجدير بالذكر ان هذه الخصال التى قال بها الفارابى لا تفترق عن نظرية السمات فى القيادة والتى سبق التنوية عنها فى الفصل السابع .

فيشير الفارابى أن رئيس المدينة الفاضله هو الشخص الذى لا يراسه احد ، وهو الامام والرئيس الاول للمدينة والامة الفاضلة والمعمورة الفاضلة . وليس فى وسع كل انسان أن يكون رئيسا ، لان الرئاسة انما تكون بشيئين :

أحدهما : أن يكون بالفطرة والطبع معدا لها .
والثاني : بالهيئة والملكة الارادية .

ومن شرط هذا الرئيس ان تستكمل نفسه بالمعقولات حتى يصير عقلا ومعقولا بالفعل ، وأن تكون قوته المتخيلة قد استكملت بالطبع غاية الكمال ، فأعلى درجات العقل الانسانى مرتبة العقل المستفاد وهى التى يصبح الانسان فيها قادرا على الاتصال المباشر بالعقل الفعال ، فالانسان الذى حل به العقل الفعال هو الذى يصلح للرئاسة . ومتى اشرق العقل الفعال على قوته الناطقة وقوته المتخيلة كان هذا الانسان رئيسا يوحى اليه . فانه بما يفيضه العقل الفعال على عقله المستفاد يكون حكيما وفيلسوفا ، والانسان هو فى اكمل مراتب الانسانية ، وفى أعلى درجات السعادة ، وتكون نفسه كاملة ومتحده بالعقل الفعال .

وهذا كله يدل على أن الرئيس الذى تصورة الفارابى مختلف عن الحاكم الفيلسوف الذى تصورة افلاطون ، فانه ليس فيلسوف فقط ، وانما هو نبى يوحى اليه .

ويشير الفارابى الى اثنتى عشر خصله يجب أن تتوفر فى الرئيس يمكن ايجازها فيما يلى :

١ – أن يكون تام الأعضاء .
٢ – أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له .
٣ – أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ، ولما يراه ويسمعه ويدركه .
٤ – أن يكون جيد الفطنة ذكيا ، اذا رأى الشيء بأدنى دليل ، فطن له على الجهة التى دل عليها .
٥ – أن يكون حسن العبارة ، يؤاتيه لسانه على ابانه كل ما يضمره ابانه تامة .

٦ — ان يكون محبا للتعليم والاستفادة ، منقادا له • سهل القبول لا يؤلمه تعب العلم ولا يؤذيه الكد الذى يناله منه •
٧ — ان يكون غير شره على المأكــول والمشروب والمنكوح • متجنب بالطبع اللعب ، مبغضا للذات التى تكون من هذه •
٨ — ان يكون محبا للصدق واهله ، مبغضا للكذب واهله •
٩ — ان يكون كبير النفس محبا للكرامة •
١٠ — ان يكون الدرهم والدينار وسائر أعراف الدنيا هينة عنده •

١١ — ان يكون بالطبع محبا للعــــدل واهله ، ولا لجوجا اذا دعى واهلها ، وان يكون عدلا غير صعب القيادة ، لا جموحا ، ولا لجوجا اذا دعى الى العدل ، بل صعب القيادة اذا دعى الى الجور •

١٢ — ان يكون قوى العزيمة على الشىء الذى يرى انه ينبغى ان يفعل، جسورا عليه ، مقداما ، غير خائف ولا ضعيف النفس •

ويستطرد الفارابى بقوله ، ليس من السهل ان تجتمع هذه الخصال كلها فى رجل واحد ، لانه لا يوجد من فطر على هذه الفطرة الا الواحـــد بعد الواحد والاقل من الناس ، فان وجد مثل هذا الرجل فى المدينـــة كان هو الرئيس ، وان اتفق ان لا يوجد مثله فى وقت من الاوقات ، أخذت الشرائع والسنة التى وضعها الرئيس — والرئيس يجب ان يكون حسب الشريعة ويجب ان يتسم بما يلى :

١ — أن يكون حكيما •
٢ — أن يكون حافظا للشرائع •
٣ — أن يكون له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السلف فيه شريعة •
٤ — أن يكون له جودة روية وقوة استنباط لما فى سبيله ان يعرف فى وقت من الأوقات الحاضرة من الأمور والحوادث •
٥ — أن يكون له جودة ارشاد القول الى شرائع الأولين •
٦ — أن يكون له جودة ثبات ببدنه فى مباشرة اعمال الحـــرب •

واذا لم يوجد انسان واحد اجتمعت فيه هذه الشرائط ، ولكن وجد اثنان : احدهما حكيم والثانى فيه الشرائط الباقية ، كانا هما رئيسين •

واذا تفرقت هذه الخصال فى عدة اشخاص ، فكان الأول حكيما ، والثانى حافظا للشرائع ، والثالث جيد الرؤية والاستنباط •• الخ كانوا هم الرؤساء شريطة أن يكونوا متلائمين •

ويتبين لنا مما تقدم ان للمذهب الشيعى تأثيرا فى سياسة الفارابى، فهو يسمى رئيس المدينة الفاضلة بالامام ، ويشترط فيه أن يكون مرشدا ومعلما ، وهو يجعل نظام المدينة الفاضلة شبيها بنظام موجودات العالم ، وحسبنا دليلا على هذا التشابه ، ان رئيس المدينة الفاضلة يجب أن يكون حكيما متعقلا دينا ، وان بقاء المدينة وصلاحها رهن بوجود رئيس حكيم متصل بالعقل الفعال اتصال الامام بالنور الالهى . كما أن هذا الرئيس فى وسعه ان يغير الشرائع التى وضعها الرؤساء السابقون ، اذا راى أن تغييرها واجب .

والمتأمل فى اقوال الفارابى عن الصفات التى يجب أن يتحلى بها الرئيس،تتفق فى جوهرها مع ما أشارت اليه نظرية السمات Traits theory فى السمات الجسمية أو السمات العقلية والسمات الاجتماعية والسمات الانفعالية والسمات العامة التى يجب أن يتصف بها القائد .. (١) .

ومن جانب آخر فان آراء الفارابى اتفقت مع ما جاء به بالدوين(١٩٣٢) وباكر (١٩٤٢) فى أن القادة يبدون بمظهر افضل من الاتباع . كما أشار الى الطلاقة الكلامية كل من برنارد (١٩٢٨) وجود أنف (١٩٣٠) وثرستون (١٩٤٤) ، بالاضافة الى الذكاء العالى الذى أشار اليه براون (١٩٣٣) واكرسون (١٩٤٢) ، بالاضافة الى المعرفة والاحكام والقرارات والبصيرة والاصالة والمواءمة والمسئولية والمثابرة والثقة بالنفس والضبط الانفعالى والمهارات الاجتماعية والقدرة على التكيف ولطلاقة اللفظية .. التى اشار اليها عديد من علماء النفس الاجتماعى (٢) .

جملة القول أن أقوال الفارابى فى عملية التفاعل الاجتماعى او فى القيادة تتفق وما جاءت به النظريات الحديثة فى سيكولوجية القيادة او التفاعل الاجتماعى .. هذا مع الفارق الزمنى الطويل بين كل من الاثنين بالاضافة الى توفر الاجواء والادوات التى تسمح باجراء الدراسات الميدانية الم اقل ان آراء مفكرى الاسلام سبقت مثيلتها فى علم النفس الحديث وتستأهل الاشارة اليها فى ثنايا كتاباتنا فى علم النفس .

ومرة أخرى هيا بنا نستقصى صفحات تاريخنا الاسلامى لنرى سويا

---

(١) انظر الفصل السابع .

(٢) عادل عز الدين وطلعت منصور : مذكرات فى علم النفس الاجتماعى ، مرجع سابق ص ١٣٢ ، ص ١٣٦ .

ما كتبه مفكر اسلامى آخر .. يتفق مع الآراء والنظريات النفسية .. وليكن احمد بن مسكويه .

## ثانيا : آراء لابن مسكويه فى موضوعات علم النفس الاجتماعى (٣٢٠ : ٤٢١ هـ) ( ٩٣٢ : ١٠٣٠ م )

### ١ ـ التفاعل الاجتماعى :

لابن مسكويه آراء تتفق مع النظريات الحديثة فى التفاعل الاجتماعى.. فهو يشير الى :

ان الانسان من بين جميع الحيوان لا يكتفى بنفسه فى تكميل ذاته ولابد له من معاونة قوم كثيرى العدد حتى تتم حياته طيبة ، ويجرى امره على السداد ، ولهذا قال الحكماء : ان الانسان مدنى بالطبع اى هو محتاج الى مدينة فى خلق كثير لتتم به السعادة الانسانية . فكل انسان بالطبع وبالضرورة يحتاج الى غيره ، فهو لذلك مضطر الى مصادقات الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة لانهم يكملون ذاته ويتممون انسانيته ، وهو ايضا يفعل بهم مثل ذلك . فاذا كان كذلك بالطبع وبالضرورة ، فكيف يؤثر العاقل العارف لنفسه ، التفرد والتخلى ، وتعاطى ما يرى الفضيلة من غيره ؟

فاذن القوم الذين رأوا الفضيلة فى الزهد وترك مخالطة الناس وتفردوا عنهم ، اما بملازمة المغارات فى الجبال ، واما ببناء الصوامع ، واما بالسياحة فى البلدان ، لا يحصل لهم شىء من الفضائل الانسانية التى عددناها . وذلك ان من لم يخالط الناس ويساكنهم فى المدن لا تظهر فيه ( فيهم ) العفة ولا النجدة ولا السخاء ولا العدالة ، بل تصير قواه وملكاته التى ركبت فيه باطلة لانها لا تتوجه لا الى خير ولا الى شر ، فاذا بطلت ولم تظهر افعالها الخاصة بها صاروا بمنزلة الجمادات أو الموتى من الناس .

ولذلك يظنون ويظن بهم انهم اعفاء ، وليسوا باعفاء ، وانهم عدول ، وليسوا بعدول ، وكذلك فى سائر الفضائل . اعنى انه اذا لم يظهر منهم اضداد هذه التى هى شرور ، ظن بهم الناس ، انهم افاضل وليست الفضائل اعداما ، بل هى افعال واعمال تظهر عند مشاركات الناس ومساكنتهم وفى المعاملات وضروب الاجتماع . ونحن انما نعلم ، ونتعلم الفضائل الانسانية التى نساكن بها الناس ونخالطهم لنصل منها

وبها الى سعادات أخر ، اذا صرنا الى حال أخرى ، وتلك الحال غير موجودة لنا الآن .

## التفاعل الاجتماعي يولد المحبة :

قد سبق القول فى حاجة بعض الناس الى بعض ، ونتبين أن كل واحد منهم يجد تمامه عند صاحبه ، وأن الضرورة داعية الى الاستعانة بعضهم ببعض ، لان الناس مطبوعون على النقصانات ، ومضطرون الى تمامها ولا سبيل لافرادهم والواحد فالواحد منهم الى تحصيل تمامه بنفسه ، فالحاجة صادقة ، والضرورة داعية الى حال تجمع وتألف بين أشتات الاشخاص يصيروا بالاتفاق والائتلاف كالشخص الواحد الذى تجتمع أعضاؤه كلها على الفعل الواحد النافع له . وللمحبة أنواع ، وأسبابها تكون بعدد أنواعها .

فأحد أنواعها ما ينعقد سريعا وينحل سريعا .
والثاني : ما ينعقد سريعا وينحل بطيئا .
والثالث : ما ينعقد بطيئا وينحل سريعا .
والرابع : ما ينعقد بطيئا وينحل بطيئا .

ويشير ابن مسكويه ، انما انقسمت المحبة الى هذه الانواع فقط لان مقاصد الناس فى مطالبهم وسيرهم ثلاثة ، ويتركب بينها رابع ، وهى اللذة والخير والنافع والمتركب منها . واذا كانت هذه غايات الناس فى مقاصدهم، فلا محالة أنها أسباب لمحبة من عاون عليها وصار سببا للوصول اليها . فأما المحبة التي يكون سببها اللذة فهى التى تنعقد سريعا وتنحل سريعا ، وذلك لان اللذة سريعة التغير .. اما المحبة التى سببها الخير فهى التى تنعقد سريعا وتنحل بطيئا ، اما المحبة التى سببها النافع فهى التى تنعقد بطيئا وتنحل سريعا ، اما التى تتركب من هذه اذا كان الخير فانها تنحل بطيئا وتنعقد بطيئا .

وهذه المحبات كلها تحدث بين الناس خاصة لانها تكون بارادة ورؤية ، وتكون فيها مجازاة ومكافأة . اما التى تكون بين الحيوانات غير الناطقة فالأحرى بها أن تسمى الفا ، وتقع بين الاشكال منها خاصة . وأما التى لا نفوس لها من الاحجار وأمثالها ، فليس يوجد فيها الا الميل الطبيعي الى مراكزها التي تخصها ، وقد يوجد أيضا بينها منافرة ومشاكلة بحسب أمزجتها الحادثة فيها من عناصرها الأول ، وهذه الأمزجة كثيرة ، واذا وقع منها شيىء يتناسب نسبة تأليفية او عددية او مساحية

حدث بينها ضروب من المشاكلة ، واذا كان أضداد هذه النسب حدثت بينها ضروب من المشاكلة . واذا كان اضداد هذه النسب حدثت بينها منافرة ، وتحدث لها اشياء تسمى خواصا وهى افعال بديعة ، وهى التى تسمى اسرار الطبائع ولا سيما فى النسب التأليفية . فانهـــا أشرف النسب بعد نسبة المساواة ، ولها اضداد ، اعنى هذه النسب ، وهى مبينة مشروحة فى صناعة الاتماطيقى ثم صناعة التأليف .

**والصداقة** نوع من المحبة ، الا انها اخص منها وهى المودة بعينها ، وليس يمكن أن تقع بين جماعة كثيرين كما تقع المحبة ، اما **العشق** فهو افراط المحبة وهو أخص من المودة وذلك انه لا يمكن أن يقع الا بين اثنين فقط ، ولا يقع فى النافع ولا فى المركب مع النافع وغيره ، وانما يقع لمحب اللذة بافراط ولمحب الخير بافراط ، واحدهما مذموم والآخر محمود . فالصداقة بين الاحداث ومن كان فى مثل طباعهم ، انما تحدث لاجل اللذة، فهم يتصادقون سريعا ويتقاطعون سريعا ، وربما اتفق ذلك بينهم فى الزمان القليل مرارا كثيرة ، وربما بقيت بقدر ثقتهم ببقاء اللذة ، ومعاودتها حالا بعد حال ، فاذا انقطعت هذه الثقة بمعاودتها انقطعت الصداقة بالوقت وفى الحال . والصداقة من المشايخ ومن كان فى مثل طباعهم ، انمـــا تقع لمكان المنفعة ، فهم يتصادقون بسببها ، فاذا كانت المنافع مشتركـــة بنيهم وهى فى الاكثر طويلة المدة ، كانت الصـــداقة بينهم باقية ، فحين تنقطع علاقة المنفعة بينهم وينقطع رجاؤهم من المنفعـــة المشتركة تنقطع مودتهم .

والصداقة بين **الاخيار** تكون من اجل الخير ، وسببها هو الخير ، ولما كان الخير شيئا ثابتا غير متغير الذات ، صارت مودات أصـــحابه باقية غير متغيرة وايضا لما كان الانسان مركبا من طبائع مضادة صـــار ميل كل واحد يخالف ميل الآخر ، فاللذة التى توافق أحداها تخـــالف لذة الأخرى التى تضادها ، فلا تخلص له لذة غير مشوبة بأخرى ، والمحبة التى سببها هذه اللذة هى التى تفرط حتى تصير عشقا تاما خالصا شبيها بالوله ، وهى المحبة الالهية .

فالجوهر الالهى الذى فى الانســـان اذا صـــفا من كدورته التى حصلت فيه من ملابسة الطبيعة ، ولم تجذبه أنواع الشهوات وأصـــناف محبات الكرامات ، اشتاق الى شبيهة ، ورأى بعين عقله الخير الأول المحض الذى لا تشوبه مادة فأسرع اليه ، وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الأول عليه ، فيلتذ به لذة لا تشبهها لذة ويصير الى معنى الاتحاد الذى وصفناه.

وينتقد الرأى القائل « سميت انسانا لانك ناس » و نقول ان هـــذا الشاعر يظن ان الانسان مشتق من النسيان ، وهو غلط منه . وينبغى أن يعلم أن هذا الانس الطبيعى فى الانسان الذى ينبغى أن نحرص عليـــه ونكتسبه مع أبناء جنسنا حتى لا يفوتنا بجهدنا واستطاعتنا ، فان مبدأ المحبات كلها وانما وضع للناس بالشريعة وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع فى المأدب ليحصل لهم هذا الانس . ولعل الشريعة انما أوجبت على الناس أن تجتمعوا فى مساجدهم كل يوم خمس مرات ، وفضلت صلاة الجماعة على صلاة الآحاد ليحصل لهم هذا الانس الطبيعى الذى هو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل ، ثم تتأكد بالاعتقادات الصحيحة التى تجمعهم . والدليل على أنغرض صاحب الشريعة ما ذكرناه ، انه أوجب على أهل المدينة بأسرهم أن يجتمعوا ، فى كل أسبوع يوما بعينه فى مسجد يسعهم ليجتمع أيضا شمل أهل المحال والسكك فى كل أسبوع ، ثم اوجب أيضا ان يجتمع أهل المدينة مع اهل القرى فى كل سنة مرتين فى مصلى بارزين ليسعهم المكان ويتجدد الانس بين كافتهم وتشملهم المحبة الناظمة لهم ، ثم أوجب أن يجتمعوا فى العمر كله مرة واحدة فى الموضع المقدسة بمكة ، ولم يعين من العمر وقتا مخصوصـــا ليتسع لهم الزمان وليجتمع أهل المدن المتباعدة ، كما اجتمع اهل المدينة الواحدة ، ويصير حالهم فى الانس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين فى كل سنة . ففى كل أسبوع وفى كل يوم ، فيجتمعوا بذلك الانس الطبيعى الى الخيرات المشتركة ، وتتجــدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هداهم ويغتبطوا بالدين القويم الذى الفهم على تقوى الله وطاعته .

## ونعود الى ذكر اجناس المحبات واسبابها فنقول :

ان هذه الاسباب كلها ما خلا المحبة الالهية اذا كانت مشتركـــة بين المتحابين وواحدا بعينه ، جاز فى الشيئين ان ينعقدا معا ، وجاز أيضـــا أن يبقى أحدهما وينحل الآخر ، مثال ذلك ان اللذات المشتركة بين الرجل والمرأة هى سبب للمحبة بينهما . فقد يجوز ان تجتمع المحبتان لان السبب واحد وهو اللذة ، وقد يجوز ان تنقطع احداهما وتبقى الاخرى ، وذلك لان اللذة تتغير ولا تكاد تثبت كما تقدم وصفها ، فقد يجوز أن تتغير سبب احدى المحبتين ويثبت الآخر .

وأيضا فان بين الرجل وبين زوجته خيرات مشتركة ومنافع مختلطة ، وهما يتعاونان عليها ، أعنى الخيرات الخارجة عنا ، وهى الاسباب التى تعمر بها المنازل ، فالمرأة تنتظر من زوجها تلك الخيرات ، لانه هو الذى يكتسبها ويحضرها . وأما الرجل فانه ينتظر من زوجته ضبط تلك الخيرات . لانها

هى التى تحفظها وتدبرها لتثمر ولا تضيع ، فمتى قصر احدهما ، اختلفت المحبة وحدثت الشكايات ، ولا تـــزال كذلك الى ان تنقطع او تبقى مـــع الشكايات والملامة ٠

وكذلك حال **المنفعة المشتركة** بين الناس اذا كانت واحـــدة بعينها ٠ واما المحبات المختلفة التى اسبابها مختلفة فهى اولى بسرعـــــة التحلل ، ومثال ذلك ان تكون محبة احد المتحابين لأجل المنفعة ومحبة الآخـــر لأجل اللذة وكما يعرض ذلك للمعاشرين على أن احدهما مغنى والاخر مستمتع ، فان المغنى منهما يحب المستمتع لاجل المنفعة ، والمستمتع منهمـــا يحب المغنى لاجل اللذة وايضا بين العاشق والمعشوق اللذين احدهما يلتذ بالنظر والآخر ينتظر المنفعة ، وهذا الصنف من المحبة يعرض فيه ابدا التشاكى والتظلم ، وذلك ان طالب اللذة يتعجل مطلوبه وطالب المنفعة يتأخر عنه وليس يكاد يعتدل الامر بينهما : ولذلك نرى العاشق يشكو معشوقه ويتظلم منه، وهو بالحقيقة ظالم ينبغى أن يشتكى لانه يتعجل لذته بالنظر ، ولا يرى المكافاة بما يستحق صاحبه ٠

**والمحبة اللوامة** كثيرة الانواع الا ان الاصل فيها ما ذكرت ويوشك ان تكون المحـــبة بين الرئيس والمرؤوس ، والغنى والفقير تعرض لها الملامة والتوبيخ لاجل اختلاف الاسباب ، ولان كل واحد ينتظر المكافاة عند الآخر مالا يجده عنده ، فيقع فساد فى النيات بينهما ثم استبطاء ثم ملامات ٠ ويزيل ذلك طلب العدالة ، ورضى كل واحد بما يستحقه من الاخر ، وبذل كل واحد للآخر العدل المبسوط بينهما ٠ فهذه المحبة اللوامة لا تكاد تخلو منها الا على شريطة العدل وطلب الوسط من الاستحقاق والرضا به ، وهو صعب ٠

**واما محبة الاخيار** بعضهم بعضا ، فانها لا تكون للذة خارجة ولا لمنفعة بل للمناسبة الجوهرية بينهما ،وهى قصـــــد الخير والتماس الفضـــيلة فاذا احب احدهم الاخر لهذه المناسبة لم تكن بينهم مخالفة ولا منازعـــة ونصح بعضهم بعضا ، وتلاقوا بالعدالة والتساوى فى ارادة الخير ، وهذا التساوى فى النصيحة وارادة الخير هو الذى يوحد كثرتهم ٠ ولهذا حد الصديق بأنه آخر هو انت ، الا انه غيرك بالشخص ، ولهذا صـــار عزيز الوجود ، ولم يوثق بصداقة الاحداث والعوام ، ومن ليس بحكيم لان هؤلاء يحبون ويصادقون لاجل اللذة والمنفعـــــة ، ولا يعرفون الخير بالحقيقة ، واغراضهم غير صحيحة ٠

**ومحبة الوالد للولد ، والولد للوالد** وان كان بينهما اختلاف ما من وجه ، فان بينهما اتفاقا ذاتيـــا ، واعنى بالذاتى ههنا أن الوالد يرى فى

ولده انه هو هو ، وانه نسخ صورته التى تخصه من الانسانية فى شخص ولده نسخا طبيعيا ، ونقل ذاته الى ذاته نقلا حقيقيا ، وحق له ان يرى ذلك لان التدبير الالهى بالسياقة الطبيعية التى هى سياسته عز وجل ، هو الذى عاون الانسان على انشاء الولد وجعله السبب الثانى فى ايجاده ونقل صورته الانسانية اليه . ولذلك يحب الوالد لولده جميع ما يحبه لنفسه ، ويسعى فى تأديبه وتكميله بكل ما فاته فى نفسه طول عمره ، ولا يشق عليه أن يقال له ولدك أفضل منك ، لانه يرى انه هو هو ، وكما ان الانسان اذا تزايد فى نفسه حالا فحالا وترقى فى الفضيلة درجة فدرجة ، لا يشق عليه أن يقال له انك الآن أفضل مما كنت ، بل يسره ذلك ، وكذلك تكون حاله اذا قيل له فى ولده مثل ذلك ، ثم تفضل أيضا محبة الوالد على محبة الولد بأنه الفاعل له ، وبأنه يعرفه منذ أول كونه ويستبشر به وهو جنين ، ثم تزداد محبته له مع التربية والنشأ ، ويتأكد سروره به وتأميله له ، ويحدث له اليقين بأنه باق به صورة وان فنى بجسمه مادة .

اما **محبة الولد للوالد** فانها تنقص عن هذه الرتبة ، بأن الولد مفعول ولا يعرف ذاته ولا فاعل ذاته الا بعد زمان طويل وبعد أن يستثبت أباه حسا وينتفع به دهرا ، ثم يعقل بعد ذلك أمره بالصحة ، وعلى مقدار عقله واستبصاره فى الأمور يكون تعظيمه لوالديه ومحبته لهما ، ولهذه العلة وصى الله عز وجل الولد بوالده ، ولم يوص الوالد بولده . وأما محبة الأخوة بعضهم لبعض فلأن سبب كونهم ونشئتهم واحد بعينه .

## ٢ ـ التطبيع الاجتماعى :

أشار **ابن مسكويه** الى آراء كثيرة فى عملية التطبيع الاجتماعى والوكالات التى يلقى عليها عبء هذه العملية النفسية .. ففى « فصل تأديب الاحداث والصبيان خاصة » يقول :

« ان أول قوة تظهر فى الانسان ، أول ما يتكون ، هى القوة التى يشتاق بها الى الغذاء الذى هو سبب كونه حيا ، فيتحرك بالطبع الى اللبن ، ويلتمسه من الثدى الذى هو معدنه من غير تعليم ولا توقيف ، ويحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذى هو مادته ، ودليله الذى يدل به على اللذة والأذى . ثم تتزايد فيه هذه القوة ويتشوق بها ابدا الى الازدياد والتصرف بها فى أنواع الشهوات ، ثم تحدث فيه قوة على التحرك نحوها ، ثم يحدث التشوق الى الافعال التى تحصل له هذه ثم يحدث له من الحواس قوة على تخيل الأمور ، ويرتسم فى قوته الخيالية مثالات فيتشوق اليها ، ثم تظهر فيه قوة الغضب التى يشتاق بها الى دفع ما يؤذيه ، ومقاومة ما يمنعه

من منافعه ، فان أطاق بنفسه أن ينتقم من مؤذياته انتقم منها ، والا التمس المعونة من غيره وانتصر بوالديه بالتصويت والبكاء » ٠

ويستطرد **ابن مسكويه** فى تحليله للمراحل النمائية المختلفة التى يمر خلالها الوليد فى عملية التطبيع الاجتماعى فيقول :

« ثم يحدث له تمييز الافعال الانسانية خاصة أولا أولا حتى يصير الى كماله فى هذا التمييز ، فيسمى حينئذ عاقلا ، وهذه القوة كثيرة وبعضها ضرورى فى وجود الأخرى ، الى أن ينتهى الى الغاية الأخيرة وهى التى لا تراد لغاية أخرى ، وهو الخير المطلق الذى يتشوق الانسان من حيث هو انسان ، فأول ما يحدث فيه من هذه القوة الحياء ، وهو الخوف من ظهور شىء قبيح منه ٠ ولذلك قلنا أن أول ما ينبغى أن يتغرس به الصبى ويستدل به على عقله الحياء ، فانه يدل على أنه قد أحس بالقبيح ، ومع احساسه به هو يحذره ويتجنبه ويخاف أن يظهر منه أو فيه ٠ فاذا نظرت الى الصبى فوجدته مستحيا مطرقا بطرفه الى الأرض ، غير وقاح الوجه ولا محدق اليك ، فان هذا أول دليل نجابته ، والشاهد لكعلىأن نفسه قد احست بالجميل والقبيح»(١)٠

ان حياء الصبى هو انحصار نفسه خوفا من قبيح يظهر منه ، وهذا ليس بشىء أكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح بالتمييز والعقل ٠٠ ويستطرد بقوله أن هذه النفس مستعدة للتأديب صالحة للعناية ، لا يجب أن تهمل ولا تترك ومخالطة الاضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة ٠

وان كانت هذه الحال من الاستعداد لقبول الفضيلة ، فان نفس الصبى ساذجه ، لم تنتقش بعد بصوره ، ولا لها أى رأى وعزيمة تميلها من شىء الى شىء ، فاذا نقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها ٠

جملة القول الم نلاحظ كثيرا من أراء ابن مسكويه تتسق مع آراءعلماء النفس فى عملية التطبيع الاجتماعية ، ميكانزماته ، وكالاته وعوامله ٠٠ ؟؟

**ــ مطلب ما يقوم به الأطفال :**

ويستطرد ابن مسكويه فى تحليله لعملية التطبيع الاجتماعى فيقول : الأول بمثل هذه النفس أن تنبه أبدا على حب الكرامة ٠ ولا سيما ما يحصل منها بالدين دون المال وبلزوم سننه ووظائفه ، ثم يمدح الاخيار عنده ،

---

(١) قسطنطين زريق : لتهذيب الاخلاق ، لابى على أحمد بن محمد مسكويه ، لبنان بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٥٨ ، ص ٥٩ ٠

ويمدح هو فى نفسه اذا ظهر شيء جميل منه ، ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه ، ويؤاخذ باشتهائه للمآكل والمشارب والملابس الفاخرة ، ويزين عنده خلف النفس والترفع على الحرص فى المآكل خاصة وفى اللذات عامة ٠

ويحبب اليه ايثار غيره على نفسه بالغذاء ، والاقتصار على الشيء المعتدل والاقتصاد فى التماسه ٠ ويعلم أن أولى الناس بالملابس الملونة والمنقوشة ، النساء اللاتى يتزين للرجال ثم العبيد ، ومن الأحسن بالأهل النبل والشرف من اللباس البياض وما أشبه ، حتى اذا تربى على ذلك وسمعه من كل من يقرب منه وتكرر عليه ، ولم يترك ومخالطه من سمع منه ضد ما ذكرته ، لا سيما من أترابه ومن كان فى مثل سنه ممن يعاشره ويلاعبه ٠ وذلك أن الصبى فى ابتداء نشوئه يكون على الاكثر قبيح الافعال ، اما كلها أو أكثرها ، فانه يكون كذوبا ، ويخبر ويحكى ما لم يسمعه ولم يره ، ذا فضول ، اضر شيء بنفسه وبكل أمر يلابسه ، ثم لا يزال به التأديب والسنن والتجارب حتى ينقل من أحوال بعد أحوال ، فلذلك ينبغى أن يؤاخذ ما دام طفلا بما ذكرناه ونذكره ٠

ثم يطالب بحفظ محاسن الأخبار والاشعار التى تجرى مجرى ما تعوده بالأدب ، حتى يتأكد عنده بروايتها وحفظها والمذاكرة بها جميع ما قدمنا ذكره ٠ ويحذر النظر فى الاشعار السخيفة وما فيها من ذكر العشق وأهله ، وما يوهمه أصحابه أنه ضرب من الظرف ورقة الطبع فان هذا الباب مفسده للاحداث جدا ، ثم يمدح بكل ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ويكرم عليه ، فان خالف فى بعض الأوقات ما ذكرته فالأولى أن لا يوبخ عليه ، ولا يكاشف بأنه أقدم عليه ، بل يتغافل عنه تغافل من لا يخطر بباله أنه قد تجاسر على مثله ولا هم به ، لا سيما أن سترة الصبى واجتهد فى أن يخفى ما فعله عن الناس ٠ فان عاد فليوبخ عليه سرا ، وليعظم عنده ما أتاه ، ويحذر من معاودته ، فانك ان عودته التوبيخ والمكاشفه ، حملته على الوقاحة وحرضته على معاودة ما كان استقبحه ، وهان عليه سماع الملامة فى ركوب قبائح اللذات التى تدعو اليها نفسه ، وهذه اللذات كثيرة جدا ٠

**ـ مطلب ما يبدأ به تقويم النفس وهو أدب المطاعم :**

والذى ينبغى أن يبدأ به فى تقويمها أدب المطاعم ، فيفهم أولا ، أنها انما تراد للصحة لا للذة ، وأن الأغذية كلها انما خلقت وأعدت لنا لتصح بها أبداننا وتصير مادة لحياتنا ، فهى تجرى مجرى الأدوية يداوى بها الجوع والألم الحادث منه ، فكما أن الدواء لا يرام للذة ، ولا يستكثر منه

للشهوة فكذلك الأطعمة ، ما ينبغي أن يتناول منها الا ما يحفظ صحة البـدن ويدفع الم الجوع ويمنع من المرض ٠ فيحقر عنده قدر الطعام الذي يستعظمه اهل الشره ٠ ويقبح عنده صوره من شره اليه وينال منه فـوق حاجة بدنه أو ما لا يوافقه ٠

واذا جلس مع غيره لا يبادر الى الطعام ، ولا يديم النظر الى الوانه ، ولا يحدق اليه شديدا ، ويقتصر على ما يليه ، ولا يسرع في الأكل ، ولا يوالى بين اللقم بسرعة ، ولا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ، ولا يلطخ يده في ثوبه ، ويعود أن يؤثر غيره بما يليه ان كان أفضل ما عنـده ، ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على أدنى الطعام ٠

وهذه الآداب وان كانت جميلة بالفقراء فهي بالأغنياء أفضل وأجمل ، وينبغي أن يمنع من كل فعل يستره ويخفيه ، فانه ليس يخفي شيئا الا وهو يظن أو يعلم أنه قبيح ٠ ثم آداب النوم والمجالسة ، ومساوىء الخمر ومزايا الرياضـه ٠

وينبغي ان يعود أن لا يبصق في مجالسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ولا يضع رجلا على رجل ، ولا يضرب تحت ذقنه بساعده ، ولا يعمد رأسه بيده ، فان هذا دليل الكسل ٠ ويعود الا يكذب ولا يحلف البته لا صادقا ولا كاذبا ٠ فان هذا قبيح بالرجال مع الحاجة اليه في بعض الأوقات . فأما الصبي فلا حاجة به الى اليمين ٠ ويعود أيضا الصمت وقلة الكلام والا يتكلم الا جوابا ، واذا حضر من هو أكبر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت اليه ٠

ويمنع من خبيث الكلام وهجينه ومن السب واللعن ولغـو الكلام ، ويعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكريمه ٠

وأحوج الصبيان الى هذا الأدب أولاد الأغنيـاء المترفين ٠ وينبغي اذا ضربه المعلم أن لا يصرخ ولا يستشفع بأحد ويعود ألا يوحش الصبيان بـل يبرهم ويكافئهم على الجميل بأكثر منـه ٠ وينبغي أن يؤذن له في بعض الأوقات أن يلعب لعبا جميلا ليستريح اليه من تعب الأدب ، ولا يكون في لعبه الم ولا تعب شديد ، ويعود طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه ، وأن ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهابهم ٠

وهذه الآداب النافعة للصبيان وهي للكبار من الناس أيضـا نافعة ،

لكنها للاحداث أنفع لأنها تعودهم محبة الفضائل وينشأون عليها ، ويسهل عليهم بعد ذلك جميع ما ترسمه الحكم وتحده الشريعة والسنة ، ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم اليه اللذات القبيحة ·

فاذا عرف ذلك وتحققه ، ثم تعوده بالسيرة الدائمة عود الرياضيات التى تحرك الحرارة الغريزية ، وتحفظ الصحة وتنفى الكسل ·

فأما الفقراء فالأمر عليهم أسهل ، بل هم قريبون الى الفضائل ، قادرون عليها ، متمكنون من نيلها والاصابة منها ، وحال المتوسطين من الناس متوسط بين هاتين الحالتين ·

**مطلب :**

**بيان من نشأ من الأطفال على الآداب والفضائل المتقدمة :**

واذا عرفت هذه الطرق المحمودة فى تاديب الاحداث فقد أعرفك اضدادها ، أعنى أن من نشأ على خلاف هذا المذهب والتأديب لم يرج فلاحه ولا ينبغى أن يشتغل بصلاحه وتقويمه ، فانه قد صار بمنزلة الخنزير الوحشى الذى لا يطمع فى رياضته ، فان نفسه العاقلة تصير خادمة لنفسه البهيمية ، ولنفسه الغضبيه ، فهى منهمكة فى مطالبها من النزوات ، وكما أنه لا سبيل الى رياضة سباع البهائم الوحشية التى لا تقبل التأديب ، كذلك لا سبيل الى رياضة من نشأ على هذه الطريقة واعتادها وأمعن قليلا فى السن ، اللهم الا أن يكون فى جميع أحواله عالما بقبح سيرته ، ذاما لها عائبا على نفسه ، عازما على الاقلاع والانابة ، فان مثل هذا الانسان من يرجى له النزوع عن أخلاقه بالتدريج ، والرجوع الى الطريقة المثلى بالتوبة وبمصاحبة الخيار وأهل الحكمة ، وبالاكباب على التفلسف ·

واذا قد ذكرنا الخلق الحميد ، وما ينبغى أن يؤخذ به الاحداث والصبيان ، فنحن واصفون جميع القوى التى تحدث للحيوان أولا أولا الى أن ينتهى الى أقصى الكمال فى الانسانية ، ولنبتدىء على الترتيب الطبيعى فى تقويم واحد واحد منها فنقول :

ويشير ابن مسكويه الى التسلسل فى بيان فضائل الأجسام الطبيعية بقبول الآثار الشريفة ، وبيان ما يشرف به النبات عن الجماد ، وبيان ما يتزايد فى الحيوان من القوى بالتدريج ، وبيان مراتب الحيوان · ويستطرد أن هذه الفضيلة تتزايد فى الحيوانات حتى يشرف بها ضروب الشرف « كالفرس ،

ثم يصير فى هذه المرتبة الى مرتبة الحيوان الذى يحاكى الانسان من تلقاء نفسه ، ويتشبه به من غير تعليم « كالقردة » وما أشبهها ، ويبلغ من ذكائها ان تكتفى فى التأدب بأن ترى الانسان من تلقاء نفسه ، ويتشبه به من غير تعليم « كالقردة » وما اشبهها ، ويبلغ من ذكائها ان تكتفى فى التادب بأن ترى الانسان يعمل عملا فتعمله مثله ، من غير أن تحوج الانسان الى تعب بهـا ورياضة لها • وهذه غاية أفق الحيوان ، التى أن تجاوزها وقبل زيادة يسيره ، خرج بها عن افقه وصار فى افق الانسان ، الذى يقبل العقل والتمييز والنطق والآلات التى يستعملها والصور التى تلائمها ، فاذا بلغ هذه الرتبة تحرك الى المعارف واشتاق الى العلوم ، وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل يقتدر بها على الترقى والامعان فى هذه الرتبة ، كما كان ذلك فى المراتب الأخرى التى ذكرناها (١) •

**مطلب :**

**بيان أول مراتب الأفق الانسانى :**

وأول هذه المراتب من الأفق الانسانى المتصل بآخر ذلك الأفق الحيوانى مراتب الناس الذين يسكنون فى أقاصى المعمورة من الشمال والجنـوب كأواخر الترك فى بلاد ياجوج وماجوج ، واواخر الزنج واشباههم من الامم التى لا تميز عن القرود الا بمرتبة يسيره ، ثم تتزايد منهم قوة التمييز والفهم الى أن يصيروا الى وسط الأقاليم ، فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل ، والى هذا الموضع ينتهى فعل الطبيعة التى وكلها الله عز وجـل بالمحسوسات ، ثم يستعد بهذا القبول لاكتساب الفضائل وامتثالها بالارادة والسعى والاجتهاد الذى ذكرناه فيما تقدم ، حتى يصل الى آخر افقه ، فاذا صار الى آخر أفقه اتصل بأول أوفق الملائكة ، وهذا أعلى مرتبة الانسان •

ويستطرد **ابن مسكويه** فى توضيح **عملية التطبيع الاجتماعى** فيشير :

لقد بينا فيما تقدم أن الانسان مدنى بالطبع ، فاذا بالواجب يكـون تمام سعادته الانسانية عند أصدقائه ، ومن كان تمامه عند غيره ،فمن المحال أن يصل مع الوحدة والتفرد الى سعادته التامة ، فالسعيد اذن ما اكتسب الاصدقاء واجتهد فى بذل الخيرات لهم ليكتسب بهم ما لايقدر ان يكتسبه بذاته ، فيلتذ بهم أيام حياته ، ويلتذون أيضا به •

---

(١) المرجع السابق : ص ٧٣ ، ص ٧٤ •

ويتفق مع ما ذهب اليه أرسطو في أن الانسان محتاج الى صديق عند حسن الحال وعند سوء الحال ، فعند سوء الحال يحتاج الى معونة الاصدقاء ، وعند حسن الحال يحتاج الى المؤانسه والى من يحسن اليه ·

ومن أجل **فضيلة الصداقة** يشير ابن مسكويه بأن يشارك الناس بعضهم بعضا ، ويتعاشرون عشره جميلة ، ويجتمعون في الرياضيات والصيد والدعوات · ويتفق كذلك في ما ذهب اليه سقراط في قوله : انى لأكثر التعجب ممن يعلم أولاده أخبار الملوك ووقائع بعضهم ببعض ، وذكر الحروب والضغائن ، ومن انتقم أو وثب على صاحبه ، ولا يخطر ببالهم أمر الموده وأحاديث الالفه وما يحصل من الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبه والانس · ولا يستطيع أحد من الناس أن يعيش بغير الموده ، وان مالت اليه الدنيا بجميع رغائبها ، فان ظن أحد ان امر المودة صغير ، فالصغير من يظن ذلك ، ثم يستطرد بقوله :

لكنى اعتقد واقول ان قدر **المودة** وخطرها عندى ، اعظم من جميع ذهب كنوز قارون ، ومن ذخائر الملوك ، ولا يعدل جميع ذلك ، من اخترته لنفسى من فضيلة الموده · ذلك لان جميع ما أحصيته لا ينفع صاحبه اذا حلت به لوعة مصيبه في صديقة ·

ويوضح ابن مسكويه الصديق ههنا انه اخر هو انت سواء كان اخا من نسب أو غريبا ، أو ولدا ، أو والدا ، ولا يقوم له جميع ما في الارض مقام صديق يثق به في مهم يساعده عليه ·

ويشير ابن مسكويه الى كيفية اختيار ذلك الصديق ، فيقول :

اذا أردنا أن نستفيد صديقا ، وجب أن نسأل عنه كيف كان في صباه مع والديه ، ومع أخوته وعشيرته ، فان كان صالحا معهم ، فارج الصلاح منه ، والا فأبعد منه واياك واياه ، ثم اعرف بعد ذلك سيرته مع أصدقائه قبلك ، فاضعها الى سيرته مع أخوته وأبائه · ثم تتبع أمره في شكر من يجب عليه شكره ، أو كفره النعمه ، ولا شيء أجلب للنعمه ، ولا أشد تثبيتا لها من الشكر ، وحسب ما وعد الله به الشاكرين ·

ومشاركة هذا الصديق في السراء اذا كنت فيها ، وان كانت واجبه عليك حتى لا تستأثرها ولا تختص بشيء منها · فان مشاركته في الضراء أوجب وموقعها عنده أعظم · وانظر بعد ذلك ان أصابته نكبه أو مصيبه كيف تكون مواساتك

له بنفسك ومالك . وكيف يظهر لك تفقدك ومراعاتك • ولا تنتظر منه أن يسألك تصريحا أو تعريضا بل اطلع على قلبه واسبق الى ما فى نفسه وشاركه وجع ما لحقه ليخف عنه •

## ٣ ـ القيــادة :

ولابن مسكويه آراء فى سيكولوجية القيادة ، تتفق مع ما أوردنــاه فى نظريات القيادة ، وكيف تكون القيادة الديمقراطية أحسن الانماط القياديــة التى يجب أن تؤتى •• فنراه يقول :

يجب أن تكون نسبه القائد « الملك » الى رعيته نسبه أبويه ونسبه الرعية بعضهم الى بعض نسبه أخويه حتى تكون السياسات محفــوظة على شرائطها الصحيحة • وذلك أن مراعاة القائد « الملك » لرعيته هى مراعاة الأب لأولاده ، ومعاملته أياهم تلك المعاملة يجب أن تكون مثل عناية الأب بأولاده ، شفقة وتحننا وتعهدا وتعطفا خلافه لصاحب الشريعة صلى الله عليه وسـلم ، بـل لمشرع الشريعة تعالى ذكره فى الرافة والرحمه ، وطلب المصالح لهم ودفع المكاره عنهم وحفظ النظام فيهم ، وبالجملة فى كل ما يجلب الخير ويمنع الشر •

فانه عند ذلك تحبة رعيته محبه الاولاد للاب الشفيق وتحدث بينهما تلك النسبة ، وانما اختلفت المحبات بالتفاضل الذى يكون بعظم المنافع ، فيجب أن يكرم الاب كرامة أبوية ، ويكرم السلطان كرامة سلطانية ، ويكرم الناس بعضهم بعضا كرامة أخوية •

ولكل مرتبة من هذه استئهال خاص بها ، واستحقاق واجب لها ، فاذا لم يحفظ بالعدالة زاد ونقص وعرض لها الفساد وانتقلت الرياسات وانعكست الامور ، فيعرض لرياسة الملك أن تنتقل الى رياسة التغلب ، ويتبــع ذلك أن تنتقل محبة الرعية الى البغض له ، ويعرض لرياسات من دونه مثل ذلك • فتصيرمحبةالاخيار الى تباغض الاشرار ، وتعود الالفة نفارا ، والتوددنفاقا، ويطلب كل واحد لنفسه ما يظنه خيرا له وان اضر بغيره ، وتبطل الصداقات والخير المشترك بين الناس ، ويؤول الامر الى الهرج الذى ضد النظام الــذى رتبه الله لخلقه ورسمه بالشريعة وأوجبه بالحكمه البالغة ••

وجدير بالذكر ، فان المتأمل الى آراء ابن مسكويه فى القيادة ، ومــا تشيعه من أجواء نفسية ، يرى تطابقا بين آرائــه وبين نتائج تجارب كل من ليبتوهوايت Lippitt & White (١٩٤٣) فى الانماط القيادية ، والعلاقات

التى سادت فى الجو الديمقراطى والجو الدكتاتورى والجو الفوضوى . ونجده كذلك يشير الى أهمية جو المحبه الذى يشيع فى الجو الديمقراطى فيقول :

فطوبى لمن أوتى هذه النعمة العظيمة وهو خلو من السلطان ، وأعظم طوبى لمن أوتيه سلطان ، وذلك لان من باشر أمور الرعية وأراد أن يعرف أحوالهم ، وينظر فى أمورهم حق النظر ، لن يكفيه أذنان ولا عينان ولا قلب واحد ، فـان وجود أخوان ذوى ثقة ، وجد بهم عيونا وآذانا وقلوبا كأنها بأجمعهـا لـه ، فقربت عليه أطرافه ، واطلع من أدنى أمره الى أقصاه ، ورأى الغائب بصوره الشاهد ، فانى توجد هذه الصورة الا فى صورة السلطان أو الملك أو القائـد المحب لرعيته والساهر على حل مشاكلها (١) .

والمتأمل فى آراء ابن مسكويه سابقة الذكر ، يرى تشابها بين ما أشار اليه سواء فى عملية التفاعل ، وتقسيم العلاقات الاجتماعية والتفاعل على أساس جنس ونوع المحبه القائمة بين الجماعة ، وأراؤه فى عملية التطبيع الاجتماعى ، وكيف نستطيع نحن الأباء أو المربين أن نغرس فى نفس أطفالنا ما يرتاء لنا من قيم واتجاهات وما الى ذلك ... بالاضافة الى الوكات التى تعمل على تنشأة الطفل التى قال بها ابن مسكويه ، من الاسرة ، الى المدرسة الى الصحاب .. فهل خرجت الاراء الحديثة فى عملية التطبيع الاجتماعى عما أشار اليـه ابن مسكويه وغيره من علماء المسلمين كما سنرى فيما بعد ؟؟ وأيضا ما نوه عنه فى القيادة ، وما يجب على القائد أن يكون محبا لرعيته ساهرا على مصالحها مفرقا بين أمورها بالعدل .. ألم نجد لهذه الاراء شبيها فى تقسيم النظريات القيادية الى ديمقراطية واستبدادية وفوضوية ؟

كما أنه باشارته ان الانسان حيوان اجتماعى ، لا تتم سعادته وكمالـه الا بالاجتماع والتفاعل مع بنى جنسه ، وتدرج المحبه فى الكائنات البشريـة نستطيع أن نتأملها كمراتب لعملية التفاعل الاجتماعى ، وأراؤه فى الثـواب والعقاب والقدوه وأثرها فى عملية التطبيع الاجتماعى .

جملة القول أن آراء ابن مسكويه سابقة الذكر ، تتساوق مع النظريات الحديثة فى سيكولوجية القيادة ، والتطبيع الاجتماعى والتفاعل الاجتماعى . قصدنا أيضا علاجه بما يخص هذه :

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٦ .

## العلاج النفسى الاجتماعى

ولابن مسكويه رأى فى العلاج النفسى الاجتماعى ، اذ نجده يشير الى ذلك بقوله :

« ولما كانت النفس قوة الهية غير جسمانية ، وكانت مع ذلك مستعمه لمزاج خاص ، ومربوطه به رباطا طبيعيا الهيا ، لا يفارق أحدهما صاحبه الا بمشيئة الخالق عز وجل ، وجب أن نعلم أن أحدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره ، فيصح بصحته ، ويمرض بمرضه . ونحن نرى ذلك مشاهده وعيانا بما يظهر لنا من افعالنا ، وذلك كما نرى المريض من جهة بدنه لا سيمااذاكان سبب امراضه احد الجزاين الشريفين ، أعنى الدماغ والقلب ، يتغير عقله، ويمرض حتى ينكر ذهنه وفكره وتخيله وسائر قوى نفسه الشريفة ، ويحس هو من نفسه بذلك . كذلك نرىالمريض من جهة نفسه اما بالغضب أو بالحزن واما بالعشق واما بالشهوات الهائجه ، به تتغير صورة بدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر ويهزل ، ويلحقها ضروب التغير المشاهدة بالحس .. » .

فيجب لذلك أن نتفقد مبدأ الامراض اذا كان من نفوسنا ، فان كان مبدؤها من ذاتها كالفكر في الاشياء الرديئة واجالة الرأى فيها ، وكاستشعار الخوف ، والخوف من الامور العارضة والمترقبة والشهوات الهائجه ، قصدنا علاجها بما يخصها . وكان مبدؤها من المزاج اومن الحواس ، كالخور الذى مبدؤه ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهية ، وكالعشق الذى مبدؤه النظر مع الفراغ والبطالة قصدنا ايضا علاجه بما يخص هذه .

ومما يؤخذ به من يحفظ صحة نفسه ، أن يلتزم وظيفه من الجزء النظرى والعملى ، لا يسوغ له الاخلال بها البته ، لتجرى النفس مجرى الرياضة التى تلزم في حفظ صحة البدن ، وأطباء النفوس أشد تعظيما لها فى حفظ صحة النفس ، وذلك لان النفس متى تعطلت من النظر وعدمت الفكر والغوص على المعانى ، تبلدت وتبلهت ، وانقطعت عنها مادة كل خير . واذا ألفت الكسل بالروية واختارت العطله ، قرب هلاكها ، لان فى عطلتها هذه انسلاخا من صورتها الخاصه بها ، ورجوعها منها الى رتبة البهائم وهذا هو الانتكاس فى الخلق نعوذ بالله منه .

واذا تعود الحدث الناشىء من مبدأ كونه ، الارتياض بالامور الفكرية . ولازم التعاليم الاربعة ، الف الصدق ، واحتمل ثقل الروية والنظر ، وانس

---

(١) قسطنطين زريق : تهذيب الاخلاق ، المرجع السابق . لبنان ، بيروت ، ص ٢٩ : ص ٣٠ .

الحق رئب طبعه عن الباطل وسمعه عن الكذب ، فاذا بلغ أشده وانتقل الى مطالعهالحكمة ، استمر طبعه فيها ، وتشربما يستودع منها . والنسيانآفة العلم ، ولنتذكر قول حسن البصرى : اقدعوا هذه النفوس فانها طائعـــه ، وحادثوها فانها سريعة الدثور ، واعلم أن هذه الكلمات مع قلة حروفها كثيرة المعانى .

والمتأمل فى اقوال ابن مسكويه يرى تشابها كبيرا بينها وبين نظريات العلاج النفس الاجتماعى ، خاصة العلاج الجمعى ، ويرى كذلك مساوىء عملية التطبيع الاجتماعى فى الصغر وكيف يستمر الانسان بهذه العيوب منـــذ طفولته ، ونجد كذلك تماثلا بينها وبين النظريات الحديثة فى العلاجالنفسى خاصة التحليل النفسى حيث تعتبر ان الخمس سنوات الاولى من حياةالطفل هى الاساس التى يوضع فيها اساس شخصيته .

## ثالثا : آراء لابن سينا فى موضوعات

## علم النفس الاجتماعى

( ٣٧٠ هـ : ٤٢٨ هـ )

( ٩٨٠ م : ١٠٣٧ م )

هو الشـــيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على ابن سينا ، الحكيم المشهور ، والطبيب والعالم النفسى . والمتأمل فى كتاباته يجد أنه تطرق لعديد من الموضوعات فى علم النفس الاجتماعى ، ونستطيع أن نوجز آراء ابن سينا فيما يلى :

### أولا : التفاعل الاجتماعى :

يرى ابن سينا أن حياة الانسان تختلف اختلافا بينا عن حياة الحيوان ، لان الحيوان يحيا حياة تسخير غريزية طبيعية ، ولذا توحدت حاجاته،واما الانسان فقد تنوعت صناعات مآكله وملبسه ومسكنه ، مما استلزم الاستنباط والروية ، فتكثرت من جراء حاجاته وتنوعت ، فتحتم من ثم ان يقـــوم المجتمع على تعاون الافراد ، وهذا التعاون لا يتم الا بتفاوت كفاءات الافراد . والتفاوت بالذات حكمه ألهية ، فلو كان الناس ملوكا كلهم لتفانوا ما بينهم ، ولو كانوا سوقه لهلكوا . ولو تساووا فى الفقر لماتوا بؤسا . ولو تساووا فى الغنى ، لما استخدم أحد لأحد ، وعليه لزم الاشتراك فى المسئولية الاجتماعية .

والمتأمل فى آراء ابن سينا سابقة ، يلاحظ مجموعة من المبادىء والقوانين النفسية من أولها ، التفرقة بين الانسان والحيوان على أساس أن الأول اجتماعى ، والآخر غريزى .. وبالتالى فان الانسان تسهل عملية تفاعله وكذلك تطبيعه .

والمبدأ الثانى الذى يمكن استنباطه ، هو اشارته بتنـــوع الحاجات الانسانية ، وهو فى هذا يتفق مع مدارس علم النفس الحديث وان كان قبلهم بمئات السنين ، ولا شك أن هذا المبدأ أساسيا فى عملية التفاعل الاجتماعى بين الكائنات البشرية .

والمبدأ الثالث : الذى نلاحظه هو اعترافه بالفروق الفردية بين الافراد، وجدير بالذكر أن هذا المبدأ من دعامات سيكولوجية التعلم فى العصر الحديث ، كما يجب أن نضعه فى اعتبارنا فى عملية التفاعل الاجتماعى أو أثناء عمليـــة التطبيع الاجتماعى .

جميع هذه المبادىء أشار اليها ابن سينا ضمنيا فى سياق كلامه الا أننا كدارسى لعلم النفس يجب علينا ان نكشف عن هذه المبادىء لنرى اتفاق تفكير هؤلاء العلماء مع ما توصل اليه علم النفس من نظريات من خلال الدراسات والابحاث التجريبية .

**ثانيا : منهجه فى عملية التطبيع الاجتماعى :**

يتعين على الوالدين آن يصطفيا للولد اسما مختارا ، حسن الوقـــع والصيغة،غير متنافر الحروف،بحيث لا يعرض الناشىء فيما بعد لهزءرفاقه، وان يختارا له ظئرا من ذوات العافية ، على سلامه من العقـــل والترصن فى الخلق . فالعناية بالولد اذا تكون منذ الولاده ، ثم يتعهده منذ الفطام بالتاديب ورياضة الاخلاق ترهيبا وترغيبا ، حمدا وتوبيخا ، واذا لم يكن من الضرب بد ، فليعمد اليه شريطة أن يجىء أوله قليلا موجعا .

ثم يستأنف ابن سينا البحث فى أصول ما ينبغى أن يطبع به الطفل ، وفى صفات المؤدب ، فيدرب الولد على حفظ طائفة من آيـــات القرآن الكريم والشعر الحكمى لتستقيم له مكارم الاخلاق ، ويكون المؤدب دينا قـــويم النفس ... الخ . ولشد ما يعنيه أمر الولد فى الكتاب ، حيث يجتمع مـــع الصحب على مباحث أو محادثة ، فيفيد منهم وهو عن رفيقه آخذ وبه أنس .

ثم يتتبع الناشىء فى بصيرة واعية ، متعقبا ميوله فى انتقاء المهنة التى

تحرره وتقوم بأوده • ويتنبه ابن سينا الى صعوبة ادراك هذه الميـــول فى الصبى ، وبالتالى الى صعوبة لمختيار المهنة ، لانها قائمة عـــلى تفهم الغوامض النفسية التى تدق على النظر وتلطف عن القياس ، وربما نافرت طباع الانسان جميع الآداب والصنائع ، فلم يعلق منها بشىء •

والحقيقة أن آراء ابن سينا سابقة الذكر ، اشتملت بحق على عديد من المبادىء والآراء النفسية ، والتى ان اتبعت فى ثنايا عملية التطبيع الاجتماعى توصلنا بالوليد الى بر الأمان النفسى ، وبالتالى نكون قد ساهمنا فى تنشئته تنشأه اجتماعية ونفسية سليمة ، وعموما فلقد احتوت هذه الكلمـــــات لابن سينا الافكار والآراء التالية :

١ ـ اختيار الإسم للطفل : وهذه نقطة جديره بالملاحظة ، حيث أن اســـم الفرد لا شك يلعب دورا أساسيا فى توافقه النفسى ، فلقد أشار ابن سينا بضرورة اختيار الاسم المناسب ، وهو بذلك قد سبق علمـــــاء النفس المعاصرين فى اشارته الى هذه النقطه ومدى أثرها فى التطبيع والتوافق النفسى للإنسان •

٢ ـ بداية عملية التطبيع كما أشار ابن سينا تبدأ منذ الميلاد ، وهـذا رأى يتفق فيه مع مدارس علم النفس فى أن تشكيل الوليد البشرى اجتماعيـــا ونفسيا يبدأ منذ الميلاد ، حتى اعتبر البعض أن الخمس سنوات الأولى من حياة الوليد ، هى الاساس الذى يوضع فيه شخصيته الكلية •

٣ ـ وابن سينا له رأيه الخاص فى العقاب ، فهو يبيحه كوسيلة للتطبيـــع الاجتماعى بشرط أن يكون أوله قليلا موجعا •• وبغض النظر عن صدق ذلك ، وعدم اتفاقه مع رأى الغزالى الذى سنشير اليه فى الصفحات التالية ، أو مع رأى ابن خلدون ، أو مع آراء بعض علماء النفس الحديث ، الا أن ما يعنينا هو انه قد أشار بالعقاب كوسيلة من وسائل التطبيع الاجتماعى •• وسنرجىء تفصيل ذلك الى الصفحات التالية •

٤ ـ ثم يستأنف البحث فى عملية التطبيع الاجتماعى ، فيشير ابن ســينا الى أن أول ما يعلم للطفل ينبغى أن يكون القرآن والشعر الحكمى ، حتى تستقيم للصبى مكارم الاخلاق ، ولا شك فانه محق فى قوله هذا •• حتى نستطيع أن ننشىء الطفل وفقا لاتجاهات وقيم خلقية •

٥ ـ واشترط ابن سينا أن يكون المدرس فى عملية التطبيع قدوه للتلاميذ فيجب أن يكون على دين ، قويم النفس ، ذو صحة نفسية سوية ، حتى ينعكس ذلك على تلاميذه •• وغير خاف علينا كيف يؤثر المدرس فى

بلاميذه ليس فقط من الناحية العقلية ، ولكن يؤثر فى شخصية التلميذ ككل. ولقد بينا فيما سبق نظريات القيادة وكيف يجب ان يتسم به القائد ، فالمدرس فى حبقته الامر قائد ولا يستطيع ان يعلم آخر ، ما لم يسلك وفقا لتعاليمه .. والحقيقة ان ابن سينا قد سبق النظريات الحديثة فى سيكولوجية القيادة فى اعتبارها المدرس كقدوه وكمثال للتقمص للتلاميذ حيث كثيرا ما يتطابق ويتماثل التلميذ مع مدرسه سواء كان فى سلوكه أو فى سمات شخصيته بصفة عامة ( انظر فصل التطبيع الاجتماعى ) .

٦ ـ كما أشار ابن سينا كذلك لمدى تأثير جماعة الرفاق فى عملية التطبيع الاجتماعى ، اذ نراه يقول : « فهو عن رفيقه آخذ وبه آنس » كلمات قليلة الا أنها تحتوى على معان كثيرة .. فلقد رأينا فى الفصل السابق عن عملية التطبيع الاجتماعى ، كيف أن جماعة الرفاق تؤثر تأثيرا حيويا فى هذه العملية ، ولم يخف ذلك على ابن سينا ، فأشار الى أننا يجب أن ننتقى الصحبه لأولادنا ، حتى نعمل على تطبيعهم تطبيعا اجتماعيا مرغوبا فيه .

٧ ـ بالاضافة الى أنه تطرق الى ميدان علم النفس الصناعى أو المهنى ، حيث أبان كيف تؤثر المهنة فى التوافق النفسى للانسان ، وكيف يشق على الانسان خاصة فى بداية أعترافه بالعمل ، اختيار المهنة ، ولابد له من النصح والارشاد خاصة فى بداية الطريق ، وعلى الكبار العمل على كشف ميول الصبى وتوجيهه بما يتفق مع هذه الميول .

٨ ـ وابن سينا فى اشارته الى أن المهنة قائمة على تفهم الغوامض النفسية التى تدق على النظر وتلطف عن القياس .. كان سباقا الى ذلك ، فكثير من الشباب ممن ينساقون الى مهنة معينة لبريقها أو شهرتها ، بغض النظر عما يمتلكونه من سمات وميول تتفق وهذه المهنة والنتيجة التى نلاحظها هى عدم التكيف النفسى فى داخل العمل .

٩ ـ كما أن ابن سينا أشار الى الثواب والعقاب كوسيلتين من وسائل التطبيع الاجتماعى ، يجب أن يستعملا بحكمه مع الصبى حتى نسهم فى تنشئته ، وفى هذا يقول :

«انه يجب البدء بتربية الطفل وتعويده الخصال الحميدة قبل أن ترسخ فيه العادات القبيحة ، لان من الصعب أن يتخلص منها اذا اعتادها ، وتمكنت من نفسه ، واذا اضطر المربى الى الالتجاء الى العقوبة ، وجب عليه أن يحتاط كل الحيطة ، ويتخذ الحكمة فى تحديدها ، ولقد نصح ألا يعامل المعاقب بالشدة والعنف فى البدء ، بل باللين واللطف ، ويستعمل معه الترغيب تاره

والتخويف تاره أخرى ، ويستخدم العبوس والتأنيب اذا اقتض الامر ، وأحيانا يكون النصح والتشجيع أو المدح أجدى أثرا فى الاصلاح من التوبيخ والتأنيب ، ومعنى ذلك أن يعامل كل طفل وكن حاله على حده ويعالج كل داء بما يصلح له من دواء » ٠

وإذا اضطر المربى الى معاقبة التلميذ فان ابن سينا ، يرى ألا يلجأ الى العقوبة الا عند الضرورة ، ولا يلجأ الى الضرب الا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء ، لاحداث الاثر المطلوب فى نفس الطفل ، على أن تكون الضربات الأولى موجعه ، حتى تحدث فى نفس الطفل الاثر اللازم ، ولا تجعله ينظر الى عقابه بعين الحب ، فاذا كانت الضربات الأولى غير موجعه فان الصبى يعد الضربات كلها هينة ، وينظر الى العقاب نظرة استخفاف (١) ٠

ونلاحظ على أقوال ابن سينا فى تأثير كل من الثواب والعقاب على عملية التطبيع الاجتماعى النقاط الآتية :

( أ ) ان عملية التطبيع يجب أن تبدأ مع بداية مولد الوليد البشرى ٠

(ب) اذا اضطر المربى الى استخدام العقوبة ، وجب عليه أولا استخدام جميع أنواع الثواب التى يستطيع من خلالها تدعيم السلوك المرغوب فيه، واذا لم يجد وسيلة غير العقاب ، فابن سينا ينصح بالتدرج فيه ، بمعنى أن يكون عقابا معنويا فى البداية ويتدرج به الى أن يصبح عقابا ماديا ٠٠ ونجده فى ذلك يتفق مع مدارس علم النفس المعاصرة فى استخدام الثواب والعقاب تدريجيا حتى تتم عملية التعلم ٠

(جـ) ولا نتفق مع ابن سينا فى آرائه عن العقاب كوسيلة للتطبيع الاجتماعى ، حيث نرى قوله ان تكون الضربات الأولى موجعة وذلك لان ايلام الطفل قد يؤثر فى نفسيته وقد يضر جسمه ومن الخير أن نبحث عن الباعث الذى دفع الطفل الى ارتكاب الذنب ونتدارك هذا الباعث ، ونعمل على اصلاحه بطريقة اخرى غير الضرب الموجع (٢) ٠

---

(١) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، مطابع الحلبى بالقاهرة ، ١٩٧٥ ص ٢٣٠ ٠

(٢) عادل عز الدين الاشول : عملية التطبيع الاجتماعى عند مفكرى الاسلام وعلم النفس الحديث ندوة علم النفس والاسلام ، الرياض ، ١٣٩٨ هـ ص ٧ ٠

## المعلم والتطبيع الاجتماعي عند ابن سينا :

أشار ابن سينا أنه ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلا ذا دين ، بصيرا برياضة الاطفال ورياضة الاخلاق ، حاذقا بتخريج الصبيان وقورا مهذبا ، غير كز ولا جامد ، لبيبا ذا مروءة ونظافة ونزاهة .

ونظرة سريعة الى أقوال ابن سينا في السمات التي يجب أن يتحلى بها المعلم حتى يستطيع أن يكون عاملا من عوامل تطبيع تلاميذه . حيث يشترط أن يكون المعلم عاقلا ، حكيما حسن التصرف ، سديد الفكر ، صائب الرأى ، ليس بطائش وشديد الانفعال . لان مثل هذا النمط لا يصلح في معاملة الاطفال ولا في تطبيعهم اجتماعيا .

وجدير بالذكر أن نظريات سيكولوجية القيادة ، لم تخرج عن هذا المضمون الذى أشار به ابن سينا فى واجبات المعلم وسماته النفسية حتى نستطيع أن نطمئن الى قيادته فى المجال التربوى .

## جماعة الرفاق وعملية التطبيع الاجتماعي :

يرى ابن سينا أن يكون الصبي في مكتبه مع صبية حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم ، لان الصبي عن الصبي القن ، وهو عنه آخذ وبه آنس .

فابن سينا يرى أن القدوه الحسنه ، وأثر عملية التقليد والمحاكاه فى التطبيع الاجتماعى ، وذلك لان الطفل يحاكي غيره من الاطفال في أقوالهم وافعالهم وسلوكهم .

فبالقدوه الحسنة يمكننا ان نبث في الاولاد أحسن العادات واكرم الاخلاق ، ونغرس في نفوسهم الفضيلة ، وننفرهم من الرذيلة .. ويستطرد ابن سينا في أن اجتماع الطفل مع اقرانه ، يرى فيهم ما يثير حماسته فيندفع الى اللحاق بهم ليبلغ شأوهم في الفهم والادراك .. وفى ذلك يقول :

ان المحادثة تفيد انشراح العقل . وتحل مسعقد الفهم ، لان كل واحد من اولئك انما يتحدث باعذب ما راى ، واغرب ما سمع ، فتكون غرابة الحديث سببا للتعجب منه . والتعجب منه سببا لحفظه ، وداعيا الى أن يسلك به . ثم انهم يترافعون ويتعارضون وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة ، وفى ذلك تهذيب لاخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم .

والمتأمل فى اقوال ابن سينا يرى أنه أشار الى أهمية مبـــدأ التقمص والتقليد والمحاكاة فى عملية التطبيع الاجتماعى ، وأبان أهمية جماعة الرفاق فى ذلك ٠

**الثواب والعقاب وعملية التطبيع الاجتماعى :**

ولا ينسى ابن سينا وهو يقرر كيف نعمل على تنشئة أطفالنا ان يحدثنا عن أرائه فى عملية الثواب والعقاب ٠٠ اذ يقول :

« أنه من الضرورى البدء بتهذيب الطفل وتعويده ممدوح الخصـــال منذ الفطام، قبل أن ترسخ فيه العادات المذمومة، واذا اقتضت الضرورة الالتجاء الى العقاب ، فانه ينبغى مراعاة الحيطة والحذر ، فلا يوخذ الوليد أولا بالعنف ، وانما بالتلطف ، ثم تمزج الرغبة بالرهبة وتارة يستخدم العبوس أو مـــا يستدعيه التأنيب ، وتارة يستخدم المديح والتشجيع أجدى من التأنيب وذلك وفق كل حالة خاصة ، ولكن اذا أصبح من الضرورى الالتجـــاء الى الضرب ، فينبغى الا يتردد المربى ، على أن تكون الضربات الأولى موجعه ٠٠٠ الخ ٠

والمتأمل لأراء ابن سينا فى عملية التطبيع الاجتماعى ، يجد أنه شارك أراء المفكرين فى القرن العشرين مثل روسو وفروبل وبستالوتزى وسبنسر وديوى وأدلر بمناداتهم بالعناية فى تطبيع الطفل منذ سنوات حياته الأولى ٠ كما شارك أصحاب نظرية التعلم الشرطى فى كيفية استعمال الثواب والعقاب كوسائل للتعلم ٠

كما أن لابن سينا أراء فى العلاج النفسى ، اذ نجده كطبيب عالج حالات نفسية ونجح فيها ، وله قواعده وأراؤه فى العلاج النفسى الاجتماعى ، وهو فى ذلك سبق مدارس العلاج النفسى الاجتماعى الحديثة ٠٠ ومما يروى عن حالات ابن سينا المرضية ، أن مريضا من الامراء عرض عليه بعد أن أعيا الاطباء أمره ، فلما رآه وتحدث اليه فى مرضه تبين للشيخ الرئيس أن الامير مصاب بالاكتئاب النفسى ، بسبب حبه ، الا أن المريض لم يرضى أن يبوح لطبيبه باسم محبوبته، ولما عرف ابن سينا أن شفاء المريض متوقف على معرفة اسم من يحبها ، كى يزيل ما بينه وبينها من وجدانات وعواطف كامنة فى نفســـه ، قد ارتبطت بتلك المحبوبة ٠ صمم على معرفة اسمها ، ومن تكون هى وبأى طريقة ، وقد تجلت عبقرية ابن سينا ، فامر باحضار أكبر رجال مدينة الامير سنا ، ثم أخذ يناقشه الى أن وصل الى معرفة اسم الفتاة التى يحبها الامير ، وكان يخفى اسمها ٠

وفى أثناء هذه المحاوره مع الرجل المسن ، كان ابن سينا قابضا على ذراع

المريض ، متتبعا نبضه • وكان نبض المريض يشتد كلما اقترب ابن سينا من التعرف على الفتاة • وحينما عرف الاسم ازداد نبض المريض بسرعة • وقد تبين من ذلك أن التى يحبها الامير هى ابنة عمه ، واخيرا عمل أهله على أن تزف اليه وبذلك شفى الامير •

وهذه مجرد حالة بسيطة ، تدل على أن ابن سينا كان على دراية بالعلاج النفسى والاجتماعى ، وكذلك بالتحليل النفسى •

## رابعا : آراء للغزالى فى موضوعات

## علم النفس الاجتماعى

## ( ٤٥٠ : ٥٠٥ هـ ، ١٠٥٨ : ١١١١ )

هو ابو حامد محمد بن محمد الغزالى ، حجة الاسلام ، وشيخ الصوفيين وامام المربين ، وصاحب كتاب احياء علوم الدين ، ولد فى عام ٤٥٠ هـ وتوفى فى ٥٠٥ هـ • وترك الغزالى ثروة علمية روحية دينية ، والف اكثر من سبعين مؤلفا فى فقة الشافعية والمناظرة والدفاع عن الدين الاسلامى والـــرد على الفلاسفة ، وأحسن مؤلفاته وأوسعها انتشارا هو احياء علوم الدين ، وعليه سنعتمد فى استخراج أراء الامام الغزالى فى علم النفس الاجتماعى •

اهتم الامام الغزالى بكثير من الموضوعات التى تتصل من قريب أو من بعيد بموضوعات علم النفس بصفة عامة ، وعلم النفس الاجتماعى بصـــفة خاصة •

### اولا : عملية التطبيع الاجتماعى عند الغزالى :

اشار الغزالى فى مؤلفة « احياء علوم الدين » الى كيفية تطبيع الوليـــد البشرى ، فيشير اول ما يشير الى الواجب فى تعويد الطفل العادات الحميدة منذ الصغر ، حتى يعتادها فى الكبر •• ويقول فى ذلك :

« اعلم ان الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الامور واوكدها ، فالصبى امانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهره نفيسة ، فان عود الخير وعلمه • نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائـم شقى وهلك • فيجب ان يؤدب ويهذب ويعلم محاسن الاخلاق ، وأن يحفظ

من قرناء السوء ، والصبى المستحى لا ينبغى أن يهمل بل يستعان فى تاديبه بحيائه وتمييزه ، وان الصبى اذا أهمل فى ابتداء نشأته خرج فى الأغلب ردىء الاخلاق ، وعندما يظهر من الصبى خلق جميل وفعل محمود ، فانــــه ينبغى أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح ، وان خـالف ذلـــك فى بعض الاحوال مرة واحدة ينبغى أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا نكاشفه ، وان عاد ثانية ، فينبغى أن يعاقب سرا ، ويقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا فتفتضح بين الناس ... » (١) .

ويستطرد الغزالى بقوله على المؤدب ألا يكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين ، فانه يهون عليه سماع الملامه وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه ، وليكن حافظا هيبة الكلام معه ، فلا يوبخه الا احيانا ، والأم تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح ، ويعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ، ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشىء مما يملكه والده ، بل يعود التواضع ، واكرام كل من عاشره والتلطف فى الكلام معهم .

ويعلم أن الرفعه فى الاعطاء ، لا فى الاخذ ، وأن الأخذ لؤم وخسه ودناءه ، وان كان من أولاد الفقراء ، يعلم أن الطمع والأخذ مهانه وذله ، وان ذلك من دأب الكلب ، فانه يبصبص فى انتظار لقمته والطمع فيها .

وينبغى أن يعود ألا يبصق فى مجلسه ، ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ولا يستدبر غيره ، ولا يضع رجلا على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده ، فان ذلك دليل الكسل ، ويعلم كيفية الجلوس ، ويمنع كثرة الكلام ، ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحه ، ويمنع الحلف رأسا ، صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك من الصغر .

ويمنع أن يبتدء الكلام ، ويعود الا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال ، وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هم أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ، ويجلس بين يديه ، ويمنع من لغو الكلام وفحشـــه ، ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة من يجرى على لسانه شىء من ذلك ، فان ذلك يسرى لا محاله من قرناء السوء ، وأصل تأديب الصبيان ، الحفظ من قـــرناء السوء .

---

(١) محمد بن محمد الحسينى الزبيدى : احياء علوم الدين . احيـاء التراث العربى ، لبنان بيروت ، المجلد الأول ، وظائف المعلم المرشـــد : ص ٣٣٤ : ص ٣٤٥ .

وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلميه ومؤدبه ، وكل من هم أكبر منه سنا من قريب وأجنبي ، وعندما يبلغ سن التمييز ينبغي الا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان .

فأوائل الامور هي التي ينبغي أن تراعى ، فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر معا ، وانما أبواه يميلان الى أحد الجانبين وكما قال سيد المرسلين وخاتم النبيين : « كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه » (١) .

وجدير بالذكر فان أقوال الغزالي سابقة الذكر ذات اهمية في علم النفس المعاصر ، فلقد أشار اليها علماء النفس الاجتماعي ، وسيكولوجية النمو والصحة النفسية .. فالغزالي ينصح الطفل من قرناء السوء ويقول أن الوقاية خير من العلاج ، وأن عملية التطبيع هذه من أهم الامور وأوكدها وأن الطفل أمانة في عنق والديه وقلبه الطاهر قابل للخير والشر معا . كل هذه الافكار سبق بها الغزالي علماء النفس المعاصريين في اشارتهم أن جماعة الاقران تؤثر في تطبيع الوليد البشري ، ولقد أشرنا الى دراسة أماتورا Amatora ودراسة برندا Brenda ، وغيرهم كثير والتي القت الضوء على أهمية جماعة الاقران في التطبيع الاجتماعي (٢) . كما أن الغزالي في اشارته بأن الطفل جوهرة نفيسه ، قابل للخير والشر ، كان سباقا لكل من جان جاك روسو ، وجون لوك وكثير أخرون في قولهم بأن عقل الطفل صفحة بيضاء ، تنقش عليها البيئة المحيطة خيرا كان أم شرا .

واشارة الغزالي الى أن أهم مرحلة في عملية التطبيع الاجتماعي هي — مرحلة الطفولة — فهو في ذلك يتفق مع كثير من مدارس علم النفس المعاصرة، سواء التحليلية أو السلوكية . فاذا اهمل الطفل في بدء حياته خرج في الاغلب فاسد الاخلاق ومن السهل أن يحفظ من جميع هذه الصفات الذميمة بحسن تنشئته وتطبيعه .

وعموما فيمكن ايجاز أراء الغزالي في النقاط التالية :

---

(١) احياء علوم الدين : المجلد السابع ، بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول المنشور روجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم : ص ٣٦٢ : ص ٣٦٨ .
(٢) أنظر فصل التطبيع الاجتماعي « الفصل الثامن »

**١ ـ الاهتمام بالسنوات الأولى للوليد البشرى :**

ذهب الغزالى الى أن السنوات الأولى من حياة الوليد البشرى هى السنوات التى فى خلالها تتشكل شخصيته بصفة عامة ٠٠ وفى ذلك يشير :

« أعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما ينقش ، ومائل الى كل ما يمال به اليه ، فان عود الخير وعنمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة ، وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له (١) ٠٠

والغزالى فى اشارته السابقة يتفق مع علماء النفس المعاصرين فى أن الطفل يولد على الطبيعة ، قابلا للخير والشر ، مستعدا للفضيلة والرذيلة والبيئة هى التى تضع بصمات السوية أو اللاسويه عليه ٠٠ كما انه وجد حلا لمسألة البيئة والوارثة والتى ما زالت مثارا للجدل والخلاف بين مدارس علم النفس ــ كما أنه على اتفاق مع ما أشار اليه كل من الكن Elkin وشريف وشريف Sherif & Sherif ( ١٩٥٦ ) ، ونيوكومب Newcomb (١٩٥٩ ) فى عملية التطبيع الاجتماعى ، كما أن الغزالى سبق بعض مدارس علم النفس خاصه التحليلية فى اعتبارها أن الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل هى الأساس الذى يوضع فيه عملية تطبيعه وتشكيله نفسيا واجتماعيا ، بالاضافة الى أنها الركيزة الأساسية لتكوين ونمو شخصية الوليد البشرى ٠

**٢ ـ صيانة الصبى من قرناء السوء :**

يشير الغزالى بأنه يجب حفظ الصبى مما يضره فى الدنيا والآخرة ويكون ذلك عن طريق تطبيعه وتهذيبه وتفهيمه فى الوقت المناسب ، الاخلاق الكريمة ومحاسنها والاخلاق السيئة ونتائجها ٠ كما يرى حفظ الصبى من أقرناء السوء والعابثين فى الطرق ٠

ونرى الغزالى فى تطبيعه للصبى للحياة التى تنتظره ، وتشجيعه على اللحاق بالكشافة والحياة العملية وتحمل متاعب الحياة ، فلا يعوده الأب حياة النعيم والزينة والرفاهية فى الصغر كى لا يشقى اذا طلبها ولم يجدها فى الكبر ٠

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٦٥

والقدوة الحسنة لها أثرها فى التطبيع ، وكذلك القدوة السيئة لها كذلك . ولذلك يشير الغزالى الى اختيار البيئة التى يتصل بها الطفل اذ يقول :

« ونرى ابعاد الصبى عن الصبيان المنعمين المترفين الذين يلبسون الفاخر من الثياب ، لأن النعيم والترف والرفاهية لا تليق بالانسان ولا تدوم. فالطفل يجب أن يعد للحياة وما فيها من سعادة وشقاء ، يجب أن يعتاد ما اعتاد الكشاف من البساطة فى المعيشة والملابس والحياة فى الحر والبرد والنور والظلام . ونرى الا يسمح له بمخالطة هؤلاء المدللين من الاطفال لأنهم لا يصلحون للحياة التى تنتظرهم ، فقد وجدوا الحياة سهلة ميسرة لهم ، كلها نعيم ورخاء واعتمدوا على ثروة آبائهم وأمهاتهم ، فناموا واستعذبوا النوم ، وصارت حياتهم كلها حياة كسل وخمول ، وجعلوا ليلهم نهارا ونهارهم ليلا ، ففسدت أخلاقهم ، وأصبحوا جرثومة من الفساد (١) ..

### ٣ ـ تشجيع الأطفال على الأخلاق الحميدة :

يرى الغزالى استعمال وسائل التشجيع والمديح فى عملية التطبيع الاجتماعى ، حيث نجد يقول :

« اذا ظهر من الصبى خلق جميل ، وفعل محمود ، فانه ينبغى أن يكرم عليه ، ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح أمام الناس لتشجيعه على الاخلاق الكريمة والافعال الحميدة ، فاذا حدث منه ما يخالف ذلك ، وستره الصبى واجتهد فى اخفائه ، تغافل عنه المربى وتظاهر بأنه لا يعرف شيئا مما فعل حتى لا يخجله .. فان عاد ثانية الى الخطأ عوقب سرا ، وبين له نتيجة خطاه ، وأرشد الى الصواب وحذر من العودة الى مثل هذا الخطأ خوفا من أن يفتضح أمره بين الناس » ..

ويعد الغزالى فى رايه السابق هذا ، حكيما ، عالما بنفسية الاطفال وميولهم ورغباتهم وطريقة تطبيعهم ، فان كلمة ثناء أو تشجيع للطفل كثيرا ما تعوده على الخلق الكريم والطريق المستقيم ، وان التغافل عنه وتجاهل خطئه فى المرة الأولى لدليل على حكمة الغزالى وبعد نظرة فى المحافظة على احساسيس الطفل ومشاعره ومعاتبته سرا وتفهمه اثر فعله وتحذيره من تكرار الخطأ ، هذه الوسيلة تعد من أحسن الطرق التى نستطيع بها مزاولة عملية التطبيع الاجتماعى فى الاتجاه المرغوب فيه .. ولقد نادى الغزالى بهذا

---

(١) محمد عطيه الابراشى : مرجع سابق ، ص ٣٣ .

أكثر من تسعمائة سنة خيث اعتقد أن الطفل يملك بحسن المعاملة ، ويتأثر كل التأثر بالتشجيع ، وهو قابل لأن يفهم كل شيء ولكنه في حاجة الى من يفهمه ويفهمه ، ويشجعه ويحسن معاملته ·

المبدأ ـ الثواب والعقاب ـ والذى تجده الان فى مؤلفات علم النفس ـ منذ

## ٤ ـ استعمال اللوم والتوبيخ فى العقاب بحكمة :

يشير الغزالى الى ذلك المبدأ الذى تأكد فى أحضان الدراسات النفسية الاجتماعية اذ يقول :

« لا تكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين ، فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ، ويسقط وقع الكلام من قلبه ، وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه ، فلا يوبخه الا أحيانا ، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح » ·

وهذه خير نصيحة للآباء والأمهات وأيضا للمدرسين ، فالغزالى ينبه الى عدم الاكثار من العقاب كى يكون للوم اثر فى نفوس الاطفال، فلا يعاقب الطفل على كل صغيرة وكبيرة حتى لا يظهر العناد ، والسير فى الطريق المضاد ·

وجدير بالذكر فان هذا المبدأ « الافراط فى العقاب » قد تأكد فى ثنايا تجارب علم النفس المعملى على الحيوانات ، بالاضافة الى انه قد ثبت على الانسان ، بأن العقاب المستمر له يؤدى الى الطريق المعاكس أو غير المرغوب فيه ، بالاضافة الى خلق شخصية غير سوية ·

## ٥ ـ منعه من أن يفعل الشىء خفية :

وينبغى أن يمنع الطفل من كل ما يفعله خفية ، فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد أنه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبح ·

ويقصد الغزالى بهذا أن نعود الطفل الصراحة والشجاعة ، بحيث يظهر ما يبطن ، ولا يخفى شيئا مما يفعله ، فان الطفل لا يخفى شيئا عن ابوه أو أمه ، الا اذا كان يعتقد أن هذا الأمر قبيح واذا ترك وحده يفعل الأشياء القبيحة فى الخفاء ، اعتاد عادة سيئة قبيحة ، يصعب التخلص منها فيما

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٧ ·

بعد . وبالتالى يجب أن نعوده الصدق والأمانة وعدم الالتواء فى الفكر والعمل ، بحيث يظهر ما فى نفسه بغير لف ودوران ، وبالتالى تكون أعماله متفقة مع أقواله .

**٦ ـ كيف يعامل اقرانه :**

**يشير الغزالى فى ذلك بقوله :**

« يمنع الصبى من ان يفتخر على اقرانه بشىء مما يملكه والده ، او من مطاعمه وملابسه ، بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف فى الكلام معهم » .

ونرى الغزالى فى منعه للطفل من التفاخر على زملائه حتى يعود التواضع مع أقرانه ومعاشريه والتلطف معهم .

**٧ ـ الزهو والرفعة فى العطاء لا الأخذ :**

ينبغى أن يعلم الطفل أن الرفعة فى العطاء لا فى الأخذ وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة » . (١)

ويذهب الغزالى فى رأيه هذا الى أن عملية التطبيع الاجتماعى لا تستقيم الا بالاخلاق الكريمة ، فيجب أن نعود الطفل الغنى ، الزهد ونبث فى نفسه أن الرفعة فى اعطاء المحتاجين والاحسان اليهم ، ونعلم الطفل الفقير عزة النفس والاباء .

**٨ ـ اطاعة والديه ومعلمه ومؤدبه :**

« ينبغى أن يعلم الطفل طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هم أكبر منه سنا من قريب أو أجنبى ، وأن ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم » (٢) ..

---

(١) محمد بن محمد الحسين الزبيرى : أحياء عنوم الدين ، المجلد السابع : بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول النشور ووجه تأديبهم « وتحسين أخلاقهم » ص ٣٦٢ : ص ٣٦٨ .

(٢) محمد بن محمد الحسين الزبيدى : احياء علوم الدين . المجلد الأول « فى آداب المتعلم » ص ٣٠٥ : ص ٣٠٦ .

ونرى الغزالى فى ذلك ينطلق من القيم الاسلامية فى احترام الكبير والعطف على الصغير ، حتى نستطيع أن نطبع الوليد وفقا للقيم الاسلامية والتى لا تتنافى مع القيم الدينية الأخرى ·

## ٩ ـ اللعب الجميل :

ويشير الغزالى الى أهمية اللعب على نفسية الطفل وكيف نستطيع عن طريقه أن نعمل على تشكيل شخصيته · وان ننمى لديه بعض المهارات الجسمية والحركية اللازمة لنموه الجسمي والعقلى والاجتماعى معا · والجدير بالذكر ان مدارس علم النفس فى اشاراتها الى سيكولوجية اللعب لم تخرج فى مفاهيمها عما جاء به الغزالى ، اذ يشير :

ينبغى أن يؤذن للصبى بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا ، يستريح له من تعب الكتب ، بحيث لا يتعب فى اللعب · فان منع الصبى من اللعب ، وارهاقه فى التعلم فان ذلك يميت قلبه ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا (١) ·

## والمعلم وعملية التطبيع الاجتماعى

راينا فى الفصل السابق عن التطبيع الاجتماعى ان المدرس يقوم بدور فعال فى هذه العملية ، اذ كثيرا ما يتخذ كقدوة وكمثال للتقمص من قبل التلاميذ ، فان صلحت القدوة كانت عملية التطبيع صالحة والعكس بالعكس· ولا نغالى ان قلنا أن العملية التربوية بكليتها تتمركز حول المعلم وشخصيته ولقد أدرك علماء الاسلام أهمية المعلم فى العملية التربوية وكذلك فى عملية التطبيع الاجتماعى · فهذا الغزالى مثلا يشير الى المعلم بأنه عنصر أساسى من عناصر هذه العملية ، ويذكر عدة واجبات يجب على المعلم مراعاتها فى ثنايا عملية تطبيعه لأولاده التلاميذ ، حتى يكون عنصرا فعالا فى هذه العملية التربوية النفسية ، ويمكن أن نوجز اهم هذه الواجبات فى نظر الغزالى فيما يلى :

١ ـ أن يشفق على المتعلمين ويجريهم مجرى بنيه ·

٢ ـ الا يدع من نصح المتعلم شيئا · بل ينتهز كل فرصة لنصحه وارشاده ·

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠٦ ·

٣ ـ أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ • فالغزالى ينصح هنا بالزجر بالاشارة والتلميح لا بالتصريح اذا حدث من المتعلم ما ينافى الاخلاق ، مع مراعاة الرأفة والرحمة فى زجره •

٤ ـ أن يرعى مستوى الأولاد من الناحية العقلية ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ولا يلقى عليهم أشياء فوق مستوى ادراكهم حتى لا ينفروا التعلم ، ويتخبطوا فيما لا يفهمون •• وهذا خير مبدأ فى علم النفس الفارقى فى علم النفس الحديث •

٥ ـ ينبغى أن يلقى المتعلم القاصر « الضعيف » ، ولا يذكر أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه ، حتى لا تفتر رغبته ويضطرب عقله • ويقصد الغزالى من ذلك مراعاة مستوى الضعفاء من المتعلمين ، واختيار المادة السهلة الواضحة التى تناسبهم ، ويجب ألا يشعرهم بأنهم ضعفاء أو قليلى الذكاء ، حتى لا يؤثر فى نفوسهم تأثيرا سيئا ، فان هذا النوع من الايحاء مضر بهم •

والجدير بالذكر أن فى كلام الغزالى هذا مراعاة لمبدأ الفروق الفردية ، بالاضافة الى مراعاة الصحة النفسية للتلميذ ، حيث نجده يشير بأننا يجب ألا نلوم التلميذ الضعيف حتى لا يكره المدرسة وما بداخلها ، مع تقديرنا للتلميذ الذكى •

٦ ـ أن يعمل المعلم بعلم ، فلا يكذب قوله فعله ، وأن يكن نصب عينيه قول الله عز وجل •• أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم •• كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (١) ••

ونجد الغزالى هنا يشير الى أهمية القدوة فى داخل المجال التربوى ، فان المعلم القائد يجب أن يتفق فعله مع قوله ، حتى يستطيع أن يغرس فى تلاميذه ما ينادى به ، كما يجب ان تكون اتجاهاته اللفظية مسايرة لاتجاهاته العملية وأنماط سلوكه الفعلية ، حتى يستطيع أن ينمى الاتجاهات والانماط السلوكية المرغوب فيها عند الناشئة ، وليكن مرشدا له فى ذلك ما قال المصطفى الكريم :

« لا يكون المرء عالما ، حتى يكون بعلمه عاملا » •

« ومن ازداد علما ولم يزدد هدى ، لم يزدد من الله الا بعدا » •

صدق الرسول الكريم •• خير معلم للبشرية جمعاء •

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٢ •

٧ ـ يجب على الطالب أن يتفرغ لطلب العلم ، لأن العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كل وقتك وتفكيرك ٠

٨ ـ ألا يتكبر المتعلم على المعلم ، ويجب أن تكون الصلة حسنة بين المعلم والمتعلم ، فان الحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ٠٠ ولا ينال العلم الا بالتواضع والانتباه والقاء السمع ٠

٩ ـ الا يخوض المتعلم فى فن من الفنون العلمية ٠ دفعةواحدة، بل يراعى الترتيب ، ويبتدىء بالأهم ، فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا ، فالحزم ان يأخذ من كل شىء احسنه ٠

١٠ ـ ألا يخوض المتعلم فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله ، فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا ، وبعضها طريق الى بعض ٠

هذه جملة الصفات التى يجب أن يتحلى بها المدرس ، باعتباره قائدا فى المجال التربوى ، بالاضافة الى أنه قدوة ومثال يحتذى به من قبل تلاميذه ٠٠ واشارات الغزالى هذه تتفق مع نتائج الدراسات التجريبية فى علم النفس المرتبطة بسيكولوجية القيادة ، وعملية التطبيع الاجتماعى ٠

ولنتأمل نصيحة الغزالى الى أحد تلاميذه ، فانها تحتوى على آراء جوهرية فى عملية التطبيع الاجتماعى ٠٠ كما أنها تتسق مع نظريات علم النفس الحديثة ٠٠ فنجده يقول لأحد تلاميذه الذى بعث برسالة يطلب النصيحة فيقول اليه :

ـ **العمل والعمل** : ايها الولد : النصيحة سهلة والمشكل قبولها لانها مذاق متبقى الهوى مره ، اذ المناهى محبوبة الى قلوبهم ٠ وعلى الخصوص لمن كان طالب العلم الرسمى ٠ ومشتغلا فى فضل النفس ومناقب الدنيا ، فانه يحسب أن العلم المجرد له ستكون نجاته ، وخلاصة فيه ، وانه مستغن عن العمل ٠ لا يعلم هذا المغرور أنه حين حصل العلم اذا لم يعمل به تكون الحجة عليه أكثر ٠ وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أشد الناس عذابا يوم القيامة ؛ عالم لا ينفعه الله بعلمه » ٠

أيها الولد : العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لا يكون ، واعلم أن العلم لا يبعدك اليوم عن المعاصى ٠ ولا يحملك على الطاعة ٠ ولن يبعدك غدا عن نار جهنم ، واذا لم تعمل اليوم ولم تتدارك الأيام الماضية ، تقول غدا

يوم القيامة ، فارجعنا نعمل صالحا .. فيقال : يا أحمق أنت من هنـــاك تجيء .

ويستطرد الغزالي في قوله :

**العلم والخلق :** بعض مسـائلك قد ذكرناها في أحيـــاء علوم الدين ونذكر هاهنا نبذا منه ونشير اليه فنقول : وقد وجب على السالك اربعـــة أمــور :

**الأول منها :** اعتقاد صحيح لا يكون فيه بدعة .
**والثاني :** توبة نصوح لا يرجع بعدها الى ذله .
**والثالث :** استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لاحد عليك حق .
**والرابع :** تحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدى به أوامر الله تعالى:

أيها الولد اني انصحك بثمانية اشياء ، اقبلها مني لئلا يكون علمك خصما عليك يوم القيامة ، تعمل منها أربعة وتدع منها أربعة :

١ ــ **ترك المناظرة :** اما اللواتي تدع ، فأحدها ان لا تناظر احــد في مسـألة ما استطعت ، لأن فيها آفات كثيرة فاثمها أكبر من نفعها ، اذ هي منبع كل خلق ذميم . واعلم أن العالم الناقص لا يحسن المعالجة ، والعـالم الكامل لا يعالج كل مريض ، بل يعالج من يرجو فيه قبول المعـالجة والصلاح .

٢ ــ **الاتعاظ قبل الوعظ :** والثاني فيما تدع ، هو أن تحذر من ان تكون واعظا ومذكرا ، لأن فيه آفات كثيرة . الا أن تعمل بما تقول أولا ، ثم تعظ به الناس .

٣ ــ اعتزال العظماء ورفض عطائهم : والثالث مما تدع ، ألا تخالط الأمراء والسلاطين ولا تراهم ، لأن رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة . ولو ابتليت بها ، دع عنك مدحهم وثنائهم ، لأن الله يغضب اذا مدح أو شكر غيره .

٤ ــ والرابع مما تدع ، **الا تقبل شيئا من عطاء الامراء وهداياهم** ، وان علمت أنها من الحلال ، لأنه يتولد منه المداهنة ومراعاة جانبهم والموافقـة على ظلمهم ، وهذا كله فساد في الدين (١) .

---

(١) كمال اليازجي وآخر : أعلام الفلسفة العربية . لبنان ــ دار الكشوف للطباعة والنشر ، مكتبة أنطوان ــ ١٩٧٥ ، ص ٢١٠ ، ص ٢١١ .

٥ ـ **عامل كما تود ان تعامل** : واما الاربعة التى ينبغى لك أن تفعلها :

**فالأول** : أن تجعل معاملتك مع الله تعالى ـ بحيث لو عاملك بهـــا عبدك ، ترضى بها منه ، ولا يضيق خاطرك عليه ، ولا تغضب ، فالذى لا ترضى لنفسك من عبدك المجازى ، فلا ترضى أيضا للـه تعالى وهو سيدك الحقيقى .

**والثانى** : كل ما عملت بالناس ، اجعله كما ترضى لنفسك منهم ، لانه لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب نفسه .

**والثالث** : اذا قرات العلم وطالعته ينبغى ان يكون علمك يصلح قلبك ويزكى نفسك .

**والرابع** : ان لا تجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة .

أيها الولد : انى كتبت فى هذا الفصل ملتمساتك ، فينبغى لك ان تعمل بها ولا تنسانى من أن تذكرنى فى صلح دعائك (١) .

والمتأمل فى هذه الرسالة ، يلاحظ كثيرا من المبادىء النفســية التى ذكرت فى نظريات علم النفس ، كما نجد فيها خطوات هامة لعملية التطبيـــع الاجتماعى للوليد البشرى .

**ـ الثواب والعقاب وعملية التطبيع الاجتماعى :**

يرى الغزالى أنه يجب على المربى أن يعرف نوع المرض وسن المريض فى حالة تأديب الاطفال وتهذيبهم ـ لان المعلم فى وجهة نظرد كالطبيب ـ لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد ، قتل أكثرهم وأمات قلوبهم .. ومعنى هـذا فى نظرنا ان يعامل كل طفل المعاملة التى تلائمه ويبحث عن الباعث الذى أدى به الى الخطأ وعن سن المخطىء ، ويفرق بين الصغير والكبير فى التاديب والتهذيب ، ويكون المربى كالطبيب الماهر الذى يفحص عـن علة المريض ويشخص مرضه ، ويصف له العلاج الذى يناسبه .

كما كان الغزالى ضد الاسراع فى معاقبة الطفل المخطىء فقد نادى باعطائه فرصة ليصلح خطأه بنفسه حتى يحترم ذاته ، ويشعر بالنتيجة ـ ومن جهة أخرى نادى بتشجيعه اذا قام بأعمال حميدة تستحق المكافاة والتشجيـع ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

وذلك لأن التشجيع يدخل السرور على النفس فتتشجع وتتقدم ، فى حين أن اللوم والتوبيخ يؤدى الى الحزن والخوف وقلة الثقة بالنفس ٠

هذه بعض آراء الغزالى توخينا فيها الايجاز لعملية التطبيع الاجتماعى ، رأينا فيها الجدة والاصالة ٠٠ وتأملنا وجهة نظره فى بعض قضايا علم النفس الاجتماعى ، وبلا تحيز فلقد سبق أراء كثير من علماء النفس المعاصرين ٠٠

كما أن الغزالى أشار الى كيف يعرف المرء نفسه ، حيث يرى أن من كانت بصيرته نافذة ، لم تخف عيوبه ، فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ٠

واذا كان أكثر الخلق جاهلين لعيوب أنفسهم ، حتى أن أحدهم ليرى القذى فى عين أخيه ، ولا يرى الجذع في عين نفسه ، ولقد وضع الغزالى أربعة طرق لمعرفة عيوب النفس ٠

**الأول :** أن يجلس المرء بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ، ويحكمه فى نفسه ، ويتبع اشارته فى مجاهدته ٠

**الثانى :** أن يطلب صديقا بصيرا متدينا ، فينصبه رقيبا على نفسه ، ليلاحظ أحواله وأفعاله ، مما كره من أخلاقه ، وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه اليها ٠

**الثالث :** ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة اعدائه ، فان عين السخط تبدى المساوىء ٠ ولعل انتفاع الانسان بما يذكره عيوبه ، أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يخفى عنه عيوبه ٠

**الرابع :** أن يخالط الناس ، فكل ما رآه مذموما عند الخلق ، اتهم نفسه به ، فان الطباع متقاربة فى اتباع الهوى ، وما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الاخر عن أصله ، أو عن اعظم منه ، أو عن شىء منه ، فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذق من غيره ٠

هذا ولقد قدم لنا محمد زكى مبارك مقارنة شيقة بين آراء الغزالى وآراء كل من ديكارت Decartes ، والفرق بين كليهما ، كما قدم لنا مقارنة بين آراء الغزالى من جهة أيضا وآراء بسكال Pascal وهوبز Hobbes ، وبتلر Buttler ، وكارليل Karlyle ويشير مبارك أن الغزالى قد سبق هؤلاء الفلاسفة والعلماء فى آرائه الفلسفية والخلقية والتربوية ٠٠ بالاضافة الى أنه يتشابه معهم فى بعض الوجوه (١) ٠

---

(١) محمد زكى مبارك : الاخلاق عند الغزالى ، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربى بمصر ، ١٩٢٤ ، ص ٢٥٦ ق ٢٦٦ ٠

## خامسا : آراء لابن خلدون فى موضوعات علم النفس الاجتماعى

(٧٣٢ : ٨٠٨ هـ ) ( ١٣٣٢ : ١٤٠٦ )

هو ابو زيد عبد الرحمن بن ابى بـكر محمد بن الحضرمى ، ولد فى تونس ٣٧٢ هـ وتوفى فى القاهرة عام ٨٠٨ هـ ٠

ولقد ترك عبد الرحمن ابن خلدون مؤلفا واحدا سلخ فى وضعه الشطر الاكبر من عمره ، وافرغ فيه خلاصة خبراته الواسعة ، وعلمه ، ولئن كـان هذا المؤلف واحدا بالعدد ، الا انه بمثابة مكتبة جامعة فى المجتمع البشرى ومختلف شئونه ٠٠ وعلى هذه المقدمة الرائعة نعتمد فى استخراج آراء ابن خلدون فى موضوعات علم النفس الاجتماعى ٠

وتشتمل مقدمة ابن خلدون على قسمين اساسيين : الاول هو المقدمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مقاهبه ، والالماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والاوهام وذكر شيء من اسبابها ٠ والثانى : هو الكتاب الاول فى طبيعة العمران فى الخليقة ، وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصـنائع والعلوم ونحوهـا ، وما الى ذلك من العلل والاسـباب ٠

ويشتمل هذا القسم الثانى على ستة ابواب هى :

**الباب الأول** : فى العمران البشرى على الجملة ، وفيه ست مقدمات ، الاولى منها :

فى ان الاجتماع الانسانى ضرورى ، ومن الثانية الى الخـامسة فى قسط العمران من الأرض ، وفى الاقاليم ، وتأثير الهواء فى الوان البشر واخلاقهم ، وشئون معاشهم ، والسادسة فى الوحى والرؤيا وفى أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة او بالرياضة ، وفى حقيقة النبوةوالكهانة٠

**والباب الثانى** : فى العمران البدوى ، والأمم الوحشية ، والقبائل . وما يعرض فى ذلك كله من احوال ٠

**والباب الثالث** : فى الدولة العامة ، والملك والخـلافة ، والمراتب السلطانية ٠ وما يعرض فى ذلك من الاحوال ٠

**والباب الرابع** : فى البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض فى ذلك كله من الاحوال ·

**والباب الخامس** : فى المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع ، وما يعرض فى ذلك كله من أحوال ·

**والباب السادس** : فى العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه . وما يعرض فى ذلك كله من احوال ·

ولقد طبعت مقدمة ابن خلدون مرتين ١٨٥٧ ، ١٨٥٨ ، احدهما طبعة بولاق بمصر باشراف الشيخ نصر الهورينى ، والاخرى فى باريس على يد المستشرق كاترمير Catremir (١٨٥٨)

## اولا : التطبيع الاجتماعى عند ابن خلدون

يشير ابن خلدون الى عدة مبادىء يجب أن نضعها فى اعتبارنا فى عملية التطبيع الاجتماعى للوليد البشرى ·· يمكن ايجازها فيما يلى :

### ١ ـ ايثار التدريج :

يشير الى أن التدريج فى عملية التعلم والتعليم حتى يكون لها نتائجها المرغوب فيها ·· وهو فى رايه هذا يتفق مع علماء نظريات سيكولوجيةالتعلم فيقول :

« اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا ، اذا كان على التدريج شيئا فشيئا ، وقليلا قليلا يلقى عليه اولا مسائل من كل باب من الفن هى اصول ذلك الباب ، ويراعى فى ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهى الى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكه فى ذلك العلم ، الا انها جزئية وضعيفة ، ثم يرجع به الى الفن ثانية ، فيرفعه فى التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها ، ويستوفى الشرح والبيان ، ويخرج عن الاجمال ، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى أن ينتهى الى آخر الفن . فتجدد ملكته ، ثم يرجع به وقد شد ، فلا يترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا الا وصفه ، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته ·

وابن خلدون يشير فى قوله السابق أن تعليم العلم الواحد يجب أن يكون بالتدريج والتكرار . وأن تجمل للطالب اصول ذلك العلم ، فاذا اتقنها اعيد عليه ذلك العلم مفصلا بأصوله وفروعه . فاذا ملكها ، نظر معه فى

معضلاته ومستغلقاته ، وقوله « وقد شد » أى رسخ فى العلم . ويتفق ابن خلدون فى ذلك مع آراء مدارس علم النفس فى التدرج فى عملية التعلم من الشىء السهل الى الاكثر صعوبة حتى لا يمل المتعلم ما يتعلمه ، كما انه اشار الى ما يسمى الآن بالنظرة الكلية « عند الجشطلت » وفائدتها فى عملية التعلم . (١)

### ٢ ـ مراعاة استعداد الطالب :

وهذا وجه التعليم المفيد ، ويحصل فى ثلاثة تكرارات ، وقد يحصل للبعض فى أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه .. فان قبول العلم والاستعداد لفهمه تنشأ تدريجيا ، ويكون المتعلم اول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة الا فى الاقل ، وعلى سبيل التقريب والاجمال والأمثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا ، فاذا القيت عليه الغايات فى البداءات ، وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى وبعيد عن الاستعداد له ، كل ذهنه عنها ، وحسب ذلك من صعوبة العلم فى نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى فى هجرانه ، وانما آتى ذلك من سوء التعليم والتعلم .

وابن خلدون يتفق فى ذلك فى آراء علم النفس الفارقى ، فى مراعاة استعداد الطالب وقدرته العقلية على عملية الفهم والاستيعاب . ويجب ان نتدرج معه قليلا فى مسلمات العلم حتى لا تمل نفسه ويعزف عن عملية التعلم ، وقد يظن بأن هذا العلم عسير مستغلق ، فيتقاعس عن تحصيله ، وتكون العلة فى فساد اسلوب التعلم .

### ٣ ـ التدريب المتصل والمنفصل :

وكذلك ينبغى لك أن لا تطول على المتعلم فى الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها ، لانه ذريعة للنسيان .

وابن خلدون يشير هنا الى مبدأ جوهرى من مبادىء التعلم وهو جدوى التدريب المتصل والمنفصل على العملية التربوية ، فلقد اثبتت النظريات الحديثة ما ذهب اليه ابن خلدون فى ان التدريب المنفصل خير وابقى من التدريب المتصل .

---

(١) دراسة مقارنة لعملية التطبيع الاجتماعى عند مفكرى الاسلام وعلم النفس الحديث للمؤلف مرجع سابق ص ٨ . ص ١٠

### ٤ ـ تعليم الفنون واحدا واحدا :

ومن الطرق الواجبة فى التعلم ان لا نخلط على المتعلم علمان معـــا فانه حينئذ ، قل ان يظفر بواحد منهما ، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهم الآخر ، فيستغلقان معا ، وأن تفرغ الفكـــر لتعلم ما هو بسبيله مقتصرا عليه ، فربما كان ذلك اجدر لتحصيله ٠

ولقد اثبتت نظريات التعلم ما ذهب اليه ابن خلدون ، فى أن التركيز على شىء واحد يساعد على سرعة تعلمه ، وذلك اكثر من التشتت فى تعلم اكثر من علم واحد او شىء واحد ٠

وعموما فهذه هى جملة المبادىء التى ساقها ابن خلدون فى مقدمته التى يجب مراعاتها حتى تكون لعملية التعلم آثارها وجدواها فى عمليـــة التطبيع الاجتماعى ٠٠ كما انه اشار الى عدة آراء فى ميكانيكية التعلم ، اذ نجده ينوه الى المبادىء التالية :

### اولا : الثواب والعقاب فى عملية التطبيع الاجتماعى :

اشار ابن خلدون الى اثر الثواب والعقاب فى عملية التطبيع الا انه لم يتفق مع آراء من سبقوه بصورة كلية ، من علماء الاسلام ٠٠ ويشير الى المبادىء الآتية :

#### أ ـ مساوىء الشدة :

ان ارهاف الحد بالمتعلم مضر بالتعلم ، سيما فى اصاغر الولد ، لانه من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين ؛ سطا به القهر ، وضيق عن النفس فى انساطها ، وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث ، خوفا من انبساط الايدى بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعـــة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا ، وفسدت معانى الانسانية التى لـــه ؛ وهى الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالا على غيره فى ذلك ، بل وكسلت النفس فى اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ، ومدى انسانيتها ، فارتكس وعاد الى اسفل السافلين ، فينبغى للمعلم فى متعلميه ، والوالد على ولده ان لا يستبدا عليهما فى التاديب (١)٠

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبـــرى بمصر ، الفصل (٣٢) فى أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم » ص ٥٤

## ب ـ الترغيب والترهيب :

ويشير ابن خلدون ، ان من احسن مبادىء التعلم ، ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين ، اذ يقول :

« يا أحمد ، ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، اقرئه القرآن ، وعرفه الاخبار ، ورّوه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه ، فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته ، فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة .. » (١)

يدعو ابن خلدون الى الرحمة بالاطفال فى عملية تهذيبهم وتطبيعهم وباللين والتفاهم لا بالشدة والغلظة ، لان مجـــاوزة الحد مضرة بالمتعلم ، ومفسدة لاخلاقه ، فاذا أخذ التلميذ بالقسوة والغلظة ، ضاعت نفسه وذهب نشاطه ، وكان الى الكذب والكسل والخبث أميل ، وعندئذ يتظاهر بما ليس له فيفسد منذ الصغر ، وبالتالى يكون سيىء التطبيع الاجتماعى .

ويتفق ابن خلدون فى ذلك مع نظريات تكوين الشخصية ، فى أن تكوين الشخصية الانسانية يجب ان يكون عن طريق تفهمنا للدافعية التى تكمن وراء الانماط السلوكية ، اى يجب ان نهتم بأصول الافعال السلوكية وليس الى مظاهرها السطحية وسواء كنا آباء او معلمين ، حتى نعمـــل على تكوين الشخصية السوية وبالتالى نسهم فى عملية التطبيع الاجتماعى .

وجدير بالذكر ان ابن خلدون يتأثر فيما ذهب اليه بمن سبقوه من علماء الاسلام ، فابن سينا حين يقول أن حسم الداء خير من علاجه ، وأن المربى الحازم هو الذى يبعد الطفل عن البيئة التى تشجعه على الأخطاء ، فاذا أخطأ الطفل استعمل معه المربى وسائل الحـــكمة بالترغيب والترهيب حينا ، والتفهم ، والاعراض مرة ، والاقبال اخرى ، فاذا اضـــطر الى استعمال الضرب ، فلا مانع .. الخ

كما أن ابن خلدون تأثر كذلك بما أشار به الغزالى ، فى الا يقسو المعلم على تلاميذه ، وينادى بالاشفاق بهم والعطف عليهم ومعاملتهم معاملة الابناء.

---

(١) كما اليازجى وآخر ، مرجع سابق ص ٨٧٨ .

وعليه ان يزجرهم عن الاخلاق السيئة بوسيلة التعريض اذا امكن ، وبطريق الرحمة لا بالتوبيخ ٠٠ الخ ٠

### ثانيا : القدوة فى عملية التطبيع :

يشير ابن خلدون الى ان الاطفال يتأثرون بالتقليد والمحاكاة والمثل العليا التى يرونها ، اكثر مما يتأثرون بالنصح والارشاد ، ولقد اقتبس ابن خلدون رايه فى تأثير القدوة الحسنة على عملية التنشئة مما كتبه عمرو بن عتبة لأحد معلمى ولده اذ يقول :

« وليكن اصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ، ولا تملهم فيه فيكرهوه ، ولا تتركهم فيه فيهجروه ، روهم من الحديث اشرفه ومن الشعر اعفه ، ولا تنقلهم من علم الى آخر حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى القلب مشغله للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك » (١) ٠

وتتناول هذه الكلمات اقرار مبدأ القدوة الحسنة فى عملية التطبيع، ونجد فيها ترديد لآراء ابن خلدون فى عدم الانتقال من فن الى اخر حتى يتمكن من الاحاطة بالفن الأول ٠ وعموما فان أثر المدرس الكفء يظهر فى تلاميذه ، كما يظهر اثر الأب فى الأبناء ، فان وجود مدرس مخلص قائد ذو شخصية سوية فى المجال المدرسى ، كثيرا ما يغير بيئتها وينهض بها ، فهو مثل صالح لزملائه ولتلاميذه ، يقتدون به فى اخلاصه وخلقه وعلمه وعمله ٠

### ثانيا : عملية التفاعل الاجتماعى

يبدأ ابن خلدون كلامه عن العمران البشرى بقوله :

ان الاجتماع الانسانى ضرورى ، ويعبر الحكماء عن ذلك بقولهم ان الانسان مدنى بالطبع ، أى لابد له من الاجتماع وذلك لسببين :

أ ــ اضطرار الانسان الى التعاون مع ابناء جنسه على تحصيل حاجته من الغذاء ٠

---

(١) المرجع السابق : ص ٨٨٠ ٠

ب ـ اضطراره الى التعاون معهم على دفع عادية الحيوانات الضارية ٠

ويستطرد ابن خلدون بقوله : ان قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من الغذاء ، غير موفية له بمادة حياته منـــه ٠٠ فلابد من اجتماع القدر الكثيرة مع ابناء جنسه ليحصل القوت لهم ٠ وكذلك الواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات سيما المفترسة ، فهو عاجز أمامها وحدة بالجملة ، ولا تفى قدرته ايضا باستعمال الآلات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها ، فلابد فى ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه ٠٠ (١)

فالتعاون اذن ضرورى لتحصيل الغذاء ، كما هو ضرورى لمدافعـــة الحيوانات الضارية ، ولولا ذلك لما تمت حياة الانسان ، لما ركبه الله عليـــه من الحاجة الى الغذاء والدفاع عن النفس فى سبيل بقاءه وحفظ نوعه ، فحاجة الأفراد الى التفاعل هى التى تدفعهم الى التساكن ، واذا تفرق الناس لم يكن هناك عمران بدوى ولا عمران حضرى فى راى ابن خلدون ٠

ويشير ابن خلدون الى العوامل التى تؤثر فى الاجتمـــاع الانسانى « العمران البشرى » بقوله :

١ ـ **العوامل الطبيعية** : من تأثير الهواء والاقليم فى الوان البشر ، ولا يؤثر فى الوان بشرتهم فقط ، بل فى اخلاقهم كذلك وانماط حياتهم ٠
٢ ـ **العوامل الاقتصادية** : اختلاف نحله الافراد فى المعاش لما فى ذلك من الألفة والاعتياد والممارسة ، فالانسان اذا الف شيئا صـــار فى جبلته وخلقته ٠

٣ ـ **العوامل النفسية الاجتماعية** : وهى كذلك من العوامل المؤثرة فى العمران البشرى ، حيث سلطان العادة والميل الى التقليد والمحاكاة ، وقوة العصبية كلها عوامل تؤثر فى العمران البشرى ٠

ويهمنا هذا الصنف الثالث وذلك لعلاقته بما نحن فيـــه ، فسلطان العادة : كما يشير ابن خلدون اذا استحكم فى النفوس صدها عن الخروج على المألوف ، فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخـــالفة ، ولا يختلج فى ضميرها انحراف عن الطاعة كأن هناك قسرا اجتماعيا شبهها بالقسر الذى تكلم عنه دوركهايم وليس ادل على ذلك قول ابن خلدون : فان من أدرك مثلا

---

(١) مقدمة ابن خلدون : مرجع سابق ، ص ٤٢ ٠

اباه واكثر اهل بيته يلبسون الحرير ، ويتحلون بالذهب فى السلاح والمراكب، ويحتجبون عن الناس فى المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه فى ذلك الى الخشونة فى اللباس والزى والاختلاط بالناس ، اذ العوائد حينئذ تمنعه وتقبح عليه مرتكبه ، ولو فعله لرمى بالجنون والوسواس فى الخروج عن العوائد دفعه وخشى عليه عائده ذلك وعاقبته . (١)

ونرى ابن خلدون يشير الى اهمية عملية المحاكاة والتلقيد فى عملية التطبيع والتفاعل الاجماعى ، واثر قوة سلطان العادة على سلوك الافـــراد فى كل بيئة ما .

**والميل الى التقليد :** فهو يدعو الأفراد والجماعات الى التشبه بعضهم ببعض ، فالولد يقلد اباه ، والمتعلم يقلد معلمه ، والمغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر احواله ، والخلف يأخذ عن السلف ، والآخر يقلد الاول ، فيتبع آثاره حذو النعل بالنعل ، والدولة اللاحقة تقلد الدولة السابقة فى عاداتها وتقاليدها ونمط حضارتها ، والرعية تقلد حكامها، لان عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه . وكما يقال فى الامثال : الناس على دين الملك .. (١) .

وسبب هذا التقليد اعتقاد المقلد ان المقلد اكمل منه ، فيوقره ويعظمه ويحاكيه فى افعاله وسائر صافته ، ولولا المتقاد الكمال ، لما كان المغلوب مولعا بالاقتداء بالغالب ، ولا كان الابناء متشبهين دائما بآبائهم ومعلميهم .

**وأما العصبية :** فهى نزعة طبيعية فى البشر ، تؤدى الى الاتحـــاد والالتحام والتعاضد بين الافراد من النسب الواحد ، وهى ترجع فى الاصل الى صلة الرحم ، فان ذوى القربى والارحام لا يزالون يتعاطفون ويلتحمون ويتعاضدون فى أمورهم حتى يصبحوا شخصا واحدا . واهل النسب الواحد يتعاونون على دفع العـــدوان عن أنفسهم ، وكلما كانت القرابة أدنى كانت العصبية اقوى .

ولكن العصبية لا تقتصر على صلة النسب والقرابة بالمعنى الضيق بل تشمل ايضا لحمة الحلف والولاء . والدليل على ذلك أن الفرد قد ينتقل من نسب الى آخر بحلف او ولاء ، فيتناسى نسبه الأول ، ويلتحم بأصـــحاب

---

(١) المقدمة : مرجع سابق ص ٢٩٤

(١) المقدمة : ص ٢٩ .

النسب الجديد ، فيجرى عليه ما يجرى عليهم من أحكام ، ومتى وجدالنسب ولم يكن معلوما ، لم تتولد العصبية ، لانه لا قيمة للعصبية الا بثمراتها من نعره ، فاذا حصلت هذه الثمرات بسبب حلف أو رق او ولاء لم يكن هناك قرابة طبيعية ، حصلت العصبية . ولذلك قال ابن خلدون : « ان اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب او قريبة منها .. » (١) وأن النسب لا يؤثر فى الالتحام الا اذا كان هناك صحبة وعشرة ، فان المعنى الذى كـان به الالتحام انما هو العشرة والمدافعة وطول الممارسـة والصحبة بالمربى والرضاع وسائر أحوال الموت والحياة .

ثم ان العصبية تختلف باختلاف الحياة البدوية والحضرية ، فأهل البدو اشد عصبية من اهل الحضر ، ولذلك كانت الأمم الوحشية اقدر على التغلب من الامم الحضرية . وسبب ذلك ان حالة البداوه تقتضى بطبيعتها وجود عصبية قوية ، لان الدفاع عن الحى لا يتم الا على أيدى الانجاد المعرفين بالشـجاعة ولا ينجحون فى دفاعهم الا اذا كانوا عصـبة وكتلة واحدة . أما أهل الحضر ، فانهم يوكلون أمرهم فى المدافعة عن أموالهم وانفسهم الى واليهم الذى يسوس أمورهم أو الى الحامية التى تتولى حراستهم .

كما ان العصبية لها تأثيرها فى تأسيس الملك ، لان الملك ، انمـا يحصل بالتغلب ، والتغلب انما يكون بالعصبية ، ولكن الملك اذا استقر فى طائفة معينة ، وتوارثه أصحابه واحد بعد آخر فى أعقاب كثيرة ، ألفـه الناس واعتادوه ورسخ فى نفوسهم حب الانقياد لاصحابه ، فلا يحتاجون الى كبير عصبية فى المحافظة عليه ، بل يكون استظهارهم بالموالى والمصطنعين أو بالعصائب الخارجين عن نسب أصحاب الملك أو بالجنود المرتزقة . وقد تعرقل العصبية تأسيس الدولة واستقرارها اذا كانت الاوطان كثيرة العصائب والسبب فى ذلك اختلاف الآراء والاهواء وميل العصـائب المختلفة الى الانتفاض على الدولة .

وكما تؤثر العصبية فى تأسيس الملك ، فكذلك تؤثر فى انتشار الدعوة الدينية ، بل الشرائع والديانات ، وكل أمر يحمل عليه الجمهور ، فلا بد فيه من العصبية ، ومتى انتشرت الدعوة الدينية ، عادت على العصبية فأثرت فيها ، لان الديانة تؤلف قلوب أصحابها ، وتوحد منازعهم وتذهب بالتنافس والتحاسد ، وتحمل على التعاون والتعاضد وتزيد الدولة فى أصلها قوة على قوة العصبية التى كانت لها . فلقد كان العرب أصعب الامم انقيادا بعضهم

(١) جميل صليبا : مرجع سابق . ص ١٨٤ .

لبعض لتفرقة عصبياتهم من جهة ، ولغلظتهم وانفهم وحبهم للرياسة من جهة ثانية . فلما جمعتهم ديانة واحدة . وتألفت كلمتهم . استطاعوا ان يتغلبوا على جموع الفرس والروم ، فالعصبية تؤثر فى نجاح الدعوة الدينية والاجتماع الدينى يضاعف قوة العصبية .

ومما تقدم يتضح لنا ان سلطان العادة ، والميل الى التقليد ، وقوة العصبية ، تؤثر فى الاجتماع تأثيرا عميقا ، وذلك لانها تصد الافراد عن الخروج على المألوف ، وتحملهم على التشبه بعضهم ببعض ، وتدعوهم الى الالتحام والاتحاد والتعاضد والتعاون والتناصر .

هذه اقوال ابن خلدون فيما يسمى بالعمران البشرى او ان شئت فقل بعملية التفاعل الاجتماعى ، الم نجد افكار ابن خلدون تتساوق مع اراء كل من بوجاردوس وثرستون فى سيكولوجية التعصب العنصرى الذى اشرنا اليه فى الفصل الرابع كما ان ما ذهب اليه يتفق ونتائج الدراسات الميدانية التى اجريت فى التميز والتعصب العنصرى التى نوهنا عنها فيما سبق .

## القيادة فى راى ابن خلدون

اشار ابن خلدون كذلك الى ظاهرة القيادة فى المجتمعات الانسانية واسباب وجودها ، والسمات التى يجب ان يتحلى بها القائد ، فيقول :

« على ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر ، ولم يكن لهم وازع يدفع بعضهم عن بعض . لم يتم بقاؤهم ، وسبب ذلك ان فى طباع البشر ميلا الى العدوان والظلم

والظلم فى شيم النفوس فان تجد ذا عفه فلعله لا يظلم

وعلى الفرد دفع هذا العدوان عن نفسه . انه لا يستطيع دفعة الى بالسلاح والسلاح موجود لجميع الناس . فلا بد من شىء اخر يدفع عدوان الافراد بعضهم عن بعض ، وهو الذى يسميه ابن خلدون « وازعا » ، وهو الذى بنى عليه نظريته فى نشوء الملك والدولة وفى ذلك يقول :

« ان البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم ، واذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ، ومد كل واحد منهم يده الى حاجته يأخذها من صاحبه ، لما فى الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ، ويمانعه الاخر بمقتضى الغضب والانفه . ومقتضى القوة البشرية فى ذلك . فيقع

التنازع المفضى الى المقاتلة ، وهى تؤدى الى الهرج وسفك الدماء واذهاب النفوس المفضى الى انقطاع النوع ... ولذلك استحال بقاؤهم فوضى ، دون حاكم يزع بعضهم عن بعض ، واحتاجوا من اجل ذلك الوازع وهو الحاكم عليهم ، وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ، فالدولة دون العمران لا تتصور ، والعمران دون الدولة والملك متعذر ، لما فى طباع البشر من العدوان الداعى الى التنازع .. (١) .

ومعنى ذلك كله انه لا بد فى العمران البشرى من سياسة ينتظم بها أمره ، وسلطة وازعه تأخذ حق الضعيف من القوى وتحقيق العدل بين الناس ، ويقصد بالوازع هنا « الوازع الدينى » اى دين ، فالمجوس كان لهم دولة وليس لهم كتاب .

**والملك عند ابن خلدون** ، امر طبيعى للبشر ، اذ أن كل اجتماع انسانى بحاجه الى وازع او حاكم يقيم العدل ، ويدفع بعض الناس عن بعض ، والملك هو الذى يحكم الافراد ، ويجبى الاموال ويبعث البعوث ( يحارب العدو ) ويحمى الثغور ( الحدود التى يخشى منها مجيىء العدو برا او بحرا ) ولاتكون فوق يده قاهرة ، ومصلحة الرعية فى السلطان ليست فى ذاته وجسمه وحسن شكلة او ملاحة وجهة ، او عظم جشمانة ، او اتساع علمه ، وانما مصلحتهم ، أن يكون ملكه عليهم صالحا جميلا ، فان الملك اذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات ، منقبا عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم ، شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة ، فتخلقوا بها ، وفسدت بصائرهم . وربما خذلوه فى مواطن الحروب ، وربما اجمعوا على قتله (٢) .

هذه الجملة آراء ابن خلدون فى القيادة نراها متسقة مع نتائج نظريات القيادة المختلفة ، التى أجراها ليبيت وهوايت فى الاجواء النفسية للقيادة .

## البيئة والشخصية

كما ان ابن خلدون تطرق الى مسالة حيوية فى علم النفس الاجتماعى وهى مدى تأثير البيئة الاجتماعية على شخصية الانسان ، فبعد أن بين اختلاف العمران ، من العمران البدوى والعمران الحضرى ، واشار الى أن

---

(١) المقدمة : ص ٣٧٦ .

(٢) عمر فروج : تاريخ الفكر العربى ـ الى أيام ابن خلدون ، لبنان دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٧٢ ص ٧٠٠ ، ٧٠١ .

الأول اقدم من الثاني . واحتياج اهل البدو الى اهل الامصار ( الحضر ) ، وعصبية اهل البدو عادة ما تكون اقوى من عصبية اهل الحضر .. تطرق الى وصف اهم الصفات الشخصية لكل من البدو والحضر وفيها يقول :

« ان العمران البدوى يكسب أهله صفات خاصة ، لانهم يعيشون فى القفار والبوادى ، ويقنعون بالضرورى من الحاجات .

١ ـ فأولى صفات أهل البدو . اختصاصهم بنكد العيش وشظف الاحوال وسوء المواطن ، وسبب ذلك ان الذين معاشهم على الزراعة والفراسة تدعوهم طبيعة حياتهم الى الاكتفاء بالضرورى من الحاجات . اما الذين يقوم معاشهم على الابل ونتاجها فان شروط حياتهم تضطرهم الى التوحش فى القفر لرعيها من شجرة . والتقفر مكان الشظف والجوع والضيق ، فاذا اعتادوا الشظف والفوه تمكن من نفوسهم ، حتى يصير خلقا لهم وجبله ، واذا لم يتعودوه مالوا الى تركة .

اما أهل الحضر فان ما تعودوه من الترف والدعة والسكون يجعلهم اقل صبرا على شظف العيش ، فلا يتخلون عن حياة المدن ولا ينزعون الى البدو ليشاركوهم فى احوالهم ، بخلاف البدو ، فان أحدهم اذا وجد السبيل الى الفرار من حالة ، وامكنه ذلك ، لم يتركه .

٢ ـ وثانية صفات أهل البدو انهم اكثر حركة وانتقالا من اهل المدن ، فأحوالهم الطبيعية هى الرحلة والتقلب ، يحبون الظعن فى البادية لرعى ابلهم ، ويبحثون عن الاماكن الصالحة لنتاجها ، يعيشون فى الخيام او فى الغيران ليس لهم وطن يرتامونه ، ولا بلد يجنحون اليه ، فنسبه الاقطار والمواطن اليهم على السواء .

٣ ـ وثالثة صفات أهل البدو ، انهم اقرب الى الخير من اهل الحضر ، وسبب ذلك أن النفس اذا كانت على الفطرة ، كانت متهيئة بقبول ما يرد عليها ، وينطبع فيها من خير وشر . فبقدر ما سبق الى النفس من احد الخلقين ، تبعد عن الاخر ويصعب عليها اكتسابه ، فصاحب الخير الذى سبقت الى نفسه عوائد الخير ، وحصلت له ملكته ، بعد عن الشر ، وصعب عليه طريقة ، وكذا صاحب الشر اذا سبقت عليه عوائده .

ونحن نعلم ان أهل لحضر ، لكثرة ما يعانون من فنون اللذات وعادات الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على الشهوات ، قد تلوثت نفوسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر ، وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ماحصل

لهم من عوائد السوء ۰ إما أهل البدو فانهم وان كانوا مقبلين على الدنيا مثل أهل الحضر ، الا أن اقبالهم عليها انما هو فى المقدار الضرورى لحاجاتهم لا فى الترف ولا فى شيء من اسباب الشهوات ، ولذلك كانت عوائدهم فى معاملاتهم على نسبة ما حصل لهم من اسباب العمران ؛ وما يحصل لهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق اقل بكثير مما يحصل لأهل الحضر ، لانهم اقرب الى الفطرة الأولى وابعد عما ينطبع فى النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها ، فيسهل علاجهم عن علاج أهل الحضر ۰

٤ ــ ورابعة صفات أهل البدو أنهم اقرب الى الشجاعة من أهل الحضر ، وسبب ذلك أن اهل الحضر الفوا الراحة والدعة والسكون ؛ وانغمسوا فى النعيم والترف ، ووكلوا أمرهم فى الدفاع عن انفسهم واموالهم الى الحاكم الذى يسوسهم ؛ والحامية التى تتولى حراستهم ، أما البدو فانهم لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم فى الضواحى وبعدهم عن الحامية قائمون بالمدافعة عن انفسهم ۰

ومما يزيد سطوة أهل البدو وشجاعتهم انهم لا يعانون ما يعانيه اهل الحضر من الاحكام التى تكسر سورة بأسهم ، وتذهب المنعة عنهم ؛ لان القلوب المكسورة تتعود التخاذل والانقياد ۰۰ ومن كان مرباه بالعسف والعنف وسطابه التهر وضيق على نفسه فى انبساطها وذهب بنشاطها ، وهذا ما حصل لكل امة وقعت فى قبضة القهر ونال منها العسف ، ولذلك كان أهل البدو اشد بأسا وشجاعة من أهل الحضر ؛ لانهم اكثر منهم حرية لا يأخذهم ما يأخذ اهل الحضر من الاحكام القاسية ۰

ويستشهد ابن خلدون بشجاعة أهل البدو ، أن سلاطين افريقيا الشمالية المعاصرين لابن خلدون ، كانوا يستنصرون بالقبائل الموالية لهم للتغلب على اعدائهم ، وكثيرا ما كانوا يخسرون الحروب اذا خانتهم القبائل ۰

واستطرد فى وصف صفات العرب البدو ، والعرب الحضر ۰۰ الا انه كان قاسيا فى وجهة نظرة التى ساقها عن صفات البدو من العرب ۰۰

هذه جملة أراء ابن خلدون فى كيفية تاثير البيئة على شخصية الانسان ۰۰ وجدير بالذكر أن ننوه هنا أن آراء ابن خلدون هذه اتفقت مع مدارس علم النفس الاجتماعى والانثروبولوجيا الاجتماعية التى اشارت باثر البيئة الجغرافية على شخصية الفرد ومن اشهر هذه التجارب ما قامت به مرجريت ميد فى مدى تأثير البيئة على الشخصية الأدمية ۰۰ بالاضافة الى كثير من الدراسات الميدانية التى ايدت ما ذهب اليه ابن خلدون ۰

وحقيقة فاننا وجدنا فى أراء ابن خلدون فى عملية التطبيع الاجتماعى ، أو القيادة ، أو التفاعل الاجتماعى ، الجدة والاصالة ، بحيث تضعها على قدم المساواة مع اراء علماء النفس الاجتماعى فى العصر الحديث ٠

وعموما فان هذه بمثابة خطوة على الطريق ٠٠ حيث اننا دارسى علم النفس كثيرا ما نستشهد بأراء ونظريات الغرب سواء مع طلابنا ، أو فى كتاباتنا النفسية ، متناسين ما كان لعلماء الاسلام من اراء قد تتفق من بعيد أو من قريب مع أراء ونظريات علم النفس الحديث ٠ فهل آن الأوان لاحياء تراثنا من جديد ٠٠ والقاء الضوء على مناهج علماء الاسلام فى التربية وعلم النفس ٠٠ وعموما فان هذه العجالة التى فرغت منها فى ثنايا هذا الفصل الاخير ما هى الا مجرد خطوة كما اشرت على طريق جد صعب طويل ٠٠ والله نسأل أن يعيد للاسلام مجده الماضى ومبادئه المثالية وحضارته الخالدة ٠

# المراجع


- **احمد عبد العزيز سلامه** : تطبيق اختبار تفهم الموضوع على حالات مصرية « رسالة ماجستير » كلية التربية ـ جامعة عين شمس ، ١٩٥٦ غير منشورة .
- **جميل صليبا** : تاريخ الفلسفة العربية ، لبنان ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الثانية ـ ١٩٧٣ .
- **حافظ الجمالى** : علم النفس الاجتماعى « ترجمة » مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٥ .
- **حامد زهران** : علم النفس الاجتماعى ، القاهرة ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤ .
- **دحام الكيال** : دراسات فى علم النفس ، الرياض ، مؤسسة الانوار بالرياض ، ١٩٧٠ .
- **سعد عبد الرحمن** : السلوك الانسانى ، تحليل وقياس المتغيرات ، الكويت مكتبة الفلاح ، ١٩٧٧ .
- **سيد عبد العال** : دراسة تجريبية فى العلاقة بين القيادة غير الرسمية ، واتجاهات العمال « رسالة ماجستير » كلية الاداب بجامعة عين شمس « غير منشورة » .
- **سيد عثمان** : علم النفس الاجتماعى التربوى . مكتبة الانجلو ، القاهرة الجزء الأول ، ١٩٧٠ .
- **سيد غنيم وهدى براده** : الاختبارات الاسقاطية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ .
- **طلعت منصور وآخرون** : أسس علم النفس العام ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨ .
- **عادل عز الدين الاشول** : سيكولوجية الشخصية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨ .
- ـــــــــ : دراسة مقارنة لعملية التطبيع الاجتماعى عند علماء الاسلام وعلم النفس الحديث القيت فى ندوة علم النفس والاسلام التى انعقدت بالرياض فى ديسمبر ١٩٧٨ .
- **عادل عز الدين وطلعت منصور** : مذكرات فى علم النفس الاجتماعى ، القاهرة مودعة بمكتبة كلية التربية بجامعة عين شمس ، ١٩٧٦ .
- **عبد الرحمن ايوب** : اللغة والتطور ، القاهرة . مطبعة الكيلانى ، ١٩٦٩ .

- **عمر فروج** : تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون ، لبنان دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- **قسطنطين زريق** : تهذيب الاخلاق لابى على احمد بن محمد بن مسكوية لبنان ــ بيروت ، ١٩٦٦ .
- **كمال اليازجي واخر** : اعلام الفلسفة العربية ، لبنان ، دار الكشـــوف للطباعة والنشر ، مكتبة انطوان ، ١٩٧٥ .
- **لطفى فطيم** : علم النفس في مائة عام « ترجمة » بيروت دار الطليعة ، ١٩٧٨ .
- **محمد بن محمد الحسينى الزبيدى** : احياء علوم الدين . لبنان ، بيروت المجلد الأول « وظائف المعلم المرشد » .
- ـــــــ : احياء علوم الدين ، المجلد السابع « بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول النشور ووجة تأديبهم وتحسين أخلاقهم » .
- ـــــــ : احياء علوم الدين ، المجلد الأول « فى أداب المتعلم » .
- **محمد زكى مبارك** : الأخلاق عند الغزالى ، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربى بمصر ، ١٩٢٤ .
- **محمد عطية الابراشى** : التربية الاسلامية وفلاسفتها ، القاهرة ــ مطابع الحلبى ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٥ .
- **محمد نبيل نوفل واخرون** : منـــاهج البحث فى التربية وعلم النفس ، القاهرة مكتبة الانجلو ، ١٩٧٧ .
- **محمود أبو النيل** : علم النفس الاجتماعى ، دراســـات مصرية وعالمية القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨ .
- **محمود عودة** : القـــرية المصرية بين التاريخ وعلم الاجتماع ، القاهرة ، مكتبة سعيد رافت ، ١٩٧٢ .
- **مقدمة ابن خلدون** : القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- **نوال محمد عطية** : علم النفس اللغوى ، القاهرة ، مكتبة الانجلو . الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ .

## المراجع الاجنبية :


Adorno, T. & others : The authoritarian personality, New York, Harper & Brothers pub. 1950.

Allport, G.W. : The nature of prejudice. New York, Double dary & Co. INC. 1958.

———— : Attitudes, IN, C. Murchison, ed. : A hand book of social psychology, New York, Worcester, Mass, Clark Un. press, 1935.

Ammar, H. : The role of age and sex in Silwa, provience of Aswan, International library of sociolo... and social reconstruction, London, Routledge & Kegan, 1954.

Aronson, E. & other : The effect of severity of initiation on liking for a group, J. abn. soc. psy. 1959, 59.

Bales, R.F. & other : Role differentiation in small decision making group, IN, T. Parsons & other : Family, socialization and interaction process, New York, The Free Press Glencoe, 1955.

Bandura, A. : Social learning through imitation, New York, Nebraska Un. Press, 1962.

Bandura, A. & other : Identification as a process of incedental learning, Jour. of abn. soc. psy. 63, 1961.

Belth, N.C. : Patterns of discrimination against jews, New York, McGraw Hill Book Co. 1958.

Biesanz, J. & L. M. Smith : Race relations in Panama and the Canal zone, J. of soc. psy. 57, 1951.

Bowlby, J. : Maternal Care and mental health, 2nd ed. Geneva, World Health Organization Monograph, 1952.

Brenda, R. : The influence of the group on the judgments of children, New York, King's Crown press, 1950.

Brim, O. G. : Personality development as a role learning, In I. Iscoes & other, personality development in children, Texas Un. press, 1960.

Brown, J. F. : Social psychology and social order, New York, McGraw Hill book Co. 1936.

Bruner, J. S. : Social psychology and group process. Ann. Rev. of psy. vol. I, 1950.

Burnstein, E. & other : Some effect of shared threat and Prejudice in racially mixed group, J. of abn. soc. psy. 64, 1962.

Byrne, D. & other : Racial prejudice interpersonal attraction and assumed dissimilarity of assumed dissimilarity of attitudes, J. of abn. soc. psy. 1962.

Campbell, D. T. : Conformity in Psychology's theories of acquired behavior disposition, In, L. A. Berg & other, Conformity and deviation, New York, Harper & Row pub. INC. 1961.

———— : The indirect assessment of social attitude, Psy. Bull. 47, 1950.

Carter, L. F. & other : Investigation of the relationship between four criteria of leadership ability for three different task, J. of psy, 23, 1949.

Cartwright, D. & other : group dynamics research theory, New York, Harper & Row pub. 2nd ed. 1960.

Cavan, R. S. : Self and role in adjustment during old age, In, A. M. Rose (ed.) : Human behavior and social processes, An interactionist approach, New York, Mifflin Co. 1962.

Clausen, J. : Family structure, socialization and personality, Review of Child develop. 11, 1966.

Coffman, E. : Two studies in the sociology of interacting, New York, Merrill Co. 1961.

Crockett, W. H. : Emergent leadership in small decision making groups, Jour. : of abn. soc. psych. 51, 1955.

Dashiell, J. E. : Fundamental of general psychology, New York, Houghton Mifflin, 3rd ed. 1949.

Daniels, M. J. : Affect and its control in the medical intern. Am. J. soc. 66, 1960.

Deutscher, M. & other : The psychological effects of enforced segregation, J. of psy. 26, 1948.

Dornbusch, S. M. : The military academy as an aisimilating instuition, J. of soc. Force, 33, 1955.

El Ashwal, A. E. : A comparative study of the factors affecting worker's adjustment inEgypt and Poland, Doct. Dessert. 1973.

Engel, L. : The troubled monkeys of Madison, New York, Time Mag. 29, 1961.

English, H.B., & English, A.C. : A comprehensive dictionary of psychological and psycho analytic terms, A guide to Usage, New York, McKay, 1958.

Feshbach, S. & R. Singer : The effects of personal and shared threat upon social prejudice, J. abn. soc. psy. 54, 1957.

Fromme, A. : On the use of certain qualitative methods of attitude research, J. of soc. psy. 13, 1941.

Gerard, H. B. : Some determinants of self evaluation, J. abn. soc. psy. 62, 1961.

Gibb, C.A. : leadership, IN, Lindzey (ed.) hand book of social psychology, New York, Addison — Wesley pub. Vol. II, 1954.

Gilbert, G.M. : Stereotype persistence and change among College student, J. abn. soc. psy. 46, 1951.

Guetzkow, H. :Group dynamic research and theory, New York, Harper & Row pub. 2nd ed. 1966.

Guthrie, E.R. & other : Psychology, A first course in behavior. New York, Harper, 1949.

Harvey, O. & others : Reactions to unfavorable evaluations of self made by other persons, J. of person. 25, 1957.

Harding, J. B. & other : prejudice and ethnic relations, IN Lindzey (ed.) : Hand book of social psychology. op. cit., 1954.

Heroskovits, M. J. : Man and his work, New York, Knopf, 1948.

Hollingshead, A & other : Social status and mental illness, A community study, New York, John Wiley, 1958.

Hubert Bonner : Social psychology, An interdisciplinary approach, New Delhi, 1965.

Hughes, E.C. : Men and their work, New York, The Free Press of Glencoe, 1958.

Huntington, M. : The development of self image, IN R. K. Merton & others : The student physician, New York, Harvard Un. Press, 1957.

Hyman, H.H. & other : The authoritarian personality : A methodological critique, New York, Free Prees of Glencoe, 1954.

Jersild, A.T. : Child psychology, New York, Prentice Hall, INC. 1944.

Kagan, J. & others : Personality dynamics deelopment, New York, Harcourt Prace, Jovanovich, 1969.

Katz, D. : The functional approach to the study of attitude change, Pub. opinion Quart. 24, 1966.

———— & E. Stotland : A preliminary statement to a theory of attitude structure and change, IN Koch (ed.) : psychology A study of science, vol 3, New York, McGraw Hill Book Co. 1959.

Kelman, H. C. : The introduction of action and attitude change, IN, S. Coopersmith (ed), personality research, 1962.

Klein, J. : The study of groups, London, Routledge, Kegan Paul, Ltd, 1956.

Krech, D. & others : individual in society, New York, McGraw Hill book Co. 1962.

Kroeber, A. L. : Anthropology, New York, Harcourt Brace, 1943.

Laughlin, F. : The peer status of sixth and seventh grade children, New York, Columbia Un. Press, 1954.

Lewin, K. & others : Pattern of aggressive behavior in experimentally created social climates, J. soc. psy. 10, 1939.

Lynn, D. B. & other : The effect of father absence on Norwegian boys and girls, J. of abn. soc. psy. 59, 1959.

Mann, J. H. : The differential nature of prejudice reduction, J. of soc. psy. 63, 1960.

Martin, W. : Preferences for types of patients, IN, P. Merton & others, New York, Harvard Un. Press, 1957.

Marvin, S. & J. Wright : Scale for measurement of attitude, New York, McGraw Hill book Co. 1967.

Maslow, A. H. : The role of dominance in the social and sexual behavior of infrahuman primates, J. Genetic psy. 48, 1963.

Mc-Carthy, D. : The language development of the pre-school child, New York, Un. of Minisota, 1930.

Mc-Candless, B. R. : Children and edolescents, New York, Holt Rinehart & Winston, INC. 1961.

Miller, D. R. : The study of social relationships situation, identity and social interaction, IN, S. Koch, psychology, A study of science. New York, McGraw Hill Book Co. 1963.

Minard, R. D. : Race relationships in the pocahontas Coal field, J. soc. Issues, 1952.

Mowrer, O. H. : learning theory and personality dynamics, New York, Ronald Press Co. 1950.

Murphy, G. : A historical introduction to modern psychology, New York, 3rd, 1932.

——————— : Personality : A pidogical approach to origins and structure, New York, Harper & Row pub. 1949.

——————— : A historical introduction to modern psychology, New York, 3rd, 1932.

New Comb, T. M. : Social psychology, New York, McGraw Hill book Co., 1950.

Osgood, C. E. & others : The measurement of meaning, New York, Un. of Ellinois Press, 1957.

Oskamp, S. : Attitudes and opinions, New York, Prentice — Hall, INC, New Jersey, 1977.

Parker, S. : Leadership patterns in a psychiatric ward, J. Hum. relat. 11, 1958.

Pettigrew, T.F. : Social psychology and desegregation research, Amer. psy. 1961.

Proshansky, H. M. : A projective method for the study of attitudes, J. abn. soc. psy. 38, 1943.

Raven, B. H. & other : group support, legitimate power, and social influence, J. of person. 26, 1958.

Rogers, C. R. & others : Psychotherapy and personality change, Coordinated studies in client — centered approach, New York, Chicago Un. Press, 1954.

Rosenberg, M. J. & other : Some dynamic aspects of Post — hypnotic compliance, J. of abn. soc. psy. 57, 1958.

——————— : Attitude organization and change, New York, Yale Un. Press, 1960.

Sears, R.R. : Identification as a form of behavioral development, IN, D. B. Harris (ed) The concept of development, New York, Minnesota Un. press, 1957.

Secord, P. & C. Backman : Social psychology, New York, McGraw Hill book Co. 1964.

Simpson, G. E. & J. M. Yinger : Racial and cultural minorities, N York, Harper & Row pub. INC. 1958.

Solomon, R. L. : Punishment, Am. psy. 103, 1964.

Star Shirley & others : Negro infantasy platoons in white companies, IN, E. Maccoby & others (ed.) Reading in social psychology, N. Y. Rinehart & Winston, 3rd ed. INC, 1958.

Stern, G. E. & other : Pediatric lions and gynecological lambs, J. cf med. educ. 33, 1958.

Stotland, E.S. & others : The effects of groups expectations and self esteem upon self evaluation, J. of abn. soc. psy. 54, 1959.

Thibaut, J. W. : An experimental study of cohesiveness of under privileged group, J. of Hum. Rel. 45, 1950.

Treiman, D. J. : Status discrepency and prejudice, Amer J. of sociolo. 29, 1966.

Triands, H. C. : A note of Rokeach's theory of prejudice J. of abn. soc. psy. 53, 1961.

———— Attitude and attitude change, New York, John Wiley, 1974.

Verba, S. : Small group and political behavior, A study of leadership, New York, Princeton Un. Press, 1961.

Weatheriey, D. : Anti-semitism and expression of fantasy agression, J. abn. soc. psy. 43, 1961.

Westie, F. R. : Negro-white status differentials and social distance, Am. soc. Rev. 23, 1952.

Whiting, J. W. : Resource mediation and learning by identification, IN, I. Scoe & other : personalty development in children, New York, Un. of Texas Press, 1960.

———— : Child training and personality, A cross cultural study, New York, Yale Un. Press 1953.

Wilner, D. M. & others : Human relations in interracial house, New York, Un. of Minnesota press 1955.

Winch, R. : Identification and its familial determinants, New York, Bobbs — Merrill Co. INC. 1962.

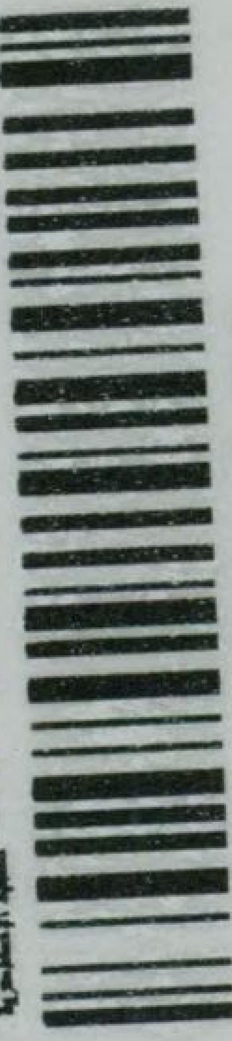
Winder, A. F. : White attitudes towards Negro-White interaction in an erea of changing racial composition, J. of soc. psy. 33, 1955.

'orks, E. : The prejudice interaction hypothesis from the point of view of the Negro minority group. Amer. J. of sociol. 45, 1961.

g, K. : Personality and problems of adjustment, New York, 2nd . 1950.

# فهرس الموضوعات

رقـــم الايداع ٧١٧٧ / ٨٤


Bibliotheca Alexandrina
1518659